الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الثقافة الشعبية

شعبة الفنون الشعبية

قبيلة حميان

من القرن 5-8 هـ / 11 إلى 14م

دراسة تاريخية وثقافية

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه

اسم الطالب الباحث

قواري عيسى

اسم الاستاذ المشرف

أ.د حاجيات عبد الحميد

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د محمد سعدي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د عبد الحميد حاجيات	جامعة تلمسان	مشرفا
د عبد الحق زريوح	جامعة تلمسان	عضوا
د.ة نور الهدى بوخالفة	جامعة وهــران	عضوا
د جمال قنان	جامعة الجزائر	عضوا
د الزبير يقدح	جامعة الجزائر	عضوا

السنة الجامعية 2005-2006

التشكرات

إن ما أقدمه من بحث هو ثمرة جهود، فعسى أن يكون هذا البحث قد فتح بابا للمزيد من التنقيب والبحث خدمة للحقيقة التاريخية والثقافية في منطقة النعامة.هذه المنطقة التي لم تنل حظها من الدراسة والبحث،وإنني أعترف إن هذا البحث لم يخرج بهذا الشكل إلا بفضل جهود مشتركة،وهكذا لا يسعني إلا أن أقدم شكري لكل من مد يد العون من قريب أومن بعيد،وأخص بالذكر أستاذي المشرف الدكتور عبد الحميد حاجيات الذي لم يبخل علي بالنصح والتوجيه،كما أشكر الدكتور مبخوت بوداوية والدكتور بكري عبدالحميدوالدكتور مونسي الحبيب والدكتورمعروف بلحاج الذين لم يبخلوا علي بنصائحهم وتوجيهاتهم،وإلى زملائي الأستاذة بالمركز الجامعي د.يحي فارس بالمدية وكذلك زملائي الأساتذة بالمركز الجامعي مصطفى اسطمبولي بمعسكر على تشجيعهم لي قصد إنجاز هذا البحث،وأخص بالذكر الأستاذ سرقمة عاشور وخشاب الصادق وخالدي هشام،والأستاذ قندسي عبدالقادر بجامعة ابن خلدون بتيارت كما أتقدم بشكري إلى كل القائمين على مكتبة المتحف البلدي بوهران والمكتبة الوطنية فرانز فانون بالعاصمة،ومكتبة المركز الجامعي بالمدية،وإلى الذين وقفوا إلى جانبي في عملية الحصول على المصادر والمراجع.

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى روح أمي الطاهرة وكذلك إلى جدتي الحاجة غنية الزكية كما أهدي إلى أبي العزيز الذي يعود الفضل لله واليه في تربيتي وتعليمي وتكويني،وقد يسر لي ذلك في صغري وكبري وإلى عمي الحاج خلف الله وإلى عمتي وأخوالي محمد والميلود ومسعود خاصة إلى روح خالي الطاهرة عبد الحكيم،وإلى الشقيقتين فاطنة وخيرة التي لاتزال مفقودة إلى اليوم وإلى زوجتي وأبنائي:غنية وبوجمعة وأحمد وهواري والياس محمد الأمين وأخيرا إلى إخواني وأخواتي وجميع أفراد العائلة دون تمييز.

التعريف بالموضوع

يعد موضوع القبائل العربية الهلالية موضوعا تاريخيا هاما،ولايزال رغم ما كتب حوله من دراسات في حاجة إلى مزيد من العناية والبحث.وإذا كان المؤرخون والباحثون قد تناولوا موضوع القبائل العربية الهلالية منذ دخولها إلى المغرب الإسلامي بنوع من التعميم دون تحديد دوركل بطن من بطونها في التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عرفها المغرب الإسلامي،وإذا كانت حميان تمثل بطن من بطون بني يزيد بن زغبة بن هلال قد استقرت بصحراء تلمسان نتيجة ظروف سياسية،فإنها ساهمت في تغير هذه المنطقة،بحيث استطاعت أن تدخل اللغة العربية،وتقوم بتعريب السكان وهم زناتة البدو وهم سكان قصور الأطلس الصحراوي الغربي،ونشر الثقافة الشعبية الهلالية،كما أنها ساهمت في الحركة الاقتصادية.وإذاكان معظم المؤرخين والباحثين يعتقدون أن دور بطون بني هلال كان سلبيا،فإن ذلك لم يخلو من الايجابيات.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد اخترت هذا الموضوع؛ لأن قبيلة حميان كان لها وزنها السياسي والاقتصادي والاجتماعي،ولايزال بين قبائل المنطقة وهي العمور وأولاد سيدي الشيخ والرزاينة، بالإضافة إلى ذلك قبيلة حميان لاتزال مجهولة لدى كثير من الباحثين والدارسين،ولم يسبق لأي باحث التطرق إلى دراسة هذه القبيلة،وفي غياب الدراسات رأيت من الضروري البحث في هذا الموضوع.

إشكالية البحث:

هناك تساؤلات مطروحة حول هذا الموضوع أهمها مايلي:هل وفدت قبيلة حميان إلى صحراء تلمسان ضمن مسيرة بني هلال؟وهل تأثرت بكل الأحداث السياسية التي واجهت قبائل بنوهلال منذ دخولها إلى المغرب الإسلامي؟

كيف جاءت قبيلة حميان إلى صحراء تلمسان ؟وماهي أسباب وجودها في هذه المنطقة؟ومادورها في ظل الدولة الزيانية؟رغم صعوبة تتبع مسيرة قبيلة حميان ودورها في الفترة مابين القرن الخامس الهجري والثامن الهجري، أي مابين القرن الحادي عشر الميلادي والرابع عشر الميلادي؛ إلا أن النتائج المشجعة كانت خير حافز لي على الصمود.وينبغي أن أجد جوابا تؤيده الدراسة لسؤال هو كيف جاءت حميان إلى صحراء تلمسان التي استقرت بها منذ القرن السابع الهجري ؟وماشكل العلاقة التي كانت تربط حميان بزناتة القاطنة بالمنطقة؟وعلى الرغم من أن هناك العديد من المصادر والمراجع التي تناولت تاريخ المغرب الإسلامي من مختلف أبعاده؛إلا أن تاريخ وثقافة القبائل العربية الهلالية لم يعالج كموضوع مستقل عن الأحداث والوقائع التي عرفها المغرب الإسلامي.

منهج البحث:

لقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي تارة والمنهج التحليلي تارة أخرى.وكذلك المنهج الإحصائي لأن طبيعة موضوع الدراسة تتطلب ذلك،إن الدراسات التي تناولت موضوع القبائل الهلالية،ومن بينها قبيلة حميان قد عالجتها بنوع من القسوة،وغابت فيها الموضوعية بذاته،ولم تسلط عليه الأضواء بدرجة كافية،وهذا ما جعلني أعكف على دراسته رغم المصاعب الكثيرة التي واجهتني في جمع مادته، فغالبية المصادر تناولت التاريخ السياسي لبلاد المغرب،وأهملت دور القبائل الهلالية،لذلك كان لزاما علي أن أبحث وأنقب بين ثنايا السطور عن ما كتب عن بلاد المغرب،وقد حاولت جاهدا أن أجمع كل شاردة عن دور قبيلة حميان ضمن مسيرة بني هلال في المغرب الإسلامي.وقبل أن يخرج هذا البحث بالصورة التي هي عليها،كانت قداعترضتني صعوبات ولكنها لم تضعف من عزيمة الإصرار على مواصلة البحث،لكنها حالت دون إنجازه بشكل أفضل،لكن هذه العقبة أو الصعوبات ذللت بفضل إرشادات وتوجيهات.

أستاذي المشرف الدكتور حاجيات عبد الحميد،والتي كان بسدها بين الحين والآخر فأولى الصعوبات التي واجهتني وأهمها قلة المصادر والمراجع التي تتناول الموضوع بصورة مباشرة،ومع الإطلاع فقد ظلت المصادر عقبة قائمة،ومع ذلك تمكنت من إتمام البحث.

خطة البحث:

وقد قسمت بحثي إلى مقدمة اشتملت على خطة البحث والمنهج المتبع في معالجة الموضوع،وأرفقتها بدراسة المصادر والمراجع،ثم بمدخل تناولت فيه لمحة جغرافية عن موطن حميان،ثم بابين رئيسيين،فالباب الأول يعالج الجانب التاريخي لحميان،وعنوانه حميان من جملة بني زغبة بن هلال،وقسمته إلى أربعة فصول،وكل فصل إلى ثلاث مباحث،وتناولت في الفصل الأول نسب وأصل حميان،والفصل الثاني ظروف حميان من جملة بني زغبة في صعيد مصر،ثم أسباب هجرتهم من جموع بني هلال إلى المغرب الإسلامي،ودورهم في إفريقية أي تونس منذ سنة 442هـ إلى غاية انعزالهم عن بني يزيد سنة 633هـ.ثم دورهم في الدولة الزيانية إلى غاية وفاة أبي حمو موسى الثاني.أما في الباب الثاني وقد عالجت الموروث الشعبي حميان وبني عامر والحياة الاجتماعية وقد قسمت هذا الباب إلى فصلين،حيث تناولت في الفصل الأول الفنون التقليدية والأدب الشعبي،أما في الفصل الثاني،فقد تطرقت إلى الحياة الاجتماعية عند حميان،وفي الخاتمة تحدثت عن النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث وأرفقت هذا البحث كذلك بملاحق لها صلة بموضوع

دراسة المصادر والمراجع:

اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر، كما استفدت من المراجع الحديثة التي تناولت موضوع البحث من بعيد أو قريب وسوف أقصر حديثي على تلك التي لها أهمية خاصة في استيفاء مادة البحث مراعيا ترتيبها تاريخيا.وهي:كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر،ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر طبع هذا المصدر في بولاق سنة 1867م في سبعة أجزاء،والجزء الأول منه هو

المقدمة التي ينظر فيها للتاريخ على أنه فرع من الحكمة أي الفلسفة،وفي نفس الوقت تتضمن نظرية العمران عند عبدالرحمان بن خلدون،وقد تناولت المقدمة نظرية العمران البدوي التي كانت نتيجة العينة التي اختارها ابن خلدون والمتمثلة في قبائل الهضاب العليا الغربية ومن بينها حميان وبني عامر؟والتي صنفها ضمن البداوة الجزئية وليست الخالصة،وتتناول الأجزاء الأخرى خاصة الجزء السادس والسابع القبائل العربية،ومن بينها حميان وبني عامر،ويعد مصدر ابن خلدون المصدر الوحيد الذي تعرض إلى ذكر حميان،كما تعرض في هذه الأجزاء إلى دور القبائل العربية السلبي في المناطق التي انتقلت فيها خصوصا المغرب كما أنها تحتوي على معلومات هامة تتعلق بدور القبائل الهلالية الحضاري في المغرب والأندلس،وعن هذه القبائل الاجتماعية،ومعتقداتها وطريقة حياتها وأسلوب حربها وكما يعد هذا المصدر الوحيد الذي ذكر فيه اسم حميان وكذلك بدورها العسكري والسياسي من جملة بني عامر في الدولة الزيانية.أما بغية الرواد لأبي زكرياء يحي بن خلدون في ذكر ملوك بني عبدالواد نشره ألفرد بل في ثلاثة أجزاء في مجلدين بالجزائر سنة**1904**م و**1911**و**1913**م،وبدأت حياة يحي بن خلدون السياسية **1378**م،ورغم أن حياته السياسية كانت أقصر من أخيه عبدالرحمان بن خلدون.وأقل خطرا ولكنها مع ذلك أتاحت فرصة كتابة مؤلف غزير المادة في التاريخ،اعتمد عليه كل من كتب عن تلمسان والمغرب الأوسط في تناوله فترة حكم أبي حمو موسى الثاني،وصلته بالقبائل العربية خاصة بني عامر وحميان،وعلاقتها بالدولة الزيانية ودوره في العلاقات بين دولة بني عبدالواد وبني حفص بإفريقية وبني مرين بالمغرب الأقصى،حيث استطاع يحي بن خلدون بحكم منصبه ككاتب سر أبي حمو أن يطلع على الوثائق الرسمية.

بل وأن يذكر بعضها كاملا في مصنفه ومع أن يحي لم يتناول في كتابه موضوعا متشعبا كموضوع أخوه عبدالرحمان،إلا أنه ترك مصدرا يفيد التاريخ السياسي للمغرب الأوسط،وأورد كذلك في هذا الكتاب كثيرا،من قصائد شعراء البلاط الذين عاصروه

والتي كثيرا ما احتوت على مادة تفوق في قيمتها التاريخية الصريحة سواء في تأكيدها لإدعاء نسب بني عبدالواد إلى الأدارسة ووجوب خلافتهم شرعا أو التنويه بدور بني عامر محالفي بني عبدالواد في مناصرة الدولة،ورغم أن يحي لم يذكر حميان،إلا أنه بين دور بني عامر في دولة بني زيان،التي كانت جزءا من بني عامر،فما أشار إليه عن بني عامر معناه ذكر بصورة غير مباشرة عن دور حميان في دولة بني عبدالواد،أما كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد بن علي المراكشي،فهو يتناول بعض أخبار المغرب وهيأته وحدود أقطاره،وشيئا من سير ملوكه،وخصوصا خلفاء الموحدين من بني عبد المؤمن من ابتداء دولتهم إلى غاية621هـ،والكتاب يمتاز بسهولة عبارته وبساطة أسلوبه،وكاتبه مؤرخ محقق جدير بالثقة والاعتماد على أحكامه واحترام آرائه،وقد أفاد البحث فيما يتعلق بادعاء انتساب الموحدين للعرب واستغلال هذه الدعاية في اصطناع القبائل العربية المقيمة بافريقية للاشتراك معهم في جهاد المسيحيين بالأندلس وحماية المدن الأندلسية عن طريق الاستقرار بنواحي قرطبة وأشبيلية وشريش حتى انتشرت القبائل العربية في جنوب الأندلس،وإذا كان المصدر لم يشير إلى حميان بصورة مباشرة إلا أنه ذكر القبائل العربية التي تعد حميان فرعا من فروعها،أما كتاب البيان في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي كان حيا حتى سنة712هـ،وكتاب البيان له أهمية خاصة لأنه يتضمن أجزاء من مصنفات مفقودة، ويحتوي على معلومات جديدة خاصة فيما يتعلق بتحركات القبائل العربية وهجرتها من المشرق إلى المغرب أيام الدولة الأموية،كذلك يشرح السياسة التغريبية التي لجأ إليها الموحدون نحو القبائل العربية للاستعانة بهم في حروب الأندلس،ويوضح كذلك إتباع أبي يعقوب يوسف لموحدي لسياسة أبيه تجاه القبائل العربية والتي كانت ترمي إلى اصطناع العرب والاستعانة بهم في حروب الأندلس،كما يفيد هذا المصدر في إبراز نقل أبي يعقوب المنصور لبني يزيد إلى المغرب الأوسط،ودور بني يزيد في مقاومة بني غانية،كما ينفرد الكتاب بمعلومات هامة

توضح مكانة المرأة العربية في القبيلة بالمغرب والجوار عند العرب،واختيار شيخ القبيلة وما يجب أن يمتاز به من صفات،ومكانة زعماء العرب كأهل مشورة للسلطان،وتسلطهم عليه حتى اتخذ منهم الموحدون بعض وزرائهم،ويتعرض ابن عذارى لحب العرب للقتال وطريقتهم في الحروب وأسلحتهم من السيوف الهندية والرق اللمطية والقسي الخطية والمنجنيق، ثم تنظيم الجيش الموحدي على أساس قبلي.أمارحلة التيجاني لأبي محمد عبدالله بن محمد التيجاني،فحياته لا يعرف عنها شيئا،إلا أنه رحل مع مولاه الأمير إلى إفريقية الشمالية ،وهذه الرحلة هي التي وصفها في كتابه المعروف بالرحلة،وتبدأ الرحلة من تونس في أواخر جمادي الأولى سنة706هـ-أول ديسمبر1306م في ركب الحج؛إلا أن التيجاني اضطر في أول محرم سنة709هـ يونيه1309م إلى التخلف عن الركب لمرض ألزمه العودة،وكان الركب لم يتجاوز بعد طرابلس،ومع ذلك فقد طال مقامه في كل موضع من مواضع هذه الرحلة وفواتاه ذلك كل المؤاتاه،فاستطاع أن يفيض وصفا وبيانا لكل طريف يلفت النظر في بلاد تعد بالقياس إلى غيرها ضيقة الرقعة محدودة الأطراف كانت مجالات لاستقرار القبائل العربية خصوصا سليم والمعقل والاثبج ورياح.فجاء كتاب الرحلة معينا فياضا يزخر بالمعلومات بمناطق استقرار هذه القبائل وحياتها الاجتماعي ومعتقداتها،تعتبر هذه الرحلة الوحيدة من نوعها في وصف إفريقية في أوائل القرن الثامن الهجري أحد القرون الغامضة في تاريخ تونس الاجتماعي والسياسي واعتمد عليها ابن خلدون في كتابه العبر في نقل أسماء الأوطان والنواحي.

ومن استقرها من القبائل العربية،وما يتفرع عن كل قبيلة من بطون وأفخاذ من البدو الرحل ومجاورهم من البربر وأهل الذمة،كما تحتوي الرحلة على معلومات جديدة فيما يتعلق بانتقال المماليك الغز من مصر إلى بلاد المغرب،ودورهم في صراع الموحدين وبني غانية والقبائل العربية،وإذا كان التيجاني لم يذكر حميان وبني عامر بشكل محدد،فإنه ذكرها ضمن قبائل بني زغبة وبني يزيد،ويستكمل التيجاني معلومات ابن عذارى فيما

يخص بمساعدي شيخ القبيلة العربية ببلاد المغرب،فيعرف بالمفتي أو الفريض واختصاصاته وكاهن القبيلة،ويوضح كذلك تأثر العرب بمعتقدات الجاهلية في عاداتهم رغم مرور القرون العديدة على انتقالهم،فاعتقدوا في شجر العشر ونجم سهيل والكرم الحاتمي حيث اشتهر بإفريقية مثيله ابن عيسى أشهر كرماء العرب،وظهور نزعات التصوف والإصلاح.أما كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس.لقد اختلف المؤرخون حول هذا الكتاب. فالبعض ينسبه إلى أبي العباس أحمد بن أبي زرع،والبعض الآخر ينسبه إلى صالح بن عبد الحليم الغرناطي وكلا المؤرخين عاشا وماتا بالمغرب في النصف الأول من الثامن الهجري(14م)،ويزعم رينيه باسيه أن لاسمين لمؤرخ واحد،والكتاب يتناول تاريخ المغرب الأقصى من سنة145هـ إلى 724هـ،وفي بعض المصادر الأخرى إلى سنة726هـ،وهو الأرجح،واعتمد ابن أبي زرع كثيرا فيما كتب على عدة مصادر أغفل ذكر معظمها كما اعتمد فيما يظهر على وثائق رسمية وخاصة عند كلامه على حكم بني مرين،ويستفاد بالكتاب في تأكيد المعلومات الخاصة بإدعاء انتساب الموحدين إلى الرسول(صلع) عن طريق الأدارسة،واتخاذهم اللون الأخضر شعارا لهم متفقا مع البيذق وابن صاحب الصلاة كما يتفق مع ابن عذارى في تنظيم الموحدين لإفريقية ووضع الخراج على من بها من القبائل العربية،مما أدى إلى ثورة العرب ونقل الموحدين لبعض هذه القبائل في سنة754هـ إلى بلاد المغرب لاستغلالهم في الأندلس،ويعالج الكتاب بتفصيل لايوجد عند غيره دور القبائل العربية في معركة الأرك الظافرة ثم هزيمة العقاب ودورهم في انقاذ الخليفة بعد وقوع الهزيمة،أما عن المعلومات التي أوردها ابن أبي زرع عن مساهمة هذه القبائل في النواحي الحضارية لبلاد المغرب فلها قيمة كبيرة في توضيح تأثرا لقبائل البربرية بطريقة العرب في الشعر والغناء والإنشاد،وإذا كان المصدر لم يتعرض لحميان بشكل دقيق إلا أن أفاد البحث في إبراز جوانب من دور بني زغبة وبني يزيد في دولة الموحدين.أما عن كتاب تاريخ المن بالإمامة

على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين وظهور المهدي بالموحدين لعبد الملك بن أحمد الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة. ويبدو أن كتاب المن بالإمامة يقع في ثلاثة أجزاء،ولكن ماوصل من هذه الأجزاء الثلاثة هو الجزء الثاني فقط الذي يبتدىء بأحداث سنة554هـ-1159م،وينتهي بأحداث سنة568هـ-1173م،ويفيد هذا الكتاب البحث في إبراز دور قبيلة زغبة العسكري في دولة الموحدين،وكذلك دور القبائل العربية في النواحي الحضارية،وقد انفرد هذا المصدر بمعلومات قيمة عن دور القبائل العربية مع الموحدين في الحرب المقدسة بالأندلس والقيام بحماية مدنه خاصة خلال عصر أبي يعقوب يوسف الموحدي،وما أظهره العرب من ضروب الشجاعة والبسالة،مما جعل ابن صاحب الصلاة يشبه قتالهم بقتال المؤمنين الأوائل.ورغم ذلك لم يمنع هذا المديح ابن صاحب الصلاة من انتقادهم في حالة ثانية بسبب موقفهم المتخاذل في موقعة قونكة سنة577هـ كما أمد ابن صاحب الصلاة بمادة جديدة العرب وفرساهم وشيوخهم وكذلك تعبئتهم،وتمييز فرقهم واحتفالات عرض قواهم. أماكتاب تاريخ الدولتين الموحديةوالحفصية لأبي عبدالله محمد بن إبراهيم الزركشي تحقيق محمد قاضوربتونس 1966م،وأهمية الكتاب ترجع إلى أن المؤلف شاهد عيان لما عاصره من أحداث كما أنه ناقل أمين لماسبقه من أخبار،ويغطي الكتاب الأحداث خلال الدولتين الموحدية ثم الحفصية حتى سنة886هـ-1481م تلك الحقبة الزمنية الأكثر غموضا وشحا بالأخبار في الدولة الحفصية وعلاقتها بالقبائل العربية المستقرة بها،وكذا الإمارات العربية ببسكرة وبلاد الجريد فالقرن التاسع الهجري الذي يأتي بعد نهاية تاريخ ابن خلدون لم يأت من يؤرخه،بمثل تحقيقه وربط أجزائه.وكذلك ما جاء في الرسالة من المعلومات عن هذه الفترة مستمد من هذا الكتاب،كما اعتمد البحث كذلك على بعض المصادر مثل كتاب نهاية الإرب ومعرفة أنساب للقلقشندى،وعلى عبدالقادر المشرفي في كتابه بهجة الناظروعبدالرحمان بن أحمد الشقراني الراشدي في كتابه القول الأوسط،وابن عودة

المزاري في كتابه سعد السعود الذي حققه الدكتور يحي بوعزيز،والذي يحتوي على جزئين إلا إن هذه المصادر يبدو لم تكن نزيهة في معلوماتها عن قبيلة حميان وبني عامر،وقد تضمنت بعض الأحكام المسبقة القاسية على هذه القبائل.كما اعتمدت على بعض المراجع الهامة التي أفادت البحث منها القبائل العربية في المغرب لمصطفى أبوضيف أحمد عمر،الذي تناول هذه القبائل وأشار إلى قبيلة حميان وبني عامر،ولوأن المرجع اعتمد في معظم معلوماته على ابن خلدون إلا أنه أفاد البحث،كذلك اعتمدت على مرجع لا يقل أهمية في تناوله لموضوع البحث وهو كتاب أبو حمو موسى الزياني لحميد حاجيات الذي تناول فيه حياة أبي حمو موسى الثاني وفترة حكمه وعلاقة حميان وبني عامر بدولة أبي حمو الثاني،ودور هذه القبائل العسكري والسياسي،منذ قيام دولة بني زيان وإلى غاية وفاة أبي حمو موسى الثاني.كما استعنت ببعض المراجع التي تطرقت إلى موضوع النسب وبعض المراجع العامة التي تناولت قبيلة حميان وبني عامر كتاريخ الجزائر لتوفيق المدني الذي تناول فيه قبائل بني هلال ومن بينها قبيلة حميان وبني عامر وتوزيعها في الجزائر وإلى حياتها الاجتماعية والاقتصادية،وكذلك اعتمدت على المرجع الوجود الهلالي السليمي لعبد الحميد خالدي الذي تعرض فيه إلى القبائل الهلالية التي استقرت بالمغرب الأوسط ومنها حميان وبني عامر،ويبدو أن هذا المرجع قد عالج موضوع القبائل الهلالية بنوع من التفصيل،حيث تناول نسب وأصل قبائل بني هلال وسليم، وأعطى لمحة تاريخية عن حياة هذه القبائل قبل الإسلام ودورها في نشر الدعوة الإسلامية ثم نزوح وهجرة القبائل من شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام إلى صعيد مصر،ثم إلى إفريقية ،ثم دور هذه القبائل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في المغرب الأوسط،وتأثيرها على الحياة السياسية والاجتماعية في المغرب الأوسط.وكذلك اعتمدت على كتاب تاريخ الجزائر لمبارك بن محمد الميلي خاصة في الجزء الثاني الذي تعرض فيه إلى القبائل الهلالية،وأشار إلى قبيلة حميان وبني عامر،الذي اعتمدت في جل معلوماته على مصدرعبدالرحمان بن خلدون

المعروف بكتاب العبر،واستعنت أيضا على بعض المراجع الأجنبية ومنها مرجع القبائل العربية لجورج مارسيه،وعلى مصادر الضباط الفرنسيين وخاصة كتاب وثائق لمعرفة تاريخ حميان لنوال الذي كان نقيبا،وكان يشغل يمثل قائد المكتب الشؤون الأهلية بسبدو،الذي تناول تاريخ حميان معتمدا على المصادر التاريخية وعلى المصادر الشفاهية تارة أخرى،وهو الوحيد الذي تناول موضوع البحث بصورة مباشرة،ولكنه يتحوي على أخطاء علمية تحتاج إلى تصحيحها.كما استندت على بعض الدوريات والمجلات التي تناولت موضوع الدراسة،والتي تعرضت إلى أنساب قبائل بني هلال،ونزوحها إلى المغرب الإسلامي،ثم التي تناولت الموروث الشعبي عند بني هلال والحياة الاجتماعية،

المدخل

لمحة جغرافية عن موطن حميان:

صحراء تلمسان (خلال ق 8 هـ -ق 14م)

أولا: لمحة جغرافية عن المغرب الإسلامي

ثانيا: لمحة جغرافية عن موطن حميان (صحراء تلمسان)

ثالثا: الموقع الجغرافي والفلكي

ا- تضاريس موطن حميان

ب- مناخ موطن حميان

ج- الغطاء النباتي في موطن حميان

أولا: لمحة جغرافية المغرب الإسلامي:

لم تستقر حميان من جملة بني يزيد بن زغبة بن هلال في موطن واحد منذ نزوحها من صعيد مصر إلى بلاد المغرب بل كانت تتحرك من موطن إلى موطن آخر،بحكم طبيعة حياتها البدوية التي كانت تفرض عليها الترحال سعيا وراء الكلأ والماء وكذلك الظروف السياسية والاقتصادية المتغيرة التي كانت تدفعها إلى النزوح وعدم الاستقرار لمدة طويلة في موطن واحد،ولذا يصعب دراسة جغرافية موطن حميان وتتبعها بدء من صعيد مصر إلى صحراء تلمسان،لماذا صحراء تلمسان؟لأن ابن خلدون ذكر أن حميان تبعت بني عامر في عهد يغمراسن إلى صحراء تلمسان(1)،وربما كان يقصد الهضاب العليا الغربية بالمصطلح الجغرافي الحالي والتي تمتد من سبدو والعريشة إلى الأطلس الصحراوي الغربي،وفي موضع آخر يقول عن زغبة أنها نزحت إلى المغرب الأوسط،واستقرت مابين المسيلة إلى قبلة تلمسان في القفار(2)،فهل كانت صحراء تلمسان ضمن مناطق القفار؟والغالب على الظن أن صحراء تلمسان كانت من ضمن مناطق القفار الذي أشار إليها ابن خلدون،حيث يجيب على ذلك بقوله قبلة تلمسان في القفار،فماذا كان يقصد ابن خلدون بالقفار؟ربماكان يقصد منها المنطقة الخالية من السكان أو الفقيرة من الكلأ والماء، أو ربما المنطقة ذات الأمطار القليلة أو المنطقة الفقيرة فلاحيا.فماهي طبيعة تضاريس ومناخ صحراء تلمسان في القرن السابع الهجري الموافق للثالث عشر الميلادي؟من المعلوم أن حميان من جملة بني يزيد بن زغبة عند دخولها إلى بلاد المغرب،كانت من قسمتها المنطقة الواقعة مابين طرابلس وقابس.

---

(1)ابن خلدون:العبر–ج6–دار العلم للملايين –بيروت–1981–ص41– مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج2– تقديم وتصحيح محمد الميلي–المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر–1989–ص200–د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية في المغرب–في عصري الموحدي وبني مرين– ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982– ص 225

(2) العبر:ص42–مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق–ص200

وكان ذلك في منتصف القرن الخامس الهجري الموافق للحادي عشر الميلادي.وعندما هاجرت إلى المغرب الأوسط استقرت من جموع بني يزيد ببلاد حمزة والدهوس من أقاليم بجاية.وبالتالي فقد استقرت حميان من جملة بني يزيد بن زغبة في عدة مناطق متفرقة من المغرب الإسلامي،ومن ثمة ينبغي إعطاء لمحة جغرافية عن بلاد المغرب.

فالمغرب مصطلح يقصد به الجغرافيون العرب كل الأقاليم الواقعة غرب مصر،ويقول عنه ابن خلدون"**أن لفظ المغرب في أصل موضعه اسم إضافي،يدل على مكان من الأمكنة بإضافته على جهة المشرق،ومشرق بالإضافة إلى جهة المغرب،لأن العرف قد يخصص هذه الأسماء بجهات معينة،وأقطارها مخصوصة،وعرف أهل الجغرافية المعتنين بمعرفة هيئة الأرض وقسمتها بأقليمها ومعمورها وخرابها وجبالها،وبحارها ومساكن أهلها مثل بطليموس ورجاوز صاحب صقلية المنسوب له الكتاب المشهور بين الناس لهذا العهد في هيئة الأرض والبلدان، وأمثالهم أن المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار فحده من جهة المغرب بحر المحيط وهو عنصر الماء،وسمي محيطا لإحاطته بما انكشف من الأرض، ويسمى أيضا البحر الأخضر**(1)*. أو هي المنطقة التي تشمل شمال القارة الإفريقية،وتتضمن حاليا البلاد الليبية بولاياتها الثلاث برقة وطرابلس وفزان، وتونس والجزائر بصحرائها المترامية إلى تخوم السودان والمغرب الأقصى،الذي كان يعرف إلى عهد قريب باسم مراكش نسبة إلى عاصمته الجنوبية، ويمتد طبيعيا نحو الجنوب إلى تخوم السنيغال والنيجر(2).

(1)ينظر إلى العبر: ج6-ص98

*لقد اعتمد ابن خلدون في كتاباته عن الأقاليم الجغرافية على البكري،حيث تأثر بكتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،وهو جزء من كتاب المسالك والممالك.

(2)سعد زغلول:تاريخ المغرب العربي-الإسكندرية-1964-ص3-محمد الفاسي:التعريف بالمغرب-معهد الدراسات العربية-الجامعة العربية-1916-ص7.

ففي بداية الفتوحات الإسلامية أطلق العرب الأجزاء الشرقية مـــن المغـــرب بأسمائهـــا السياسية.أو الإدارية المعروفة في التنظيم الروماني.فالإقليم المتاخم لمصر هو انطابلس أي المدن الخمسة باللغة الإغريقية(1)،وتلي انطابلس غربا طرابلس واسمها طربليطـــه،ومعناها باليونانية المدن الثلاث،وهي أياس موضه مدينة طرابلس الحالية،ولندة في شرقها،وصبره أوسبرت سبراته الحالية في غربها،وطرابلس بإقليم جبل نفوسه الذي يعتبره الجغرافيـــون العرب ذراعا هي امتداد لسلاسل جبال الأطلـــس المعروفـــة بجبـــال درن في المغـــرب الأقصى.وجبل نفوسه يحيط بمنطقة طرابلس الساحلية كالهلال،ويفـــصل بينـــها وبـــين الصحراء في فزان وما وراءها(2).ثم إفريقية وهو أول أقاليم المغرب الحقيقـــي(3)،وأخـــذ العرب الاسم عن الرومان كما نقلوا أسماء انطابلس وأطرابلس(4)،وأطلقوه على ما يلي طرابلس غربا حتى ساحل المحيط الأطلسي(5)،ثم أخذ لفظ إفريقية يضيق حتى اقتـــصرت حدودها على مايلي مصر غربا حتى بجاية،ثم يليه المغرب حتى المحيط(6).وابتداء من القرن الخامس الهجري،الحادي عشر الميلادي،ميز الجغرافيون العرب الأقاليم الغربية البعيدة من هذا المغرب،فأطلقوا اسم المغرب الأوسط على المنطقة الممتدة من بجاية حتى وادي ملوية والمغرب الأقصى على مايلي ذلك إلى المحيط،وواجهته الشمالية المطلة على البحر الأبيض المتوسط تعرف ببلاد غمارة،وهي بلاد الريف حاليا(7).

(1)البكري:المغرب في ذكر بلاد المغرب والمغرب–نشر دوسلان–الجزائر–1911–ص4–مؤلـــف مجهـــول:الاستبـــصار في عجائب الأمصار–نشر وترجمة سعد زغلول–الإسكندرية–1958–ص143

(2)سعد زغلول:تاريخ المغرب العربي–ص.ص8–9

(3)نفسه:ص.ص8–9

(4)ابن عبدالحكم:فتوح مصر والمغرب–نشر عبد المنعم عامر–القاهرة–1961–ص172

(5)حسين مؤنس:فتح العرب للمغرب–القاهرة–1947–ص2

(6)البلاذري:فتوح البلدان–القاهرة–1932–ص225–ابن عبدالحكم:فتوح مصر والمغرب–ص229

(7) ياقوت الحموي:معجم البلدان–القاهرة–1233هـ مادة افريقية.

وواجهته الغربية المطلة على المحيط تعرف بالسوس الأدنى،وتضم منخفض وادي سبو والسوس الأقصى،ويضم منخفض وادي سبو.ووادي سوس عدد من الأودية مثل وادي أبي الرقراق الذي يفصل بين مدينتي سلا والرباط،ويصب عندهما في المحيط،ووادي أم الربيع،وينبع من درن في إقليم تادلا،ويصب قرب أزمور،ووادي تنسفت وتقع عليه مدينة مراكش(1).رغم التسميات والتقسيمات المختلفة للمغرب،فإن البلاد جميعا من حدود مصر إلى المحيط تحمل في ثناياها معنى وحدة البلاد،فهي تنقسم إلى ثلاثة أقاليم طبيعية:وهي الإقليم الساحلي الذي يمتد على ساحل البحر المحيط من الإسكندرية إلى طنجة،ثم من طنجة على ساحل البحر المحيط إلى مدينة نول في السوس(2).فالبحر هنا قدربط بين أقاليمه ومدنه البحرية،وأعطاها الشكل الطبيعي الموحد المتجانس،وإلى جانب البحر الذي ربط الطريق التاريخي برا بين برزخ السويس إلى تازا وفاس بين مختلف المناطق الساحلية(3)،والإقليم الثاني هو المناطق الصحراوية التي تمتد من غرب مصر إلى جنوب المغرب الأقصى،ورغم مايوصف به هذا الإقليم من أنه صحراوي موحش(4)إلا أن منابع المياه تتخلله وتنتشر الواحات في وسطه،وبفضلها أمكن للقوافل أن تخترقه من أدناه إلى أقصاه في طريق أقصرمن الطريق الشمالي بحوالي ثلث المسافة(5).والإقليم الثالث بعضه يعرف باسم التل،يمتد بين الإقليمين السابقين،وله مميزاته الخاصة التي تتراوح في بعض الأحيان مابين صفات الإقليم البحري،والإقليم الصحراوي.

---

(1)ابن خلدون:العبر-ج6-مطبعة جمال للنشر-بيروت-1979-ص98و102-السلاوي:الاستقصاج1ص.ص33-34 مؤلف مجهول:الاستبصار-ص185و209-سعد زغلول:تاريخ المغرب العربي-ص.ص13-14

(2)الاصطخري:كتاب المسالك والممالك-نشر محمد جابر عبدالعال-القاهرة-1961ص.ص37-38-العبر-ج6-ص98- سعدزغلول:تاريخ المغرب العربي-ص.ص14-16

(3)الاصطخري:المصدر السابق-ص.ص37-38-سعد زغلول:تاريخ المغرب العربي-ص16

(4)سعد زغلول:تاريخ المغرب العربي-ص20-عبدالوهاب بن منصور:قبائل المغرب-ج1-الرباط-1965ص1

(5) نفسه:ص20-عبدالوهاب بن منصور:قبائل المغرب-ص1



وهذامن حيث المناخ وفي بعض المظاهر التضاريسية،وهي الجبال التي تمتد في سلاسل أفقية محاذية للسواحل البحرية(1)،ساعدت على الربط بين البلاد،وإلى جانب ذلك فبفضل الوديان المحاذية لها والتي تحويها بين ضلوعها(2).عملت على وصل الأقاليم الشرقية بالأقاليم الغربية،وإن كانت قد جعلت المواصلات صعبة بين المناطق الساحلية والبلاد الداخلية،كما أنها كونت عددا من المناطق المنعزلة(3).ولكن وديان الأنهار التي تتجه في معظمها من الأقاليم الداخلية المرتفعة نحو البحر خففت من حدة صعوبة المواصلات بين الدواخل والسواحل،وكذلك عملت طرق القوافل الرأسية الموصلة بين المراكز الصحراوية والمدن الساحلية على الربط بين الأقاليم الخصبة والصحراوية(4).

ثانيا:لمحة جغرافية عن صحراء تلمسان:

إذا كان الجغرافيون العرب القدماء قد تعرضوا في مصادرهم إلى وصف تلمسان وتضاريسها ومناخها،فإنهم أغفلوا عن ذكر إقليم صحراء تلمسان،ويلاحظ ذلك من خلال خريطة ابن حوقل في كتابه صورة الأرض التي أشار فيها إلى المدن والمراسي والقرى المعروفة على نحو بحر العرب حد برقة إلى بحر المحيط،ولم يبين فيها منطقة صحراء تلمسان وقد اعتمد عليه الإدريسي ودل على هذا قوله حكى الحوقلي والقلقشندي في كتابه صبح الأعشى،ولكنه مع ذلك لم يتعرض الإدريسي والقلقشندي وحتى أبو عبيدالبكري الذي عاش في القرن الحادي عشر الميلادي الذي اعتمد هو الآخر على الوراق وعلى ملاحظات وأقوال المسافرين والتجار.

---

(1)سعد زغلول:المرجع السابق-ص20-عبدالوهاب بن منصور:قبائل المغرب-ص1

(2) نفسه:ص21-عبدالوهاب بن منصور:نفسه-ص1

(3)د.مصطفى أبو ضيف أحمد عمر:القبائل العربيةفي المغرب في عصري الموحدين وبني مريني ديوان المطبوعات الجامعية1982ص30

(4)عبدالعزيز بن عبدالله:معطيات الحضارة-ج1-المغرب-1957-ص07

الذين زاروا بلاد المغرب والسودان في كتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب الذي استقرت به حميان رفقة بني عامر منذ هجرتها من صعيد مصر إلى بلاد المغرب.تمثل صحراء تلمسان جزء من الهضاب العليا الغربية،أومنطقة الشطوط أوالسهوب.وفي غياب المصادر الجغرافية التي تعالج فترة موضوع الدراسة فقد حاولت استخلاص ماذكره ابن خلدون عن منطقة صحراء تلمسان كآخر موطن يمتد موطن بني عامروحميان بالتحديد بين حافة الوادي الشمالي للشطوط والأطلس الصحراوي(1).اختلفت تسمية إقليم الهضاب العليا أوالنجود بين الدارسين،فالبعض يطلق عليها الهضاب العليا،والبعض الآخر يسميها النجود،أوهضبة الشطوط،ولكن المصطلح الأكثر استعمالا وشيوعا هو الهضاب العليا،ويعود الإختلاف في التسمية إلى درجة الارتفاع والاستواء،وبالتالي إلى مدى صلاحيته للزراعة والاستقرار البشري(2).تمتد الهضاب العليا من المغرب الأقصى إلى جبال الحضنة تنحصر بين الأطلسين التلي والصحراوي،ويشتمل على جبال القصور وجبال العمور وجبال أولاد نايل،ويقل ارتفاع هذه الجبال شرقا(3)،وهي أكثر اتساعا وأقل ارتفاعا منهما،ويبلغ ارتفاعها في المتوسط ألف متر،وهي جزء من كتلة الجزائر القديمة(4)،وتكاد تكون ذات سطح مستو تتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي،ويلاحظ أنها أكثر اتساعا في الغرب عنها في الشرق،ويبلغ طولها 700كلم والانحدار العام لها من الشرق إلى الغرب،وهي بذلك تتبع سلسلة الأطلس التلي(5).

(1) Jacquot Félix:expédition du Général cavignac dans le Sahara algérien, en avril et mai 1847, Paris Gide et Badry1849, p282

(2) السعيدمريبعي:التغيرات السكانية في الجزائر(1936ـــ1956)–المؤسسة الوطنية للكتاب– الجزائر –1984–ص18

د.إبراهيم مياسي:ثورة أولاد سيدي الشيخ–مقالة– مجلة الذاكرة–العدد02–الجزائر –1997–ص192

(3) د.محمد محمود السياد:معالم جغرافية الوطن العربي المجلد الأول دار النهضة العربية للطباع والنشر–بيروت1972–ص194

(4)السعيد مربيعي:التغيرات السكانية –ص19

(5)د.محمد محمود السياد:المرجع السابق–ص194

تتميز هذه السهوب بتقطع سطحها،إذ تتخللها بعض المنخفضات والتحدبات التي تعد امتداد لبنية الجبال الإلتوائية الأطلسية الجنوبية(1).وقد أدى هذا التقطع في سطحها إلى عدم وصول المياه إلى البحر،مما أدى إلى ركودها وتكوين شطوط مغلقة،وهي عبارة عن بحيرات ضحلة مالحة،وقد تكونت الشطوط في مناطق الثنايا الخفيفة التي أصابت الكتلة الجزائرية القديمة،عندما حدثت حركة الالتواء(2)،وهي في امتداداها البالغ 800كلم، تمثل حائطا مرتفعا شديد الانحدار سواء نحو الجنوب أو الشمال(3).ومن هذه الظاهرة اكتسبت الهضبة اسمها تتجمع فيها المياه الآتية من الأطلسين،ولكن عندما تتوقف الأمطار عن التساقط،ترتفع درجة الحرارة في فصل الصيف وتحدث عملية التبخر،مما يؤدي إلى ضيق الشطوط وجفافها في الفصول الجافة وهي الخريف والصيف،ولكن أثرها على توزيع السكان والحياة الاقتصادية يكاد لا يذكر(4).وهذه الشطوط هي:شط الحضنة،والشط الشرقي والغربي وشط تقري وأهمها الشط الشرقي الذي يتغذى على المياه المنحدرة من السفوح الجنوبية لجبال الضاية والشط الغربي الواقع على الحدود المغربية(5)الذي يمتد لمسافة 225كلم،ويحد هذه السهول العليا من الجنوب سلسلة الأطلس الصحراوي التي تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي(6).

---

(1) السعيد مريبيعي:التغيرات السكانية–ص19

(2)د. محمد محمود الصياد:المرجع السابق–ص–1994–د.محمد سعودي: الوطن العربي–دراسة لملامحه الجغرافية–دار النهضة العربية–بيروت–1968–ص 579

(3) د.محمد سعودي:نفسه–ص 579

(4)د.إبراهيم مياسي:ثورة أولاد سيدي الشيخ – ص193

(5) السعيد مريبعي:التغيرات السكانية –ص19–د.إبراهيم مياسي:المرجع السابق–ص192–مقالة حول جغرافية الجزائر– من شبكة الإمام الرضا–من موقع أنترنيت:-http://www.imamreza.net/arb/imamereza.php?id-2377,p01

(6)د.محمد سعودي:المرجع السابق– ص579
Mensier:les territoires militaires d'ain-sefra;bsgo; 1914; p23

والتي يظهر عليها عوامل التعرية قد نحتتها مدة طويلة(1).هذا وتتراوح درجة ارتفاع الجهات الغربية من الهضاب العليا بين 1000م و1200م فوق سطح البحر،ويبلغ عرض الهضاب العليا في الغرب 150كلم،وتضيق في الشرق إلى 50كلم.أما بالنسبة للبنية التضاريسية لمنطقة الهضاب العليا،فإنها تدين بشكلها إلى بنيتها التي ارتفعت في نهاية الزمن الجيولوجي الثالث،مكونة بذلك ما يعرف بالسهوب يبلغ مساحة السهوب172ألف كلم مربع،وتمتد في الجهة الغربية شمالا،بحيث تعتدي على التل بحوالي 134ألف كلم مربع(2).

ثالثا:الموقع الجغرافي والفلكي:

يمتد موطن بني عامروحميان بين ثنية الساسي من الشمال الغربي،وجنوب العريشة ورأس الماء وحميات البل،ثم يتجه على يمين سيدي الناصر،وتأخذ هذه الحدود اتجاه الجنوب بضواحي تولالة وتخترق الميال،وتتبع حينا ضفة وادي المحيقن،ثم تتجه مباشرة نحو الجنوب إلى غاية حاسي الفليس(3).مكونة شكلا دائريا في اتجاه الشمال محاذية لوادي الفليس إلى غاية حاسي باربوا.وتنحي هذه الحدود متخذة تقريبا خطا مستقيما في اتجاه الجنوب الغربي إلى بئر تاقمنين،أما من الجهة الغربية فتحده الحدود الجزائرية المغربية * وتنحي هذه الحدود متخذة تقريبا خطا مستقيما في اتجاه الجنوب الغربي،إلى بئر تاقمنين أما فلكيا فيقع مابين دائرتي عرض 30°و38°شمالا وبين خطي طول 1°و6°غربا، يتميز هذا الموطن بانعدام الحواجز الطبيعية ،وهو في الأصل يشكل حدودا إدارية.

(1)Mensier:op.Cit.p.23

(2)Ibid.P.23

*وحسب مونسيه فالحدود الجزائرية المغربية لم تحدد بين فرنسا والمغرب الأقصى وفي معاهدة لالامغنية تم تحديد سوى الحدود البحرية وفي الجهة الشمالية الغربية عند ثنية الساسي، فالمادة الرابعة من المعاهدة تنص على أنه لاتوجد حدود ترابية لضبطها مادام أنها لم تفلح.ينظر إلى: Mensier:op.cit.p.23

(3) ينظر إلى مخطط التنمية لولاية النعامة – 1995– ص05

تبلغ مساحته 4.434ملايين هكتار(ينظر إلى الخريطة ش1ص439).يقع موطن وبني عامرحميان بين الأطلسين التلي والصحراوي أما حدوده الإدراية فإنه يقع بين أربع ولايات.ففي الشمال تحده تلمسان وسيدي بلعباس،ومن الشرق البيض ومن الجنوب بشارومن الغرب المغرب الأقصى(1)يبدو أن هذاالموقع هو الذي كان يقصده ابن خلدون

ا-التضاريس:لقد ذكر ابن خلدون"...أن العدوة الشمالية من العرق* مجالات البادية من الأعراب الظواعن بالمغرب،وكانت قبلهم مجالات للبربر،وقال بعد هذا حد المغرب من جهة الجنوب،ومن دون هذا العرق سياج آخر على المغرب مما يلي التلول منه،وهي الجبال التي هي تخوم تلك التلول ممتد من لدن البحر المحيط في القرب على برنيق من بلاد برقة،،وهنالك تنقطع هذه الجبال ويسمى مبدؤها من المغرب جبال درن،ومابين هذه الجبال المحيطة بالتلول وبين العرق الذي وصفه ابن خلدون بسائط وقفار وأكثر نباتها الشجر وفيما يلي التلول،وفي قبلة تلمسان قصورمتعددة ذات نخل وأنهار..."(2).وفي موضع آخر يقول:"ومابين بلاد هذه أي العرق والجبال التي سياج التلول بسائط متلون مزاجها تارة بمزاج التلول،وتارة بمزاج الصحراء بهوائها ومياهها ومنابتها،وفيها القيروان وجبل أوراس معترض وسطها وبلاد الحضنة،حيث كانت طبنة مابين الزاب والتل وفيها مغراوة والمسيلة وفيها السرسو وقبلة تلمسان،حيث تاهرت فيها جبل دير وقبلة فاس،معترض في تلك البسائط هذا الحد المغرب"(3)

---

(1)مخطط التنمية لولاية النعامة:ص05

(2) ينظر إلى العبر:ج6-دار جمال للطباعة والنشر-بيروت-1979-ص100

*العرق:وهي الكثبان الرملية التي تغطي مساحات كبيرة من الصحراء

(3)نفسه:ص101

يفهم من النص الأول لابن خلدون أن شمال الصحراء كان مجالا للعرب البدو،ومكانا لممارسة الرعي،وقد سبق العرب في ذلك البربر،وربما كان ابن خلدون يقصد بربر زناتة،ويشير أن العرق يعتبر حد الجنوب،ويفصل بين العرق والتل جبال المتخامة للتل،تمتد من المحيط الأطلس إلى برقة(1)،وربما يقصد بها جبال الأطلس الصحراوي،ثم يضيف ابن خلدون أن هذه الجبال تتميز بالتقطع،وجبال درن هي بداية هذه الجبال،ويفصل بين الصحراء وهذه الجبال أراضي منبسطة وقفار،لكنها تتميز بكثرة الأشجار،وتضم عددا من القصور التي تقع قبلة تلمسان،وربما كان يقصد بها قصور بني عامر التي تقع محاذية لجبال الأطلس الصحراوي، ويقول أن هذه القصور كانت تشتمل على نخيل ومياه،كما يستنتج من نص ابن خلدون أن موطن بني عامروحميان هو صحراء تلمسان كان يتميز بقلة الجبال،لأنه يشير إلى أنه عبارة عن بسائط؛أي أن أراضيه منبسطة وهذه خاصية من خصائص الهضاب العليا،وقفار بمعنى أنه كان خاليا من القرى والمدن،بسبب طبيعة مناخه الذي كان يتميز بشدة البرودة شتاء وحارا في فصل الصيف.أما في النص الثاني فيبدو أن ابن خلدون قد تعرض إلى ذكر الهضاب العليا،ولو أنه لم يذكر بالتحديد مصطلح الهضاب العليا بقوله أن مابين العرق والجبال التي هي سياج التل بسائط تتميز بتضاريس متنوعة،بقوله بسائط متلون مزاجها أي أنها تجمع في خصائصها التضاريسية بين تضاريس التل والصحراء، (2).ومن ثمة يمكن القول أن موطن بني عامروحميان ينقسم تضاريسيا إلى ثلاث مناطق:منطقة السهوب في الشمال وجبال الأطلس الصحراوي،وهو عبارة عن سلاسل جبلية قصيرة،يتخللها مسلكا متساويا(3)

---

(1) العبر:ج6–ص101

(2) نفسه:ص101

(3) نفسه:ص101

تفصله ممرات واسع، ومنطقة شبه صحراوية في الجنـــوب*،والـــتي تـــسمح بـــسهولة الاتصال،إن الأطلس الصحراوي بنتوءاته الضيقة الحادة قد حافظت على اتجاهـــه مـــن الجنوب الغربي إلى الشمال الـــشرقي،وهو شـــديد الانحـــدار كـــالأطلس التلـــي (1). تنحصرالسهوب بين الشط الشرقي،وكتلة جبل مكثر،وفي هذه المنطقـــة فـــإن مظـــاهر السطح الكبرى لاتظهر إلافي شكل قمم رقيقة،غير مترابطة وتنبثق من خـــلال الطمـــي الأفقي للسهل(2).ويلاحظ أن هناك خط متصل وبارز مكون من جبـــل العرعاروجبـــل بوشبكة وجبل عيسى(3).تتخللها هذه الكتلة الجبلية بحيرة كبيرة والجزء العميـــق منـــها تسمى عند الأهالي بالبحرِ ويبلغ عرضها50كلم(4) يقسم جبل مرغاد هذه الـــبحيرة إلى قسمين،ويمر الطريق الرابط بين المشرية والفرطاسة،عبر عين بن خليل غربها،بينمـــا يمـــر الطريق الرابط بين المشرية وعين الصفراء،وطريق الـــسكك الحديديـــة عـــبر النعامـــة ومكاليس* وفي شرقها تنحصر فايجة البتوم والتي يبلغ عرضها 10كلم تقريبا(5) بين جبل مرغاد وجبل عيسى إلى غاية الحوافي الجنوبية للشط الشرقي..

---

*ينقسم موطن بني عامروحميان إلى ثلاث فضاءات جغرافية وهي:المنطقة الشمالية وهي عبارة عن سهول مرتفعة أوماتـــسمى بمنطقة السهوب،تقدر مساحتها ب20081كلم مربع ما يعادل نسبة74%.ومنطقة جبلية تقدر مساحتها 3257كلم مربع، أي ما يعادل 12%،وهي تمثل الجزء الغربي من الأطلس الصحراوي ومنطقة جنوبية شبه صحراوية وهي متاخمة للصحراء،تمتد على مساحة تقدرب3733كلم مربع ما يعادل 14%.ينظرإلى: (2)Mensier:op.Cit.p24

(1) مخطط التنمية للولاية–المرجع السابق–ص05- Amar Bouzenoune:état de la biodiversité de la wilaya de Naama-colloque les perspectives de développement de la wilaya de Naama-décembre2004-p44

(2) Mensier :op.cit.p23E.Daumas : Mœurs et coutumes de l'Algérie-introduction d'A.Djeghloul-Sindbad-paris-1988-p184

(3) Jacquot Félix :op.cit.p282

(4) Mensier:op.Cit.p24

*مكاليس:هي قرية صغيرة،تقع شمال عين الصفراء بنحو30كلم على الطريق الرابط بين بشار وهران

(5) Mensier :op.cit.p24

يتميز سطح الهضاب العليا بالتقطع والتمزق التضاريسي،وكانت تسمى هذه الهضاب عند الأهالي بالمكنن؛أي موطن الكمائن(1)،ويبلغ طول جبل مرغاد حوالي24كلم،ويمتد شمالا في السهل عبر خواصر جبال كثيرة أهمها ضلعة العفرة والحجر الطوال وجبل حرازة،وفي اتجاه سفيسفة جنوبا تنتهي فجأة ببروز جبل الطويل(2).ويدور في اتجاه الشرق،يتميز جبل بوعمود بالتعرية والجفاف،وخالي من أي غطاء نباتي، يبلغ متوسط ارتفاعه1650م تقريبا،وفي شرق موطن بني عامر وحميان يقع جبل الحيرش الذي ينفصل عن جبل مرغاد بثنية الغزالة،ويتصل بسهل فايجة البيتوم والمحيزن(3)،الذي يعتبر جبلا ضخما ويقع في وسط سهل من الحلفاء(4).توجد هضاب تتميز بالتعرية،يغطيها نبات طبيعي يسمى بالتيم(Thym)أو ما يعرف عند بني عامر وحميان بالشيح(5)،والحلفاء التي تمتد من الشمال إلى غاية الأطلس الأوسط وجبل مكيدو وجبل العبد بين رأس الماء وبرقنت،وغربا إلى غاية وادي الشارف،وجنوبا إلى غاية جبل دوق وجبل الكلخ،وجبل لخضر(6) قسم الشط الغربي التقري هذه الهضاب إلى قسمين.ما جبل عيسى وحسب ما جاء في كتابات ضباط مكتب الشؤون العربية فإنه يحمل اسم رئيس أهلي يسمى عيسى ابن عبد القادر وفدمن الساقية الحمراء سنة1200م،ليستولي على قصر تيوت(7).

---

(1) Mensier:op.cit. P24

(2) Ibid :p25

(3) E.Daumas :op.cit.p184-Mensier:op.cit.p25

*سفيسفة:هي قصر من قصور بني عامر،يقع غرب عين الصفراء يبعد بنحو15كلم.

(4) Guillame(lt):conquête du sud.La colonne d'igli en1900extrait du spectateur militaire paris 1931p25

(5) ينظر إلى مخطط التنمية لولاية النعامة:ص05

(6) Mensier:op.Cit.p25

(7) Ibid, p.25

وعلى منطقة تيوت* يوجد ضريحه في مدخل القصر،يمتد جبل عيسى على طول 32كلم تقريبا(1).يبدأ من ثنية* الرمل على الطريق البري الرابط بين المشرية وعين الصفراء.يبلغ متوسط ارتفاعه حوالي 1950م(2)،ويصل إلى2250م عند قمة عين عيسى، يتميز بغطاء نباتي وغني بالمراعي.وفي المنطقة ينحصر جبل عيسى بين ثنية الرمل ومراح العلندة،بمعنى أنه يمتد على طول 20كلم،تتميز بغطاء نباتي قليل، وتبدو منفصلة عن جبل بوعمود عبر ثنية البقرة يمتد جبل بوعمود على طول 13كلم ومن ثنية البقرة إلى سفيسفة*(3)،وهو على شكل قوس،يمتد جبل عيسى في اتجاه الشمال الشرقي بدءا من ثنية الرمل عبر ربوات صخرية التي تحمل اسم جبل السويقة وجبل الطوارف وجبل المالحة.فجبل المالحة يتميز بالتعرية،وهو محاذي لسبخة النعامة،ويبلغ متوسط ارتفاعه 1200م تقريبا(4).ولا يحتوي على نقاط ماء وممره الوحيد هو ثنية البحرية وفي غرب جبل بوشبكة وتنحصر فايجة المحيرزن بين جبل مرغاد وجبل بوعمود،وتسقى من وادي بومبتا(5)،وتغطي جبل الحيرش بعض الأشجار وهي قليلة على واجهته الشمالية،يبلغ متوسط ارتفاعه 1650م.وجبل عنتر(6)ومن خلال وصف جاكو فليكس لتضاريس منطقة الهضاب العليا والأطلس الصحراوي يمكن استنتاج طبيعة تضاريس المنطقة(7).

---

*قصر تيوت:هو قصر من قصور بني عامر،يقع شرق قصر عين الصفراء،يبعد عنها بنحو14كلم

(1) Mensier:op.cit p25

*ثنية:معناه الأرض المتموجة،فالمنطقة تعرضت للحركة الأرضية،أدت إلى انثناء سطح الأرض

(2) ينظر إلى: Expédition du Général cavignac;op.cit.p.p 112-113

(3) Ibid:p26

*سفيسفة:هي قصر من قصور بني عامر،وهو محاذي للحدود الجزائرية المغربية،ويقع غرب قصر عين الصفراء،ويبعد عنه بنحو30كلم

(4) Mensier:op.Cit. p.26

(5) Jacquot Félix :op.Cit.p.p112-113

(6) Ibid.p.p112-113

(7) Mensier:op.cit.p27

حيث يقول:" إن جبال الأطلس الصحراوي تغطيها صخوركلسية وحجرية رملية،لونها أحمر بسبب أكسدة الحديد،ويتراوح ارتفاعها مابين 1000م و1300م عن سطح البحر من خلال قياس ارتفاعها من طرف دوموريو(Demerieux)وفورنال(Fournel) اللذين استخدما جهاز البرومتر،ويقول أن هذه الملاحظات مطابقة للمعلومات التي قدمها لنا العرب الذين جابوا المنطقة من الشرق إلى الغرب"(1)،ويقل ارتفاع هذه الجبال كلما اتجهنا نحو فقيق،تتميز بطول قاعدة هذه الجبال تتشكل من حواجز صغيرة من التلال تفصلها أودية(2)خلاصة القول يستنتج من خلال الموقع الجغرافي، والتضاريس أن مناخ موطن بني عامروحميان الذي تستقر فيه هو مزيج من المؤثرات المناخية الصحراوية بسبب انفتاحه على الصحراء عبر ممرات جبال القصور ومؤثرات البحر المتوسط.

ب-المناخ: يفهم من نصوص ابن خلدون أن مناخ موطن بني عامروحميان خلال القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلاد،كان يجمع في خصائصه المناخية بين مناخ التل والصحراء(3) أوكان عبارة عن مزيج من المؤثرات المناخية للبحر المتوسط والمؤثرات المناخية الصحراوية،وكان نبات موطن بني عامر وحميان هو خليط من نبات التل والصحراء.أما من حيث طبيعة مناخه ربما كان يتميز بفصلين متناقضين هما فصل الشتاء والصيف،حيث يذكر ابن خلدون أن بني عامر وحميان كانوا يرحلون في فصل الصيف إلى التل،ويعودون إلى موطنهم في فصل الشتاء،وهذا مايبين أن فصل الصيف كان حارا وجافا وكان يقل فيه العشب في موطن بني عامر وحميان.

---

(1) Djillali sari:l'insurrection de18811882;sned;1981.p22
De Foulques:de Géryville à Féguig – Bsgo – t11 – 1891p.p66-67
(2) Djillali Sari : op.cit.p22 – Mensier : op.cit.p.26
(3) العبر: ج6-ص101

مما يضطرون إلى الارتحال نحو التل في موسم الحصاد، وعندما تسقط الأمطار في فصل الشتاء يعودون إلى موطنهم الذي يكون قد استرجع غطاءه النباتي خاصة العشب (1).يبدو أن الظاهرة المناخية التي كان يتميز بها موطن بني عامروحميان في القرن الثامن الهجري لم تتغير بل بقيت تتميزبنفس الخصائص المناخية كالتناقضات الحرارية، والمدى الحراري الواسع،والشتاء الطويل البارد الذي غالبا ماتكون درجة حرارته أقل من الصفر،والصيف الحار والجاف الذي يعود سبب ارتفاع درجة حرارته إلى جفاف الهواء(2)،وانعدام الرطوبة وهبوب الرياح القوية والتي لا تطاق عبر كامل مناطق التعرية، محدثة زوابع رملية(3)،بالإضافة إلى انفتاح المنطقة على المؤثرات المناخية للبحر المتوسط.والمؤثرات المناخية الصحراوية التي تمرعبرالفتحات الموجودة بين سلسلة الأطلس الصحراوي الغربي.

ج-**الغطاء النباتي**:يستخلص من نصوص ابن خلدون أن موطن بني عامروحميان كان عبارة عن مراعي طبيعية،تحتوي على نباتات تجمع في خصائصها نبات التل والصحراء،وذكر من بين النباتات الأشجار،ولكن لم يحدد ابن خلدون نوع هذه الأشجار والنخيل(4)،ولا شك أن النبات الطبيعي الذي كان سائدا في هذه المنطقة هو نبات الحلفاء والسونغا*،والسرو والشيح والشبرق والرتم،والعرعار والأزيروالألال وهي كلها نباتات تشكل غذاء للحيوان خاصة المواشي،وإذا كان ابن خلدون لم يذكر أسماء أنوع هذه النباتات،فالغالب على الظن أن هذه النباتات التي تم ذكرها هي نفسها التي كانت موجودة في عهده.

---

(1)Djillali Sari :op.cit.p22

(2)Jacquot Félix:op.cit.p113

(3)De Foulques:op.cit.p67

(4)العبر:ج6-ص52

* يُنظر إلى الملاحق ص497

الباب الأول: الدراسة التاريخية

حميان من جملة بني زغبة بن هلال

ومراحل هجرتها من صعيد مصر

إلى صحراء تلمسان

الفصل الأول:

نسب وأصل حميان وبنو عامر

المبحث الأول: النسابة المؤرخين العرب

المبحث الثاني: مصادر الضباط الفرنسيين

المبحث الثالث: المصادر الشفاهية

ذهب بعض النسابة المؤرخين العرب القدماء أن المعرفة بعلم الأنساب من الأمور المطلوبة،والمعارف المندوبة لما يترتب عليه من الأحكام الشرعية والمعالم الدينية(1)،بحيث ذكر الله تعالى ذلك في قوله"يأيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى،وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عندالله أتقاكم"*.وقد أكد الإسلام ضرورة قيام علم الأنساب فمن قول ابن حزم في مقدمة كتابه النسب"فمن ذلك أن يعلم أن محمدا رسول الله(صلع) هو ابن عبدالله الهاشمي،فمن زعم أنه لم يكن هاشميا،فهو كافر،فإن يعلم أن الخليفة من قريش،وأنه يعرف من يلقاه بنسب في رحم محرمة ليتجنب تزوج ما يحرم عليه منهم،وأن يعرف من يتصل به ممن يرتد أو يجب عليه من وصلة او نفقة او معاونة،وأن يعرف الصحابة،وأن حبهم مطلوب،وان يعرف الأنصار ليحسن إليهم لثبوت الوصية،؛ولأن حبهم إيمان وبغضهم نفاق"(2)،فقد وردت في الشريعة الإسلامية العلم،أنه النبي القريشي الذي كان بمكة،وهاجر إلى المدينة،فإنه لابد لصحة الإيمان من معرفة ذلك،ولايعذر سلم في الجهل به وناهيك بذلك(3).وقدرتب الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية أنساب العرب ست مراتب،فجعل طبقات أنساهم وهي:شعب،قبيلة،عمارة،بطن،فخذ،فصيلة،فالشعب النسب الأبعد،وسمي شعب لأن القبائل منه تشعبت(4)

*سورة الحجرات مدنية49- الآية:13

(1) ابن خلدون: المقدمةج1- نشر المكتبة التجارية- القاهرة- 1951- ص85-القلقشندي: نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب- نشر إبراهيم الأبياري- القاهرة 1959- ص250 -أبوالفوز محمد أمين المعروف بالسويدي:سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب -المكتبة العلمية السنة التاسعة من العقد الثالث من القرن 13الهجري- ص05

(2)القلقشندي:نهاية الإرب-ص250-د.أحمد الخشاب:التفكيرالاجتماعي-دارالنهضة العربية-بيروت-1970-ص.ص223-224

(3)ابن خلدون:المقدمة-ج1-ص 85-القلقشندي:نهاية الإرب-ص250-أبو الفوز محمد أمين:سبائك الذهب-ص05

(4) القلقشندي:نهاية الإرب-ص251-د.أحمد الخشاب:التفكيرالاجتماعي-ص224

ثم القبيلة وهي مانقسم فيه أنساب الشعب،وسميت قبيلة لتقابل الأنساب فيها،ثم العمارة وهي ما انقسم فيه أنساب القبائل،ثم البطن وهو ما انقسم فيه أنساب العمارة،ثم الفخذ وهو ما انقسم أنساب البطن،ثم الفصيلة وهي ماانقسم فيه أنساب الفخذ(1)وتجلى أهمية النسب في مايلي:التعارف بين الناس حتى لا يعتري أحد إلى غيرأبائه،ولاينسب إلى سوى أجداده،وكذلك يترتب على ذلك أحكام الورثة،فيحجب بعضهم بعضا وأحكام الأولياء في النكاح،فيقدم بعضهم على بعض وأحكام الوقف إذاخص الواقف بعض أقاربه،أوبعض الطبقات دون بعض،وأحكام العاقلة في الدية على بعض العصبة دون بعض،وما يجري مجرى ذلك،فلولا معرفة الأنساب،لفات إدراك هذه الأمور،وتعذر الوصول إليه(2).وإذاكان النسب بهذه المترلة من الألفة،فقد تعرض حال له عوارض تمنع منها،وتبعث على الفرقة المنافية لها،فلزم أن يضف حال الإنسان،وما يعرض لها من الأسباب،فجملة النساب أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:قسم والدون،وقسم مولودون،وقسم مناسبون(3).وقدركز ابن خلدون على الناحية القرابية للقبيلة حيث يؤكد على العصبية الواحدة والنسب الواحد،وما يؤدي ذلك إلى الإخلاص في سبيل الدفاع عن القبيلة ومصالحها،وصد العدوان الذي يقع عليها،وأن اختلاط الأنساب كدخول المولى والأرقاء فقد لا يهتمون بمصالح القبيلة(4)وأن النسب المتصل هو الأساس في الوحدة والإلتحام بين أفراد القبيلة الواحدة،حيث يشعر كل فرد أن أي إعتداء على أي فرد من القبيلة هو إعتداء على القبيلة كلها.

---

(1)القلقشندي:نهاية الإرب-ص251-د.أحمد الخشاب:التفكير الاجتماعي-ص224

(2)المقدمة:ج1-ص85-القلقشندي:نهاية الارب-ص251

(3)د,أحمدالخشاب:التفكير الاجتماعي-ص224

(4)ينظرإلى المقدمة ج1-ص86-دة.سهيرعبدالعزيزمحمد:الاستمراروالتغيرفي البناءالاجتماعي في البادية العربية-دراسة ميدانية في علم الاجتماع البدوي-ط1-دارالمعارف-القاهرة-1991-ص38

ويوضح ابن خلدون أن النسب الصريح يأتي من عدم الإختلاط والعزلة والبعدعن القبائل الأخرى(1).يستخلص من خلال الدراسة التاريخية أن بني عامروحميان من خلال التطورالتاريخي أنهم حافظوا على نقاوة نسبهم إلى حدما خلال فترة الدراسة ،لأن هجرتهم كانت جماعية رفقة بني زغبة وبني هلال منذ نزوحهم من بلاد الشام والحجازإلى صعيد مصر وإفريقية والمغرب،والغالب على الظن أنهم لم يختلطوا كثيرا بقبائل البربر سواء زناتة أو صنهاجة لأنهم كانوا ناجعة أي بدو رحل قلما يحدث الإختلاط والمصاهرة بينهم وبين القبائل البربرية،باستثناء البطون التي نزلت قرى بجاية،أوربما بعدما تمت العلاقات بينهم وسكان قصور بني عامر خلال العهدالزياني.ويشير ابن خلدون أيضا إلى التدرج في النسب،وعصبية كل نسب بالنسبة للنسب العام،وتكون عصبية النسب الخاص أشد إلتحاما من النسب العام.مثل المعشر أو أهل بيت واحد،أوخوة من بني أب واحد(2)فمثلا عن حميان،حيث كانت السندان بالنسبة لحميان تشكل نسب خاص بالنسبة لذوي حسن،وكانت للسندان عصبية النسب الخاص بالنسبة لذوي حسن،ولكن العصبيات الخاصة بالنسب الخاص تشارك العصبيات الأخرى في النسب العام،مثل عصبية أولاد مهري وأولاد زيان وذوي حسن والوزانية بالنسبة للنسب العام حميان،وكانت المدافعة والتعاون تقع من أهل النسب الخاص،ومن أهل النسب العام،إلا أنها في النسب الخاص أشد لقرب اللحمة،لماذا الاهتمام بالنسب أو كانت عصبية النسب عند بني عامر وحميان؟لقدأوجب النظام القبلي الخاص أن يرتبط أفراد القبيلة بعضهم ببعض برباط النسب والعصبية الشديدة للقبيلة،وهي عصبية فرضتها الحياة في البادية،وأصبحت عندهم أساس المجتمع القبلي،وترتبط هذه العصبية أوالولاء.

---

(1)ينظر إلى:المقدمة-ج1:-ص85-د.حسن الساعاتي:علم الاجتماع الخلدوني -دارالمعارف-مصر-1971-ص182

(2)المقدمة-ج1-ص85-دةسهير عبدالعزيز:المرجع السابق-ص38

أشد بمصالح ومنفعتها،وقد أصبح لها مدلول خلقي واجتماعي وسياسي وفلسفي،بحيث تركزت الحياة في البادية في جميع مناحيها على أسس قبلية،وتقيدت نظمهم الأخلاقية والأدبية والسياسية والاجتماعية بنظم هذه العصبية،وماتفرضه على الفرد والجماعة،وذابت المصلحة الفردية أمام مصلحة القبيلة،وترك للقبيلة مسؤولية الفرد أي تحقق للفرد مصلحته وحقه(1).وشبه ابن خلدون الأنساب بساق الشجرة،فهو الأصل والأغصان هي الفروع، فذكر أن **"الأنساب تتشعب دائما فالرجل قد يكون له من الولد ثلاثة أو أربعة أو أكثر.ويكون لكل واحد منهم كذلك،وكل واحد منهم فرع ناشيء عن الأصل أوفرع،أوعن فرع فرع،فصارت مثل الأغصان للشجرة،وتكون على ساق واحدة هي أصلها،والفروع فروع أخرى إلى أن تنتهي إلى الغاية"**(2). وقد ذهب كثير من الأئمة والفقهاء كالبخاري وابن اسحق والطبري إلى جواز الرفع في الأنساب،ولم يكرهوه محتجين بعمل السلف،فقد كان أبوبكر الصديق رضي الله عنه في علم النسب بالمقام الأرفع والجانب الأعلى،وهذا مايبين أهمية علم الأنساب(3)،وقد اعترف بهذا العلم ابن عباس وجبيربن مطعم وعقيل بن أبي طالب،وكان من بعدهم ابن شهاب والزهري وابن سيرين وكثير من التابعين أما عرب الحواضر لا يولون أهمية للنسب،بسبب اختلاطهم بالعجم في الحواضر،بالإضافة إلى أن الحياة الاجتماعية في الحواضر تصبح معقدة،بسبب تشابك العلاقات الاجتماعية،ويحدث الاختلاط بين الأنساب بين العرب والعجم،والعجم لا يحافظون على النسب في بيوتهم(4).

(1)دة.سهير عبدالعزيز:المرجع السابق-ص38

(2) ابن خلدون:المقدمة ص-85-د.ألبير نصري نادر:من مقدمة ابن خلدون- ط2- دارالمشرق-بيروت 1986- ص28

(3)القلقشندي:نهاية الإرب-ص250- مونكرمي وات:البدو- ترجمة لجنة دائرة المعارف الإسلامية- إبراهيم خورشيد- د.عبدالحميد يونس،حسن عثمان:-ط1-دار الكتاب اللبناني- بيروت- 1981-ص 18

(4)ابن خلدون:المقدمة-ص85-ألبير نصري نادر:من مقدمة ابن خلدون-ص28

فاندثرت العصبية في الحواضر وبقيت في البدو(1).وفي موضع آخر يقول ابن خلدون:"...إذ النسب أمر وهمي لا حقيقة له ونفعه إنما هو في هذه الوصلة والالتحام، فإذا كان ظاهرا واضحا حمل النفوس على طبيعتها من النعرة..."(2)إن النسب إذا خرج عن الوضوح،وصار من قبيل العلوم ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس(3).وانتفعت النعرة التي تحمل عليها العصبية لا منفعة فيه حينئذ(4).وإذا كان بنوعامر وحميان من عرب البدوالرحل،فماهو نسبهم وأصلهم من خلال ما ورد عن النسابة المؤرخين العرب؟وإلى أي عرب تنتسب حميان وبنوعامر هل إلى العرب العاربة أو العرب المستعربة؟هل إلى العرب العدنانية أم العرب القحطانية؟يبدو أن بني عامروحميان تنتسب إلى العرب المستعربة؛لأن العرب العاربة التي قال عنها المؤرخون أنها انقرضت كعاد وثمود وجرهم وغيرها،بينما العرب المستعربة فيقال أنها من نسل عدنان بن سيدنا إسماعيل عليه السلام،وبالتالي فبنوعامر وحميان ربما تنتسب إلى عدنان.

خلاصة القول:إن النسب هو المعيارالحقيقي للتنظيمات الاجتماعية عند بدو حميان وبني عامر،بل يعتبر قيمة اجتماعية،لذا كان السلم الاجتماعي في البادية يعتمد على المعايير الاجتماعية فيها(5).وأنه أحد أسباب الألفة والتناصر،فحفظوا أنسابهم ليكونوا متظافرين به من حقوقهم،ومتناصرين على شاقتهم وعادهم؛إنه تعاطف الأرحام الأقارب يبعثان على التناصر والألفة،ويمنعان من التخاذل والفرقة(6).

---

(1)المقدمة-ج1-:ص85

*تستعمل كلمة عرش عند بني عامروحميان بدل القبيلة

(2)ينظرإلى:المقدمة-ص 86--القلقشندي:نهاية الإرب-ص250-د.البيرنصري:من مقدمة ابن خلدون-ص29

(3)المقدمة:ص86-القلقشندي:نهاية الإرب-ص250-د.البيرنصري:من مقدمة ابن خلدون-ص29

(4)دة:سهير عبدالعزيزمحمد يوسف:الاستمراروالتغير في البناءالاجتماعي-ص74

(5)د.أحمد الخشاب:التفكير الاجتماعي-ص.ص222-223

(6) نفسه:ص.ص222-223

1-النسابة المؤرخون العرب:

أول من ذكر كلمة حميان أوحميدان من النسابة المؤرخين العرب هـو عبـدالرحمن بـن خلدون في كتابه العبروديوان المبتدأ والخبر بقوله"... **حميان هوبن عقبة بن يزيد بـن عيسى بن زغبة...**"(1)(ينظر إلى الملاحق الجدول رقم 01ص404).وفي نسخ أخـرى عبس بدلا من عيسى،وبالتالي فحميان هو إسم علم وليست كلمة مشتقة مـن فعـل حمى،أومن الحماية أو الحمية،كما تعتقد بطون حميان.أما الحميان المعرفة فهم بطـن مـن المجابلة من الصلته من شمر طوقة،ينقسم إلى الأفخـاذ التاليـة:الرواضـي السـلامة الحليفة(2).إن كلمة حميان ليست مشكّلة،اختلف المؤرخون والباحثون في نطـق كلمـة حميان،فالبعض ينطقها بفتح الحاء وسكون الميم وفتح الباء،والبعض الآخر ينطقها بـضم الحاء وفتح الميم،ولكن في لغة حميان تنطق بالحاء المفتوحة وتشديد الياء بينما تنطق كلمة حميان عند عبد القادر المشرفي بضم الحـاء وتـشديد اليـاء(3).ويبـدو مـن خـلال المصادرالتاريخية أن المؤرخين تعرضوا إلى ذكر حميان وبني عـامر في سـياق الأحـداث التاريخية التي وقعت في المغرب الأوسط.ولم يسبق للمؤرخين العرب القدماء أن تعرضوا إلى ذكرهذا الاسم وإنما كانت حميان تمثل بطنا من بطون بني يزيد بن زغبة بن هلال.

---

(1) ينظر إلى العبر:ج6-ص 41-عند عبد القادرالمشرفي:حميان قبيلة عظيمة بهجة الناظر في أخبار الـداخلين تحـت ولايـة الاسبانيين بوهران من الأعراب بني عامر- تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم- الجزائر 1943-ص 26- أحمد بن عبدالرحمن الشقراني الراشدي:القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط- تحقيـق د.ناصـرالدين سـعيدني-ط1- دارالغـرب الإسلامي- ببيروت- 1991- ص39. د.مصطفى أبو ضيف عمر:القبائل العربية-ص225- أحمد توفيـق المـدني:كتـاب الجزائر- المطبعة العربية- الجزائر1928- ص130-عبدالرحمان الجيلالي:تاريخ الجزائر العـام-ج1-دارالثقافـة-بـيروت-1980-ص261 عمر رضا كحالة:معجم قبائل العرب القديمة والحديثة- ج1- ط2- دارالعلم للملايين- بـيروت 1968- ص 303- ص200

(2) عمر رضا كحالة:معجم قبائل العرب-ج1-ص303

(3) ينظرإلى بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب بني عامر-ص26

أوفخذا من أفخاذ زغبة وبالتالي فوجود حميان وبني عامر في المغرب الأوسط كان ضمن التروح الجماعي لبني زغبة بن هلال من الحجاز والشام إلى المغرب الأوسط.يتفرع عن حميان بطون ذكرها ابن خلدون في كتابه العبر وهي ابن مهري،وأولاد زيان والوزانية،وذوي حسن الذي ينحدرمنه بطن السندان*(1).وأشار النسابة المؤرخون والباحثون أن لعقبة إخوة،وهم جواب وبنوكرز وبنوموسى والمرابعة*،ومنهم حي كان ينتجع بضواحي تونس في أواخر القرن الثامن الهجري(2).ثم الخشنة* وبنوسعد وكانت لسعد بن مالك بن عبد القوي بن عبدالله بن مهدي بن يزيد بن زغبة. الرياسة،وشملت الظعون والحلول.وهم ثلاثة بطون بنوماض بن رزق بن سعد،وبنومنصور بن رزق بن سعد وبنوزغلي بن رزق بن سعد،وأولاد معافي وأولاد لاحق،ومعانس(3)،

(1) ينظرإلى:العبر:ج6–ص41–عبدالقادر المشرفي:بهجة الناظر–ص 25–أحمد بن عبدالرحمان الشقراني:القول الأوسط–ص 39–مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث–ج2–ص200–د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية–ص225–أحمد توفيق المدني:كتاب الجزائر–ص38

*السندان:تتفرع إلى:بني أغا وبني هزيل وأبي عزة وبني دحمان وبني رغيوة وبلخمالي،وهم يشكلون النسب الحقيقي لحميان في المنطقة،انتقل أغلبهم من حياة البداوة والترحال،إلى حياة الحاضرة ،وربما يعود سبب جهل حميان اليوم ببطون حميان الأخرى إلى أن هذه البطون قد اندمجت في بطون بني يزيد،أوبني هلال نتيجة الاختلاط والمصاهرة،أواحتمالا استقرت بمنطقة حمزة والدهوس أونزلت بقراها،ولم تهاجر إلى منطقة صحراء تلمسان رفقة بطن ذوي حسن،وأخذ تتعاطى الفلح بدل الرعي،وهذا ماحدث لكثير من بطون بني هلال،وتوجد عقلة تحمل اسم السندان ،وهي عبارة عن مورد مائي، أو بئر يقع شرق المشرية،ويبعد عنها بنحو 6كلم كانت السندان تستغله في جلب الماء، قصد الشرب،وفي شرب الغنم،وكان بمثابة المكان الذي يجمع أفراد بطن السندان.ويلاحظ أن حتى أماكن المورد كان تسمى باسم القبائل.

*المرابعة:يوجد بطن من بطون الرزاينة يسمى بالمرابعة،وهويستقرحاليا بالبيوض،التي تقع شمال المشرية،وتبعد بنحو ثلاثين كيلومتر،فاحتمالا أنه ينتمي إلى بني يزيد بن عيسى بن زغبة.

(2) العبر:ص6–ص40 –:عبدالقادر:بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعراب بني عامرص26–د.مصطفى أبوضيف:المرجع السابق–ص225– أحمد توفيق المدني:تاريخ الجزائر–ص13 عمررضاكحالة:معجم القبائل العربية القديمة ج1 ص303رابح بونار:المغرب العربي تاريخه وثقافته ط3دارالهدى عين مليلة 2000–ص293

*يوجد بمنطقة بومرداس ،مدينة تسمى بخميس الخشنة،ربما تسمى بهذا الفرع الذي ينتمي على بني يزيد

(3) العبر:ج6– ص41– عبد الرحمن الجيلالي:تاريخ الجزائر العام– ج1– ص261

وهم يزعمون أنهم من المهدي بن عبد الرحمن بن أبي بكرالصديق(1).وربما نسبهم آخرون إلى سلول في بني مرة بن صعصعة أخي عامربن صعصعة*،ويقال أن سلولا وبني يزيد إخوة ويقال لهم جميعا أولاد فاطمة(2).وربما سمي هؤلاء بأولاد فاطمة لأنهم إخوة من الأم؛ لأن من طبيعة العربي أنه ينتسب لأبيه وليس لأمه، والنظام الاجتماعي الذي كان موجودا في المجتمع العربي هو النظام الأبوي،وليس النظام الأموي ولايزال هذا التنظم الاجتماعي يسود المجتمعات العربية لأن الانتساب والسلطة فيها للأب،لم يتعرض المؤرخون والباحثون إلى ذكر إخوة حميان،وإنما إلى إخوة أبيه عقبة،بينما أشاروا أن من بين إخوة يزيد عكرمة بن عيسى بن زغبة،وبالتالي فعكرمة يعد من بين أجداد حميان.وحسب ما جاء في العبر أنه يوجد فرع. من عكرمة* من بني يزيد نزل مع بني عامر بمنطقة السرسو في عهد إمارة بني زيان(3).

---

(1)العبر:ج6- ص 41- مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر - ج2-ص189- عمر رضا كحالة:المرجع السابق -ج1- ص708- د.مصطفى أبوضيف:المرجع السابق-ص22

*عامر بن صعصعة:بطن من هوازن بن قيس عيلان من العدنانية،وكانت منازلهم في الجاهلية كلهم بنجد ،ثم نزلوا ناحية الطائف مجاورين لعدوان أصهارهم،فنزلوا حولهم ،وكانوا بذلك زمنا،ووقعت بين عدوان حرب،وتشتت أمرهم،فطمعت فيهم بنوعامر وأخرجتهم من الطائف،،فكانت بنوعامر يتصيفون الطائف لطيبها وثمارها،ويتشتون بلادهم من أرض نجد لسعتها وكثرة مراعيها ويختاروها على الطائف ،وهناك عامر ومنهم بنو الأخضر،وهم يزعمون أنهم من ولد خضربن عامر،وليس عامربن صعصعة،ولعله عامربن زيد بن مرداس من رياح،ورياستهم في أولاد تامر بن عامر بن تمام بن عمار بن رياح،وحالف بنو مرين منهم أولاد تامر بن عامر بن صالح بن عامر بن عطية بن تامر ومنهم زيادة بن تمام بن عمار ينظر إلى:العبر:ج6- ص35و53،مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر-ج2-ص 163- عمر رضا كحالة:معجم قبائل العرب-ج2-س.ص708-709

(2)العبر:ج6-ص41-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص189

*عكرمة:تستقر عكرمة حاليا بالمشرية وعين بن خليل،وقد تعرضت إلى التقسيم من طرف الاستعمار الفرنسي إلى :عكرمة الشراقة والغرابة،وكان يستهدف تفتيت العرش في إطار سياسية فرق تسد التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر،تستقر عكرمة الشراقة بمنطقة البيض وأربوات والمبحرة،وبلهجان ،والغالب على الظن أنهم أبناء عمومة حميان .

(3) العبر:ج6-ص52-مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص189

وإذا كان أبوحميان يسمى عقبة*،فهناك أيضا بنوعقبة بطن من جذام ديارهم من الكرك إلى الأزلم من برية الحجاز،وعليهم درك الطريق مابين مصر والمدينة إلى حدود غزة من بلاد الشام،وقال في مسالك الأنصار وعليهم درك الحجيج مصر من العقبة إلى الداما،وقال لهم وفرقة منهم بالحجاز من بني واصل بن عقبة.وقال في العبر وبإفريقيا من بلاد المغرب منهم فرق كثيرة(1) فاحتمالا أن بني عقبة التي ذكرت في العبر لها صلة قرابة بحميان بن عقبة،رغم أن حميان كانت تمثل بطنا من بطون بني يزيد بن زغبة،إلا أن الرئاسة كانت في أولاد لاحق ثم انتقلت إلى أولاد معافي،ثم انتهت في بيت سعد بن مالك،وكان بنوسعد يمثلون مجرد فخذ وكانت رياستهم في بني زغلي(2).وكانت الرياسة لزيان بن زغلي، ثم انتقلت إلى أخيه ديفل،ثم تولى من بعدهم أخوهم أبي بكر،ثم انتقلت إلى ابنه ساسي(3)،ثم إلى ابنه معتوق بن أبي بكر،ثم تولى الرياسة موسى من بعدهم وهو ابن عمهم أبي الفضل بن زغلي ثم أحمد بن أبي الفضل.ثم لأخيهما علي ابن أبي الفضل.ثم انتقلت إلى أبي الليل بن أبي موسى ابن أبي الفضل وهو رئيسهم حتى أواخر القرن الثامن الهجري(4).لماذا كانت الرئاسة في أولاد معافي وأولاد لاحق وبني سعد،ولم تكن في حميان؟ربما كانت حميان أضعف من البطون الأخرى؛ولم تكن تملك من القوة والعصبية.

---

(1)القلقشندي:نهاية الإرب–ص255– أبوالفوز المعروف بالسويدي:سبائك الذهب لمعرفة قبائل العرب–ص32

*يستقر حاليا بالنعامة بطن بزعم أنه ينتسب إلى حميان يسمى ببني عقبة،ومن المحتمل أنهم من عمومة حميان

(2) العبر:ج6–ص66– مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق–ج2– ص178

(3)العبر:ج6–ص42–د.مصطفى أبو ضيف عمر:القبائل العربية –ص225–عبدالوهاب بن منصور:قبائل المغرب–ص422–مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر–ج2–ص163

(4)العبر:ج6–ص– 41– الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج2–ص200–د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية– ص225– عمر رضا كحالة:معجم قبائل العرب–ج1–ص707.محمد الميلي:المرجع السابق ص 200د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:المرجع السابق ص 225

ما يجعلها تتولى رئاسة بني يزيد؛لأن ابن خلدون يبين شروط الرئاسة"أن الرئاسة تكون بالغلبة فمن كانت عصبيته أقوى من سائر العصبيات تمت له الرئاسة،وتنتقل من فرع إلى الفروع الأقوى منه"(1).ومن خصائص البدو العرب الصراع والتزاع على الرياسة،وهذا الصراع هو الذي كان عاملا من عوامل التي لم تسمح للبدو العرب أن يؤسسوا ملكا(2)،بالإضافة إلى عدم انقياد العرب لنظام أو رئيس معين.يضيف ابن خلدون أنه ليس بالضرورة أن تكون الرئاسة بين بطون القبيلة الواحدة أومن نفس النسب،بل يمكن أن تكون من خارج القبيلة؛ أي يمكن لشخص جاء لاجئا يطلب من قبيلة الحماية والنجدة،أن يصبح رئيسا لهذه القبيلة بالرغم أنه لا ينتمي لها بصلة الدم أو الرحم والرياسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم(3).إذ قد يصادف أن يأخذ الدخيل إسم العصبية التي لجأ إليها والتصق بها،ويطمع في الرياسة على قومها،رغم ما يقع فيه نفسه من القدح في رياسته(4).بينما أشار أحد الباحثين أن شروط الرئاسة في القبيلة العربية تتمثل في الشجاعة والكرم والحلم،أوقل أن الامتياز في هذه الصفات يفرض صاحبه ليكون سيدا للقبيلة،وقد يجيء لرئيس القبيلة بن يعد له الشرف والسؤدد،وحينئذ يستطيع أن يرث مكانة أبيه(5).

(1)ينظر إلى المقدمة–ص86– د.ألبير ناصر نادر:من مقدمة ابن خلدون–المرجع السابق–ص28

(2)نفسه:ص86–د.ألبير نادر نصري:من مقدمة ابن خلدون–ص28

(3) ابن خلدون:المقدمة–ص87

(4)د.أحمد شلبي:موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية–ج1–ط6–مكتبة النهضة المصرية–القاهرة–1974–ص.ص96–97

(5)د.أحمد شلبي:موسوعة التاريخ الإسلامي–ج1–ص.ص96–97

*بنوعامر:تستقربمكمن بن عمار والمشرية بعض بطون بني عامربن شافع تحمل بعض أسماء بني عامرفي عهد ابن خلدون ولكنها محرفة قليلا،كحجاش إلى حجاج،وحجوش إلى حجوج،وكذلك لقب عبيد.ولكن يبدو أن المصادر الفرنسية قد وقعت في الخطأ بحيث ذكرت حميان الشفاعة بدل من بني عامر الشفاعة.تستقر معظم بطون بني عامر خاصة بني يعقوب وبني حميد رفقة قسم من حميان بنواحي سيدي بلعباس ووهران.

وإذا تكررت رياسة القبيلة في بيت من بيوتها،عرف هذا البيت بالمجد والجاه(1).وكان من أحلاف بني يزيد التي تنتسب إليهم حميان،بني عامربن زغبة من هم بنوعامر*؟ بنوعامر هم من بني زغبة،وكانت مواطنهم آخر مواطن زغبة بالمغرب الأوسط شرقا مع بني يزيد،وسيطروا معهم على بلاد حمزة للحصول على ميرتهم في الصيف بجانب أتاوتهم المتعارف عليها على بني يزيد(2).وحينما أراد يغمراسن أن يقاوم فساد المعقل،نقل بني عامر بجوار تلمسان ليتولوا ذلك،واستقروا هناك يرحلون إلى قفارها في الشتاء،ويعودون إلى التلول في الربيع والصيف(3)وكانت فيهم ثلاثة بطون بنويعقوب بن عامر بنوحميد بن عامروبنو شافع بن عامر،ومن بني شافع بنوشقارة وبنومطرف،ولكل واحد من البطنين الأخيرين عمائر وأفخاذ(4)،ومن بني حميد بنوعبيد وبنوعقيل (العقلة) بن عبيد،وبنومحرز(المحارزة) بن حمزة بن عبيد،وتولوا رياسة حميد وبنوحجاز بن عبيد (الحجز)،ومنهم حجوش وهجيش أو حجيش،ومن حجوش حامد ومحمد ورباب،ومن محمد بنوولاد بن محمد(الولالدة) بنوعمر بن زيان بن مسعود بن شداد بن محمد(5)،ومن حامد بنورباب المعروفون في القرن الثامن الهجري،والذين خلفوا علاق من المحارزة في رياسة بني حميد بن عامر،ومن رباب بنوعلي بن عثمان بن سلطان بن وانودين بن عبدالله بن رباب(6)(ينظر إلى الملاحق الجدول رقم02 ص447).

---

(1)العبر:ج6-ص52- عبدالقادر المشرفي:بهجة الناظر-ص26- عمر رضا كحالة:معجم قبائل العرب-ج1-ص707- مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج2ص178د.مصطفى أبو ضيف أحمد عمر:المرجع السابق-ص225

(2) العبر:ج6-ص52د.مصطفى أبوضيف:القبائل العربية في المغرب ص225مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث ج2ص200أحمد توفيق المدني:كتاب الجزائرص130عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ج1-ص261

(3) العبر:ج6-ص51-الميلي:المرجع السابق-ج2-ص165

(4)نفسه:ص52-عبدالقادر المشرفي:بهجة الناظر-ص26-عمر رضا كحالة:قبائل العرب-ج1-ص707

(5)نفسه:ص52-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر-ج2-ص178

(6)نفسه:ص52-عمررضا كحالة:قبائل العرب-ج1-ص708

لبني يعقوب شيخ بني يعقوب وهوداود بن هلال بن عطاف بن رداد بن ركيش بن عياد ابن منيع بن يعقوب،وكان من أشهر زعمائهم بمنافسة معرف بن سعيد بن رباب بن حامد بن هجوش بن حجاز بن عبيد بن حميد،وكان ذلك في عهد يغمراسن بن زيان(1).بينما كان بنوحميد برئيسهم وشيخهم رديفا*،ويصنف الحسن الوزاني المعروف بليون الإفريقي بني عامركرهط من بني هلال ويقول"... أنهم كانوا مقيمين بتخوم مملكة تلمسان،ويرحلون إلى صحراء تيكورارين،ويستأجرهم ملك تلمسان،وهم ذوو شجاعة فائقة،وثروة طائلة وعددهم نحو ستة آلاف من أحسن الفرسان وأقواهم عتادا..."(2).بينما ذكر أحمد توفيق المدني بقوله:"...وأما بعمالة وهران فتستقربنوعامروالزمول والدوائر أما بنوعامربن شافع فبقيت مستقرة رفقة حميان بالهضاب العليا الغربية..."(3).(ينظر إلى الجدول رقم 02ص141)وإذا كانت حميان تنتسب إلى زغبة فمن هو زغبة؟هوابن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال*(4)،ولزغبة أبناء وهم عروة وعامر ومالك،وعيسى بدل يزيد وحصين،وقد نزلوا عند دخولهم إفريقية بنواحي طرابلس وقابس(5)،وعند دخولهم إلى المغرب الأوسط قاموا بتقسيمه فيما بينهم(6)وإذاكان لزغبة خمسة أبناء،فمعناه أن بطون وفصائل بني زغبة المستقرة بالمغرب الأوسط تمثل أبناء عمومة؛لأنهم يشتركون في واحد وهو زغبة،وبالتالي فحميان هم أبناء عمومة بني عامر وبني حصين وبني مالك،وبني عروة.لقدأشارالنسابة المؤرخون أن زغبة

*الرديف:معناه المساعد لرئيس القبيلة أو العرش،وعادة ما تستخدم هذه الكلمة عندما يريد شخصا ما ركوب الحصان أوالفرس،ويريد شخصا أخرا الركوب معه فيقول له أردفني.

(1)العبر:ج6-ص52-مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2س200د.مصطفى أبوضيف:المرجع السابق ص225

(2) ينظر إلى:وصف إفريقية-ص50

(3) ينظرإلى:كتاب الجزائر-ص139

(4)العبر:ج6-ص40-عبد الرحمن الجيلالي:تاريخ الجزائر العام-ج1- ص236

(5)نفسه:ص40-عبدالقادرالمشرفي:بهجة الناظر-ص26

(6)نفسه:ص40-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر-ج2-ص179

هم إخوة رياح،وهم أبناء أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عـــامر،ويزعمون أن عبـــدالله بكسرالدال كان يجمعهم وكان عبدالله من أبناء هلال،ولعل انتساب زغبة وريـــاح إلى عبدالله ربما يعود إلى تكفل عبدالله بزغبة ورياح،وكثيرا ما يقع مثـــل هـــذا في أنـــساب العرب،بمعنى انتساب الأبناء لعمهم أو كافلـــهم(1).وإذا كانـــت حميـــان تنتـــسب إلى زغبة،فهي بذلك كانت تشكل فخذا من أفخاذ هلال،أو فصيلة من فـــصائل هـــلال أو رهطا من بني هلال.فمن هو هلال*؟هو ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكـــر بـــن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مـــضربن معـــد نـــزاربن عدنان(1)،وبنوعامر يقال لهم الأحامس،وقد وصفهم دغفل النسابة فقال:أعنـــاق ظبـــاء وأعجاز نساء،ويجهل لماذا نعتهم دغفل النسابة بهذا الاسم(2).وينقسمون إلى أربعة أفخاذ نمير وربيعة وسوأة وهلال(3).

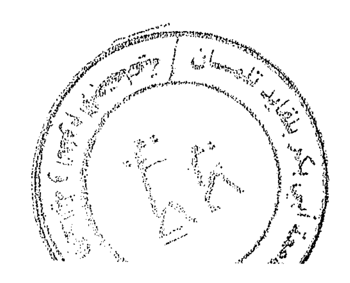
---

*حسب ما جاء عن النسابة العرب القدماء،لايوجد إسم واحد لهلال،وإنما هناك أسماء لقبائل تسمى بهلال، منها هـــلال مـــن عشائر شرق الأردن،موقعها الجنية والبويضة بلواء السلط،وهلال قبيلة تمتد منازلها من حدود ربيعة التهم ،وأهل حلي ومحايـــل إلى قرب البرك على ساحل البحر،وتنقسم إلى الأفخاذ التالية:أهل البرك والأخرش وأل مسجر،وأل أم جمعة،ثم هـــلال فرقـــة تعرف بأبي هلال من أبي ليل بدير الزور إحدى محافظات سوريا،وهلال بطن يعرف ببوهلال من الحمدالله من عشيرة القراغول الملحقة بالصلته من شمر طوقه،والهلال فرع من العريف من الصمدة من عشيرة الظفـــي الـــتي تنتقـــل في مـــنطقتي الدبدبـــة والحجرة.ينظر إلى:عمر رضا كحالة:المرجع السابق-ج3-ص.ص1220-1221

(1)ابن الكلبي:جمهرة أنساب العرب- بغداد-1959- ص120-العبر:ج6-ص41- ابن حزم:جمهرة أنساب العرب- تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون- ط3- دار المعارف- مصر- 1971-ص273

(2) ابن الكلبي: جمهرة أنساب العرب-ص120العبر:ج4-ص62- -ابن حزم:جمهرة الأنساب-ص273- القلقشندي:نهايـــة الإرب-ص272-النويري:نهايـــة الإرب في فنـــون الأدب-ج2- دارالكتـــب القـــاهرة-1954- -أبوالفـــوز المعـــروف بالسويدي:سبائك الذهب ص33-العبر:ج6- مؤسسة جمال للطباعة والنشر- 1979-ص.ص02-03 -د.روزلـــين ليلـــى قريش:سيرة بنوهلال-ج1-سلسلة أدبية تحت إشراف محمد بلقايد-موفم للنشر- الجزائر-1988-ص01

(3) العبر:ج6-ص40-أبو الفوز المعروف بالسويدي:سبائك الذهب-ص32- ابن حزم:جمهرة الأنساب- ص273- عمـــر رضا كحالة:معجم قبائل العرب القديمة والحديثة-ج1- ص70



ومن ولد هلال بن عامر بن صعصعة شعثة أوشعبة،ومن ولده بنوعبدالله.وربما هو عبدالله الذي ذكره ابن الكلبي وابن حزم وابن خلدون،الذي كان يكفل زغبةورياح،ثم ناشرة بن هلال ومن ولده بنوعمر وظالم(1)،ثم عبد مناف ومن ولده مسعربن كدام الفقيه وأم المؤمنين زينب بنت خزيمة،والنزال بن صحبة له صحبة وحميد بن ثور الأرقط الشاعر،ثم نهيك بن هلال(2)،ومن بني نهيك قبيصة بن المخارق بن عبدالله بن شداد ابن معاوية بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال له صحبة ورواية،وابنه قطن بن قبيصة،وأبو جامع بن المخرق بن عبدالله بن شداد،ومن ولد عبدالله بن هلال أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هزم بن رؤيبة بن عبدالله بن هلال،ولبابة الصغرى أم عبدالله ابن العباس ولبابة الكبرى أم خالد ابن الوليد(3)،وهي بنت الحارث بن حزن رضي الله عنهما،وصفية بنت حزن أخت الحارث بن حزن عمة أم المؤمنين ميمونة،وهي أم أبي سفيان بن حرب بن أمية(4).ومن بطون بني هلال حسب ماذكره ابن حزم هم:بنوفروة بنوبعجة،الذين كانوا مستقرين بين مصر وإفريقية،وبنوحرب الذين كانوا مستقرين بالحجاز وبنورياح الذين أفسدوا إفريقية(5)،بينما ذكر بعض النسابة والمؤرخين العرب أن بطون بني هلال

---

(1) ابن حزم:جمهرة الأنساب-ص273-عمر رضا كحالة:معجم القبائل - ج1- ص708

(2) ابن الكلبي:جمهرة أنساب العرب-ص121-ابن حزم:جمهرة الأنسياب:ص273- عمر رضا كحالة:معجم القبائل-ج1-ص707- أبوالعباس أحمد بن خالد الناصري:كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى(الدولة المرابطين والموحدية)-تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري-مطبعة دار الكتاب- الدار البيضاء-1954-ص163

(3) ينظر إلى جمهرة أنساب العرب:ص 275-مؤلف مجهول:القبائل العربية-ج1- موقع أنترنيت:http://www.bawazir.com/arab-tribes-1.htm.p.03

(4) العبر:ج6- ص40- ابن الأحمر:تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان- تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة- ط1- مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع, بورسعيد 2001-ص05- محمد عبد الله عنان:عصر المرابطين والموحدين, ط1-القاهرة, 1964-ص297- عمر رضا كحالة:معجم قبائل القديمة والحديثة- ج1-ص707.

(5) عبدالله بن علي بن حميد:الجزيرة العربية قديما- مقالة-مجلة اليمامة- العدد7- السعودية- 1967-ص08 أحمد حسن الزيات:العرب ومواطنهم وطبقاتهم وقبائلهم المشهورة -ط6-دار المعرفة-بيروت-2000- ص16.

هم زغبة ورياح والأثبج وجشم وربيعة،والبعض الآخر أضاف عـــدي،ومن أحلافهـــم المعقل والخلط وسفيان في حين أشار بعض الباحثين أن بني هلال ينقسمون إلى الأثـــبج وجشم ورياح وزغبة،أما القبائل التابعة لها وهي المعقل وعدي(1).يطلق ابن خلدون على عرب بني هلال التي نزحت إلى بلاد المغرب بالعرب المستعجمة،بـــسبب أنهـــا فقـــدت اللسان العربي الفصيح نتيجة اختلاطها ببربرزناتة وصنهاجة(2)،ويرى كثير من النـــسابة المؤرخين في نسب بني هلال على قوم أبي زيد الهـــلالي الفـــارس المعـــروف في الأدب الشعبي،وهناك من ادعى الاختلاف في نسب بني هلال فمنهم من أقر انتسابهم إلى هلال بن عامر من منطلق الناس مأمونون على أنسابهم(3)،وإن لكل شيء أصلا نشأ منه،بمعنى أن إدعاء بني هلال أنهم من هلال بن عامر،لابد أن يكون له مستند يعتمد عليه.وجرت العادة أن العرب متعصبون لأنسابهم؛ إلا أن هناك من نفى صحة هذا النسب واعتبر أن ذلك مجرد تشابه في الأسماء(4)،وهناك آراء لبعض الباحثين حول نسب بني هلال تذهب إلى أن نسب بني هلال يعود إلى هلال بن عامر غير واحد،وقد استند هؤلاء الباحثون أن هذا النسب توارثه بنوهلال خلفا عن سلف،وأنهم من بني هلال بن عامر،وأن لهم بقايـــا اليوم تسكن في البرك والمناطق المحيطة به،وهي قبيلة كبيرة منها الحاضرة والبادية(5). وقد راجع أحمد الجاسر نسب بني هلال وقال:"...إن نسب الهلاليـــين حقيقـــي، ومجـــرد الجزم يبين له أن المنطقة التي يسكنها الهلاليون تدل اليوم على مدى توافقهم(6)

---

(1)عبدالله بن علي بن حميد:الجزيرة العربية–ص08–أحمد حسن الزيات:العرب ومواطنهم–ص16

(2)ينظر إلى العبر:ج6–ص13

(3)أحمد الجاسر:أنساب العرب– مقالة– مجلة اليمامة– العدد7– الـسعودية– 1967–ص27–عبـدالله بـن علـي بـن حميد:الجزيرة العربية –ص08–عمر رضا كحالة:معجم القبائل– ج3–ص 1220 1221

(4)عبدالله بن علي:الجزيرة العربية–ص08– أحمد الجاسر: أنساب العرب–ص27

(5)نفسه:ص08–أحمدالجاسر:أنساب العرب–ص27

(6)ينظر إلى:أنساب العرب–ص27

الاجتماعي والحضاري،بداية من شبه الجزيرة العربية ونهاية بالمغرب العربي..."(1).يبدو أن اسم هلال ليس مقتصرا على هلال بن عامر،وذكر الباحثون أن مجرد الجزم بخلو الجزيرة من بني هلال أمر توعزه الدقة إذ أن بني هلال لا يزالون يسكنون منطقة واسعة(2)،في تهامة في سواحل البحر الأحمر، والشرق في جبال الحجاز ومن بطونهم آل يحي و آل مقاري وآل جابر، وآل علي(3).إن قبائل بني هلال كانت تسكن في الجاهلية،وكذلك في صدر الإسلام بمكة ونواحيها،ويروي مؤرخو العرب أنهم كانوا نازلين في الحجاز فكانت توجد إثنتا عشر دارا لهم هنالك،وأن الغالب منهم على نواحي مكة(4)،فهناك أودية عرفت بأنها لهم مثل وادي جلدان في شرقي الطائف،ثم أسفل وادي تربة وكذلك ببشة أو بيسة وظهر تبالة على محجة اليمن من مكة،فأول موطن بني هلال عرف عبرالتاريخ هو نجد الحجاز،أو كما يسميه الهلاليون بأنفسهم في سيرتهم نجد العدية(5).لقد أطلق النسابون المؤرخون على العرب اسم الساميين نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام،وقسموا العرب إلى عرب عاربة بائدة،وعرب مستعربة باقية،فقالوا:العرب العاربة هم العرب الأولى الذين فمهم الله سبحانه وتعالى اللغة العربية ابتداء،فتكلموا بها فقيل لهم عاربة،أوبمعنى الراسخة في العروبية،أو بمعنى الفاعلة للعروبية والمبدعة لها،لما كانت أول من تكلم بها(6).

---

(1)ينظرإلى أنساب العرب–ص27

(2)نفسه: ص27–أحمدحسن الزيات:العرب ومواطنهم وطبقاتهم–ص16

(3) أبوالفوز المعروف بالسويدي:سبائك الذهب–ص31–أحمد الجاسر:أنساب العرب–ص27 –أحمد حسن الزيات:المرجع السابق–ص16

(4)أحمد الجاسر:أنساب العرب–ص27–أحمد حسن الزيات:المرجع السابق–ص17–د.رزولين ليلى قريش:سيرة بني هلال–ج1–ص02

(5)عبدالله بن علي:الجزيرة العربية–ص08

(6)أبوالفوز المعروف بالسويدي:سبائك الذهب–ص33–أحمد حسن الزيات:المرجع السابق–ص16

ونقلا عن الجوهري الذي قال:وقد يقال فيهم العرب العرباء والمستعربة الداخلون في العروبية من بعد العجمية،وهم بنوقحطان بن عابر بن إسماعيل عليه السلام(1)؛ لأن لغة عابر وإسماعيل كانت أعجمية إما سريانية أوعبرانية(2).فتعلم بنوقحطان العربية من العاربة ممن كان في زمنهم،وتعلم بنوإسماعيل العربية من جرهم ومن بني قحطان حين نزلوا عليه وعلى أمه بمكة(3).فالعرب المستعربة هم بنوإسماعيل عليه السلام الذي نزل بالحجاز حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد،ثم صاهر ملوك جرهم فكان له بنون وأعقاب،فلم يعرف لهم التاريخ منهم على التحقيق إلاعدنان،وإليه ينتهي عمود النسب العربي الصحيح(4)،وفي هذا الشأن ذكرالحسن الوزان"...أن **حكيما وهلالا من عرب نجد وينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ويعتبر المسلمون آل إسماعيل أشرف من السبئيين،ولذلك فإنه لما كانت القبائل لا تنقطع عن التنافر ونظم شعراء كل فريق قصائد منافرة يذكرون فيها مفاخر قومهم وفضائلهم وأمجادهم...**"(5).وأما الذين جاءوا إلى إفريقية فيدعون بالعرب المستعجمة.أوالعرب المتبربرة؛لأن لغتهم فسدت مع طول الزمن لمساكنتهم أمة أجنبية فأصبحوا برابرة(6). ومن أشهر القبائل العدنانية ربيعة ومضر ومن مضر تشعبت قيس عيلان(7)

---

(1) أبو الفوز:سبائك الذهب-ص33-أحمد حسن الزيات:العرب ومواطنهم -ص42

(2)ابن الأثير:الكامل في التاريخ-ج2-ط6- دار صادر- بيروت- 1995-ص32

أحمد حسن الزيات:العرب ومواطنهم-ص 42-

(3) أحمد حسن الزيات:العرب ومواطنهم -ص42-أبو الفوز البغدادي:سبائك الذهب-ص33

(4) ينظر إلى:وصف إفريقية-ص57

(5)نفسه:ص57 السلاوي:الاستقصاج2-ص16

(6)أبو الفوز المعروف بالسويدي:سبائك الذهب ص.ص 31- 32-

(7) مؤلف مجهول:قبائل بني هلال من حضرموت إلى نجد ثم فلسطين ثم المغرب العربي-من موقع أنترنيت:http://www.Hdramut.net/vb/showthread.php.p02-أحمدا لجاسر:أنساب العرب-ص27-القبائل العربية-من موقع الأنترنيت:فوازير (bawazir)-ص03

ومن أشهر بطونها هوازن*،التي تنتسب إليها حميان وبنوعامر وبطونها.والغالب على الظن أن يكون لحميان وبني عامر امتدادات إثنية في شبه الجزيرة العربية.ومن خلال امتداد نسب حميان وبني عامر وبطونها إلى عدنان،فمعنى ذلك أن حميان وبني عامر تنتسب إلى عرب بني هلال العدنانية،وبالتالي فهي من العرب المستعربة،وليست العرب العاربة.بينما تشير بعض الدراسات التاريخية أن هناك قبائل هلالية ليست عدنانية،وإنما قحطانية تسكن حضرموت،وهي بطن من مذحج،وبالتحديد من النخع(1)،والنخع ومذحج هما من قبائل شبوة التاريخية،وليست لها علاقة بهجرة بني هلال العدنانية(2)،وكان بين مذحج وبين بنوهلال حلف،وكان قدومهم إلى هينين في القرن الرابع أو الخامس الهجري(3)،وكانت هينن قبل ذلك لتجيب من كندة،وأما انتساب بعض أهل المغرب الإسلامي لقبيلة حضرموت،فهذه هجرات قديمة إلى المغرب إبان الفتوحات الإسلامية ولا علاقة بين تسمية الحضرمي في المغرب ووجود بني هلال(4)،وأنه لايثبت تاريخيا أية هجرة لبني هلال من حضرموت إلى المغرب(5).وإذا كانت مضرمن عدنان.

*هوازن:يجمع المؤرخون وأصحاب المعاجم أن هوازن من أعظم القبائل العربية،وأكثرها خطرا في الجزيرة العربية ،فهي تنتسب إلى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان،ولهوازن أجنحة كثيرة جدا،ومن أهم هذه الأجنحة ثقيل سكان الطائف وما حوليها،وكعب وكلاب،وبنوهلال وبنوعامربن صعصعة،وبنوجشم وبنونصر،وتجمع هوازن أجرام رئيسية ثلاثة كلهم لبكربن هوازن وهم:بنوسعد بن بكر،وبن ومعاوية بن بكر،وبنومنبه بن بكر،وهوازن من حيث القوة والعدد يضاهون قبائل غطفان النجدية الشهيرة التي حاربت الرسول(صلع) في عدة مواطن،وحاصرت المدينة مع قريش عام الأحزاب،أما مواطن هوازن فهم يحتلون مساحات شاسعة في الجزيرة العربية.ينظر إلى:محمد أحمد باشميل:غزوة حنين-ط3-دارالفكرللطباعة-بيروت-1983-ص.ص41-42

(1) مؤلف مجهول:القبائل العربية-ص03

(2)أبوالفوز المعروف بالسويدي:سبائك الذهب-ص33

(3)مؤلف مجهول:القبائل العربية-ص03

(4)أحمد حسن الزيات:العرب ومواطنهم-ص42

(5)مؤلف مجهول:القبائل العربية-ص03

فإن حميان وبني عامر إذا تنتسب إلى العرب المستعربة،وبالتالي فهي من عرب شمال الجزيرة،التي لم يظهر لها مجد ذوبال إلا في ظل الإسلام،وكانت العرب المستعربة تكون بدو الجزيرة(1)،وفي هذا الشأن تقول روزلين ليلى قريش "...وأنساب بنو هلال طويلة،**تشهد بأنهم ينحدرون من عدنان جد القبائل العربية الساكنة شمال جزيرة العرب في غابر الزمان والمتميزة عن القبائل القحطانية في جنوبها،وذلك منذ بدء تاريخ الحضارة العربية...**"(2)ويقال من أخلاق بني هلال أن معارفهم هي معارف الجاهلية من عناية بالأنساب(3)،ويبدو أن حميان وبني عامر قد ورثوا رابطة النسب عن أسلافهم عرب بني هلال،لأن النظام القبلي الخاص بالبداوة أوجب أن يرتبط أفراد القبيلة بعضهم بعض برباط النسب والعصبية الشديدة للقبيلة(4)،والعرب في الجاهلية كان لهم فريد اعتناء بضبط النسب ومعرفته بأنه احد أسباب الألفة والتناصر،وهم كانوا أحوج شيء إلى ذلك حيث كانوا قبائل متفرقين وأحزابا مختلفين لم يوجد من يقهرهم ويكف الأذى عنهم فحفظوا أنساهم ليكونوامتظافرين به من حقوقهم(5)،وعندما احتل الإستعمارالفرنسي الجزائر ولأغراض استعمارية بحتة،انكب ضباط مكاتب الشؤون العربية على تدوين تاريخ حميان وبنوعامر،وحاولوا تحديد نسب وأصل حميان وبنوعامر معتمدين على المصادر التاريخية العربية،وعلى مادونه النسابة والمؤرخين ،وعلى المصادر الشفاهية التي ساهم فيها الشيوخ وكبار السن والقياد والمتعاونين مع الاحتلال الفرنسي.

(1)د.أحمد شلبي:نفس المرجع السابق –ص93

(2) ينظر إلى سيرة بني هلال –ج1–ص.ص1–2

(3)نفسه:ص93– مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث–ج2–ص188–أحمد توفيق المدني:المرجع السابق–ص138

(4)دة سهير عبدالعزيز محمد يوسف:الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي –38

(5)د.أحمد الخشاب:التفكير الاجتماعي–ص222

ب-كتابات ضباط شؤون المكاتب العربية:

في سنة 1837م أنشأت وزارة الحربية الفرنسية لجنة باسم اكتشاف الجزائر العلمي،وقد قامت بنشر دراسات هامة في التاريخ وعلم السلالات،وكذلك قام العديد من الأفراد يبحثون وينشرون أعمالهم في التاريخ المحلي،وعن اللهجات والطرق والنظم وطبائع السكان والزوايا والحياة القبلية والمدن(1).وبعد أن توجت انتصارات الماريشال بوجو(Bugeaud) على القوات المغربية في موقعة إيسلي بالحدود المغربية خلال صيف 1844م(2)،بمعاهدة طنجة في 10سبتمبر1844م(3) التي نصت على محاصرة ثورة الأمير عبدالقادر بالحدود الجزائرية المغربية غربا،والقضاء عليها ثم بعد ذلك إنهاء الخلاف المغربي الفرنسي،فكانت نتيجة الخلاف التوقيع على معاهدة لالامغنية بين الدولة الفرنسية والمملكة المغربية لرسم الحدود بين الدولتين في 18/مارس/1845م،وبموجب هذه المعاهدة رسمت الحدود بينهما،وحدد معها مصير بعض القبائل المتاخمة أو المنتشرة على خط الحدود،ومن بينها قبيلة حميان وأولاد سيدي الشيخ(4).ونصت المعاهدة كذلك على أن الشرط الرابع أن الحدود هي مرعى فقط لعرب الإيالتين التي تنزل فيها وتنتفع بخصبها ومائها،ولكلا السلطتين الحق في التصرف في رعيته كيف ماشاء من غير معارض.وإلا فمن أراد إحداث أمر في رعيته حالة اختلاطها برعية غيره،فليكف عن غير رعيته،ويحدث في رعيته مايشاء،فالأعراب الغربية هم المهاية وبني غيل.

---

(1)د.أبوالقاسم سعد الله:أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر-القسم الأول-ط2- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر-1981-ص14

(2) Fery:Bugeaud d'Isly;lettres inédites du Maréchal Bugeaud.Duc d'isly1809-1849; paris; 1922; pp.276-283

(3)د.إبراهيم مياسي:من تاريخ أولاد سيدي الشيخ(الثورة الأولى 1864م/1881م)- مقالة، مجلة الثقافة،العدد114-الجزائر1997, ص118

(4)د.إبراهيم مياسي:من تاريخ أولاد سيدي الشيخ- ص118-د.يحي بوعزيز:ثورات الجزائر-ج1-ص180

وأولاد سيد الشيخ الغرابة،وعمور الصحراء وحميان الجنبة،أما الأعراب الشرقية هم أولاد سيد الشيخ وكافة حميان من غير حميان الجنبة(1)،ويبدو أن من نص المعاهدة أن فرنسا كانت تريد الحد من تحركات حميان وترحالها في اتجاه المغرب الأقصى حتى لا تشكل خطرا يهدد أمنها في الجزائر،وفي نفس الوقت إقحام ودفع حميان إلى الدخول في نزاع بينها والقبائل المغربية المجاورة لها،ولم يكن الغرض من هذه المعاهدة هو تنظيم حميان كما كانت تدعى في تقاريرها الرسمية،وإنما كان هدفها هو التحكم في قبيلة حميان،أو تفكيكها إلى أجزاء متناحرة،ولم تستثن هذه المعاهدة كذلك القصور المتاخمة للحدود المغربية،بل شملت القصور الداخلية الواقعة في التراب الجزائري حيث جاء في نصها أن قصور فقيق وسفيسفة وعين الصفراء،وتيوت ومغراروبوسمغون والشلالة،هي قصور تابعة للدولة الفرنسية(2).وبعد أن حلت القوات الفرنسية بقيادة الجنرال كفيناك ورونو بمنطقة الهضاب العليا الغربية في أفريل سنة1847م(3) في مهمة استطلاعية،قررت فرنسا الاستعمارية إحتلال الصحراء الجزائرية؛لأن الهضاب العليا الغربية الجزائرية في نظر الإستراتيجية الفرنسية هي بوابة الصحراء التي تسمح بالاحتلال الكامل للجزائر وبالتالي ربط الجزائر بمستعمراتها التي تقع في جنوب الصحراء الكبرى،وهي الدول الإفريقية. الواقعة في غرب ووسط إفريقيا كالسنيغال ومالي والنيجر وتشاد(4).

---

(1)د.إبراهيم مياسي:تاريخ أولاد سيد الشيخ-ص118-د.يحي بوعزيز:ثورات الجزائر -ج1-ص288-د.أبو القاسم سعدالله:الحركة الوطنية الجزائرية(1860-1900م)-ج1-ط1-دار الغرب الإسلامي-بيروت-2000-ص155-
E.Graulle(c) :l'hnsurrection de bouamama ; Avril1881-paris-1905-pp05-09

(2)د.إبراهيم مياسي: تاريخ أولاد سيد الشيخ-ص118

(3) Noèl:Documents pour servir à l'histoire de hamyans et la région qui'ils occupent bsgo;t35;1915-1916;p134

(4)د.إبراهيم مياسي:توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري(1881م 1912م)-مطبعة الرويبة- الجزائر- 1996 - ص33-د.يحي بوعزيز:ثورات الجزائر-ج1-ص278

لقد جاء في المراسلات الرسمية الفرنسية أن قبيلة حميان تستقر بمنطقة المشرية،تتميز بكثيرة العدد وتنقسم إلى قسمين:حميان الغرابة وهي الشفاعة،والرزاينة*وحميان الشراقة وهي الطرافي التي تستقر بمنطقة البيض.كما نصت هذه المراسلات على أن تقسيم حميان يعد ضرورة ملحة فرضتها الظروف السياسية والإستراتيجية(1).ولمعرفة واقع حميان وظروف معيشتها جندت فرنسا لهذا الغرض مجموعة من ضباط الاستطلاع والاستكشاف* من أجل كتابة تقارير مفصلة عن قبائل منطقة الهضاب العليا الغربية الجزائرية،وأطلقت فرنسا على هذه المنطقة تسمية الجنوب الوهراني(2)والغالب على الظن أن الغرض من هذه التقارير لم يكن من أجل كتابة تاريخ قبائل المنطقة كتابة علمية،وإنما كان هدف الإدارة الفرنسية ووزارة الحربية الوقوف على مواطن ضعف وقوة هذه القبائل في تنظيمها الاجتماعي والاقتصادي،والتعرف كذلك على عاداتها وتقاليدها ولهجاتها ونمط معيشتها ومعتقداتها،ثم علاقات القبائل فيما بينها،وذلك من أجل وضع مخطط لاختراقها.يستنتج من خلال تقارير الإدراة الفرنسية،أن فرنسا كانت تنوي احتلال الهضاب العليا الغربية حيث جاء في هذه التقارير أنه لمن الضروري أن تكون المعلومات والتي سبقت،وربما كان نوال (Noèl)يقصد المعلومات المتعلقة بقبيلة حميان،التي كان يعرفها الجنرال دولاري(De la rue)المكلف بالتفاوض في سنة 1845م حول الاتفاق القاضي بتثبيت الحدود(3)، ولكن يضيف نوال أن دولاري انتقل في ظروف غير مشجعة،ومع ذلك نجح في مهمته، وكان إطلاعه على الوثائق الخاصة بقبيلة حميان ضعيفا مما جعله يتعرض لصعوبات

---

*لم تكن قبيلة الرزاينة مستقرة بمنطقة المشرية سنة1847م،وإنما نزحت إليها ابتداء من سنة1906م

(1)د.إبراهيم مياسي:توسع الإستعمار الفرنسي– ص33

(2)Noèl :op.cit.p134

*من بين ضباط الاستطلاع الفرنسي الذين ألفوا كتبا عن حميان أوجان دوما في مؤلفه الصحراء الجزائرية

(3)Djillali sari:op.cit.p24

خاصة فيما يتعلق بموضوع صلاحيات فرنسا على مجموع حميان الغرابة،وفي الوقت الذي طالبت فيه السلطات المغربية بضم حميان الجنبة،حدث سوء التفاهم بين فرنسا والمغرب حول مصير حميان خاصة بطونها المتخامة للحدود المغربية الجزائرية(1) كتب الجنرال لامورسير(Lamoricière) تقريرا إلى وزارة الحربية الفرنسية في1846/01/04م دون أن يميز بين حميان الشفاعة والجنبة بقوله:"**...إن قبيلة حميان لم تخضع لنا ولكنها قبيلة جزائرية,ولم ننوي بعد إحتلال الهضاب العليا في الوقت الراهن ،ورغم التوقيع على معاهدة لالا مغنية،إلا أن ذلك كان في حدود الضيافة،ومن أجل تحديد قبائل الجنوب التي من حقنا أن ندافع عنها كون أنها جزائرية،وليس الاعتراف بها كقبائل مغربية...**"(2).والسبب الذي دفع لامورسير أن يكتب هذا التقرير وذلك بناء على المعلومات التي قدمها أعيان الأهالي مثل قايد تلمسان حمدي كسال وأغا جبل الغرب العربي بن عبدالله، ومن السهل على المفاوضين المغاربة تضليل وبنية حسنة المفاوضين الفرنسيين(3) ويلاحظ أن تقرير لامورسير قد شمل حميان الشفاعة والجنبة معا دون تمييز،واعتبرها قبيلة جزائرية وليست مغربية(4)،وربما كان هدف فرنسا من هذا التقرير هو ضم قبيلة حميان لغرض اقتصادي وسياسي.وكذلك استغلال وضع حميان على الحدود الجزائرية المغربية كورقة ضغط ضد المغرب الأقصى،والحد من تعاون حميان مع الأمير عبد القادر.لقد تعرضت معاهدة لالامغنية إلى أن حميان الجنبة تبقى تابعة للمغرب الأقصى،بينما تبقى حميان الشفاعة تبقى تحت سلطة فرنسا.وربما قد يحدث هذا التمييز وضعا صعبا.

(1) Noèl:op.cit.p194

(2) Ibid:p195

(3) Noèl:op.Cit: p195

(4) Ibid :p195

وفي الواقع فإن المادة السابعة من المعاهدة تعتبر مادة مهدئة(1)،وفرنسا على استعداد لتقبل أي عدد من حميان الجنبة،إن الدولة المجاورة قد اعتدت على السلطة الفرنسية،ويستهدف هذا التحفظ خاصة حميان الجنبة،وفي هذا الأمر كتب الجنرال بليسيه(Pélissier)"...إن معاهدة 1845م قد تركت في المناطق الصحراوية عدة خروقات،فحميان الجنبة هم فرع من حميان الغرابة، تحل بالمغرب وفي نفس الوقت تخيم بالجزائر،وكانت حميان الشفاعة تقوم بالتموين من الشرق؛أي من الجزائر في العهد التركي،وكذلك في عهد الأمير عبدالقادر،وكانت حميان الشفاعة تدفع الزكاة للجزائر الضريبة لتلمسان..."(2).يستنتج من نص بيليسه أن معاهدة 1845م حاولت أن تتغاضى عن حميان على أساس أنها قبيلة جزائرية.وقد جاء بيلسيه بأدلة تاريخية يريد من خلالها يؤكد أن حميان قبيلة ليست مغربية وإنما هي جزائرية،كلفت الإدارة الاستعمارية الفرنسية ضباط المكاتب الشؤون العربية بكتابة تاريخ حميان وكل ما يتعلق بثقافتها الشعبية،ووضعها السياسي والاجتماعي والاقتصادي؛لأن فرنسا كانت تدرك وزن حميان السياسي والاقتصادي والاجتماعي في المنطقة،فكانت حميان من بين القبائل الثلاثة الكبيرة التي كانت تؤثر سياسيا واقتصاديا في منطقة الهضاب العليا الغربية الجزائرية(3)،ومن بين الضباط الفرنسيين الذين كتبوا عن قبيلة حميان نوال(Noèl)* الذي قام بدراسة مونوغرافية،معتمدا في كتاباته على المصادر التاريخية العربية

(1) Noèl :op.cit.p1985

(2) Ibid:p195

(3) Djillali sari:op.Cit.p24- Noèl: op.cit.p13

*نوال:(Noèl)كان ضابطا في الجيش الفرنسي برتبة نقيب،كان يشغل منصب قائد مكتب الشؤون العربية بسبدو،وكلف بكتابة تاريخ حميان،أن قبيلة حميان كان مجالها الجغرافي يتجاوز حدود الجزائر،إلى الأراضي المغربية،وقد استعان حسب قول نوال في كتاباته بالقياد،وشيوخ قبيلة حميان،وعلى المصادر التاريخية،وقد تناول نوال هذه المعلومات في كتابه،ينظر إلى:Documents p138

والمصادر الشفاهية،وكذلك الضباط الفرنسيين الذين توافدوا على المنطقة خاصة بعد ثورة أولاد سيد الشيخ سنة1864م وثورة الشيخ بوعمامةسنة1881م.وذكر في كتابه أن بني هلال ينقسمون إلى خمسة فروع:الاثبج وجشم ورياح وزغبة والمعقل،وقال:"...**إن حميان تنتسب إلى بني يزيد بن عبس بن زغبة...**"(1).التي تشكل الفرع والعائلة الكبيرة من بين فروع زغبة،وأشار نوال في كتابه أنه اقتبس هذه المعلومات من مصدر ابن خلدون،واستعان كذلك بمحمد أبوراس بن أحمد بن عبدالقادرالناصري صاحب كتاب أخبار تاريخية عن إفريقية الشمالية،وكذلك على كتاب أوجان دوما(E.Daumas) الذي يحمل عنوان الصحراء الجزائرية،وعلى فليكس جاكو (Jacquot Félix) وتروملي (Trumelet)،وغيرهم من الضباط سنة1881م.وعلى المراسلات الرسمية.ورغم أن كتابات وتقارير ضباط مكتب الشؤون العربية* كانت تهدف إلى تحقيق أغراض استعمارية وكانت في مجملها كتابات وصفية،تنتقي ما يخدم السياسة الاستعمارية الفرنسية،إلا أنها ألقت الضوء على واقع حميان التاريخي والاجتماعي والاقتصادي والاثني،وبالتالي يمكن الاستفادة منها واستنباط ما يخدم موضوع الدراسة،ويبدومن كتابات نوال(2) أنه كان يجهل قبيلة حميان وتاريخها، من خلال السؤال الذي طرحه ماهوتاريخ حميان بن عقبة بن عبس بن زغبة؟ وفي إجابته عن هذا السؤال يبدو أن نوال اعتمد في كتابه طريقة الجمع بين ماجاء في المصادر.

---

(1) Noèl:op.cit.p132 – وهي نفس شجرة النسب التي ذكرها ابن خلدون في كتابه ديوان الميتدأوالخبر.

*كانت مكاتب الشؤون العربية وسيط بين السلطة الفرنسية وزعماء لأهالي، تأسست هذه المكاتب بموجب قرار وزاري صدر بتاريخ فبراير1844م،وانشئت مكاتب عربية في كل مقاطعة وخاصة في إقليم الجنوب وعلى رأس هذه المكاتب ضباط برتبة رائد أونقيب،يساعده نائبان برتبة نقيب أو ملازم، مع كاتب ومترجم وقائد من الأهالي،ينظر إلى:-J.Duval A.warnier:bureaux arabes et colons paris -1869- p122.وكذلك إلى د.إبراهيم مياسي:من تاريخ أولاد سيدي الشيخ– ص 123.

(2) Noèl :op.cit.p132

التاريخية والمصادر الشفاهية التي تناولت بني هلال ،بقولـــه:"...لقـــد تمـــسكت بـــرأي أشخاص أهل ثقة ومودع أمانـــة،وكان هـــؤلاء علـــى علـــم بتقاليـــد وعـــادات حميان..."(1).ولكن لم يذكر نوال مكانة هؤلاء الذين وضع فيهم الثقة في قبيلة حميـــان ومركزهم الاجتماعي،ربما كان هؤلاء يمثلون شيوخ فروع قبيلة حميان أو القياد.تعـــرض نوال(Noèl) في كتابه إلى مجموعة من المصادر الشفاهية التي لايزال بعضها يتردد علـــى ألسنة عامة الناس،وبعضها الآخر تعرض للنسيان بسبب غياب الجمع والكتابة والتدوين وقلة البحث(2)،وبالتالي تبقى المنطقة مجهولة تاريخيا،ومن ثمة فإن كتابات ضباط المكاتـــب الشؤون العربية التي تناولت قبيلة حميان تعتبر إسهامات في ميدان التاريخ المحلي،رغم أنها لم تعالج قبيلة حميان وبنوعامر في فترة موضوع الدراسة،وما يلاحظ على هذه الكتابـــات من وجود بعض النقائص كالربط بين الحلقات التاريخية منذ نزوح حميان وبني عـــامرمن الحجاز وبلاد الشام إلى غاية صحراء تلمسان،ولم تفرق بين الموطن والنسب،ولم تتعرض إلى الأسباب السياسية أوالإقتصادية والاجتماعية التي أدت إلى نزوح قبيلة حميان وبـــني عامر إلى صحراء تلمسان.عمدت السلطة العسكرية الفرنسية إلى تقسيم حميان الغرابـــة إلى قسمين:حميان الشفاعة وهم:عكرمة،أولاد منصورة وأولاد خليف البكـــاكرة وبـــني مطرف(3).أماحميان الجنبة هي:أولاد سرور والمغاولية والسندان،المقان وأولاد مبارك وبنو عقبة(4)،ويتفرع بنوعقبة بدورهم إلى أولاد تومي وأولاد فارس والفراهدة والغياثرة،وهم بدورهم ينقسمون إلى أولاد مسعود وأولاد أحمد(5).

---

(1) ينظر إلى: Documents pour servir à l'histoire de hamyans-p139.

(2) Noèl :op.cit.p139

(3) Ibid.p139

(4) Ibid.p140

(5) Ibid:p140

ب1-حميان الغرابة:

ب 1.1حميان الشفاعة*: عكرمة التي قيل عنها أنها كانت تشكل قبيلة واحدة قبل الوجود العثماني في الجزائر وذلك قبل سنة1554م(1)،ثم انقسمت إلى ثلاث فروع خلال الحكم العثماني في الجزائر وكان ذلك مابين 1554م- 1830م.فالفرع الأول استقر بضواحي فاس،والفرع الثاني استقر بمعية حميان الشراقة الطرافي بالبيض(2).وقيل أن عكرمة كان من بين فرسان سيدي معمربلعالية،واستقربأربوات*،والفرع الثالث انضم إلى حميان الغرابة بمقاطعة المشرية(3).يخلص صاحب المصدر الشفهي الذي نقل عنه ضباط مكتب الشؤون العربية إلى أن عكرمة تنتسب إلى عكرمة منطقة البيض(4)،وأن نسبهم يختلف عن بني مطرف،ولاينتسبون إلى حميان الشفاعة،وكانت زغبة تستقر مابين عنابة ووجدة في السهوب والسهول،فكانت حميان الشفاعة تستوطن في شرق عنابة(5)،وفي غربها كانت تستوطن بطون بني يزيد.ويبدو من المصدر الشفهي أن الجنبة هي حميان التي تمثل السندان وعكرمة والتي تنتسب إلى جد واحد وهو عقبة بن يزيد بن عيسى أو عبس بن يزيد في بعض نسخ ابن خلدون.وتشترك بنوعامر وبنوعلي في جد واحد.

---

*يعود نسب بطون حميان الشفاعة إلى بني عامر الشفاعة،ولكن يبدو أن الضباط الفرنسيين أخلطوا بين بني عامر بن شافع وحميان؛لأن ابن خلدون في كتابه العبر لم يذكر أن حميان هو بن شافع،وإنما قال عامربن شافع،ومن ثمة لا يوجد مايسمى بحميان الشفاعة.ينظر إلى العبر:ج6-ص41و51

(1) نفسه:ص134

(2) Jacquot Félix:op.cit.p282; Noèl:op.cit.p134

*أربوات:هي جمع لقصرين من قصور بني عامر،وهما:أربا الفوقاني وأربا التحتاني،يقعان بمنطقة البيض،وتعتبر أربوات من أقدم قصور المنطقة،وقد ذكرها ابن عذارى في البيان الفتح الإسلامي الأول للمغرب الأوسط،وأثناء الصراع الفاطمي الزناتي،حينما لجأت زناتة إلى أربا للاحتماء من الفاطميين.ينظر إلى البيان-ج1-ص156

(3) Noèl:op.cit.p139

(4) Ibid :p139

(5) Ibid:p139

وهو ناهيك بن هلال(1).ويخرج صاحب المصدر الشفهي بنتيجة أن عكرمة هم إخوة الجنبةوالسندان،ويقول أنهم لا ينتسبون إلى حميان الشفاعة،وكانت حميان في حرب ضد جيرانها بني رياح قبل أن تستوطن منطقة عنابة،فاستنجدت رياح ببني عامر،وانتصرت رياح على حميان،مقابل أن تدفع رياح لبني عامرخفارة سنوية والتي قدرت بألف غرارة(2),ويلاحظ أن صاحب المصدر الشفهي قد ذكر عكس ماجاء به ابن خلدون أن حميان من جملة بني يزيد هي التي استنجدت ببني عامر عندما أرادت رياح السيطرة عليها،وكانت تريد موطن حميان عندما كانت متجاورة مع بني يزيد؛أوربما كانت ترجمة ضباط مكتب الشؤون العربية للمصادر الشفاهية غير دقيقة.وتذهب بعض المصادرالشفاهية التي دونها الضباط الفرنسيون أن دوار أولاد علي قدموا من فقيق*أما الرماضنة فقد جاءوا من قصر قصبي بواحة قورارة*(3).أما بالنسبة لأولاد سالم أو بوسالم ويطلق عليهم أيضا اسم أولاد عامر فإنهم ينقسمون إلى فرعين:فرع أولاد سالم وينسبون إلى عكرمة الأحرار أو الحقيقيين،وقيل أن أصلهم قريشي.والذي استوطن الهضاب العليا الغربية سنة1032م(4)،بينما دوارالقنادزة فينحدرون من أولاد سيدي يحي بمنطقة البيض،ويروى أن يحي خرح عن قبيلته بسبب أنه ارتكب جريمة قتل،ولجأ إلى قبيلة عكرمة طالبا الحماية.يستخلص من هذه المصادر التاريخية التي دونها ضباط المكاتب العربية أن عكرمة هي مزيج من عدة قبائل وفدت من عدة مناطق من المغرب الأوسط.

---

(1) Noèl :op.cit.p:p140

(2) Ibid.p144

(3) Ibid:p144

*فقيق:هو مجموعة قصور تقع في الجنوب الشرقي من المغرب الأقصى, وهي متاخمة للحدود الجزائرية المغربية, وهي قريبة من قصر بني ونيف, بحيث تبعد عنه بحوالي عشرة كلم.وكان من بين مواطن مطغرة الزناتية في القديم ينظر إلى العبر:ج6 ص-45

*قورارة:قصر من قصور منطقة توات بالصحراء الجزائرية، وكان لهذا القصر علاقة تجارية مع قبيلة حميان

(4) Noèl:op.cit.p145

أما أصل أولاد حمو فيعود إلى الجعافرة*الذين يقطنون منطقة سعيدة(1).وتشير مصادر الضباط الفرنسيين أن دوار الدهاليز هم في الواقع رعاة جاءوا من زاوية القنادسة التي تقع قرب بشار،مارسوا حرفة الرعي عند قبيلة عكرمة،وقيل أن فرد من الدهاليز قد وجد قطعة من حديد على شكل هلال قيل أنها سقطت من السماء(2).

ب1. 2أولاد منصورة: يتشكلون من أولاد منصورة والخلاخيل الذين جاءوا من منطقة الساقية الحمراء*،ينتسبون إلى عرب موشة،بينما يعود نسب النقاقزة إلى أولاد الطريفة،والصحابة إلى قبيلة الجعافرة التي تسكن منطقة سعيدة،أما أولاد بلاغ فينحدرون من عرش أولاد بلاغ الذين استقروا بسعيدة(3)،في حين ينتسب البرانية أوالبراني إلى أولاد سيدي محمد بن سليمان الذين استقروا بمنطقة البيض،وكذلك إلى أولاد سيدي موسى الذين استوطنوا بوجدة،ويعيش رفقة دوار الشوارب بعض الخيام من قبيلة الرزاينة ومهايا وبني قيل(4).يلاحظ من خلال هذا المصدر التاريخي أن أولاد منصورة،

*الجعافرة:بطن من بني الحسن السبط من بني هاشم من العدنانية وهم بنوجعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العاين من الحسين السبط وجعفر هذا من الأئمة الإثنى عشر عند الإثنى عشرية وهم أبناء علي بن أبي طالب(ض)ثم ابنه الحسن السبط ثم أخوه الحسين السبط ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر وابنه جعفر الصادق ثم ابنه موسى الكاظم ثم ابنه ع الرضا ثم ابنه محمد الجواد وابنه عي الهادي ثم ابنه الحسن العسكري ثم ابنه محمد المهدي وهو الثاني عشر,وهم يعتقدون أنه حي وينتظرون خروجه،وكان له من الولد موسى الكاظم ومحمد الديباجة،فأم موسى فكان على زي الأعراب ميلا إلى السواد.*الجعافرة:فهم بطن من الطالبين من بني هشام العدنانية وهم بنوجعفر الطيار بن أبي طالب وهو الذي قطعت يده يوم موته فأخبر الرسول(صلع) أن الله تعالى جعل منهما جناحين ليطيرهما إلى الجنة ولذلك قيل له الطيار.*الجعافرة:وهم بطن من بني عامربن صعصعة من العدنانية وهم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وهم أبناء عمومة حميان وقد ذكرهم الجوهري في الصحاح.ينظر إلى العبر: ج6ص.ص 45–46القلقشندى:نهاية الأرب وأنساب العرب–ص07

(1)Noèl :op.cit.p145

*الساقية الحمراء:وهي منطقة تقع جنوب المغرب الأقصى، والتي تسمى اليوم بالصحراء الغربية.

(2)Noèl.op.cit:p146

(3)Ibid:p146

(4)Ibid:p146

لاينتسبون إلى حميان،وإنما هم مزيج من عدة قبائل وفدت من مناطق مختلفة من بلاد المغرب،وقد سبق لابن خلدون أن أشار إلى حدوث الاختلاط في الأنساب.

ب1. 3أولاد خليف:يعود نسب دوار بني سليمان وأولاد عمر إلى أولاد الخروبي الشراقة،بينما دوار العبابدة فيرجع نسبهم إلى أولاد معلى الذين يستقرون بمنطقة البيض،أما أولاد الطاهر فينتسبون إلى أهل أنقاد الذين يسكنون منطقة العريشة ويسمى أحد فروع هذه الدواوير بالبكاكرة،الذي ينتسب إلى أولاد الحاج القاطنين بالمغرب (1).

ب1. 4:بنومطرف: فيعود نسب دوار*المعاشت إلى أولاد داود وهم بطن من الجعافرة المستقرين بسعيدة،بينما يرجع نسب المسعادات إلى الساقبة الحمراء.عكس ماذكره ابن خلدون الذي تناول نسب بني مطرف كما جاء في المصادر التاريخية حيث نص المصدر على أن بني عامر هم الشفاعة(2).ولم يذكر أن حميان هم الشفاعة،وجاء كذلك في مصدر الضباط الفرنسيين أن حميان جاءوا رفقة بني عامر وكانوا دائما إلى جانبهم،ولذا سميت حميان بالجنبة،وهذا ماذكره ابن خلدون أن حميان تبعت بني عامر وأصبحت في تعدادهم(3)،وتذهب المصادر الشفاهية أن دوار القطيط يرجع نسبه إلى هوارة التي تستقر بشرق المغرب الأقصى،وقيل أنه سمي بالقطيط؛لأن جدهم كان يتميز بالقطاية، وهي ترك جزء من الشعر بعد أن يتم حلقه مصادر الضباط الفرنسيين أن بني مطرف ينتسبون إلى الشفاعة الحقيقيين وهم بنوعامر وليس إلى حميان ويعرفون بأبناء الشفاعة،حيث يعود نسبهم إلى عامربن زغبة بن علي بن نهيك بن زغبة(4).

---

(1) Noèl :op.cit.p147

*دوار:معناه مجموعة عائلات تنتسب إلى جد واحد سواء كان حقيقي أو وهمي،أو مايطلق عليها أيضا العشيرة أوالقبيلة

(2) ينظر إلى العبر–ج6–ص51 Ibid:p190

(3) Noèl:op.cit. p190

(4) العبر:ج6–ص51–Ibid:p190

يبدو أن هذا المصدر هو أقرب إلى الصحة بالنسبة لرواية ابن خلدون،وزبدة القول أن بني مطرف هم بطن من بني عامر الشفاعة،وليست من حميان الشفاعة.

ب1. 5أولاد عطية:فقد وفدوا من منطقة بني سنوس* أما دوار العواشيرفينتسب إلى أولاد الحاج المستقرين بالمغرب الأقصى،وبالتحديد بمنطقة دبدو*وكان ذلك قبل الحكم العثماني للجزائر،ربما كان أثناء الحملات العسكرية للسلطان المغربي مولاي إسماعيل.وكان أولاد عطية يرتحلون في كثير من الأحيان إلى وادي الناموس*(1).إلا أن هذا يختلف عن ماجاء في العبر أن أولاد عطية هم من دريد من الأثبج،وبالتالي فإن أولاد عطية لاعلاقة لهم بحميان من حيث الانتساب إلى بني يزيد.

ب1. 1البكاكرة:نسبة إلى جدهم بكار،وتتكون من مجموعة دواوير أوعشائروهي أولاد سالم والموالك الذين وفدوا من الساقية الحمراء،وسمي هؤلاء بالموالك نسبة إلى جدهم مالك الذي جاء إلى منطقة الهضاب العليا الغربية ،واتصل ببكار وامتهن عنده حرفة الرعي،بالإضافة إلى دوار دعماش أو الدعامشة*الذين وفدوا من قصر دعماش الذي يقع بمنطقة قورارة،ولقب جدهم بهذا الاسم لأن عيناه كانت رميصة،ودوار رزازقة الذي يعود نسبه إلى مراكش،وكان يسمى جدهم الأول برزوق،ثم أولاد رحمة وجاءوا كذلك من مراكش،وكان جدهم يسمى بعلي وعندما توفي ترك أبناءه صغارا.

---

*بنو سنوس:منطقة جبلية تسكنها قبائل زناتية تقع بإقليم تلمسان.

*دبدو:منطقة تقع بالمغرب الأقصى

Noèl:op.cit.p191(1)

*واد الناموس:منطقة تقع شمال شرق قصر بني ونيف، تنتمي إداريا إلى ولاية بشار، وقد اتخذها الاستعمار الفرنسي كمركز عسكري إبان الاحتلال الفرنسي، وكان أيضا سجنا من السجون الفرنسية

*وجاء في رواية ابن عودة المزاري فإن الدعامشة ينسبون إلى هبرة ،وهبرة هؤلاء هم على الصحيح أولاد المقداد بن مهاجر بن سويد بن عمارة بن مالك بن منصور بن زغبة،فهم عرب هلاليون مضريون خلافا لابن الخطيب الحكيم التلمساني القائل بأنهم ملتقطون وبطونهم تسعة وهم الدعامشة أولاد دعماش بن هبرة.ينظر إلى:ينظر إلى طلوع سعد السعود–ج1–ص215

وتكفلت أمهم رحمة بتربيتهم ورعايتهم ولذا لقبوا باسم أمهم وقيل أن أولاد دحو* أوبني دحو فينحدرون من معلم كان يدرس عند أولاد سيدي دحو* بمعسكر،أما أولاد الحاج مسعود فقدموا من قصر ودغير بفقيق(1).وتضيف هذه المصادر أن المراهيط يرجع أصلهم إلى قبيلة بني عامر التي استوطنت بمنطقة تسالة في التل الوهراني،وتناولت نفس المصادرأن البكاكرة كانوا مستقرين سابقا على ضفاف وادي غير الأعلى،ولايزال قصرهم اليوم شاهدا على ذلك والمعروف بقصربوعنان ويقال أن أهالي قصربوعنان لايزالون على اتصال بأقارهم المستقرين بمكمن بن عمار والنعامة(2)

ب2–حميان الجنبة:تتمثل حميان الجنبة في بني عقبة السندان والمقان،وأولاد سرور وأولاد مبارك والغياثرة وهم يتفرعون إلى أولاد مسعود.

ب2–1–بنو عقبة*:كانوا يشكلون قبل سنة 1914م أي قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى ثلاث قبائل التي انفصلت ثم اندمجت،وأسست قبيلة واحدة(3)،تتكون هذه القبائل من أولاد فارس،وقيل أنهم وفدوا من تونس،ومن الحواقين ويمثلون هؤلاء الكساكس والدياما وأولاد مبارك الذين طردوا من تونس،بالفراهدة وأولاد تومي(4).

---

*وعند ابن عودة المزاري أن سيدي دحو كان واليا من الأولياء الصالحين بمنطقة معسكر،وكان مدرسا للقران الكريم، فاحتمالا أن أحد أبناء هاجر إلى منطقة الهضاب العليا، وأخذ على عاتقه تعليم هذه المنطقة، وربما قد انحدر منه هؤلاء الذين يطلق عليهم إسم بن دحو.ينظر إلى العلماء والأولياء – طلوع سعد السعود–ج1–ص 5

(1) Noèl :op.cit.p191

*وعند الحسن الوزاني المعروف بليون الإفريقي فعقبة تسكن ضواحي مليانة،ويمدهم ملك تنس بقليل من المال وهم نحو ألف فارس.ينظر إلى وصف إفريقية – ص50.

*توجد حاليا قرية تقع بين مدينة قديل ووهران تسمي حاسي بني عقبة،بنيت من طرف بني عقبة الذين ينتسبون إلى حميان،التي هاجرت مع بني عامر إلى أحواز وهران خلال فترة الدولة الزيانية

(2) Noèl:op.cit.p185

(3) Ibid.p186

(4) Ibid.p.186

وأسسوا قبيلة أصبحت تسمى ببني عقبة(1)وتذكر المصادر الشفاهية أن الكساكيس كانوا من جموع أولاد فارس،ويعود نسبهم إلى بني عقبة، وقيل أن هذه القبائل اتحدت فيما بينها عندما استقرت بمنطقة الهضاب العليا الغربية،وكان جدهم يسمى بابن حيقون،أو هيقون ولذا سمي أحفاده بالحواقين،ويطلق عليهم أيضا اسم أولاد فارس(2). أوأبناء الفرسان،ونسجت حول كلمة فرسان،حكاية شعبية مفادها أن فردا منهم امتطى فرسه،وذهب بمفرده لتسوية قضية كانت تخصه،فرفض رفقاؤه أن يذهب لوحده بل مرافقته،وعندما قرروا الذهاب اتفقوا على أساس أنهم يمثلون فارسا واحدا ولذا أطلق عليهم اسم أولاد فارس،وقد اندمج أولاد فارس وكانوا يعيشون في السابق مع أغواط كسال* بمنطقة البيض،وكان الكساكيس يعرفون أيضا بالحواش جاءوا من قصور فقيق(3).أما الزازنة فقد وفدوا من وادي العبد ويسمى حاليا بحاسي العبد(4)الذي يقع قرب تاقرمت بمنطقة سعيدة،بينما يعود نسب أولاد وليد إلى أهل قصر أنوال،أما أولاد سعيد ويطلق عليهم أيضا اسم أولاد مبارك.ويتكون كذلك أولاد قطيب فينتسبون إلى عمور العين الصفراء،والربعات إلى سجاعة الذين يسكنون بمنطقة سيدي ملوك الواقعة شرق المغرب الأقصى،ويتكون أولاد الربعات من أولاد زويد الذين ينتسبون إلى المهايا،ويشكل أولاد الربعات وأولاد زويد معا الربعات،وقدم الديما من الساقية الحمراء،ويعود أصل الحواقين إلى الطرافي وهم حميان الشراقة(5)

---

*أغواط كسال:ربما يعود نسبهم إلى بقايا بني راشدالزناتة،التي تتمركز في ضواحي ستيتن والغسول ومشرية الصغيرة وبريزينة بمنطقة البيض.ينظر إلى: Félix Jacquot:op.cit.p282

(1) Ibid :p186

(2) Noèl :op.cit.p186

(3) Ibid:p186

(4) Ibid:p187

(5) Ibid.p187

وتذكرمصادرالضباط الفرنسيين أن يحي بن سعيد ينتمي إلى أحمد بن كسكاس الذي تنتسب عشيرته إلى بني عقبة التي تربطها علاقة قرابية بأغواط كسال التي تستقر بمنطقة البيض،ولها أيضا صلة بذوي منيع التي تسكن منطقة بشار،وتتألف الفراهدة من أولاد مسعود وأولاد عبو،وكانوا في السابق يمثلون دوارا واحدا كان يسمى بأولاد غاني،والذي يعود أصلهم إلى بني عقبة،باستثناء بعض العائلات الوافدة من عين سيدي ملوك التي تنتسب إلى سجاعة(1).

ب2-2أولاد هلال*:فهم ينتسبون إلى بني هلال وقد وفدوا من منطقة قورارة،وكان أولاد تومي والفراهدة وأولاد مسعود يكونون في الماضي كنفدرالية صغيرة تسمى ببني عقبة،كماذكرسابقا،وقدتمّ إعادة بناء هذه الكنفدرالية من جديد سنة1914م،ويرجع نسب ضيف الله إلى أغواط كسال المستقرين بمنطقة البيض، والمنحدرين من أولاد بوزيد من منطقة أفلو،وكان أولاد تومي يتشكلون من ضيف الله والزيادنة وأولاد تومي،ويقال أن نسبهم يعود إلى الأغواطي وهو فرع من الأحرار القاطنين بتيارت(2).بينما يرجع نسب أولاد يحي إلى أغواط كسال المستقرين بمنطقة البيض،وقيل أن بني عقبة يعود نسبهم إلى أولاد العربي وارتبطوا بضيف الله،الذي عين كرئيس من بين أعيان القبيلة،وقد أنجب توأمين ومنه جاء اسم تومي،وأطلق على أحفاده اسم أولاد تومي.وحسبما ذهبت إليه مصادر الضباط الفرنسيين فإن جد أولاد مبارك جاء من منطقة الساقية الحمراء،وكان مرابطا وكان يرافقه خادما وهو أسود البشرة يسمى امبارك(3).

*يوجد بقصر باب إسمه باب هلال،ربما كانت هذه العشيرة تسكن بهذا القصر،ويوجد حاليا بالمشرية بطن يسمى بأولاد هلال،فاحتمالا أنه ينتسب إلى بني هلال

Noèl:op.cit.p187(1)

Ibid.p186(3) (2)

Ibid.188(3)

وقد استقر بقصر تيوت،وتزوج وانجب ثلاثة أبناء وهم راجع وعلال ومحمد،تولى رئاسة القبيلة الراجع،ثم استخلفه قدور بن علال،وتحالف المقان وأولاد مبارك وأسسوا قبيلة واحدة(1).وتولى رئاستها قدور بن علال الذي اشمئز من سكنى القصور،وهاجر بقبيلته إلى منطقة النعامة،وفرض على قبيلته حياة البداوة(2).

ب2-3السندان:تشير مصادر الضباط الفرنسيين أن أسرة القايد الحاج عثمان الذي كان يتولى زعامة السندان في سنة1915م وفدت من مصر،وهذا صحيح من خلال ماذهبت إليه المصادر التاريخية،وعندما نزحت هذه الأسرة إلى المغرب الأوسط،استقر جدها عبدالرحمن بن عبدالله بأقورت بمنطقة قورارة،وبعدها هاجرت هذه الأسرة إلى الهضاب العليا الغربية،وكانت تمثل نواة عرش السندان(3)،ولكن المصادر الشفاهية لم تبين أسباب هجرة السندان من منطقة قورارة إلى الهضاب العليا،ربما كان من وراء هذه الهجرة أسباب سياسية،وكان على رأس هذه الأسرة أثناء هجرتها إلى الهضاب العليا الغربية عبد الرحمن بن مقتوف،وكان تاجرا وثريا،حيث غادر رفقة أسرته منطقة قورارة متوجها إلى وادي الناموس ثم منطقة النعامة(4)،ونتيجة المصاهرة والتفاعل الاجتماعي مع أسر أخرى أصبحت أسرة القايد الحاج تشكل قبيلة التي تمثل فرعا من المقاتيف(5)،وبقيت هذه القبيلة على اتصال وعلاقة بأجدادها بمنطقة أقورت بواسطة تجارة القوافل التي كانت تتم بين منطقة النعامة وإقليم توات*(6)،

(1) Noèl :op.cit.p.188

(2) Ibid.p188

*توات:ويضم أربع أقاليم وهي:منطقة قورارة،وتيديكلت،توات الأوسط،تمزروفت

(3) Noèl :op.cit.p188

(4) Ibid: p194

(5) Ibid:p195

(6) Ibid :p195

وكذلك عن طريق الزيارات التي كان يقوم بها القايد عثمان إلى إخوته بأقورت،وقد تولى قيادة قبيلة السندان منذ ما قبل الاحتلال الفرنسي قيادكلهم ينتسبون إلى أسرة الحاج عثمان(1)،وقيل أن النواة الأولى التي أسسها عبد الرحمن بن مقتوف انضمت إليها بطون يتزعمها البشير بن يونس الذي قدم من قصر لحمر بمنطقة بشار،ويقال أن البشير بن يونس كان يمثل جد المناصير.أما بالنسبة لأولاد بريش فيرجع نسبهم إلى سعد البريشي الذي جاء من وجدة،وأسس أسرة سميت بالبرارشة(2)،بينما يرجع نسب وأصل أولاد بن يحي إلى جدهم محمد بن يحيا الذي قدم من جبال كسال،أما أولاد بلقاسم فيعود نسبهم إلى بلقاسم بن علي،الذي ينتسب إلى أولاد جرير*(3) الذين وفدوا من منطقة بشار.

ب2-4المقان:تتألف المقان من أولاد فقير،ويقال أن جدهم جاء من منطقة قورارة وكان عالما فقيها يعود نسبه إلى أولاد بن سعيد القاطنين بمنطقة تيميمون التابعة لأقليم توات(4) وكذلك تتكون المقان من أولاد باقي أوالبواقي،ومن أولاد بماز،أو البهاهزة والذي قيل عنهم أنهم كانوا فقراء،وفدوا من منطقة تافيلات جنوب المغرب الأقصى(5)وكونوا قبيلة واحدة بمعية أولاد فقير.وذهبت مصادر الضباط الفرنسيين أن أولاد سعد قدموا من الحمير وهي منطقة قريبة من مغنية بإقليم تلمسان،ولهم امتداد إثني وإداري بالشغالة،وكان المقان وأولاد مبارك يشكلون قبيلة واحدة(6).

---

(1) Noël:op.cit.p194

(2) Ibid:p194

*أولاد جرير:هم بطن من دارم بن حنظلة من العدنانية،نسبة إلى الجريري،كما تنسب إليهم تميم وهم بنوجرير بتن دارم.ينظر إلى القلقشندي:نهاية الإرب ومعرفة أنساب العرب–ص10

(3) Ibid :p195

(4) Mensier :op.cit.p47

(5) Noël:op.cit.p195

(6) Ibid:p.196

ب2-5أولاد سرور: يتألف أولاد سرور من عدة فروع وهم أولاد بن سليمان الـذين يقال أن نسبهم حسب مصادر الضباط الفرنسيين يعود إلى أولاد سيدي علي بن سماح من أهل بني وكيل من قصبة سيدي مكراك قرب وجدة(1).وتشير نفس المصادرأن بني سليمان هاجروا إلى الهضاب العليا الغربية من طرف ابن جبار ولقبوا بالشرفة،لأنهم منحدرين من سلالة مرابط وهوسيدي علي ابن سماح الذي دفن بمقام بني بوزقو ودبدو.ولكن بنوسليمان لم يتمكنوا من إثبات شرفهم(2).في حين أن دوار أولاد بن الشيخ فيعتقد أنهم من نسب دوار بن سليمان،ويشكلون فرعا منهم،أما نسب أولاد نقاد فيعود إلى أهل أنقاد فرع المزاوير(3)،وينحدر دوار أولاد حركاتي من بطن ذوي منيع في حين جاء أولاد مبارك ومجموعة من السجاعة من عين سيدي ملوك(4)،أما أولاد معروف وأولاد بوعزة فقد وفدوا من وادي درعة جنوب المغرب الأقصى.وتضيف نفس المصادر أن أولاد سرور كانوا يشكلون أسرة كثيرة العدد،ثم انقسمت إلى بطون وفصائل،وتوزعت عبر مناطق المشرية والبيض والبيوض وتانيرة وفاس.

ب2-6المغاولية:من خلال ماورد في مصادر الضباط الفرنسيين أن المغاولية جاءوا من منطقة بودنيب والتي يطلق عليها حاليا اسم العقر،حيث تبعد عن وادي غير بسبعة كيلومتر،وقيل أن نسبهم يعود إلى أولاد علي(5)،وكانوا يتميزون بالشجاعة في المعارك وكانوا يبثون الرعب في نفوس أعدائهم،وقيل أنهم طردوا من موطنهم الأصلي من طرف البربر،وأسسوا قصرا بتنزارة التي تقع بنحو ثمانين كيلومتر غرب قصرفقيق،وهو منهار.

(1) Noèl:op.Cit.p195
(2) Mensier: op.Cit.p47,Ibid: p190
(3) Mensier:p47,Ibid:p191
(4) Mensier:p48,Ibid:p191
(5) Noel:op.cit.p192

ويعتبر أولاد علي نواة المغاولية،أما أولاد سبع فيقال أنهم جاءوا من قبيلة أيت سبع وهي قبيلة بربرية،بينما ينتسب أولاد ملوك إلى أولاد سيدي التاج وهم فرع من أولاد سيد الشيخ الذي يستقر بمنطقة العين الصفراء(1).وكان أجدادهم يلقبون بأولاد ملوك ونسجت حول اسم ملوك حكاية شعبية،ربما لا يزال أولاد سيدي التاج والمغاولية يتداولونها في مروياتهم،وتنص هذه الحكاية أن جد أولاد ملوك طلب منه أن يرافق أولاد سيدي التاج في رحلتهم،فرفض مرافقتهم لأنه كان مرتبطا بحب إمراة كانت تقيم بمنطقته،فقال أولاد سيدي التاج أتركوا هذا المملوك فتركوه ورحلوا لذا سمي بملوك(2).

ب2-7 الغياثرة:يتفرع عن الغياثرة أولاد مسعود وأولاد أحمد،ويقال أن أولاد مسعود هم عبارة عن مجموعة دواوير مفرد دوار من أولاد لخضر وأصلهم من أهل أنقاد وكذلك من دوارالقنادسة والخلاخيل الذين ارتبطوا بأحفاد سيدي معمر بلعالية وأصبحوا ينتسبون إليهم وكان جدهم يسمى بمسعود(3).أما دوار أولاد رحال فيعود نسبهم إلى الغنانمة بوادي الساورة*(4)،وكل هذه الدواوير التفت حول مسعود الذي اختير كشيخ قبيلة،وبعد وفاته انتقلت إلى ابنه أحمد بن لخضر وكانت قبيلة أولاد مسعود وأولاد أحمد تشكل قبيلة واحدة كانت تسمى بالغياثرة،بينما أولاد مسعود فيقال أنهم كانوا عبارة عن فرسان،ولم يسبق لهم أنهم تحالفوا مع غيرهم،وقيل أن أولاد أحمد ينحدرون من سيدي معمر بلعالية،وبالتالي يعود نسبهم إلى أولاد سيدي الشيخ ومن سلالة الشيخ محمود المشهور الذي كان ذائع الصوت الذي كان يحكم جميع بطون.

Mensier: op.cit.p57-Noèl:op.Cit.p191(1)

*وادي الساورة:يقع بمنطقة بشار، وكانت هذه المنطقة تسمى بالساورة نسبة إلى هذا الواد.

Noel:op.cit.p192(2)

Ibid.p192(3)

Mensier :op.cit.p57(4)

حميان،وقد عرف خلال فترة اكتساح القوات المغربية لمنطقة الهضاب العليا الذي اعترف بالسلطان المغربي،أما دوار أولاد ميمون فقد تكون بمنطقة الساقية الحمراء في حين يعود نسب أولاد الشاوي إلى شاوية مكناس(1).

ج-المصادر الشفاهية*:

ج1-المصدر الشفاهي الأول:

لم يخرج في مضمونه عن رواية ابن خلدون،حيث ذكر هذا المصدر أن حميان ينتسبون إلى بني كرز وبني موسى والمرابعة والخشنة،وكلهم من أصل بني يزيد وعكرمة هو بن عبس ابن زغبة وهم إخوة حميان.وكانت الرئاسة لأولاد لاحق،ثم انتقلت إلى أولاد معافي، ثم بعد ذلك إلى بيت بني سعد بن مالك التي تنسب إلى مهدي بن يزيد بن عبس بن زغبة،ويعتقد صاحب المصدر أن مؤسس قبيلة حميان هو مهدي بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق،ولكن هذا النسب تأباه بطون بني يزيد(2).

ج2-المصدر الشفاهي الثاني: الذي دونه نوال في عهده فقد جاء فيه أنه خلال الفترة العثمانية في الجزائر،استقرت بعض الأسر من بني عامر بالهضاب العليا الغربية،ووجدت عدد قليل من السكان تتمثل في أسرة سيدي معمر بلعالية الذي هاجر من تونس صحبة فرسانه رزين وعكرم وزياد.

(1) Ibid.p193

*وعن المصادر الشفاهية يقول أبو القاسم سعدالله أن الضباط الفرنسيين اعتمدوا في كتاباتهم على المصادر الأهلية في غالب الأحيان وهذه المصادر على نوعين مكتوبة وشفوية, ومن المصادر المكتوبة وثائق العائلات الكبيرة وعقود الملكية ومذكرات رجال العلم, أما المصادر الشفاهية التي اعتمدوا عليها كانت أكثر من الأولى, فقد جعلتهم يسجلون قصصا وأحداثا من مختلف المشارب والأنواع.ينظر إلى أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر-القسم الأول-ط1-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر-1981-ص22

(2) العبر:ج6-ص41-Noèl:op.cit.p139 مبارك بن محمدا لميلي:المرجع السابق-ج2-ص200-د.مصطفى أب وضيف أحمد:المرجع السابق -ص225

ثم توافدت بعد ذلك على المنطقة مجموعات بشرية من مختلف جهات المغرب الأوسط،وكونت تجمعا سكانيا(1).ثم تناول المصدر الشفاهي كذلك نسب الرزاينة وعكرمة وأولاد زياد وأولاد سيد الشيخ،والصراع الذي وقع بين سيدي أحمد المجذوب* وبني عامر،وهجرة بني عامر إلى تسالة في ظرف يوم واحد.

ج3-المصدرالشفاهي الثالث: الذي سجله نوال(Noèl)عن القايد المير ولد الحاج الناصر الذي كان قائدا على قبيلة الرزاينة الغرابة،وأيضا عن أحمد بن محمد الذي كان رئيس مخزن المشرية(2).جاء فيه أنه بعد هجرة بني عامر إلى تسالة وضواحي سيدي بلعباس،بقي شخص واحد من بني عامرإسمه بكارمستقرا بمنطقة الشط الغربي،وقيل أنه كان ثريا وغنيا يملك عددا كبيرا من رؤوس الأغنام،وكان متزوجا بعدة زوجات،وكان معروفا بسخائه وكرمه،وكان البدو يقصدونه لغرض توظيفهم كرعاة ثم زوج بناته لخدمه،فنتج عن هذه المصاهرة أن تأسست قبيلة البكاكرة(3),وجاء في المصدر أن قبيلة البكاكرة تفرعت إلى عمائر وبطون،قد سبق أن ذكرها ضباط مكتب الشؤون العربية.

ج4-المصدر الشفاهي الرابع: يعتبر هذا المصدر هاما؛لأنه يستند على رواية ابن خلدون

Noèl:op.cit.p140(1)

*المجاذبة:نسبة إلى سيدي أحمد المجذوب،وسمي بالمجذوب حيث يقال أنه انجذب أثناء فترة تعبده بخلوة جبل ورقة،وقال عنه أبو القاسم سعدالله فهذا أحمد بن سليمان المجذوب قد دار عليه الفقر، فأقبل على البدعة والحضرة، ويبدو أن المؤلف لا يعرف جيدا أسرة أحمد المجذوب،فهو من السلالة التي تنتسب إلى أبي بكر الصديق،وبالتالي فإن هذا الحكم لا يليق بمقام سيدي أحمد المجذوب ولا بأسرته ذات النسب الشريف وهو بطن من بطون أولاد سيدي الشيخ،ينتمي هذا البطن إلى أولاد سيدي الشيخ الغرابة،ويستقر أغلب أولاد سيدي أحمد المجذوب بقصر عسلة وضواحيه،تقام سنويا قرب ضريحه الوليمة ،أو ما يسمى في عرف أهل المنطقة بالوعدة،وعادة ماتكون في شهر منتصف شهر أكتوبر من كل سنة،وهو شهر جني التمور.ينظر إلى د.أبوالقاسم سعدالله:تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري(16م-20م)-ج1-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر-1981-ص 493

Noèl:op.Cit:p140(2)

Noèl:op.cit.p145(3)

في تحديد نسب وأصل حميان(1)،حيث جاء في هذا المصدر أن حميان هو بن عقبة بن يزيد ابن عيسى بن زغبة.ويلاحظ أن هذا المصدر الشفاهي اعتمد على رواية ابن خلدون أنه أقرب إلى الصحة من المصدر الثاني والثالث،الذي لم يستند على أي مصدر تاريخي.

ج5-أما المصدر الشفاهي الخامس:فهو عبارة عن مخطوط كان بحوزة مدرس قران بأحد الكتاتيب القرآنية بسعيدة،وبالتالي لا يمكن تصنيفه ضمن المصادر الشفاهية،جاء في هذا المخطوط أن الجميع يحملون اسم الجد الأول شافع بن عامر(2)،أما الجنبة هذه الكلمة التي تدل على معنى الجانب فيقصد حميان،فحميان منذ هجرتها من بلاد حمزة والدهوس إلى صحراء تلمسان كانت إلى جانب بني عامر ولم تنفصل عنهم،بل كانت تتبعهم أينما حلوا(3)،وشبه صاحب المخطوط الشفاعة بجمل واحد،بينما الجنبة بالجوانب، وجاء كذلك في المخطوط أنه فيما مضى كانت قبيلة بني عامر وحميان تستقر بالصحراء،ثم انتقلت إلى ضواحي الأبيض سيد الشيخ*رفقة أبي حمو الثاني،الذي قام بطرد بني عامر إلى تسالة سنة762هـ ولحقت بهم مجموعة من قبيلة حميان،بينما بقي القسم الآخر من بني عامر وحميان مستقرا بمنطقة الهضاب العليا الغربية(4).يبدو أن المصدر تطرق إلى هجرة حميان رفقة بني عامر إلى صحراء تلمسان،وأشار أن حميان كانت دائما إلى جانب بني عامر،ولكنه لم يحدد تاريخ الهجرة والظروف السياسية التي هاجرت فيها حميان رفقة بني عامر(5)،ومن ثمة فالمصدر تناول جزءا من الأحداث التاريخية.

---

(1) Noèl :op.cit.p145

(2) 0Ibid:p146

(3) Ibid:p.146

*الأبيض سيد الشيخ:كان يسمى بالأبيض نتا،وعندما قام سيد الشيخ زاويته من مغرار إلى الأبيض،أصبحت تسمى بهذا الاسم-ينظر إلى محمد مولاي:استمرارية مقاومة الشيخ بوعمامة-بدون تاريخ-ص105

(4) Noèl :op.cit.p146

(5) Ibid.p147

ج6-المصدر الشفاهي السادس: كان يُروى في الجنوب الجزائري وتناول نسب حميان،على أساس أن حميان كانت تتكون من عدة قبائل وهي حميان الشفاعة وحميان الجنبة،وعرب موشة والطرافي وأولاد جرير(1)،وأن الأصل في الكلمة جاءت من الحمية التي تدل على معنى الحماية والتحالف والتلاحم والعصبية والتعاون(2).وربما كان صاحب المصدر يعتقد أن حميان خليط من عدة قبائل،فحميان لم تبق محافظة على نسبها، بل حدث تغيرا اجتماعيا ويستحيل أن تبقى حميان محافظة على نسبها الحقيقي؛لأن هناك عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية أدت إلى عملية التغير الاجتماعي،وفي نفس الوقت ذكر المصدر المناطق التي وفدت منها هذه القبائل حيث أشار أن عرب موشة جاءت من المشرق العربي وهم فرسان عسكريون،وأن نزوحهم إلى الهضاب العليا الغربية كان سببه أنهم انهزموا في حرب،وسبب الحرب كان حول امرأة متوسطة الجمال،ثم ينتقل صاحب المصدر إلى ذكر فروع عرب موشة وهم أولاد رحال وأولاد مبارك والشعارب وهم الدراقة،وأولاد عبد الكريم والمقان والرزنة،والقطاطيط وهم بنومطرف والصبابحية. وهم الدراقة* الشراقة وأولاد عامربن عليات وأولاد جرير بن بديار،وكلهم ينسبون إلى زغبة،ويطلق عليهم اسم أعراب موشة،وجاءكذلك في المصدر الشفوي أن الصبابحية والمقان وأولاد مبارك يشكلون قبيلة واحدة وهي قبيلة أولاد مبارك،وتعرضت عرب موشة للتفرقة والتشتت،ولم تبق مجتمعة في قبيلة واحدة،ويضيف نفس المصدر أن حميان تنقسم إلى حيين:حميان الشفاعة وحميان الجنبة(3)..

(1) Noèl :op.cit. p147

*تستقر الدراقة الغرابة والشراقة والصبابحة ببوقطب وضواحيها وكذلك بمنطقة البيض, بينما يستقر أولاد جرير بمنطقة بشار أما أولاد عامربن عليات بمنطقة تيوت وعين الصفراء.

(2) ينظر إلى: les documents pour servir àl'histiore de hamyan.p145

(3) Noèl:op.cit.p145

وكذلك من عرب موشة وأولاد جرير(1)،دخلت عرب موشة في نزاع داخلي رغم ما أصابها من تمزق،ويعزى أو وليا صالحا حاول أن يصلح بين بطونها،إلا أنها رفضت الصلح فدعى الله أن يفرق شمل عرب موشة،ويقال أن الله استجاب لدعوته فتفرقت عرب موشة،ودخلت في حرب داخلية جديدة أدت إلى تفرقتهم(2)،وقيل أيضا أن عرب موشة أساءت علاقتها مع المرابط سيدي سليمان بن بوسماحة،بسبب ناقة بيضاء كانت ملكا لسيدي سليمان وكان يحبها كثيرا وحدث أن اختفت الناقة،ولما بلغه الخبر أن عرب موشة قد عثرت على الناقة،وقامت بذبحها وتقطيعها إربا إربا،غضب ودعى الله وقال:"**يجعلكم ياعرب موشة،في كل دوار عشة والعرش اللي تسكنوه عشة**"(3)،وقيل أن الله استجاب لدعوته وتفرق شمل عرب موشة،واختلفت المصادر الشفاهية حول صاحب هذا القول.فالبعض يقول سيدي سليمان،والبعض الآخر يقول الحاج عبد الحاكم بن سيد الشيخ(4).

خلاصة القول:يبدو من خلال ما جاء في مصادر ضباط مكتب الشؤون والمصادر الشفاهية التي كتبها نوال(**Noèl**) أن حميان هي خليط من عدة قبائل نزحت من مناطق مختلفة،حيث التقت في مكان واحد وأطلقت على نفسها اسم حميان(5)،ولو أن بعض المصادر منها قد تعرضت إلى بعض المعطيات التاريخية الصحيحة التي تناولها المؤرخون والنسابة العرب القدماء،وقد وجه نوال لنفسه في كتابه وثائق عن تاريخ حميان انتقادات للمصادر الشفاهية،حيث ذكر أن حميان لاتنتسب إلى قبيلة واحدة.

---

(1) **Noèl :op.cit.p145**

(2) **Ibid :p146**

(3) **Ibid.p146**

(4) **Ibid :p146**

(5) **Ibid.p147**

ولا تنحدر من نسب واحد،بل هي متعددة النسب،بل كانت هناك أسباب دفعت هذه المجموعات البشرية أن تلتقي في موطن واحد(1)،وهذا أمرطبيعي بحيث لا يمكن أن تبقى بطون حميان التي هاجرت في 1236م إلى صحراء تلمسان محافظة على صفاء نسبها لأنها اختلطت ببني عامر وحدثت بينهم المصاهرة،وكانت حميان في تعدادهم على حد قول ابن خلدون(2)،وبالتالي لا يمكن التمييز بين حميان وبني عامر،وإذا كان الضباط الفرنسيون قد دونوا هذه المصادر الشفاهية في القرن التاسع عشر الميلادي،فإنه يستحيل تحديد نسب حميان بدقة،بسبب تأثير الظروف السياسية والهجرة الداخلية،وظاهرة الارتحال واللاستقرار التي يتميز بها البدو والتي غالبا ما كانت هذه الظاهرة تؤثر على الوضعية الديمغرافية،وبالتالي يصعبُ على أي باحث أن يحدد نسب حميان بالاعتماد على مصادر شفاهية تفتقر إلى الموضوعية والدقة وهي مجرد روايات انتقلت من جيل إلى جيل،ومن ثمة فإن المصادر الشفاهية تحتاج إلى مراجعة دقيقة،وتصحيحا لما جاء في مضمونها،ويلاحظ أن بعض بطون حميان بقيت محافظة على اسمها كالسندان وبني عقبة وعكرمة،ومن قبيلة الأثبج أولاد سرور وأولاد عطية وأولادعبدالله،ومن قبيلة عامربن شافع بني مطرف وبعضها تغير اسمها كالبكاكرة والمغاولية وأولاد منصورة وأولاد خليف.بينما يجهل نسب بقية فروع التي تدعي النسب إلى حميان كالمقان والغيائرة.فأولاد سرور وأولاد عطية وأولاد عبدالله ينتسبون إلى دريد.(ينظر إلى الجدول رقم 03ص447)،التي تولت رئاسة بني هلال عند دخولهم إلى إفريقية،ولعبوا دورا في استقرار القبائل العربية بإفريقية.

---

(1)العبر:ج6-ص24-السلاوي::الاستقصا-ج2-ص121-د.مصطفى أحمد أبوضيف:القبائل العربية-ص208-مبارك ابن محمدا لميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص200-Noèl:op.cit.p132- G.Marçais : les arabes en berbérie du14siècle-paris-1913-637-638

(2)العبر:ج6-ص24-الناصري:الاستقصا- ج2-ص121-د.مصطفى أبوضيف:القبائل العربية- ص208-مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص189

حتى مدحهم شعراؤهم منوهين بدورهم(1):دريد سراه البدو وللجود منقع كما كل أرض منقع الماء خيار تحن إلى أوطان قره بالفتى لكن معها جملة دريد كان مدارها.وكانت مواطنهم مابين بونة وقسنطينة إلى قرية طارف مصقلة وما يحاذيها من القفر ومن بطونهم أولاد سرور وأولاد عطية وأولاد عبدالله،تنسب دريد إلى الأثبج،التي تزعم أنها من ولد الأثبج بن ربيعة بن نهيك بن هلال(2)،وكانوا من أفر القبائل الداخلة لإفريقيا عددا،واستقروا بعد أن تمكنوا من إخضاع صنهاجة بجبال أوراس الشرقية،ومن بطون الأثبج دريد وكرفة وعياض والعاصم ومقدم ولطيف وقره وعندما ثار بنو غانية على الموحدين أيدهم العاصم ومقدم وقره فنقلهم الموحدون إلى المغرب الأقصى،فاستقروا بتامسنا وزدادت قوة جيرانهم رياح واستولوا على ضواحي قسنطينة، مما اضطر بقايا الأثبج إلى ترك الظعن والاستقرار بقرى الزاب أي منطقة بسكرة حاليا(3).وكانت الأثبج أشرف العرب وأنبههم شأنا فاختارهم المنصور الموحدي لسكنى منطقة دكالة وسهول تادلا وكانوا يدفعون الضريبة في القرن الخامس عشر الميلادي لملك البرتغال تارة،ولملك فاس تارة أخرى،وكان عددهم يبلغ نحو مائة ألف مقاتل نصفهم من الفرسان(4).وربما قد هاجرت بعض بطون الأثبج من المغرب الأقصى واستقرت بالمغرب الأوسط بموطن حميان وبني عامر بعد زوال الدولة الموحدية، أو أثناء الصراع الزياني المريني،بحيث كانت الإمارة المرينية تجند في صفوف جيشها بعض القبائل.

(1) العبر:ج6-ص24-السلاوي::المصدر السابق-ج2-ص121-د.مصطفى أبوضيف:المرجع السابق-ص208-مبارك ابن محمدالميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص200

(2) العبر:ج6-ص24-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص121-

(3)الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي:وصف إفريقية-ترجمة عن الفرنسية د.محمد حجي ود.محمد الأخضر-ج1-ط2-دارالغرب الإسلامي-بيروت-1983-ص.ص51-52

(4) الحسن الوزاني: - المصدر السابق-ص55- عبدالوهاب بن منصور:قبائل المغرب-ج1-ص418- G.Marçais : op.cit.p638

العربية يبدو أن الحسن بن محمد الوزاني المعروف بليون الإفريقي في وصفه للقبائل العربية ونسبها أنه لم يسير على نمط تقسيم ابن خلدون لقبائل العرب الداخلين إلى المغرب(1)،والعذر للمؤلف في انعدام المراجع المكتوبة لديه أثناء التأليف،بل احتفظت ذاكرته ببعض أصول القبائل وفروعها حسب ما كتبه ابن خلدون(2)؛إلا أن التحريف الناتج عن الترجمات الأعجمية المتعددة للكتاب أفسدت كثيرا من أعلام القبائل،وجعلت التعرف على اسمها الحقيقي متعذرا في بعض الأحيان على أن الاختلاف البين عند ابن خلدون والحسن الوزان في تعداد البطون والعمائر والأفخاذ،راجع كذلك إلى تطور الأسماء تبعا لتعاقب الأجيال،واختفاء بعض الأسر وانقراضها وظهور أخرى مكانها على مسرح الأحداث بأسماء رؤسهاوأحيائها الجديدة(3)،إذ لم يعتمد الحسن الوزان في معرفته للقبائل العربية على ما قرأه في كتب النسابين والمؤرخين،وإنما انتقل إلى ديارهم وعرفهم عن قرب(4).يعتقد كثير من المؤرخين والباحثين الجزائريين أن سكان الهضاب العليا الغربية ينتسبون كلهم إلى حميان،وربما يعود سبب ذلك إلى اعتمادهم على مصادر الضباط الفرنسيين،أو أن اسم حميان قد طغى على كل القبائل التي تستقر بهذه المنطقة،مثلما طغى إسم بنو هلال عند دخولهم إلى المغرب الإسلامي،وكانوا خليطا من القبائل العربية عدنانية وقحطانية.بالرغم أن عدد عرب بني سليم كان أكثر من عدد بني هلال(5)مثل اسم بني عامر الذي كان ذائعا في عهد الدولة الزيانية،ولكنه اختفى بعد زوالها ولكن الواقع عكس ذلك فهناك قبائل لا تمت بصلة النسب إلى حميان.

(1) الحسن الوزاني:وصف إفريقية-ص.ص51-52

(2) الحسن الوزاني:المصدر السابق-ص55-G.Marçais : op.cit.p638

(3)نفسه:ص52-G.Marçais :op.cit.p638

(4)نفسه:ص52-عبدالوهاب بن منصور:قبائل المغرب-ج1-ص418

(5) د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:موسوعة المغرب العربي-ج1-ص145

وإنما نتيجة الظروف السياسية التي أدت إلى هجرة هذه القبائل فقد تعايشت مع حميان وأصبحت من جملتها، وفي هذا الموضوع يقول مونسيه(Mensier) نقلا عن بيكي (M.Piquet) في كتابه حضارة شمال إفريقية "...إن الأهالي الذين يعيشون في السهوب على حوافي الشطوط كأولاد سيد الشيخ وحميان والعمور وأولاد النهار هم عرب،أماالذين يعيشون في القصور فهم بربر زناتيون الذين تمت إزاحتهم من منطقة تلمسان إلى غاية توات من طرف كتامة وصنهاجة وعرب القرن الحادي عشر الميلادي ..."(2). أو نتيجة الهجرات القصرية التي كانت تفرض على حميان وبني عامر بسبب ولائها إلى الإمارة الزيانية خلال فترة الصراع الزياني المريني خاصة في عهد أبي حمو الثاني؛أوربماكان ذلك أثناء عودة بني عامر وحميان إلى الهضاب العليا الغربية بعد فترة الانفراج التي كانت تحدث بين بني مرين وبني زيان،كانت ترافقها بعض القبائل العربية من الصحراء مثل الخلط وسفيان*.ولهذا فمن خلال المصادر الشفاهية يلاحظ أن بعض بطون حميان لها امتدادات إثنية في الصحراء،وفي كثير من المناطق الأخرى في المغربين الأوسط والأقصى،ولا غرابة أن تذكر المصادر الشفاهية أن دوارا أو عائلة.

(1)الحسن الوزاني:وصف إفريقية–ص55

(2) ينظر إلى: Les territoires Militaires d'ain-sefra;p57

*الخلط:بفتح الخاء وسكون اللام بطن من المنيفق بن عامر بن صعصعة من العدنانية،قال علي بن عبدالعزيز الجرجاني النسابة والخلط هم بنوعوف ومعاوية ابنا المنيفق ،قال في العبر:والخلط إلى الآن في عداد جشم في بلاد المغرب– ينظرإلى:القلقشندي:نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب ص8 من 18صفحة–من موقع أنترنيت:-http://www.al-eman.com/islamlib/viewch p.asp ?bid=200§cid=7

*سفيان:ورياستهم في بني جرمون منهم،وكان استقرارهم بأطراف بلاد تامسنا مما يلي أسفي،وحينما ضغطت عليهم الخلط،وملكوا بسائطها قام الحرث والكلابة من أحيائهم بالرحلة إلى أرض السوس وقفاره يهاجمون ضواحي بلاد جاجة من المصامدة،فبقيت فيهم لذلك شدة وبأس واشتهر منهم أولاد مطاوع من الحرث بأنهم مهرة،يعتمد عليهم وفرسان يستقدمهم السلطان للعرض في الحفلات والمناسبات.ينظر إل العبر:ج6–ص27–السلاوي:ج2–ص.ص153–154–
G.Marçais : op.cit.p339-342-537-539

وفدت من منطقة ما؛لأن الظروف السياسية والاقتصادية لعبت إلى حد مادورا هامـا في تغيير كثير من مراكز القبائل العربية الهلالية من بينها قبيلة حميان،أومن عـرب المعقـل خاصة فرع بني عبيد،ومن أهم القبائل التي كانت تعيش مع قبيلة حميـان في صـحراء تلمسان البكريون وهم أولاد سيد الشيخ،الرزاينة والخلايفة والعمور وبنو عامر الشفاعة الذين أصبحوا يلقبون بحميان الشفاعة،وبعض البطون الهلالية الأخرى التي هـاجرت في فترات تاريخية سابقة بالإضافة إلى قبائل أخرى استقرت بمعية حميـان ومنـهم الـسوذ والحراطين وبربرزناتة والأدراسة أوالشرفة*.وبحكم علاقات الجوار حـدث الاخـتلاط والمصاهرة والاندماج الاجتماعي بين هذه القبائل وبين حميان،وأصبح اليوم لا تميز بـين هذه القبائل،ومع ذلك لا تزال النعرة القبلية موجودة،وكذلك الانتماء القبلي.فوقعـت المصاهرة بين أولاد سيدي الشيخ وأولاد النهار وبـين حميـان وبربرزناتـة القـاطنين بالقصور،وبين حميان والرزاينة.

ا-<u>البكريون</u>:ويطلق عليهم أيضا اسم البوبكرية،وهم بطن من تيم مـن قـريش مـن العدنانية،وهم بنوابوبكر الصديق(ض)(1)،واسمه عبدالله وقيل عتيق بن أبي قحافة واسمـه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم،واسم أمه أم الخير سلمى بنت صخر ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة(2).وكان لأبي بكر الصديق ثلاثـة بنين،أحدهم عبدالله وهو أكبر ولده الذكور وأمه قبيلة وماتت في خلافة أبيه.

---

*الشرفة:يقال أنهم ينتسبون إلى أدارسة المغرب الأقصى وهاجروا إلى المغرب الأوسط بعدما تعرضـوا للقهـر والاضـطهاد في المغرب الأقصى ويستقر هؤلاء بمنطقة عين ورقة قرب قصر تيوت بمنطقة عين الصفراء، يتميزون بحياة اجتماعية خاصة ويبـدو أنهم منعزلين إلى حدما عن بقية المجتمعات القريبة منهم يعيشون في مساكن تقليدية في أعالي جبـال عـين ورقـة، ونـشاطهم الاقتصادي يتمثل في إنتاج مادة الملح من الجبال وعلى السياحة بسبب وجود حمام معدني.

Jacquot Félix:op.cit.p259

(1)القلقشندى:نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب – ص251

(2)نفسه:ص251

والابن الثاني واسمه عبدالرحمن وكنيته عبدالله،أسلم في صلح الحديبيـــة،وهاجر وكـــان شجاعا له مواقف مشهورة في الجاهلية والإسلام شهد معركة بدر،وفتوح الشام وأمه أم روحان بنت الحارث من بني قراش بن غنم(1)، ومات عبد الرحمن فجأة ســنة ثــلاث وخمسين للهجرة،وقال الطبري في فصائل العشرة،والابن الثالث محمـــد ويكـــنى بـــأبي القاسم،وكان من نساك قريش وأمه أسماء بنت عيسى ولاه عثمان في خلافته مصر،وولاه علي أيضا مصر بعد مرجعه من صفين،فوقع بينه وبين عمربن العاص حرب انتهى به إلى أن هرب محمد بن أبي بكر،فقيل أنه وجد حمارا ميتا،فدخل في جوفه فأحرق فيـــه،فمات وقيل قتل ثم جعل فيه وأحرق وذلك سنة ثمان وثلاثين من الهجرة وله عقب أيـــضا،قلت وبالديار المصرية جماعة من البكريين من ولد عبد الرحمن بن أبي بكر بعضهم بالفـــسطاط وبعضهم بناحية دهروط من البهنساوية(2).وقد خرج منهم جماعة من العلماء يتمذهبون بمذهبي مالك والشافعي رضي الله عنهما،وكذلك أولاد محمد بن أبي بكر الصديق.وهناك أيضا البكريون وهم بطن من بني زيد بن حرام بن جدام،ومساكنهم بالجوف من الأعمال الشرقية من الديار المصرية(3).ويقول القلقشندي "...وفضل أبي بكر وشرفه أشـــهر من أن يذكر،وأكثر من أن يحصر وناهيك قول حسان بن ثابت إذا تذكرت شـــجوا من أخي ثقة فاذكر أخاك أبابكر بما فعلا خيـــر البريـــة اتقاهـــا وأعـــدلها بعـــد النبي(صلع)،وأوفاها بما حملا والثاني التالي المحمـــود مـــشهده فـــيهم صـــدق الرسلا..."(4).وذكر بعض المؤرخين والباحثين أن أولاد سيد الشيخ وحسب ما هو شائع ومتواتر من أسرة الخليفة أبي بكر الصديق.

---

(1)القلقشندي: نهاية الإرب وانساب العرب- ص252

(2) نفسه:ص252

(3) نفسه:ص.ص252-253

(4)نفسه:ص253

وبالتالي لهم نسب تاريخي،ويسمون كذلك بالبوبكرية أو بالصديقية(1).وفي هذا المجال لهم رابطة بالبكريين والصديقيين الموجودين في مصر والشام،ولهم نسب روحي فقد هاجر أجدادهم الأوائل من المدينة المنورة بالحجاز(2).بينما ذكر أحد الباحثين أن قبيلة أولاد سيدي الشيخ كانت تسكن مكة المكرمة مع بداية الدعوة الإسلامية(3).جاءت عائلة أولاد سيدي الشيخ من المدينة المنورة بالحجاز*في أزمنة غير معروفة،ثم هاجرت إلى مصر ومكثت بمدينة الإسكندرية،ومن هناك انتقلت إلى تونس واستقرت بعض الوقت،فانحدر منها العالم سيدي محرز الذي مايزال قبره ومسجده موجودا إلى اليوم،يمثل إحدى المعالم المعمارية في مدينة تونس،ونظرا لما تتمتع به هذه العائلة من احترام ونفوذ ديني معتبرين،فإن بعض أفرادها قد احتلوا مناصب هامة في الدولة خلال القرن الرابع عشر الميلادي(4)،وقيل أن جد أولاد سيد الشيخ خرج من تونس غاضبا لأسباب عائلية أو سياسية،ونشد الصحراء والعزلة(5).ومن تونس انتقل البعض من عائلة أولاد سيد الشيخ إلى جرجرة،وربما قد تعرفت بعض بطون حميان بأولاد سيدي محرز عندما كانت حميان تستقر بمنطقة بجاية قبل نزوحها إلى صحراء تلمسان.أوربما رافقت بعض بطون بني يزيد أولاد سيدي الشيخ إلى منطقة البيض.

---

(1)د.يحي بوعزيز:ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين –ج1–ط2–منشورات المتحف الوطني للمجاهد–الجزائر–1996–ص165

(2) Trumelet:Notes pour servir àl'histoire de l'insurrection dans la province d'Alger de1864;revue africaine;Alger;1882;pp333-334–د.إبراهيم مياسي:من ثورات أولاد سيدي الشيخ–ص115

(3)د.أبوالقاسم سعد الله:الحركة الوطنية الجزائرية 1860–1900م– ج1–ط1–دارالغرب الإسلامي–بيروت–2000–ص179–د.يحي بوعزيز:ثورات الجزائر–ص163

*ينظر إلى:إبراهيم مياسي:من ثورات أولاد سيدي الشيخ– ص115

(4)Trumelet:les français dans le désert;2édition;paris;1885;p80

(5)د.أبوالقاسم سعدالله:الحركة الوطنية الجزائرية–ص179

ثم هاجر أولاد سيدي الشيخ إلى تنس وتلمسان وغرناطة بالأندلس، ثم إلى منطقة فقيق ثم استقروا في واحة تانكريت التي تعرف بالأبيض سيدي الشيخ(1)بالهصاب العليا الغربية الجزائرية منذ القرن السادس عشر الميلادي(2)،وفي رواية أخرى أن أسرة أولاد سيدي الشيخ رحلت من تونس متجهة نحو الغرب في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي(3) تحت قيادة سيدي معمر بلعالية الذي اعتبر من الأولياء الصالحين،حيث تزعم هذه الأسرة التي قادها إلى بلاد بني عامر،فحضيت باستقبال حار جدير بأحباب الله وأتباعه حسب اعتقادهم(4)،وقيل أن بني عامر هي التي استقبلت وباركت مجيء سيدي معمربلعالية(5).بينما ذكرت مصادر الضباط الفرنسيين والمصادر الشفاهية أن سيدي معمر رافقه ثلاث عبيد سود وهم رزين وعكرم وزياد الذي ولد في الفترة التي نزح فيها سيدي معمر بلعالية من تونس إلى الجزائر(6).ويبدو أن الترجمة كانت غير صحيحة،فلم يكن رزين وعكرم عبيدا أي بمعنى أن بشرهما سوداء،وإنما المقصود من العبيد هم الخدم،وقيل أنهم لم يكونوا خدما أو عبيدا وإنما كانوا فرسانا،وقد استقر سيدي معمر بلعالية في باديء الأمر في منخفض وادي القليته ما يقارب أربعة أجيال،حيث شيدوا قصور وهي عبارة عن قرى بنيت من الحجر والطين(7).

---

(1)د.يحي بوعزيز:ثورات الجزائر-ج1-ص165

(2) نفسه:ص179--Trumelet:les français dans le désert.P81 د.إبراهيم مياسي:من ثورات أولاد سيدي الشيخ-ص116د.يحي بوعزيز:من ثورات القرن التاسع عشر-ص.ص116-117

(3)د.يحي بوعزيز:نفسه-ص.ص- 116-117

(4) نفسه:ص117--Gendre(F):la région des ksour du sud-oranais-T16-17-paris-1909-1910-p57

(5)-Gendre(F):op.Cit.p57د.أبوا القاسم سعدالله:الحركة الوطنية-ص179

(6)Noèl:op.cit.p150 Jaquot Félix:op.cit.p286 E.daumas:mœurs et coutumes en Algérie-

(7)د.إبراهيم مياسي:من ثورات أولاد سيدي الشيخ-ص117

ومنها قصر أربا التحتاني والفوقاني*،وفي رواية أخرى أن أسرة البوبكرية.استقرت بوادي القليته قرب قصر أربا،الذي كان محل صراع سياسي بين الإباضيين والفاطميين، وبين بني مرين والزيانيين(1)،وقد ترك سيدي معمر بلعالية بعد وفاته ابنا كان يسمى عيسى الذي توفي عن عمر يناهز أربعة وعشرين سنة،وقد ترك عيسى ابناسمي ببوليلة وأنجب بوليلة بولحية وبولحية أنجب بوسماحة،وعن بوسماحة سليمان الذي دفن بقصر يني ونيف،والذي تنسب إليه أسرة أولاد سيدي الشيخ،وأقام أولاد سيدي الشيخ القباب على أضرحة أجدادهم(2) كقبة سيدي معمر بلعالية وسيدي عيسى بوليلة،وسيدي يوسماحة.وسرعان ماسئم زعماء هذه القبيلة المكوث بنفس المكان،فغادر البعض من أفرادها هذه القصور واتجهوا بقيادة سيدي سليمان ولد بوسماحة غربا نحو واحات فقيق أين توفي هناك واشتاق الابن الأكبر سيدي محمد ولد سيدي سليمان إلى وطن أجداده(3)،فغادر فقيق تاركا إخوته هناك ونزل بالشلالة الظهرانية التي مكث بها حتى وفاته، بينما استقر أخوه سيدي أحمد المجذوب فيما بعد بقصر عسلة غرب الشلالة الظهرانية*وفي رواية مياسي أن سيدي أحمد المجذوب أنجب ولدا رزق الله البركة والتقوى والإحترام والتقديس في بعض الأحيان(4)،واعتبر ولي الله الصالح وهو سيدي عبد القادر الذي شاع إسمه في كامل الجنوب الغربي

---

*أربا التحتاني والفوقاني:وتسمى أيضا بأربوات،تعد ممن أقدم قصر من بين قصور بني عامر،وهي كلمة مشتقة من ربلت البلاد أو ربدة البلاد،وقد شهد قصر أربا الصراع الزناتي الفاطمي أيام عبيدالله الفاطمي.ينظر إلى البيان:ج1–ص240–محمد بن عميرة:دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي–المؤسسة الوطنية للكتاب–الجزائر–1986–ص 228

Gendre:op.cit.p58

(1) د.إبراهيم مياسي:من ثورات أولاد سيدي الشيخ–ص117

(2) نفسه:ص117

(3) د.إبراهيم مياسي:من ثورات أولاد سيدي الشيخ–ص116–د.يحي بوعزيز:ثورات الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين– ص163

الشلالة الظهرانية والقبلية:تعد من قصور الأطلس الصحراوي،تقع جنوب شرق قصر عسلة،وهي كذلك تابعة إلى البيض.

(4).إبراهيم مياسي: من ثورات أولاد سيدي الشيخ – ص117

الجزائري والجزء الشرقي من المغرب الأقصى.وأصبح له العديد من الأتباع والإخوان والمريدين،ولد سيدي عبد القادر الملقب بسيد الشيخ سنة1530م وتوفي سنة1615م(1).وهو صاحب الطريقة الشيخية التي تعتبر فرعا من فروع الطريقة اليوسفية الشاذلية،ودفن في الأبيض الذي سمى بإسمه أي بالأبيض سيدالشيخ الذي يقع شرق البيض(2)،.

ب-الرزاينة:لم يتعرض النسابة المؤرخون العرب في مصادرهم كلمة رزاينة،ويبدو من خلال لغتهاوبنائها الاجتماعي ونمطحياتها الاجتماعية أن نسبها يعود إلى عرب بني هلال،بحيث لا تختلف عن حميان في حياتها البدوية،أو احتمالا أن الرزاينة تنسب إلى عرب عدنانية أو قحطانية،وفي غياب المصادر التاريخية لا يمكن الجزم بنسب الرزاينة ولا يمكن تحديده تحديدا دقيقا،وحسب مصادر الضباط الفرنسيين والمصادر الشفاهية،أن اسم الرزاينة مشتق من كلمة رزين*(3)الذي ربما كان زعيم هذه القبيلة يكنى بهذا الاسم؛ أوربماكان يتميز بالرزانة ورجاحة العقل.أوكان اسمه رزين وقيل أنه جاء مرافقا لجد أولاد سيدي الشيخ وهو معمر بلعالية في القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي،وكان يمثل أحد فرسانه ولذلك أطلق عليهم اسم الرزاينة(4)،وحسبما جاء في مصادر الضباط الفرنسيين فإن قبيلة الرزاينة تنقسم إلى قسمين:الرزاينة الغرابة والشراقة(5)،وهذا التقسيم ليس مبنيا على أساس جغرافي وقد انعكس هذا التقسيم

(1)د.أبو القاسم سعدالله:الحركة الوطنية الجزائرية-ج1-ص180-د.إبراهيم مياسي:من ثورات أولاد سيد الشيخ ص118

(2) د.إبراهيم مياسي:من ثورات أولاد سيد الشيخ-ص118-د.يحي بوعزيز:من ثورات الجزائر-ص164 د.أبو القاسم سعدالله:الحركة الوطنية الجزائريةج1-ص 164

*رزين:يوجد بن ورزين وهو ينتسب إلى بربرزناتة من بني بادين-ينظر إلى بن عودة المزاري-المصدر السابق-ص161

(3) Noèl :op.cit.p191

(4) Ibid.p191

(5) Ibid:p191

الذي كانت فرنسا سببا في وجوده سلبا على تطور القبيلة(1)،استقر رزين مع سيدي معمر بلعالية بقصر أربا،وكان له أربعة أبناء وهم أحمد وعون وهلال وعامر،والغالب إلى الظن أنه من خلال اسم أحد أبنائه هلال،أن قبيلة الرزاينة هي قبيلة هلالية،وتزوج أبناء رزين وأنجبوا أولاد وأحفاد.وتشعبت أسرة رزين وأصبحت تشكل قبيلة،وتذهب مصادر الضباط الفرنسيين والمصادر الشفاهية أن نسب البسايس يعود في الواقع إلى أهل قصر بوسمغون* وبالتالي فهم من بربر زناتة(2)،وتشير هذه المصادر أن العلاقة التي جمعت بين البسايس ورزين وسيدي معمر بلعالية،كانت تتمثل في كون أن سيدي معمربلعالية كان في حاجة إلى إدرايين،وبما أن أهل بوسمغون كانوا يتقنون التسيير الإدار،فإن سيدي معمر بلعالية استدعى جد البسايس لهذا الغرض،فولاه تسيير أملاكه،وكون أن رزين كان أحد فرسانه إلى جانب عكرم وزياد،فقد توطدت العلاقات بين البسايس والرزاينة،وأصبحت البسايس نتيجة الاندماج بطنا من بطون الرزاينة.

ب1- <u>الرزاينة الغرابة</u>:تتكون من المراخيس وأولاد خلف الله وأولاد محمد ابن عيسى،فيسمى أحفاد أحمد بأولاد سعدة،نسبة إلى أمهم التي كانت تسمى سعدة(3).ومن المحتمل أن أبوهم توفي،وتكفلت أمهم سعدة بتربيتهم ورعايتهم.ومن أولاد سعدة.

Noèl : op.cit.p192 (4)*

قصر بوسمغون:هو قصر من قصوربني عامر ،وحسب الدراسات الأثرية يعد من أقدم القصور،وكذلك من القصور الآهلة بالسكان ويتكلم سكانه اللغة الزناتية المعروفة بالشلحة،وهو القصر الوحيد الذي لاتزال اللغة الزناتية تتداول على مستوى واسع عكس القصور الأخرى التي انحصرت على مستوى العائلات.ينظر إلى: René Basset: le ksar de boussamghoun-bsgo-1886-p66

Noèl:op.cit.p191 (1)

LouisRinn:MaraboutsetKhoun;Librairieéditeur;Alger1884p351-صالح عباد:الجزائر خلال الحكم التركي(1514-1830م)-دارهومه-الجزائر-2005-ص141

Ibid.p192(2)

Ibid;p192(3)

القرينات والسواريت، بينما توجد بعض العائلات وفدت من قصر لحمر وبوكايس بمنطقة بشار،كانت أجدادها مدرسين للقران،فاندمجت هذه العائلات ضمن قبيلة الرزاينة نتيجة المصاهرة،ويقال أن هؤلاء المدرسين شارطوا قبيلة الرزاينة مقابل تدريس أبنائها،وهي الطريقة التي كانت متبعة في تدريس القران بالنسبة للبدو الرحل.أما بالنسبة للطلح فإن نسبهم يعود إلى أهل انقاد، (1)،وينحدر أولاد هلال من هلال ويطلق أيضا اسم البسايس،وينحدرمن عامر أولاد عامر من بطون،وهم الجلاغطة،المجاديب والكوابي والعيايدة والخلاويت والعوامر(2).

ب2-<u>الرزاينة الشراقة</u>:تتعدد بطونها إلى أولاد محمد ويقال أن نسبهم يعود إلى أولاد جرير،والخشاع والمرابعة وقيل أن نسبهم يرجع إلى زناتة المغرب الأقصى وهم ايت عطة(3)،والذين أنجبهم عون فيطلق عليهم اسم أولاد عون ثم أولاد بلهادي وأولاد العيد والحشالفة وهؤلاء هم فخذ من أفخاذ زغبة،والشواوكة وأولاد عون،وهؤلاء يتفرعون إلى أولا قويدر،وقيل أن نسبهم يعود إلى أولاد سيدي علي بن يحي المستقرين بالبيض(4).والعبس وهم ينتسبون إلى أهل انقاد،ثم النواورة وأولاد بن ديدة والمعادنة،ويقال أنهم جاءوا من فرندة.ينقسم أولاد سعدة إلى غرابة وشراقة،بالنسبة لأولاد سعدة الغرابة فقد سبق ذكرهم.بينما أولاد سعدة الشراقة فهم الشردان وأولاد الجيلالي والعبابسة وأولاد بن شكروقيل أن نسبهم يرجع إلى الغنانمة الذين كانوا مستقرين بوادي الساورة(5).وتشير مصادر الضباط الفرنسيين أن بقية الرزاينة والتي

(1) Rinn:op.cit.p351–Noèl:op.cit.p192.–صالح عباد:المرجع السابق–ص141
(2) Ibid.p193–صالح عباد:الجزائر خلال الحكم التركي–ص141
(3) Ibid.p193
(4) Ibid.p194
(5) Ibid.p194

لم يتم ذكرها فالراجح أنها تنتسب إلى رزين وهم كإخوة لأولاد زياد(1).وتجهل أسباب هجرة الرزاينة من قصر أربا إلى التل الوهراني،وربما قد شاركت في الجهاد ضد الإسبان إلى جانب سيد الشيخ،وكانت الرزاينة ولاتزال من أتباع سيد الشيخ ومريديه ومن أتباع الطريقة الشيخية،ومنهم من أتباع سيدي سليمان بوسماحة الذي دفن ببني ونيف أوربما كان سبب هجرتهم إلى التل الوهراني يتمثل في الترحال الموسمي الذي كانت تقوم به قبائل المنطقة،ثم هاجرت قبيلة الرزاينة قبل الاحتلال الفرنسي إلى المنطقة الواقعة بين معسكر وسعيدة،وكانت تابعة لبايليك الغرب أواليعقوبية.وخلال فترة الاحتلال الفرنسي مابين 1830و1906م ارتحلت قبيلة الرزاينة إلى منطقة الواقعة مابين سعيدة وسفيد وواد فليط،وخضعت للنظام المدني الفرنسي الصادر في سنة 1871م.ثم نزحت بعد سنة1906م إلى موطن حميان،جنوب الشط الشرقي بسبب رفضها لقانون جونار والتجنيد الإجباري،بينما ذكرت مصادرشفاهية أن سبب نزوح قبيلة الرزاينة إلى موطن حميان هو نتيجة كثرة الفتن بينها وبين قبائل منطقة سعيدة،وهي الجعافرة والحساسنة*ولوأن نسبة معتبرة من الرزاينة لاتزال تستقر بمنطقة سعيدة(2).

ج-<u>المعقل</u>:من بطون الطبقة الرابعة ينتسبون إلى عرب اليمن كما يقول ابن خلدون(3) وكانت في عهده من أوفر قبائل العرب، وكان نسبهم مجهولا ونسابة العرب من هلال يعدوهم من بطون هلال، ويقول ابن خلدون هذا غير صحيح(4)

Noël:op.cit.p192(1)

Ibid :p192(2)

*تنتسب الحساسنة إلى عرب سويد بن مالك.ينظر إلى:العبر-ج6-ص 46

(3)العبر:ج6- ص60- -الحسن بن محمدالوزان المعروف بليون الإفريقي: وصف إفريقية-ص53-د.مصطفى أحمد أبوضيف:المرجع السابق- ص232-مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص159

(4)العبر:ج6-ص59-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص159-محمد بن ماء العينين:الجأش الربيط في النضال عن مغربية شنجيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط-القاهرة-1957-ص28

ويزعم المعقل أهم من نسب أهل البيت إلى جعفر بن أبي طالب وليس ذلك بصحيح لأن الطالبيين والهاشميين لم يكونوا أهل بادية وترحال(1)،وربما يعود نسبهم إلى عرب اليمن.دخلت المعقل برفقة الهلاليين بعدد قليل،يقال أهم لم يبلغوا المائتين(2)،وسبب انضمامهم إلى الهلاليين أن بني سليم أعجزوهم منذ عهد قديم ونزلوا مما يلي ملوية ورمال تافيلات وجاوروا زناتة في القفار(3)،وزاد عددهم في صحاري المغرب الأقصى،فعمروا رماله وتغلبوا على فيافيه وكانوا أحلافا لزناتة،وبقي منهم بإفريقية جمع قليل اندرجوا في جملة بني كعب بن سليم وكانوا وزراء ومعاونيين لزعمائهم(4)،فإن فيهم بطنين يسمى كل منهما بالمعقل، ذكرهما ابن الكلبي فأحدهما من قضاعة بن.مالك بن حمير وهو معقل ابن كعب بن غليم بن خباب بن هبل بن عبدالله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عترة بن زيد ابن اللات بن رفيدة بن ثور بن كعب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة(5)،والبطن الثاني من بني الحرث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد ابن مذحج واسمه مالك بن أدد ابن زيد بن يشجب بن عريب بن زير بن كهلان وهو معقل واسمه ربيعة بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحرث،وهم ينسبون إلى جدهم معقل ومنه سجير ومحمد،وينقسمون إلى ثلاث بطون ذوي عبيدالله،وذوي منصور وذوي حسان.ومن صغير ولد عبيدالله وثعلب(6).

---

(1) العبر:ج6-ص51-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص161-الحسن بن محمد الوزاني:وصف إفريقية -ص51

(2) العبر:ج6-: ص60-الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي:وصف إفريقية- ص 51-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:المرجع السابق- ص232

(3)العبر:ج6-ص60 -د.مصطفى أبوضيف عمر:نفسه-ص232

(4)العبر:ج6- ص60- السلاوي:الاستقصا-ج2- ص161- محمد مبارك الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث- ج2- ص15-.د.مصطفى أبوضيف القبائل العربية- ص232

(5) الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي: المصدر السابق- ص56

(6)العبر:ج6-ص60-الحسن الوزاني:وصف إفريقية-ص56

ومن عبيدالله ذوي عبيدالله البطن الكبير،ومن ثعلب الثعالبة الذين بمتيجة بنواحي الجزائر العاصمة(1)،ومن ولد محمد مختار ومنصور وجلال وسالم وعثمان،ومن ولد مختار بن محمد حسان وشبانة،ومن حسان ذوي حسان،وهم أهل السوس فلما استولت زناتة على بلاد المغرب ودخلوا أمصارها.وبقي هؤلاء المعقل في القفار،ملكوا قصور الصحراء التي أسستها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا ثم توات وبودة،وتمنطيت وورقلة وتاسبيت وتيكورارين شرقا(2).فجاز عرب المعقل هذه القصور،وفرضوا عليهاالأتاوات والضرائب وأصبحت لهم جباية يعتدون فيها ملكا وفي سلطان بني عبدالواد من زناتة(3)..

ج1-ذوي عبيدالله: كانوا بقفار المغرب الأقصى،ومجاورن لبني عامرمن زغبة،وكانت مواطنهم مابين تلمسان ووجدة إلى مصب وادي ملوية في البحر ومنبعث وادي صا من القبلة وتاوريرت في التل إلى المحيط الأطلسي غربا(4)،وتجوالهم في القفر ينتهي إلى قصور توات وتمنطيت وربما يزيدون إلى تسابيت وتيكورارين وهذه كلها مراكز تجارية(5)،رقاب القفر على حد قول ابن خلدون إلى بلاد السودان،وينقسم ذوو عبيدالله إلى بطنين الخراج والهداج،فالخراج من أولاد خراج بن مطرف بن عبيدالله،رئاستهم في أولاد عبدالملك بن فرج بن علي بن أبي الريش بن مهايا بن عثمان بن خراج لأولاد عيسى بن عبدالملك ويعقوب بن عبدالملك،ويغمور بن عبدالملك.(6).

(1) العبر:ج6-ص61- القلقشندي:صبح الأعشى-ج5-ص149-الحسن الوزاني:وصف إفريقية -ص51-محمد بن ماء العينين:الجأش الربيط-ص28

(2)الحسن الوزان:المصدر السابق -:ص56

(3) العبر:ج6ص 61-د.مصطفى أبوضيف عمر:المرجع السابق-ص232

(4)نفسه:ص60-الحسن بن محمد الوزان:ص55-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص161

(5) الحسن بن محمد الوزان:نفسه-ص56-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص159-أحمد مختار العبادي:دراسات في تاريخ المغرب-ص198

(6)العبر:ج6-ص60-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص159-مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص159

تتقاسم بين رحوبن منصور بن يعقوب وبين طلحة بن يعقوب بن يغمور.وكانت رئاستهم في أواخر القرن الثامن الهجري(1)ومن أشهر بطون خراج جعوان أو الجعاونة،وبنوعثمان أو العثامنة وغاسل أو الغسل،ومطرف أو المطارفة،ومن العثامنة أولاد عبد الملك،وفيهم رئاسة الخراج،ومعهم ناجعة من المهايا ينتسبون تارة إلى مهايا بن عياض وتارة إلى مهايا ابن مطرف،وكانت الخراج تسكن في صحراء بني كومي وهي عبارة عن قصور تقع على ضفاف وادي زورفانة وأهمها قصر تاغيت وفقيق(2)،ولهم أراضي زراعية كثيرة بنوميديا وإعانات مالية يتلقونها من ملك تلمسان الذي لا يكاد يفتر في الحرص على حملهم على أن يعيشوا عيشة مسالمة شريفة،وهم نحو أربعة آلاف فارس من عادتهم أن يرحلوا إلى نواحي تلمسان في فصل الصيف(3).أما من أولاد الهداج بن مهدي بن محمد بن عبدالله،ورئاستهم في أولاد يعقوب بن هبا بن هداج وهم بنو فكرون بن محمد بن عبد الرحمن بن يعقوب(4).(ينظر الجدول رقم 04ص448).ثم أبو يحي الكبير بن مناد بن عمران ابن رزقبن يعقوب،ثم آلت إلى أبي يحي الصغير بن موسى بن يوسف بن حريز بن يعقوب يساعده أبو حميدة محمد بن عيسى بن مناد بن عمر بن عمران بن رزق الله بن يعقوب في أواخر القرن الثامن الهجري وهم حلفاء لبني مرين،إقطاعاتهم منهم ومواطنهم من بلادهم،ورجوعهم إلى بني عبدالواد في النادر،وهم كثير التقلب في القفار والغزو القاصية ولأهل الرمال والملثمين(5).وتسكن صحراء مجاورة لتلمسان تدعى أنكاد وليس لهم ممتلكات ولا إعانات وهم نحو خمسمائة فارس,

(1)العبر:ج6-ص61-عبدالوهاب بن منصور:قبائل المغرب-ج1-ص426
(2)الحسن الوزاني:وصف إفريقية-ص52
(3)العبر:ج6-ص61-عبدالوهاب بن منصور:قبائل المغرب -ج1-ص427
(4) نفسه:ص61-عبدالوهاب بن منصور:قبائل المغرب -ص427
(5)الحسن الوزاني:وصف إفريقية-ص52

وكانت العلاقة بين ذوي عبيدالله وبني عامر ومن بينهم حميان عدائية والحروب مستمرة بينهم في أغلب الأحيان(1)،وربما يعود سبب العداء إلى المواقف المختلفة بين بني عامر وذوي عبيدالله،فبنوعامركانوا دائما إلى جانب بني عبدالواد خاصة بنوعامر بن حميد وذوي عبيدالله كانوا إلى جانب بني مرين، وبالتالي اختلفت مصالحهم، وكون أن الطرفين كانوا يستخدمون كجنود في جيوش بني عبدالواد وبني مرين،فلاشك أن الطرفين تعرضوا للمواجهة العسكرية،وسقطت بينهم أرواحهم أدت إلى استمرار العداء،وكان ذوي عبيدالله ثائرين على دولة بني عبد الواد بصفة تكاد تكون مستمرة،حيث كانوا أحلافا لبني مرين خلال فترة قوتهم(2)،ونظرا لقرب مواطنهم من حدود الدولة المرينية،فقد أحازوا إليهم في غزوهم للمغرب الأوسط،بل اعتمد المرينيون عليهم كجنود وفرسان ضمن قواتهم(3)،فأثناء غزو أبي الحسن المريني لتلمسان حالفوه وساعدوه،وأسند إليهم غزو قصور الصحراء الواقعة جنوب وجدة(4)،واحتمالا أن قصور بني عامر تعرضت لهجوم ذوي عبيدالله بحكم معرفتهم بالمنطقة،وكذلك بحكم مجاورتهم لبني عامر.

د-<u>الخلايفة</u>:حسب ما جاء في مصدر ضباط مكتب الشؤون العربية،والمصادر الشفاهية أن اسم الخلايفة نسبة إلى الولي الصالح سيدي خليفة،وهو ولد أحمد الذي قيل أن نسبه يعود إلى أدراسة المغرب الأقصى(5)،وجاء أحمد كما تذكر نفس المصادر من مراكش(6)،وقد استقر بمنطقة الخيثر بالشط الشرقي وهاجر بعضهم إلى المشرية.

(1)العبر:ج6-ص61- الحسن الوزان:وصف إفريقية-ص51-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص 159-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص 158-د.مصطفى أحمد أبوضيف:المرجع السابق-ص45

(2) العبر-ج6:ص62-الحسن الوزاني:وصف إفريقية-ص52-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص232

(3)نفسه:ص62-الحسن الوزاني:وصف إفريقية-ص52

(4)الحسن الوزاني:وصف إفريقية-ص52

(5)Noèl:op.cit.p192

(6)Ibid :p193

وأسسوا قصرا الذي لاتزال آثاره موجودة إلى اليوم داخل الثكنة العسكرية التي تغطي مساحة واسعة وسط مدينة المشرية وكانت في العهد الاستعماري الفرنسي عبارة عن مشتلة تابعة لمكتب الشؤون العربية خلال الفترة الاستعمارية.وربما هاجرت أسرة أحمد بعد ما أصاب دولة الأدارسة منذ تأسيسها سنة172هـ وإلى غاية انقراضها سنة 375هـ من أخطار خارجية متمثلة في الأغالبة ومن بعدهم الفاطميين بإفريقيه،والأمويين بالأندلس حتى ضعف أمرها واقتصر سلطان الأدارسة على البصرة وأصيلا وحجر النسر،وأخطار داخلية حيث انتهى الأمر بحصارهم،ومن انضم إليهم من بني عمومتهم ببلاد الريف من بني عمر بن إدريس في قلعة حجر النسر على يد مكناسة بقيادة موسى بن أبي عافية.وحينما فكر موسى بن أبي عافية في تدميرهم رفض رجال دولته،وقاوموه متسائلين كيف يوافقون على قطع دابر أهل البيت من المغرب،فخرج الأدارسة من القلعة بعد حصار دام أربع سنوات(1) أدت إلى ركود ريح العلويين وتفرق جمعهم،وانقرضت دولتهم بعد حكم قرنين من الزمان وتفرق العلويون في قبائل المغرب ولاذوا بالاختفاء(2)،والغالب على الظن أن بعضهم هاجر إلى المغرب الأوسط عبرقصرفقيق بحيث يعيش بين زناتة قصور بني عامر التي تقع بالأطلس الصحراوي الغربي أسر من الأدارسة،تستقر في قصر تيوت ومغراروالشلالة الظهرانية،ربما لها صلة بأسرة أحمد.وتوجد إلى اليوم بقايا الأدارسة شبه منعزلة عن القبائل المجاورة لها بجبال ورقة*،التي تشتهر بحمام معدني يسمى بحمام ورقة يقال أنهم من الشرفاء الأدارسة،يلقبون بمولاي،

(1) العبر:ج6- ص. ص.25-26-د.مصطفى أحمد أبوضيف:المرجع السابق- ص45

(2) نفسه: ص.ص 25-26- الميلي:ج2-ص162- عبدالوهاب بن منصور:قبائل المغرب- ج1-ص41 G.Marçais:les arabes en berbérie du11siècles paris 1913 p.p639 642.

*عين ورقة:تقع شرق تيوت وتبعد عنها بنحو ثلاثين كيلومتر وكذلك جنوب قصر عسلة، وهي محاطة بجبال التي هي جزء من جبال الأطلس الصحراوي، وتتميز جبال ورقة بالتنوع الجيولوجي.

يعيشون على إنتاج الملح والغاسول من جبال ورقة التي هي جزء من جبال الأطلس الصحراوي،ويسكنون بيوتا من الطين والحجر شبيهة بمساكن القصور في أعالي الجبال.

هـ-العمور:ليسوا من الأثبج وإنما يلحقون بهم،والغالب إلى الظن أنهم من ولد عمرو ابن عبدمناف،وليسوا من ولد عمربن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال(1)،نظرا لعدم وجود صلات فيما بين رياح وزغبة والأثبج من ناحية،وبين قرة أشهر بطونهم من ناحية أخرى،في الوقت الذي يوجد بين قرة وغيرهم من بطون هلال صلات،والعموربطنان قرة أومرة وعبدالله(2)،وهم مستقرون بالضواحي والجبال وفيهم الفرسان وأكثرهم رجالة. موطنهم مابين جبل أوراس شرقا إلى جبل راشد أوجبل العمور،حيث الفقر والجدب،وبنوقرة بطن متسع الاأنهم موزعون في القبائل والمدن وحدانا ورياستهم في بني عبدالله بن علي ومنهم بطنان كأولاد محمد وأولاد ماضي ومنهم أولاد عنان بن محمد وعزيزبن محمد ومنهم أولاد شكربن عنان وفارس بن عنان ومنهم زكري بن سعيد بن بسيط بن شكر وشيخهم المعاصرليعمور هو عامربن أبي يحي بن يحي(3).ومواطن أولاد فارس،وأولاد عزيز وأولاد ماضي بسفح جبل أوراس المطل على بسكرة متصلين بجوار رياح وتحت طاعتهم،خصوصا الزواودة الذين يجولون بوطنهم ولصاحب الزاب وبسكرة عليهم طاعة لقرب الجواره وحاجتهم إلى سلطانه وموطن أولاد شكر جبل راشد أومايسمى بجبل العمور (4).

---

(1) العبر:ج6-ص26-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص162-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص211-عبدالوهاب بن منصور:قبائل المغرب -ج1-ص41 G.Marçais: les arabes en bérbérie. du11au13siècle-paris-1913-p.p.639-642

(2)العبر:ج6-:ص26-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر-ج2-ص162

(3)نفسه:ج6 - ص.ص.25-26-الميلي:تاريخ الجزائر-ج2-ص162-عبد الوهاب بن منصور:قبائل المغرب-ج1ص41-د.مصطفى أحمد أبوضيف:المرجع السابق-ص211-G.MarçaisMop.cit.p.p639-642

(4) العبر:ج6-ص26-د.مصطفى أحمد أبوضيف:المرجع السابق-ص211

ثم استقل به أولاد محيا بعد طردهم لأولاد زكرير على جبل كسال بالبيض(1)،ومنهم من هاجر إلى منطقة تيوت وعين الصفراء،مثل مغنيات وأولاد بوبكر وأولاد أحمد وأولاد تومي،وأولاد سيدي بلنوار والصوالة(2)،واستمر الصراع بينهما إلى أن استولت زغبة على جبل راشد،الذي أصبح يحمل اسم العمور،فصار أولاد محيا أتباعا لسويد بن زغبة،وأولاد زكرير في حماية بني عامر(3).

خلاصة القول: يستخلص مما سبق ذكره أن المصادر الشفاهية أصبح يغلب عليها الطابع الأسطوري والذي لا يمت بصلة إلى الموضوعية التاريخية،ونظرا لتعاقب الأجيال وتغير مراكز كثير من قبائل المنطقة، وأيضا تغير أسماء بعض القبائل أو البطون سواء كانت تنسب إلى بني يزيد أو إلى بني زغبة فإن الراوي لايمكن أن يحافظ على أسماء البطون والقبائل،إلا القبائل التي بقيت محافظة على اسمها الذي ورد في مصادر النسابة والمؤرخين العرب القدماء،ومن نقل عنهم من المؤرخين المحدثين.عرفت هذه المصادر كذلك الزيادة والنقصان والمبالغة والمغالاة أو الإجحاف في حق تاريخ قبيلة حميان وبني عامر.وبالرغم من أنها تفتقر إلى التسلسل المنطقي للأحداث التاريخية وإلى الحقيقة التاريخية في معظمها إلا أنه يمكن الاستفادة منها،وما يؤخذ على مصادر الضباط الفرنسيين أنها جمعت بين المصادر التاريخية والمصادر الشفاهية،وبالتالي أصبح من العسير التمييز بين المعطيات التاريخية المستقاة من المصادر التاريخية والمصادر الشفاهية،ويلاحظ من خلال قراءة المصادر الشفاهية أن معظمها مجهولة المؤلف،وتفتقر لعامل الزمن وأحيانا المكان،بل ركزت المصادرالشفاهية على المكان في تحديد النسب والأصل.

---

(1)العبر:ج6-ص.ص25-26-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص162-عبدالوهاب بن منصور:قبائل المغرب-ج1-ص419-G.Marçais : les arabes-p.p639-642

(2)Mensier :op.cit.p24

(3)العبر:ج6-ص.ص25-26-عبدالوهاب بن منصور:المرجع السابق-ج1-ص419

ولا شك أن المكان لا علاقة له بالنسب والأصل،وكذلك لم تحدد هذه المصادر أسباب الهجرات التي كانت تتم على المستوى الإقليمي أو المحلي،ولم تراع الظروف والأسباب السياسية والتغيرات التي حصلت سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي،ولم تلتزم بقواعد البحث العلمي النزيه وكذلك لم تتعرض إلى التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي شهدها المغرب الإسلامي منذ نزوح حميان وبني عامر من جملة بني زغبة في منتصف القرن الخامس الهجري(11م) من صعيد مصر إلى إفريقية ثم المغرب الأوسط ثم إلى صحراء تلمسان إلى غاية القرن الثامن الهجري(14م).تنتسب قبيلة حميان إلى يزيد بن زغبة بن هلال،وبالتالي فهي قبيلة هلالية النسب والأصل،وذلك من خلال ماورد عن النسابة المؤرخين العرب القدماء.يلاحظ أن هناك تشابه بين المصادر الشفاهية ومصادر ضباط مكاتب الشؤون العربية التي دونت نسب وأصل حميان وتاريخهم والتي سجلتها ودونتها بعد اتصالاتي والمقابلات التي أجريتها مع كبار السن،وبالتالي يمكن القول أن الضباط الفرنسيين قد دونوا هذه المعلومات عن شيوخ القبيلة،وأن شيوخ حميان اليوم بدورهم قد نقلوا هذه الروايات التاريخية عن طريق المشافهة عبر الأجيال السابقة وذلك في غياب التدوين والكتابة،وهذا ماجعل المصادر الشفاهية تفقد كثيرا من الأحداث والوقائع التاريخية والثقافية الصحيحة.ولاشك أن حميان كرهط أو فصيلة أو فخذ قد هاجرت رفقة بني هلال من بلاد الحجاز والشام إلى صعيد مصر في ظل ظروف سياسية فرضها السلطان العزيز الفاطمي،ثم هاجرت ونزحت رفقة بني زغبة إلى بلاد المغرب في منتصف القرن الخامس الهجري الموافق للقرن الحادي عشر الميلادي في ظل ظروف سياسية صعبة كان من ورائها الصراع الفاطمي الزيري،مع أن بني هلال لم يكن لهم أي هدف من هذا الصراع فكيف كانت ظروف حميان من جملة بني زغبة في صعيد مصر بعد هجرتها من الحجاز والشام ؟

الفصل الثاني:هجرة حميان من جملة بني زغبة إلى إفريقية سنة442هـ – 1049م

المبحث الأول: ظروف حميان في صعيد مصر

المبحث الثاني:أسباب هجرة حميان من صعيد مصرإلى إفريقية

المبحث الثالث: موقف إمارة بني زيري من حميان

ا- علاقة حميان من جملة بني زغبة بإمارة بني زيري

ا-**ظروف حميان في صعيد *مصر:** كانت حميان تشكل فصيلة من فصائل بني هلال بن عامر بن صعصعة في تلك الفترة أي قبل سنة962م،وفخذا من أفخاذ زغبة وهاجرت إلى صعيد مصر في ظل الهجرة الجماعية لبني هلال بعد أن انتصر الجيش الفاطمي على القرامطة وزوال دولتهم،نقل العزيز الفاطمي أشياعهم وأحلافهم من بني هلال من الشام والحجاز إلى صعيد مصر،وربما يعود سبب تهجيرهم أن السلطة الفاطمية،كانت ترى أن بلاد الشام تعد خط الدفاع الأول لمصر،وكانت تدرك أن بقاء بنوهلال في سوريا على حدود مصر الشرقية،يشكل مصدر خطر على حكم الفاطميين في شمال النيل،فانتهت السلطة الفاطمية إلى تشجيع القبائل الهلالية على الهجرة إلى مصر مابين 976م– 996م(1)،بل تخوفت من أن تستغل قبائل بني هلال من طرف حركة القرامطة أو من العباسيين،وفي الوقت نفسه كان الخليفة الفاطمي العزيز بالله الفاطمي يرى ضرورة استغلال هذه القبائل لتدعيم قوته العسكرية،والاستفادة من خبرتها العسكرية(2)وذلك من أجل مجابهة أي خطر يصدر من القيروان؛لأنه كان يشعر بوجود حركة انفصال من طرف بني زيري،ثم التخلص من شغبهم وأضرارهم،حيث ذكر بعض المؤرخين أن السلطة الفاطمية عندما انتقلت إلى القاهرة سنة362هـ -962م تذمرت من أضرار القبائل الهلالية التي كانت تستقر قريبا من القاهرة

*الصعيد:بلاد واسعة فيها عدة مدن منها أسوان،وهي أوله من ناحية الجنوب ثم قوص وقفط وأخميم والبهنسة،وهي تنقسم إلى ثلاث أقسام:الصعيد الأعلى وحده أسوان وأخره أخميم والصعيد الأوسط يمتد من أخميم إلى البهنسة،والصعيد الأدنى ويمتد من المنسة إلى قرب الفسطاط.ينظر إلى ياقوت الحموي معجم البلدان ج3- ص.ص 391392-محمد بن عميرة:دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي-المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1986-ص298

(1) محمود كامل:الدولة العربية الكبرى- ط1-دار المعارف-مصر(د.ت)- ص152

(2) د.عبد الفتاح مقلد الغنيمي:موسوعة المغرب العربي-ج4-المجلد2-ط1-مكتبة مدبولي-القاهرة-1994 ص146-رابح بونار:المغرب العربي تاريخه وثقافته-ص134-د.عبدالله علي علام:الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبدالمؤمن-دارالمعارف-مصر-1971-ص203

وتضايقت منها فنقلتها إلى صعيد مصر(1)،وفي هذه الحالة لا يمكن الجزم بهجرة حميان ضمن هذه القبائل في هذه الفترة،ولاريب أن استجابة حميان من جملة بني زغبة الهلالية لقرار التهجير الصادر عن العزيز بالله الفاطمي كان من ورائه أسباب موضوعية،وهي ربما قد تخوفت القبائل الهلالية من بطش الفاطميين في حالة رفضها لقرار التهجير المفروض عليها من الشام والحجاز إلى صعيد مصر،أواحتمالا استجاب بنوهلال لقرار التهجير بسبب ارتباطهم التاريخي بمصر التي لم تكن غريبة عليهم،وإنما كانت هجرتهم لها منذ الفتح الإسلامي؛أو ربما كان بنوهلال يدركون أهمية مصر كإقليم حيوي يناسب طبعهم وحياتهم البدوية،خاصة وأن بني هلال عانوا من الجفاف الذي تعرضت له منطقة الحجاز وفقر المراعي،لأن حياتهم الاقتصادية كانت تتوقف على ممارسة الرعي كنشاط اقتصادي أساسي،أو احتمالا تخوف بنوهلال من رد فعل العباسيين لأنهم كانوا إلى جانب القرامطة ضد بني العباس،أو ربما كان العامل الديمغرافي سببا في هجرة بني هلال إلى صعيد مصر،بحيث زاد عددهم وأصبحت أرض الحجاز والشام غير قادرة على استيعابهم.وخلاصة القول أن حميان هاجرت إلى صعيد مصر في ظل الهجرة الجماعية لبني هلال،وذلك نتيجة ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية التي كانت حتمية وقاهرة،خاصة وأن بني هلال أوغل في البداوة من بني سليم(2).وعندما حل بنوهلال بصعيد مصر، أجمع أغلب المؤرخين والباحثين أن بني هلال حولوا منطقة الصعيد إلى منطقة غير مستقرة وأحدثوا الفوضى،وعم ضررهم وأحرق البلاد شررهم،واشتد

(1) ألفرد بل:الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم _ترجمة عبدالرحمن بدوي _دار الغرب الإسلامي- بيروت -1981-ص219_د.عبدالفتاح الغنيمي:المرجع السابق-ج3 -134-رابح بونار:المغرب العربي تاريخه وثقافته ص134-محمدعبدالله عنان:عصرالمرابطين-ط1-القاهرة-1964-ص298-عبدالقادرالمشرفي:المصدرالسابق- ص 23

(2)العبر:ج6-ص14-د.عبد الفتاح مقلد الغنيمي:ج4-المرجع السابق-ص150محمد بن عميرة:المرجع السابق ص298

أذاهم على الزرع وعلى أهل الحواضر وأنزلوا البلاء، ونفر منهم أهل الصعيد وكذلك السلطة الفاطمية التي لم تكن مستريحة لوجودهم في مصر بسبب السلب والنهب،وكانوا عنصرا هداما وأحدثوا أتعابا للدولة الفاطمية ووقعت بينهم الفتن والحروب خاصة بين زغبة ورياح(1).بينما ذكر بعض الباحثين أن بني هلال لم يلحقوا أي أذى بأهل الصعيد(2).ويبدو أن المؤرخين قد بالغوا في وصف علاقات بني هلال مع غيرهم من القبائل الأخرى في صعيد مصر،بهذه الصفات التي تتنافى والطرح العلمي التريه،ولم يتطرقوا إلى الأسباب التي أدت ببني هلال إلى الفوضى والشغب والفتن،ربما يعود ذلك إلى طبيعة حياة البدوي،واحتياجاته الاقتصادية ونظرته المتميزة للسلطة وأنظمة الحكم،أضف إلى ذلك لم يتعرض المؤرخون إلى الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تعيشها قبائل بني هلال في صعيد مصر،فهل كانت بيئة الصعيد تستجيب لمتطلباتها المعيشية؟وهل كانت مناسبة لطبعها البدوي؟كيف كانت الظروف السياسية في مصر في تلك الفترة؟وهل كانت السلطة الفاطمية تراعي مصالح بني هلال؟كان بنوهلال يعيشون في صعيد مصر ظروفا صعبة سواء من الناحية الاقتصادية والاجتماعية و السياسية أيضا.

---

(1) العبر:ج6- ص 13-التجاني:رحلة التجاني-تحقيق حسن حسني عبدالوهاب-تونس-1958-ص16-عبدالقادر المشرفي:المصدر السابق-ص23محمدعبدالله عنان:المرجع السابق-ص298- Hady Idriss:la bébérie orientale sous les zirides10 11siècles-T1-Andrien Maisonneuve-paris-1962-p206-د.حسين مؤنس:المرجع السابق-ج1-ص593-شارل أندري جوليان:تاريخ إفريقية الشمالية من الفتح الإسلامي إلى سنة1830م-تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة-ج2-الشركة التونسية-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر-1978-ص96- -ألفرد بل:المرجع السابق-ص212د.السيد عبدالعزيزسالم:المغرب العربي الكبير-ج2-ص224-محمد بن عميرة:المرجع السابق-ص218-غوستاف لوبون:حضارة العرب-نقله إلى العربية عادل زعيتر(د.م)(د.ن)(د.ت)-ص256-محمد بن عميرة:المرجع السابق-ص299

(2)د.عبد الفتاح مقلد الغنيمي:ج4-المرجع السابق-ص145-د.حسين مؤنس:ج1-المرجع السابق-ص593

بحيث كانت المساحات الرعوية ضيقة،لا تستجيب لعدد بني هلال المتزايد،وربما كان سبب التطاحن بين زغبة التي تنتمي إليها حميان ورياح حول المراعي وموارد الماء،وربما بلغ هذا التراع إلى حد الاقتتال بينهما،بالإضافة إلى الأزمة الاقتصادية التي كانت تمر بها مصرفي تلك الفترة والجفاف الذي عرفته منطقة الصعيد خاصة في عهد المستنصر بالله الفاطمي*وعرفت فترته بعهد الشدة المستنصرية(1)،وقد تعرض المؤرخون العرب القدماء والمحدثون إلى هذه الشدة،فذكروا أن القاهرة حلت بها الأيام السيئة،وعاودتها المصائب التي لم تستقربها قبل قرن من تأسيسها،فقد عم الوباء والقحط بمصر سنة 446هـ،وانقطع ماء النيل،وأهملت الزراعة،وانتشرت المجاعة حتى قيل أن المستنصر الخليفة أخذ نصيبه كاملا كأي فرد من المجتمع المصري في المجاعة والحاجة حتى عاش على الصدقة(2)،وعم الوباء الذي يعتبر أطول وباء شهدته مصر في العصور الوسطى وامتد ثماني سنوات من 446هـ-454هـ (3)،ونكبت به جميع الأمم الإسلامية من مصر إلى سمرقند،ودونت عنه قصص مروعة،حتى قيل أنه كان يموت بمصر.

---

*المستنصر بالله الفاطمي:ولد أبو تميم محمد بن الظاهر يوم الثلاثاء عشر ليلة بقيت من شهر جمادى الثانية سنة420هـ،وكان الجرجرائي الوزير صاحب النفوذ عند موت الظاهر،فأعلن البيعة للمستنصر في يوم الأحد النصف من شعبان سنة427هـ وهو في السابعة من عمره عندمات أبوه،وظل في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر،وكان أطول الخلفاء عهدا،وهي فترة لم يعمرها في الحكم خليفة مسلم.ينظر إلى:د.أحمد شلبي:التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية-ج5-مكتبة النهضة الإسلامية-القاهرة-1967-ص.ص121-122

(1) المقريزي:إغاثة الأمة بكشف الغمة-مؤسسة ناصر للثقافة-بيروت-1980-ص165د.أحمد شلبي:التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية-ص.ص.121-122-علي الشمري:دولة الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب ومصر(259هـ-524هـ)-مقالة-مجلة النبأ-العدد38-السعودية-2004-ص25-

(2) د.أحمد شلبي:المرجع السابق-ص.ص.121-122-د.حسن إبراهيم:المرجع السابق-ص169-علي الشمري:نفسه-ص25-المقريزي:إغاثة الأمة بكشف الغمة -ص166 د.حسن إبراهيم حسن:نفسه-ص171

(3) نفسه:ص165- حسن إبراهيم حسن: ص169 -عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي في الجزائر- دارهومه-الجزائر-2003-ص223

كل يوم عشرة آلاف نفس،وانعدمت الأقوات حتى أكل الناس الكلاب والقطط،ثم أكل بعضهم بعضا فسادت الفوضى في مصر في ذلك العهد،وتقلد الحكم في مصر أربعون وزيرا في تسع سنوات بعد مقتل اليازوري وعاد القحط والغلاء(1)،وما أعقبه من الوباء والموت في سنة 459هـ،وظل الحال كذلك إلى غاية سنة464هـ.اقترنت هذه الشدة التي اصطلح عليها المؤرخون على تسميتها بالشدة العظمى،بقيام الفتن والحروب الأهلية.وربما كان بنوهلال يثيرون الفوضى بسبب هذه الأزمة التي حلت بمصر؛وأن مواشيهم لم تجد المراعي الكافية بسبب الجفاف الذي حل بمصر؛لأن حياتهم المعيشية مرتبطة بهذه المواشي،وقلتها معناه تضعضع معيشتهم وتقل أقواتهم.تزامنت الأزمة الاقتصادية مع تدهور الخلافة الفاطمية،حيث استبد الوزراء بالحكم.منذ ولاية المستنصر بالله الفاطمي،فذكر المؤرخون أن مصر لم تتمتع طوال فترة حكمه بالرخاء والطمأنينة غير فترة قصيرة،حتى وقعت بها أحداث سياسية أدت إلى زعزعة مركز الخلافة الفاطمية(2)،وكانت فترة المستنصر حافلة بالحركات والاضطرابات والتغيرات،وانتقلت السلطة الفاطمية نهائيا من أيدي الخلفاء إلى أيدي الوزراء وجاءت مايعرف في التاريخ الفاطمي بعهد نفوذ الوزراء ففي عهد طفولته استبد به الوزراء حيث كان يتولى الوزارة في صغره وزير أبيه الجرجرائي الذي ظل بالوزارة إلى أن توفي سنة 432هـ(3)،فخلفه أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحي،وفي عهد هذا الوزير ازدادت سلطة أبي سعيد التستري اليهودي،وكان يتولى نظارة أم الخليفة المستنصر،حتى أن أبي منصور الفلاحي لم يعد له مع التستري إلا اسم الوزارة،فحقد عليه واتهمه بدس السم لريحان زعيم الأتراك.

(1)المقريزي:إغاثة الأمة بكشف الغمة-ص166-د.حسن إبراهيم حسن:المرجع السابق-169-عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي-ص223

(2)د.حسن إبراهيم حسن:ص169-عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي-ص223

(3) علي الشمري:المرجع السابق-ص25

حينذاك، فانقض عليه ثلاثة من الأتراك وقتلوه في جمادي الأول سنة439هـ ومثلوا بجثته(1).ولم يرض الخليفة المستنصر بالله عن هذا العمل كما لم ترض أمه التي كان زواجها بالظاهر الفاطمي أمة أي خادمة في بيت التستري،فأسند الخليفة المستنصر إلى أخ التستري أبي نصر ديوان خاصته،وقلد ابن التستري إدارة أحد الدواوين،ولم تنس أم الخليفة مقتل التستري،فأقالت أبي منصور الفلاحي من الوزارة،وأمرت بحبسه ثم بقتله في شهر محرم سنة440هـ(2) ولما نمى المستنصر قابلته اضطرابات الجيش المتعدد المشارب والأجناس.وكان الجيش مبعث قلق وفوضى كما تعرضت الخلافة الفاطمية للتهديدات الخارجية،حيث كان النفوذ السياسي الفاطمي في الفترة الأولى من عهد المستنصر يمتد إلى بلاد الشام وفلسطين والحجاز وصقلية وشمال إفريقية وكان يذاع على كافة منابر البلاد الممتدة من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر وكذا في صقلية واليمن والحجاز والموصل،بل في بغداد حاضرة العباسيين نحوا من سنة،ولكن بعض هذه البلاد لم تلبث أن أعلنت انفصالها عن سلطان الفاطميين،فقد خرجت بلاد المغرب سنة442هـ،واستولى روجر النورمندي على صقلية سنة461هـ،وانحسر سلطان الفاطميين عن بلاد الشام باستيلاء السلاجقة عليها(3).وقد تميز عهد المستنصر ببعض المفارقات والمتناقضات تسامح ديني رخاء وجوع،توسع وانكماش(4). يستخلص مما سبق ذكره أن سياسة الدولة الفاطمية هي التي كانت سببا في إثارة الفوضى نظرا للغموض الذي كان يكتنف

(1)د.أحمد شلبي:المرجع السابق-ص.ص.121-122

(2)د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:ج1-المرجع السابق-45-د.أحمد شلبي:المرجع السابق-121-122-موسى مريان:أسباب هجرة العرب (بني هلال وسليم إلى المغرب ونتائجها)-مقالة-مجلة بني هلال سيرهم وتاريخهم -المركز الوطني للبحوث في عصر ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا والتاريخ-الجزائر-1990-ص169 مبارك بن محمدا لميلي:المرجع السابق-ج2-ص178ألفرد بل:المرجع السابق-صNoël:op.Cit.p138212د.السيدعبدالعزيز سالم:المغرب الكبير-ج2-224

(3)أحمد الزاوي:المرجع السابق-ص122- عبدالحميد خالدي:المرجع السابق-ص227

(4)د.حسن إبراهيم حسن:المرجع السابق-ص169-د.أحمد شلبي:المرجع السابق-ص122

تسيير أجهزة الدولة،وتدخل أم الخليفة في توجيه سياسة الدولة واضطهاد الرعية،بالإضافة إلى تهميش السلطة الفاطمية لقبائل بني هلال،التي فرضت عليها شبه إقامة جبرية في صعيد مصر(1)،بل حشرتها في منطقة لا تتسع لعددها ومنعتها من إجازة النيل (2)،ولم تدمج الدولة الفاطمية هؤلاء الأعراب في الإنماء الاقتصادي والاجتماعي،خاصة وأن بني هلال تعودوا على الترحال والتنقل الدائم سعيا وراء الكلأء والماء،وكانت هذه العوامل قد أدت إلى تأجيج الوضع في مصر،وربما كانت الظروف المزرية هي التي دفعت بنو هلال إلى اتخاذ موقف سلبي من الدولة الفاطمية آنذاك.ولكن ما يؤخذ على المؤرخين أنهم كانوا يؤرخون للملوك وأغفلوا عن ذكر ظروف الرعية.بل حمل المؤرخون من خلال كتاباتهم مسؤولية أزمة مصر إلى بني هلال،مع أن الأحداث التي سبق ذكرها تشير إلى أن مسؤولية الأزمة تتحملها الدولة الفاطمية.أجمع المؤرخون أن بني هلال كانوا يستقرون بصعيد مصر ولكنهم لم يتعرضوا على وجه التحديد إلى مواطن كل بطن من بطونهم في الصعيد،بل اكتفوا بالقول أن بني هلال ملأت جموعهم الجهات الشرقية من الصحراء حتى بلغوا الصعيد الأعلى(3).بينما ذكر بعض المؤرخين أن أهل هذه الجموع ويقصدون بني هلال تملأ الجانب الشرقي ووصفوهم بأهل الصعيد حتى عيذاب والبعض الآخر قال أن حميان من جملة بني زغبة كانت تستقر على الحدود الغربية بالوجه البحري(4)،وقيل أن بني هلال أهل أسوان (5).

(1)أحمد الزاوي:المرجع السابق-ص122د.عبدالفتاح الغنيمي:المرجع السابق-ج1-ص45

(2) التجاني:الرحلة-ص 16-العبر:ج6-ص13-د.السيد عبدالعزيزسالم:المغرب الكبير-ج2-ص224

(3) العبر:ج6-ص14-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص164 -مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص 178- موسى مريان:أسباب هجرة العرب-ص178

(4)د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق-ص45

(5) محمدأبو الفوز المعروف بالسويدي:سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب-ص32

إن بني هلال مجرد قبائل بدوية تتميز بحياة اجتماعية أسسها الترحال،والبحث عن مراعي واسعة لرعي أغنامها ومواشيها من أجل كسب العيش وتأمين حياتها،وبطبيعة الحال فظاهرة الترحال وعدم الاستقرار،هي التي كانت تؤدي بهذه القبائل إلى التصادم مع المزارعين والفلاحين،لأن مواشيها كانت أحيانا تتعدى على الزرع،مما جعلها تتلف الزروع،وبالتالي تدخل هذه القبائل الهلالية العربية في نزاع مع أهل المزارع،وكذلك مع أهل الحواضر ولم يكن ينحصر النزاع بين بني هلال والقبائل الأخرى أو السلطة الفاطمية بل كان النزاع في كثير من الأحيان فيمابينها،على سبيل المثال ما وقع بين زغبة ورياح،وربما لم تكن هذه القبائل تتعمد التخريب والفساد كما ذكر المؤرخون،وإنما طبيعة حياتها البدوية هي التي دفعت بالمؤرخين إلى الحكم عليها بأنها قبائل تخريب وبلاء إلى غير ذلك من الأوصاف.وخلاصة القول أن حميان من جملة بني زغبة بن هلال استقرت فترة من الزمن بصعيد مصر،عاشت فيها ظروفا إقتصادية واجتماعية صعبة من362هـ—962م إلى 442هـ—1049م ،واحتمالا أن هذه الظروف والعوامل هي كانت تشكل جملة الأسباب التي أدت إلى هجرة حميان من جملة بني زغبة إلى بلاد المغرب.

ب-أسباب هجرة حميان من صعيدمصرإلى إفريقية سنة442هـ —1049م:كان المعز لدين الله الفاطمي حينما انتقل إلى مصر سنة361هـ،قد استخلف على إفريقية يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي يحكم باسم الخلافة الفاطمية(1)،فاستغل بنو زيري انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر،وعملوا على تدعيم استقلالهم عنها(2)وذلك حتى يفسح لهم المجال للسيطرة على المغرب الإسلامي. كله،فبدأ العلاقات السياسية تشهد

(1)العبر:ج6—ص12—ابن الأثير:الكامل—ج9—ص 567—ابن أبي دينار:المؤنس في أخبار إفريقية وتونس—تحقيق محمد شمام المكتبة العتيقة—1969—ص84—محمد عبدالله عنان:المرجع السابق—ص298—إسماعيل العربي:دولة بني حماد القلعةص154

(2)محمد عبدالله عنان:المرجع السابق—ص298—إسماعيل العربي:دولة بني حماد القلعة—ص154

نوعا من الفتور بينهم وبين الخلافة الفاطمية،وبدأت بوادر القطيعة المذهبية والسياسية خاصة بعد أن تولى المعزبن باديس حكم إمارة بني زيري الذي كان متشبعا بالمذهب السني،وكان يمقت المذهب الشيعي*(1)،فقرر الانفصال عن الخلافة الفاطمية،وربما يعود سبب ذلك أن المعز بن باديس كان يرى أن الدولة الفاطمية،أصبحت تؤول إلى الانهيار والتدهور،وأصبحت بيد وزراء دون مستوى المسؤولية التي يتقلدونها،وكان المعز بن باديس يدرك أن بقاء إمارته تحت الحكم الفاطمي،سيؤدي إلى تدخل الورزاء الفاطميين في شؤون الإمارة الزيرية،وبالتالي يفقد أمراء بني زيري استقلالهم الذي حالما كانوا يطمحون إلى تحقيقه.ظهرت بوادر القطيعة المذهبية ثم السياسية بعد كبوة الفرس،حيث نادى المعز بن باديس بالشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما،فسمعته العامة وكان أغلبهم سنيا،فثاروا بالرافضة وقتلوهم أبرح قتل،وأعلنوا بالمعتقد الحق،ونادوا بشعار الإيمان،وقطعوا حي على خير العمل(2)،وفي رواية أخرى وذات يوم خرج المعز بن باديس لصلاة الجمعة في زيه الرسمي،وكبا به جواده فكان ردفعل أنه استغاث بأبي بكر وعمر،فتبعته الشيعة مماكان في عسكره، سكان القيروان،وأمضوا في قتل أهل الشيعة

(1)العبر:ج1-ص17-السلاوي:الاستقصا- ج2- ص164

*ذلك أن وزير المعز بن باديس أبا الحسن بن أبي الرجال الذي كان مكلفا بتربية استطاع أن يغرس في نفسه حب المذهب المالكي لدرجة جعلته لا يخفي ميوله إليه منذ أول ولايته.وقيل أنه عندما مر بجماعة بالقيروان سأل عنهم فقيل له:هؤلاء رافضة ،يسبون أبا بكر وعمر،فقال رضي الله عن أبي بكر وعمر.ينظر إلى العبر-جج1-ص17البيان-ج1-ص.ص260-261-الكامل-ج7-ص29،ويرى شارل أندري جوليان أنه قد يكون فعل ذلك رغبة منه في إرضاء الرأي العام بالقيروان الذي عرف بعدائه للشيعة في إفريقية كلها.ينظر إلى:L'histoire de l'Afrique du nord.t2-p68

(2)العبر:ج1-ص17-الكامل:ج7-ص.ص274-275-ابن مقديش الصفاقسي:نزهة الأنظار-ج1-تونس طبعة حجرية-1321هـ ص140-البيان-ج1-ص269و274- إسماعيل العربي:المرجع السابق-ص154- G.Marçais : les arabes en bébérie-p247

وأنه بلغ ماقتل منهم في تلك المناسبة نيفا وثلاث آلاف شخص(1).ولما انتشرت هذه الأخبار قامت مذابح أخرى في أماكن مختلفة في إفريقية،وهذا الشعور هو شعور بالعداء للمحافظة على وضع أقل ما يقال فيه أنه لا يتجاوب مع الواقع (2)يبدو من خلال ماسبق ذكره أن حميان من جموع بني زغبة بن هلال لم تكن مسؤولة عن الصراع المذهبي الذي وقع بين المستنصر بالله الفاطمي والمعز بن باديس،وعن القطيعة السياسية بين الدولة الفاطمية وإمارة بني زيري،وإنما كانت من بين الأسباب التي أدت إلى هجرة حميان من جملة بني زغبة إلى إفريقية التي كانت تنتظر الفرصة لإجازة النيل،والهجرة إلى إفريقية،وكانت السلطة الفاطمية تمنع بني هلال من إجازة النيل في كثير من المرات،حتى جاءت الفرصة المناسبة لهذه الهجرة،بعد أن ساءت العلاقات بين السلطة الفاطمية والإمارة الزيرية التابعة لها في إفريقية،وتمت القطيعة النهائية خاصة بعد أن قطع المعز بن باديس خطبة صاحب مصرالمستنصر بالله والدعوة له،وكان يسب الفاطميين سرا إلى أن صرح بها على المنابر(3)،ومحى اسم الفاطميين على المنابر وخلع طاعة الدولة الفاطمية الاسمية،وأزال أسماء الفاطميين من السكة والطراز والرايات سنة440هـ (4).كما منع التعامل بالنقود الفاطمية منعا باتا وهدد المتعاملين بها أشد العقوبات فضلا عن إغراء العامة بأتباعهم (5).وقيل أن المعزبن باديس هو أول من صرف دعوة العبيديين إلى غيرهم من بني العباس،وبايع القائم أبا جعفر من خلفاء بني العباس وخطب له على المنابر

(1) الكامل–ج9–ص566– العبر:ج6–ص12–ابن أبي دينار:المؤنس:ص84 –الطاهر أحمد الزاوي:المرجع السابق–ص221– عبدالحميد خالدي:المرجع السابق–ص227

(2)ابن أبي دينار:المصدر السابق–ص84–العبر:ج6–ص12

(3) د.عبد الحليم عويس:بني حماد–ص116–عبد الحميد خالدي:المرجع السابق–ص227

(4)العبر:ج6–ص 17–الكامل:ج7–ص.ص274–275 د.عبدالحليم عويس:المرجع السابق–ص117

(5) نفسه:ص13–الكامل:ج7–ص275–ابن أبي دينار:المؤنس–ص84

وأقرله بالدعوة وبعث بالبيعة إلى بغداد ووردت عيه الخلع والتقليد بإفريقية وجميع ما يفتحه(1).وفي أول كتاب بعثه القائم بأمر الله العباسي إلى المعز ابن باديس من بني عبدالله ووليه أبي جعفر القائم بأمر الله أمير المؤمنين إلى الملك الأوحد ثقة الإسلام وشرف الإمام وعمدة الأنام ناصردين الله،قاهر أعداء الله(2)،ومؤيد سنة رسول الله(صلع) أبي تميم المعزبن باديس بن المنصور ولي أمير المؤمنين بولاية جميع المغرب،ومافتتحه بسيف أميرالمؤمنين.فأرسل القائم بأمر الله العباسي إلى المعز بن باديس سيفا وفرسا وأعلاما على طريق القسطنطينية(3)،فوصل أبو الفضل البغدادي يوم الجمعة فدخل الجامع وهو حامل كتاب الخلع،وكان الخطيب ابن الفاكاة على المنبر يخطب الخطبة الثانية(4)،وقريء الكتاب،ودخلت الأعلام أمام المصلين لواء الحمد يجمعكم وهذا معز الدين يسمعكم،وجاء الخطبة اللهم ألعن الفسقة الكفار المارقين الفجار أعداء الدين(5).وأنصار الشيطان المخالفين لأمره والناقضين لعهده المتبعين غير سبيله والمبدلين كتابه،اللهم ألعنهم لعنا وبيلا وأخزهم خزيا عريضا طويلا،اللهم أن سيدنا أبا تميم المعز بن باديس بن المنصور القائم لدينك والناصر لسنة نبيك والرافع للواء أوليائك يقول مصدقا لكتابك وتابعا لأمرك ومدافعا لمن غير الدين واستغفر الله لي ولكم (6).وقطعت الخطبة للعلويين من ذلك الوقت،وأحرقت أعلام الفاطميين ونشرت الرايات السود(7). وهدمت دار

---

(1)الكامل:ج9–ص566–ابن أبي دينار:المؤنس–ص84–د.حسن إبراهيم حسن:المرجع السابق–ص253

(2) نفسه:ص566–د.حسن إبراهيم حسن:المرجع السابق–ص253

(3نفسه: ص567–ابن أبي دينار:المؤنس–ص84

(4)نفسه:ص567–د.حسن إبراهيم حسن:المرجع السابق–ص253

(5) نفسه:ص567–ابن مقديش الصفاقسي:نزهة الأنظار–ج1–ص140

(6) العبر:ج6–ص 14–ابن عذارى:البيان–ج1–ص169–محمد عنان:المرجع السابق–ص298–د.حسن إبراهيم حسن:المرجع السابق–ص254–د.عبدالحليم عويس:دولة بني حماد–ص177

(7)د.حسن إبراهيم حسن:المرجع السابق–ص253

الإسماعيلية،وشد أزر أهل السنة(1).كما أمر المعز بلباس السواد شعار العباسيين وأظهر السنة،وتتبع الشيعة في المغرب وقتل الكثير منهم*،وذكر الدباغ أنه قال أي المعز بن باديس لأبي بكر الخولاني مؤكدا عدم طاعته العمياء ونفوره من المذهب الشيعي "...ألم أقتل المشارقة؟"(2).ويذهب ابن أبي دينار بالقول "...أن المعز هو الذي طهر الله تعالى على يده المغرب من مذهب الشيعة،وإن من عمالهم إلا أنه كان لا يتمذهب بمذهبهم وحمل الناس في أيامه على مذهب الإمام مالك..."(3).ونقش اسم المعز على السكة،وقد نقش على الدينار الذي يوجد بمتحف برلين في الوجه الأول ومن يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه،لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله(صلع)(4)،وعلى الوجه الثاني باسم الله ضربت بمدينة عز الإسلام بالقيروان سنة إحدى وأربعين وأربعمائة،يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله(5).ولم يقتصر الصراع الفاطمي الزيري على إعلان المعزبن باديس مقاطعة الخلافة الفاطمية مذهبيا وسياسيا،فحسب بل تعداه إلى النزاع بين المعز والوزير الفاطمي أبو الحسن بن على بن عبد الرحمن اليازوري الذي عين سنة441هـ–1048م حيث أصبح المعز بن باديس يحط من قيمته،ولم يعترف به كوزير،وازدادت حدة الصراع

*ويرى العبادي أن فتك المعز بالشيعة سنة408هـ–1017–1018م مسألة ترجع قبل كل شيء إلى الروح الانفصالية عن مصر التي كانت هدف المعز وأبائه من قبل،ولم يقتصر المعز على اضطهاد الشيعة،بل أخذ يحمل الناس على اعتناق المذهب المالكي.ينظر إلى سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس–ص.ص216–217

(1)العبر:ج6–ص14– –ابن عذارى المراكشي:البيان–ج1–ص288– عبد القادر:المشرفي:المصدر السابق–ص23شارل أندري جويان:المرجع السابق–ص76–مبارك بن محمدا لميلي:المرجع السابق–ج2–ص178ابن الأثير:الكامل ج7ص567

(2)د.حسين مؤنس:المرجع السابق–ص598–موسى مريان:المرجع السابق–ص169

(3) ينظرإلى المؤنس:ص84

(4)الطاهر أحمد الزاوي:المرجع السابق–ص122–د.السيد عبدالعزيزسالم:المغرب الكبير–ج2–ص766

(5)د.حسن إبراهيم حسن:المرجع السابق–ص255–د.أحمد شلبي:المرجع السابق–ص122–د.حسين مؤنس:المرجع السابق–ص598

بينهما حتى بلغت الذروة.وهذا مادفع باليازوري إلى تحريض القبائل الهلالية (1).على المعز بن باديس خاصة بعد أن حظي بثقة الخليفة المستنصر بالله الفاطمين،وكان يلقب بسيد الوزراء وقاضي القضاة وعلم المجد وتاج الأمراء(2)،مع أنه لم يكن من أهل الوزراء الأكفاء.ولم يكن في مستوى المسؤولية الموكلة إليه،وإنما كان من أهل الفلاحة والتبانة وكان دون ذلك(3).ويقال أنه عندما عين اليازوري وولاه المستنصر الوزارة،خاطبه أهل الجهات ولم يولوه،فأنف من ذلك فعظم عليه وحنق عليه ثمال بن صالح صاحب حلب والمعز بن باديس صاحب إفريقية وانحرفوا عنه،وحلف المعزبن باديس لينقض طاعة الفاطميين،وليحولن الدعوة إلى بني العباس (4)،وكان المعز بن باديس يكاتبه ويستميله ويعرض له بالتحريف عليهم،وإنما يكتب له تلويحا لا تصريحا وكتب إليه قطعة بخط يده،تحتوي على بيت شعر وهو:**وفيك صاحبت قوما لا خلاق لولاك ماكنت أدري أنهم خلقوا**.فقال اليازوري لبعض أصحابه ألا تعجبون من صبي بربري مغربي،يحب أن يخدع شيخا عربيا،وإنما أراد المعز بن باديس أن يوقع بين الوزير وخليفته(5).إن استخفاف اليازوري بالمعز بن باديس هو الذي أدى به إلى احتقار اليازوري فأصبح يكاتبه ويخاطبه دون ماكان يخاطب به قبله من الوزراء كان يقول له عبدكم صار يقول

(1) د.حسن إبراهيم حسن:المرجع السابق-ص255- د.أحمد شلبي:المرجع السابق-ص122

(2) العبر:ج6-ص13-الكامل:ج7-ص567

(3) د.حسين مؤنس:المرجع السابق-ج1-ص598-حسن حسني عبدالوهاب:خلاصة تاريخ تونس-الدار التونسية للنشر-تونس-1976-ص112-د.عبدالحليم عويس:المرجع السابق-ص177

(4) العبر:ج6-ص13-ابن الأثير:الكامل-ج9-ص567- الطاهر أحمد الزاوي:المرجع السابق-ص222-رابح بونار:المرجع السابق-ص134-د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق-ج3-ص62-ابن أبي دينار:المصدر السابق-ص84-محمد بن عميرة:المرجع السابق-ص.ص298-299-محمد عبدالله عنان:المرجع السابق-ص298-د.رشيد بورويبة:الجزائر في عهد الحماديين:المرجع السابق-ج4-ص206

(5)ابن أبي دينار:المؤنس-ص84

في كتاب اليازوري صنيعتكم،فغضب اليازوري وعاتب المعز بن باديس فلم يرجع إلى ما يجب(1).ولما علم الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الفاطمي بما جرى في إفريقية وبلغه خبر خروج المعزبن باديس عن طاعته،ورفض دعوة العبيديين،ووصل به الأمر إلى قتل أتباع الدولة الفاطمية في القيروان،ولعن الفاطميين على المنابر وأهمه الأمر،واعتبر ذلك تمردا وعصيانا من نوابهم في القيروان،وكتب إلى المعز بن باديس يتهدده،وقال المستنصر للمعز:هلا اقتفيت آثار من سلف من آبائك في الطاعة والولاء،فلم يعير المعز ذلك اهتماما،واستمر في ولائه للخلافة العباسية فأغلظ المعز في الجواب فقال له:إن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك،ولهم في الحلل أعظم من التقدير،ولو أخرجوهم لتقدموا بأسيافهم،وقطع علاقاته بالدولة الفاطمية بصفة رسمية (2).فشعر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي حينئذ بأنه فقد إقليما واسعا من دولته(3)،في الوقت الذي كانت الدولة الفاطمية تمر بأزمة إقتصادية خانقة،فأخذ يفكر فيما ينبغي عمله كردفعل وكان عاجزا عن اتخاذ أي إجراء عسكري ضد المعز بن باديس(4).استغل اليازوري الفرصة للانتقام من المعزبن باديس فأوغر صدر الخليفة عليه،وأسعفه برأي سديد يتمثل بالإذن للعرب المنتشرين في صعيد مصر بالعبور إلى غرب النيل،وقد تكاثر عددهم وإغرائهم بملك المغرب،وتقويض ملك المعزبن باديس الصنهاجي،وفي نفس الوقت التخلص من أضرارهم(5)

---

(1)مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ص178-د.رشيد بورويبة:الجزائر في عهد الحماديين-ص206

(2) د.حسين مؤنس:المرجع السابق-ج1-ص598

(3)موسى مريان:أسباب هجرة العرب(بني هلال وبني سليم إلى المغرب ونتائجها-مقالة-بنوهلال سيرتهم وتاريخهم -المركز الوطني للبحوث في عصور ماقبل التاريخ والأنثروبولوجيا والتاريخ -الجزائر-1990-ص169

(4)د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق-ص66-محمد عبدالله عنان:المرجع السابق-ص298-عبدالحميد خالدي:المرجع السابق-ص132

(5) موسى مريان:المرجع السابق-ص169

وبذلك يحقق الفاطميون ما كانوا يصبون إليه دون أن يكلفهم ذلك شـــيئا(1).لمـــاذا لم يستخدم المستنصر بالله الفاطمي جيشه النظامي لتأديب المعز بن باديس؟ لماذا فكر وزيره اليازوري في إرسال عرب بني هلال وسليم إلى إفريقية لمواجهة المعزبن باديس ؟ وماهي السياسة التي اتبعها اليازوري في إقناع شيوخ بني هلال؟لما أدرك اليـــازوري أن الأزمـــة الاقتصادية تزامنت مع القطيعة المذهبية والسياسية بـــين الدولـــة الفاطميـــة والإمـــارة الزيرية،وأن الدولة الفاطمية فقدت إقليما هاما كالمغرب الإسلامي الذي كان يساهم في الجباية،ودفع الضرائب للسلطة الفاطمية وتزايد عدد سكان مصر.اتبع اليازوري سياسة الترهيب والترغيب،فالترهيب أن اليازوري منع بني هلال من العودة إلى صعيد مصر بل حذرهم بمجرد التفكير في العودة إلى صعيد مصر في حالة انهزامهم.أما الترغيـــب فلمـــا استهوى الرأي المستنصر بالله شرع اليازوري في اتصالاته بشيوخ بني هلال سنة441هـــ-1048م(2)لتعبئتهم وشحنهم وتقديم الحوافز لهم وإقناعهم بالهجرة إلى إفريقية،وقيل مكين الدولة أباعلي الحسن بن علي بن دينار العقيلي أمير أمراء الدولة الذي كـــان معروفـــا بكياسته،وشهد له بحسن الرأي والحديث(3)،حيث اتجه إلى زغبة ورياح التي كانت تقيم بالوجه البحري،وأصلح بينهما ودفع ماكان عليهم من ديات،وأغرى كل من يعبر النيل أن يعطيه دينارا وبعيرا أوفروا ودينارا(4)

(1)محمد عبدالله عنان:المرجع السابق ص298

(2)العبر:ج6-ص13.عبد الحليم عويس:المرجع السابق-ص77

(3) نفسه:ص13-ابن أبي دينار:المؤنس-ص84-ابن الأثير:الكامل-ج9-ص567-محمـــدبن محمـــد الأندلـــسي المعـــروف بالسراج:الحلل السندسية في الأخبار التونسية-تحقيق وتقديم محمد الحبيب- ج1-القسم الرابع-تـــونس-1970-ص944-د.السيد عبدالعزيزسالم:المرجع السابق-ج2-ص766-مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص178-السراج:الحلـــل السندسية-نفسه-ص944-ابن الخطيب:أعمال الأعلام فيمن بيع قبل الاحتلام-ج3-تحقيق أحمد مختارالعبادي-دار الكـــشف العربي-الدار البيضاء-1964-ص.ص.73-74

(4) العبر:ج6-ص13-ابن أبي دينار:المؤنس-ص84

وقال المستنصر:والله لأرمينه بجيوش لا أتحمل فيها مشقة(1).لماذا اتهم بنوهلال بعد ذلك بأنهم أهل تخريب وفساد مع أنهم كانوا ضحية مؤامرة سياسية دبرت من طـرف الدولة الفاطمية.ربما كان المستنصر قد تخوف من تمرد الجيش النظـامي المرتزق،وكـان يدرك أنه يرفض أوامره وبالتالي يصبح في موقف حرج،إن القول بأن اليازوري هو الذي فكرفي توجيه بني هلال إلى إفريقية غير صحيح؛ لأن بني قرة من بني هلال بن عـامربن صعصعة كانوا بالفعل في برقة قبل ذلك بزمن طويل.ويتضح كذلك ضعف الرواية عندما يزعمون أن اليازوري أعطى لبني هلال الذين سمح لهم بعبور النيل دينارا وبعيرا،فقد كان عدد بنوهلال ضخما،وقد ذهبوا إلى إفريقية في موجات أو دفعات،وربما كانت الموجـة الأولى الكبيرة منهم في حدود مائة ألف.فإذا قدر ثمن الجمل في ذلـك العـصر بأربعـة دنانير،وهو تقدير متواضع،كان ما أخذه كل واحد منهم خمـسة دنـانير(2).وبالتـالي فالمجموع خمسمائة ألف دينار والدولة الفاطمية كانت إذ ذاك وقبله وبعده في أزمة مالية خانقة،ولاتستطيع أن تدفع هذا المال كله لعرب بني هلال(3).وما يبين ذلك أن بني هلال لما أجازوا النيل ونزلوا ببرقة،ووجدوها مناسبة لحياتهم البدوية،فأرسـلوا لإخـوانهم في الصعيد بالهجرة إلى إفريقية،فأخذت الدولة الفاطمية عن كل فرد يريد اللحاق بإخوانـه أن يدفع دينارين وبعيرين،فأخذت عنهم ضعف ما أعطتهم،ويدل هذا الإجراء أن الدولة الفاطمية كانت تعيش ذائقة مالية وأخذ اليازوري يصف لهم إفريقية ومافيها من خيرات.

(1)مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص288-د.رشيد بورويبة:الجزائر في عهد الحماديين-ص206-د.عبـدالفتاح مقلد الغنيمي:ج3-ص62-محمدبن عميرة:المرجع السابق-ص.ص298-299-محمد عبدالله عنان:المرجع السابق-ص298

(2)د.حسين مؤنس:المرجع السابق-ج1-ص598

(3)نفسه:ص598-إبراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ-منذ ما قبل التاريخ إلى العصر الحاضر-المجلد الأول من عصر ما قبل التاريخ إلى نهاية الدولة الموحدية-ط1-تقديم محمد الفاسي-دار السلمى للتأليف والترجمة والنشر والطباعة والتوزيـع-الـدار البيضاء-1962-ص282

ومقاومته،ولا يفتر عن تحريضهم على إفريقية لأخذ هذا النعيم الكثير والملك الكبير،ولم ينس أن يمنهم بالمساعدة وأنهم في رعايته وعلى بال منه،ومازال بهم حتى أجابوا دعوته،ويعلم الله أنه لا يريد من وراء ذلك لهم خيرا وإنما يريد الانتقام من المعز بن باديس بهذه الأيدي التي عرفت بممارسة الحروب وإتقان أساليبها بعد أن عجز عن الانتقام منه بنفسه.يقول حسين مؤنس إن رواية غضب اليازوري على المعزبن باديس لأن هذا الأخير خاطبه بعبارة صنيعتكم،بدلا من عبدكم تبدو غير مقنعة،والذي يقبله العقل ويستقيم مع المنطق هوأن بني هلال وأحلافهم كانوا يتسربون إلى المغرب بعلم الفاطميين(1).وتجمعت جماعات منهم في برقة،وكانوا يضغطون ضغطا شديدا على الإدارة الفاطمية لتأذن لهم في المسير إلى المغرب الإسلامي بكتلهم الكبيرة،وكان الفاطميون يخشون ذلك(2)؛لأن بني هلال وحلفائهم قوة عسكرية لا يستهان بها،وهم أهل حروب وميل إلى ممارسة حياتهم القبلية الصرفة في أي مكان يذهبون إليه،ولم يكن وزراء الفاطميين يجهلون أن هذه الجماعات الضخمة من العرب إذا ذهبت إلى إفريقية،فقد ضاعت عليهم إفريقية نهائيا،ويفتح عليهم باب واسع من المتاعب من ناحية الغرب(3) وقال لهم أن الخليفة المستنصر قد منحكم المغرب إقطاعا،فلا تفترقون،قد أعطيتكم المغرب وملك بن باديس الصنهاجي العبد الأبق فلا تفترقون(4).

(1ينظر إلى المغرب العربي-ص59-وعندحسين مؤنس:المرجع السابق-ص602-وعند مبارك محمد الميلي استغرقت هجرة بنوهلال نصف قرن،ويؤيد ماذهب إليه حسين مؤنس أن الهجرة الهلالية كانت على شكل دفعات-ينظر إلى تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص181

(2)د.حسين مؤنس:المرجع السابق-ج1-ص599-حسن حسني عبدالوهاب:المرجع السابق-ص112

(3) العبر:ج6-ص13-السلاوي:المصدر السابق-ج2-165-ابن الأثير:الكامل-ج9-ص567

(4) ابن عذارى المراكشي:البيان-ج1-ص288-أحمد مختارالعبادي:في التاريخ العباسي والأندلسي- بيروت-1971-ص325العبر:ج6-ص13-د.حسين مؤنس:المرجع السابق-ص602--Hady Idriss:op.Cit.p210

ما ردفعل بني هلال على طلب اليازوري؟ لقد أشار بعض المـؤرخين أن بـني هـلال استجابوا لاقتراح اليازوري منذ الوهلة الأولى،بينما ذكر مؤرخون آخرون أن بني هلال امتنعوا عن عبور النيل(1)،ويبدو من خلال هذه الأحداث أن دولة العبيديين هي الـتي حرضت بني هلال على تقويض ملك المعزبن باديس في إفريقية،وبالتالي لم تكن نوايا بني هلال هو القضاء على إمارة بني زيري،وإنما الصراع الفاطمي الزيري.قد منح فرصة لبني هلال لكي يهاجروا من صعيد مصر إلى إفريقية.وأرسل الفاطميون الهلاليين إلى إفريقيـة انتقاما من المعز وإمارة صنهاجة الشرقية،فترحوا إليها لا حبا في نـصرة الفـاطميين،ولا بغضا في صنهاجة ولكن طلبا للرزق بالتقلب في بواديه بين الصحراء والتل(2).بعـد أن أذن الخليفـة الفـاطمي لـبني هـلال بـالهجرة إلى إفريقيـة،وأباح لهـم برقـة وماولاهاسنة442هـ1049م(3)،عبرت قبائل بني هلال وغيرها من القبائل العربية الأخرى سواء من العدنانية أوالقحطانية وهي زغبة التي تعد حميان بطنا من بطونها.ورياح وبـني عدي والأثبج وبني جشم وبني سـليم النيـل ونزلـت ببرقـة،وتوقفت برهـة مـن الزمن(4).وقيل أن قبائل بني هلال لما حلت بليبيا خربت بعض مدنها كأوجدابية وأسمـرا وسرت والمدينة الحمراء برقة(5).وقد هاجرت هذه القبائل على شكل دفعات،ولم تهاجر دفعة واحدة،حيث هاجرت أول موجة كبيرة سنة442هـ1049م(6).

---

(1)إبراهيم حركات: المرجع السابق-ص282-من موقـع أنترنيـت:عـدد الـصفحات 06صـفحات François Decret:lesinvasionshilaliennesenIfriqiya-http://www.Clio.fr/BIBLIOThEQUE/les invasions hilaliennes.asp.p01

(2) مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص182

(3)البيان:ج1-ص289

(4)العبر:ج6-ص13-Idriss Haddy:op.cit.p210.حسين مؤنس:المرجع السابق-ج1-ص601

(5)نفسه:ص13-د.حسين مؤنس:المغرب العربي-ج1-ص602-د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق-ص45

(6) د.حسين مؤنس:المرجع السايق-ج1-ص602-د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق-ص45

واستمرت الهجرة بعد ذلك حتى كانت سنة468هـ—1075م(1). اندفعت موجة كبيرة أخرى إلى إفريقية ولكن يجهل هل حميان قد هاجرت في الدفعة الأولى أم في الدفعات الأخرى،والراجح أنها هاجرت من صعيد مصر إلى إفريقية في الدفعة الأولى؛لأن من بين بطون بني هلال الأولى التي هاجرت إلى إفريقية هي زغبة.اختلف المؤرخون والباحثون في تقدير عدد بني هلال سواء في الدفعة الأولى أو الدفعات الأخرى،وإنما أعطوا عددا إجماليا وتقريبيا.فرجح أغلب المؤرخين عددهم مابين مائتين إلى أربعمائة ألف نسمة(2).بل ذهب الميلي إلى أن عدد المهاجرين من بني هلال بلغ مليون نسمة(3).ورجح بعض الباحثين أن عدد بني هلال بلغ عند دخولهم إلى إفريقية نصف مليون نسمة،الذي كان يساهم في الجباية،واعتبر بعض المؤرخين أن هذا العدد مبالغ فيه(4).ويبدو أن بني هلال لم يهاجروا إلى إفريقية في شكل قوات محاربة؛ أو في شكل فرسان يريدون تدمير ملك المعز ابن باديس،ويعودون إلى صعيد مصر بالغنائم،أو من أجل إحياء المذهب الشيعي أو الحفاظ على دولة الفاطميين، وإنما هاجروا بنسائهم وأبنائهم ودوابهم وسلاحهم وكل مايملكون،يريدون النجاة والهروب من جحيم الصعيد ونظام الحكم الفاطمي(5).

(1)د.حسين مؤنس:المرجع السابق—ج1—ص603

(2)وعند حسن حسني عبدالوهاب فإن عدد بني هلال الذين دخلوا إلى إفريقية بلغ عددهم أربعمائة ألف نسمة.ينظر إلى:خلاصة تاريخ تونس ص112—وعند حسين مؤنس ربع مليون.ينظر إلى المغرب العربي—ص602—د.عبدالحليم عويس:المرجع السابق—ص177—وعند عبدالحميدخالدي مائتين وخمسي ألف نسمة, بينما ذكر ابن أبي دينار في المؤنس أربعمائة ألف نسمة ينظر إلى المؤنس —ص84—وعند ألفرد بل بلغ عدد فرسان بني هلال مابين أربعين وخمسين ألف فارس.ينظر إلى:الفرق الإسلامية —ص211—يقدر فرنسوا دوكري(François Decret) عدد فرسان بني هلال بخمسي ألف فارس وعدد بني هلال بمائتين نسمة.ينظر إلى:les invasions hilalienne-p03

(3)ينظر إلى تاريخ الجزائر في القديم والحديث—ج2—ص 178

(4) عبدالرحمان الجيلالي:تاريخ الجزائر العام—ج1—ص260—د.عبد الحليم عويس:المرجع السابق— ص177

(5)مزيان مريان:المرجع السابق—ص 128— د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق—ج1—ص46— مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث—ج2—ص178

وهذا مايبين حسن نيتهم في الاستقرار بمنطقة وجدوها أفضل من صعيد مصر،ولم يكن هدفهم هو القضاء على حضارة إفريقية،أو غزو المجتمع الإفريقي(1)،كما روج له كثيرمن المؤرخين القدماء والمحدثين والباحثين العرب وبعض المستشرقين كألفرد بل وجورج مارسيه وغيرهم،حيث ذكر ألفرد بل(Bell) أن الخليفة الفاطمي رأى أن اقتراح وزيره أبي الحسن بن علي اليازوري كان صائبا،عندما أشار عليه بإرسال العرب ووصفهم بالصاخبين إلى الشمال الإفريقي،الذي تمرد على سلطانهم وقال أيضا"...**يمكن للمرء أن يقرأ في كتب جورج مارسيه عن تغريبة بني هلال إلى إفريقية،الذي تناول فيه أن بني هلال أخذوا في غزو مساكن جديدة،ووصفهم بأنهم كانوا على الفطرة وبدائيين جدا،واعتادوا الصوم الطويل في البيداء والمغنام النادرة العسيرة المنال بالسطو..."**(2).ويلاحظ أن ألفرد بل اعتمد على كتابات جورج مارسيه،ويبدو أن الذي يعيش على القطرة لا يمكن أن يكون مخربا ومعتديا،بل يكون معتدلا ومسالما في حياته الاجتماعية كذلك يستنبط من نص ألفرد بل أنه لايعرف طبيعة البدوي العربي الاجتماعية والاقتصادية،أجمع معظم المؤرخين أن بني هلال لما وصلوا إلى برقة وجدوها خالية من السكان،وكانت عمارتها قبائل زناتة التي أبادها المعزبن باديس بسبب الحروب الطويلة،ودفعت بالبعض الآخر من زناتة إلى الهجرة إلى المغرب الأوسط.والأقصى،ووجدت بنوهلال ببرقة مراعي واسعة تناسب طبعهم البدوي(3).رغم أن بني هلال كانت تطمح في الاستقرار ببرقة إلا أنها لم تنجو من اتهام المؤرخين لها.

(1)د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق-ج1-ص45-مزيان مريان:أسباب الهجرة-ص128

(2) ينظر إلى الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي-ص211

(3) العبر:ج6-ص13-ابن الأثير:الكامل-ص567-ابن أبي دينار:المؤنس-ص84-السراج:الحلل السندسية-ص945-د.السيد عبدالعزيزسالم:المرجع السابق-ص 66-د.حسين مؤنس:المرجع السابق -ج1- ص602 عبدالرحمان الجيلالي:تاريخ الجزائر العام-ج1- ص260رابح بونار:المغرب العربي(تاريخه وثقافته)-ص135

حيث قيل أن بني هلال بمجرد وصولهم إلى برقة عاثوا في أطرافها،وملئت أيديهم من النهب وافتتحوا أمصار إفريقية واستباحوها وطردوا أهلها من زناتة(1).ولكن ليس هناك مايدل على أن بني هلال خربوا برقة وعاثوا فيها فسادا،حيث ذكرعبدالفتاح الغنيمي أن برقة كانت خالية من السكان،وأين كان التدمير والتخريب(2)؟انطلقت جموع بني هلال إلى طرابلس وإفريقية فاستقروا فيها دون سفك للدماء ودون أن يلقوا أدنى مقاومة،وأرسلوا إلى بقية إخوانهم في صعيد مصر يستدعونهم فلحقت بهم جماعات كبيرة من بني هلال وبني سليم وتولى قيادة الجميع مؤنس بن يحي المرداسي الرياحي، ثم زحفوا إلى قابس وامتلكوها دون مقاومة(3).يستخلص من المصادر التاريخية أن حميان من جملة بني زغبة هاجرت إلى إقطاعها الذي حدد لها من طرف الخليفة الفاطمي المستنصر بالله،وهو مابين طرابلس وقابس،حيث عقد الخليفة الفاطمي لرجالات بني هلال وسليم على أمصار إفريقية وثغورها،وقلدهم أعمالها فأقطع زغبة مابين طرابلس وقابس،ورياحا القيروان وباجة ودريدا قسنطينة(4)وإذا كانت بقية بني هلال تابعت طريقها إلى إفريقية وشرق المغرب الأوسط،فإن زغبة بقيت مستقرة بطرابس وقابس وكانت لزغبة عزة وكثرة،وتغلبوا على نواحي طرابلس وقابس ولم يزالوا على تلك الحال إلى أن غلب الموحدون على إفريقية،وثار بها بنوغانية سنة581هـ،لأول دولة المنصور يعقوب(5)

---

(1) ينظر إلى موسوعة المغرب العربي-ج3-ص.ص.62-63,وعند إبراهيم حركات الذي ذكر ولماكان هؤلاء العرب قد أعجبوا بخصب إفريقية وخيراتها فقد تسلطوا على المدن والقرى ويخربون الزرع والمباني ويسبون الذرية.ينظر إلى المغرب عبر التاريخ-ص.ص.282-283

(2)العبر:ج6-ص13-François Decret:op.cit.p04

(3)نفسه:ص13 مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2ص 178 رابح بونار:المغرب العربي.ص138

(4)العبر:ج6:ص13

(5) عبدالرحمان الجيلال:تاريخ الجزائر العام-ج1- ص260- رابح بونار:المغرب العربي ــ ص139

خلاصة القول:هاجرت حميان إلى إفريقية سنة442هـ-1049م في خضم الهجرة الجماعية لبني هلال،وبقيت ترافق بني زغبة؛لأنها فخذا من أفخاذها،واستقرت مابين طرابلس وقابس وأخذت تمارس حياتها البدوية.إن دخول حميان إلى إفريقية من جموع بني زغبة بن هلال اصطدم بإمارة بني زيري الصنهاجية التي كانت تابعة سياسيا وإداريا للدولة الفاطمية وذلك بسبب رفض بني زيري للعنصر الجديد المتمثل في بني هلال،والذين حاولوا منعهم من الاندماج في العنصر البربري،فكانت معركة حيدران التي أدت إلى انهيار إمارة بني زيري،وظهور إمارات عربية صغيرة في إفريقية التي غيرت من العلاقات السياسية بين المشرق والمغرب الإسلاميين.فهجرة حميان من جملة بني زغبة بن هلال كانت بمثابة المرحلة الانتقالية في تاريخ المغرب الإسلامي،إلا أن المؤرخين رأوا في الهجرة الهلالية الجماعية على أنها بداية للقضاء على معالم الحضارة في إفريقية(1)،وتدهور المغرب الإسلامي سياسيا واقتصاديا،وكذلك كانت سببا في انفصال المغرب الإسلامي عن المشرق الإسلامي(2)،خلال منتصف القرن الخامس الهجري،مع أن العالم الإسلامي كله كان يمر بمرحلة ضعف وانحطاط،والهجرة الهلالية ماهي إلا مظهرا من مظاهر ضعفه(3).

ج-موقف إمارة بني زيري من حميان:

ج1-علاقة حميان من جملة بني زغبة بإمارة بني زيري:اختلف المؤرخون والباحثون حول علاقة حميان من جملة بني زغبة بن هلال بالمعز بن باديس أمير الدولة الزيرية بعد وصولهم إلى برقة،فذهب بعضهم أن العلاقة السياسية بدأت بين حميان من جملة بني زغبة والمعز بن باديس منذ أن حلوا ببرقة. حيث كانت ترد عليه أخبارهم،

(1)د.عبدالفتاح مقلدالغنيمي:المرجع السابق-ج4-ص62-رابح بونار:المرجع السابق-ص134

(2)د.أبو القاسم سعدالله:آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر-ج1-ص75

(3)العبر:ج6-ص13-الكامل-ج9-ص567-السراج:المصدر السابق- ص943

ولم يكن يتوقع منهم شرا(1)،ربما أبلغوه أن بني هلال جاءوا بعاليهم وأبنائهم وأموالهم ودوابهم،اقتنع بأنهم يريدون السلم والاستقرار في هذه المناطق الواسعة الغنية بمراعيها،ولا يريدون منافسته في الملك،أو تأسيس ملكا على حساب إمارته،بينما ذكر جمهور آخر من المؤرخين أن موقف المعز بن باديس من حميان وبقية بني هلال كان سلبيا،واحتقر شأنهم ولم يعيرهم أي اهتمام(2)،بل استهزأ منهم وربما احتقر من شأنهم لا على أساس أنهم أعراب وبدو،وإنما على أساس أنهم جاءوا في صفة جيش الدولة الفاطمية،وبالتالي أراد أن يرفع من معنويات جيشه المكون من صنهاجة والعبيد أو أنه كان يجهل قوة بني هلال،وكان يظن أن بني هلال مجرد قبائل عربية لا تربطها علاقات قرابية،وتعيش على هامش الحضارة(3)،بل مجرد بدو رحل ليست لهم خبرة عسكرية بإمكانه القضاء عليها بسهولة مثل مافعل مع زناتة التي أبادها وأبعدها عن إفريقية،وفي هذا الموضوع ذكر إسماعيل العربي موقف المعز بن باديس من بني هلال".**كان الاستهزاء والاحتقار لهؤلاء القوم الذين يعيشون على هامش الحضارة الإسلامية ولأسيادهم الفاطميين الذين لم يجدوا وسيلة لاسترجاع المغرب إلى طاعتهم إلا بالعمل لتخريبه وتقويض حضارته،ولكن الدلائل التي تشير إلى أن السلطان الزيري كان يجهل قوة بني هلال وطاقتهم على التخريب**"(4).والراجح أن المعزبن باديس أنه لم يحتقر بني هلال،ولم يحط من قيمتهم،ويظهر من خلال استدعائه لشيخ بني رياح وبني هلال جميعا مؤنس بن يحي المرداسي الرياحي ولو أن بعض المؤرخين أشاروا إلى مؤنس بن يحي المرداسي هو الذي وفد على المعز بن باديس.

(1)د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:موسوعة المغربر العربي-ج1-ص46

(2) إسماعيل العربي:المرجع السابق-ص164-عبدالحميد خالدي:المرجع السابق-ص223

(3) العبر:ج6 -ص13-عبدالحميد خالدي:المرجع السابق-ص223

(4)ينظر إلى:بني حماد القلعة:ص160

فإن المعز بن باديس استقبل مؤنس بن يحي المرداسي استقبال الضيوف وأحسن إليه،وأصهره وأسكنه ببعض القصور بالقيروان(1).وربما كان سبب اتصال مؤنس بن يحي بالمعز بن باديس هو أن يبلغه بالإقطاع الذي منحه إياها الخليفة الفاطمي والمتمثل في القيروان وباجة(2)،ولكن المعز بن باديس فاوض مؤنسا في استدعاء العرب من الأطراف بصرف النظر عن شكل الاتصال،وذلك قصد استخدامهم كجند ضد بني عمومته بني حماد أمراء القلعة؛لأنه كان متخوفا من جيشه المتكون من العناصر الصنهاجية،لاسيما وأن العلاقة بين بني زيري وقبيلة صنهاجة لم تكن متينة منذ تأسيس دولة بني حماد بالمغرب الأوسط(3).وعندما ألح مؤنس بن يحي الرياحي على المعز بن باديس بأن لا يعتمد على بني رياح وبني هلال كجند وعرفه بقلة إجتماع قومه على الطاعة،واختلاف كلمتهم وعواقب دخول العرب إلى مملكته وحذره من قوهم،وقال له مؤنس:إهم قوة لا طاقة لك بهم(4)،فقال له المعزبن باديس:هم دون ذلك،إلا أن المعز بن باديس أصر على استخدامهم كقوة عسكرية،وقال لمؤنس إنما تريد انفرادك حسدا منك لقومك(5)،وأمام إصرار المعز على تنفيذ أمره،خرج مؤنس وقبل بالمهمة التي انتدب من أجلها.حفاظا على

(1) العبر:ج6-ص13-ابن الأثير:الكامل-ج9-ص568-أحمد مختار العبادي:المرجع السابق-ص325-عبد الحميد يونس:المرجع السابق ص74-محمد مبارك الميلي:المرجع السابق-ج2-ص181-السلاوي:المصدر السابق-ج2-164-عبدالحميد خالدي:المرجع السابق-ص131-عبد الفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق-ج3-ص65

(2) ابن الأثير:الكامل-ج9-ص568-عبد الحميد خالدي:نفسه-ص131

(3)ابن عذارى:البيان-ج7-ص289

(4) نفسه:ص289-عبدالحميد خالدي:المرجع السابق-ص132

(5) **Saïd Dahmani:les banu Hilal et le pouvoir dans le Maghreb central du11et 14siecle-banu hilal-geste et histoire acte de colloque international sur les banu hilal-algerdu20au23 mai 1990-cnrpah-alger-1990-p147**-عبدالحميد خالدي:المرجع السابق-ص131

مصالحه ومصالح أهله وبنيه(1).ويذهب أحد الباحثين أن سبب النزاع الذي وقع بين بني هلال والمعزبن باديس يعود إلى رفض بني زيري إدماج بني هلال في نظام الحكم؛ لأنه كان مبنيا على قواعد العصبية،وكانت السيادة الشرعية السياسية بيد المجموعة الأمازيغية فقط.لقد أحدثت الهجرة الهلالية تحولا الذي أفضى إلى مجتمع جديد أو إلى وجود عنصرين مجبرين على التعايش والتواجد والاختلاط،وكذلك الاشتراك في نظام الحكم(2).ويبدوأن المعز بن باديس لم يراع هذه العوامل السياسية ولم يتدبر نصيحة القائد الرياحي الذي بين له خطر وجود قومه في هذه المناطق الخصبة الغنية،بل اتهمه بالأنانية والحسد.فذهب إليهم مؤنس واستنفرهم واستدعاهم،وقد تكمن من إقناع قومه بعدما نادى فيهم وحشدهم ووعدهم وغبطهم ووصف لهم كرامة السلطان والإحسان لهم،ثم دخل في ركب منهم،ولم يعهدوا نعمة ولا طالعوا حاضرة(3)ولم يكونوا فلما انتهوا إلى قرية تنادوا هذه القيروان ودخلوها من حينها(4) ويبدو أن هذه الرواية تحتاج إلى مراجعة فبنوهلال لم يكونوا من المجتمعات البدائية التي كانت منعزلة عن الحضارة حتى ينبهروا من قرى ومدن إفريقية،بل كانوا على اتصال بالثقافات الخارجية وكانوا جزء من المجتمع الكلي وهو مجتمع الحضارة الإسلامية،وكانت لهم اتصالات بالمدن في الحجاز والشام ومصر،فقدموا ونادوا بشعار المستنصر بالله الفاطمي(5).وفي رواية ابن الأثير أنه لم يذكر الاتصال الذي وقع بين مؤنس الرياحي والمعزبن باديس بل ذهب إلى القول أن مؤنسا جمع قومه من بني رياح ومن بني هلال.

---

(1)عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي–ص132

(2)Said Dahmani:op.cit.p147

(3) البيان:ج1– ص289–عبدالحميد خالدي:المرجع السابق–ص132

(4) العبر:ج6–ص13–د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق–ج1–ص66

(5)الكامل:ج9–ص 568

فقال لهم"ليس المبادرة عندي برأي فقالوا:كيف تحب أن نصنع فأخذ بساطا وبسطه،ثم قال لهم:من يدخل البساط من غير أن يمشي عليه،قالوا لانقدر،فقال لهم هكذا القيروان لا نملكها إلا إذا ملكنا ضواحيها"(1).وعندما نادى بنوهلال بشعار الخليفة المستنصر اعتقد المعزبن باديس أن مؤنس بن يحي هوالذي كان وراء تحريض أبناء عمومته رياح على إمارة بني زيري وعلى الفساد،واقمه بإغراء العرب على التخريب،فكان ردفعل المعزبن باديس هو إلقاء القبض على أخي مؤنس وأهله بظاهرباجة(2).ويبدومن مختلف روايات المؤرخين أن بني هلال رفضوا التجنيد في جيش المعز بن باديس ضد ابن عمه القائد بن حماد وإمارته في القلعة؛لأنهم أدركوا أن المعز بن باديس كان يريد الغدر بابن عمه،بسبب العداء الذي كان بين أبيه باديس الذي كان يريد احتواء قلعة بني حماد قبل دخول بني هلال إلى إفريقية وعمه وهذا ليس من خصال بني هلال،وبالتالي لم تثق فيه بني هلال لأنه كان يريد الغدر بابن عمه،ومن ثمة فكر بنوهلال في اتخاذ موقف هو رفض مساندة المعز بن باديس؛ لأنهم شعروا بأنه سيأتي اليوم الذي يغدر ابن باديس كذلك ببني هلال،ومن خلال هذا الموقف فإن بني هلال بطريقة غير مباشرة قد حافظوا على إمارة بني حماد،وعلى صيرورتها وعلى ديمومة بقائها فترة من الزمن ولكن الأمير الزيري فشل في احتواء بني هلال،ويرجع بعض المؤرخين سبب رفض بني هلال لمساعدة المعز بن باديس إلى طبيعتهم البدوية(3) التي ترفض الخضوع لسلطة

(1) العبر:ج6–ص14– د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:موسوعة المغرب العربي –ج1– ص64، ولكن المصادر التاريخية الأخرى لم تشير إلى أن المعز بن باديس ألقى القبض على أخي مؤنس بن يحي المرداسي الرياحي، بل اكتفت بالقول أن الاختلاف الذي وقع بين المعزبن ومؤنس الرياحي هو الذي دفع بهما إلى الدخول في نزاع مسلح.ينظر إلى:البيان –ج1–ص289.–ابن الأثير:الكامل في التاريخ –ج9– ص 568

(2) عبد الحميد خالدي:المرجع السابق–ص131

(3) البيان:ج1–ص289 عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي في الجزائر–ص131

معينة وإلى تركيبتهم القبلية المتنوعة،بحيث لا يكونون قبيلة واحدة متماسكة(1).بل هم فروع وبطون مختلفة خرجت من منطقة يصعب فيها العيش،وتوجهت إلى بلاد جديدة تطمح في الاستحواذ عليها والسيطرة على خيراتها،ولايمكن من حيث نمط المعيشة أن يحصل تعايشا بين العرب البدو وسكان الحضر،إن هذه الأسباب تبين أن فشل كل المحاولات السلمية التي قام بها المعزبن باديس وخاصة محاولته الثانية التي جاءت بعد دخول القرية الأولى التي وصل إليها الهلاليون،واعتقدوا أنها القيروان(2).وقد تطورت العلاقات بين المعز بن باديس ومؤنس بن يحي الرياحي بصورة فجائية من الود إلى العداء(3).فأصبحت المواجهة العسكرية حتمية بين الطرفين(4).يستخلص مما سبق ذكره من الأحداث والوقائع التاريخية أن المعز بن باديس حاول استخدام بني هلال كقوة عسكرية لتقويض ملك بني عمومته بني حماد بالقلعة،ولذا استدعى شيخ بني هلال واستقبله وأكرمه،ولكن عندما رفض بنوهلال مطلب المعزبن باديس أراد الانتقام منهم،فقام بشراء ثلاثين سودانيا لمواجهتهم والقضاء على وجودهم بإفريقية،خاصة وأنه أخذ مراسلات اليازوري التي تضمنت عبارة أما بعد فقد أرسلنا إليك أي إلى المعز خيلا فحولا،وحملنا عليها رجالا كهولا،ليقضي الله أمرا مفعولا محمل الجد،فكانت نتيجة سوء التفاهم الذي وقع بين المعز بن باديس ومؤنس بن يحي المرداسي أن انتهى بإعلان المعز بن باديس الحرب ضد بني هلال،فكانت معركة حيدران سنة443هـ-1050م(5).

(1) عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي في الجزائر-ص131

(2)نفسه:ص131

(3) د.رشيد بوروبة:تاريخ الحماديين-ص203-وعند عبدالحميدخالدي اندلعت معركة حيدران في شهر ذي الحجة443هـ أفريل سنة1052م ينظر إلى الوجود الهلالي السليمي-ص126-Hady idriss:op.cit.p213

(4) د.حسين مؤنس:المرجع السابق-ص602-Hady Idriss:op.cit.214-213 -د.عبدالله علي علام : المرجع السابق ص203-د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق-ص.ص64-65

(5)د.رشيد بوروبة:تاريخ الحماديين-ص203-د.حسين مؤنس:المرجع السابق-ص602

الفصل الثالث:

حميان من جملة بني زغبة في إفريقية

من 442هـ- 1049م إلى 581هـ- 1185م

المبحث الأول: معركة حيدران وموقف حميان منها

المبحث الثاني: موقف حميان من زناتة إفريقية والمغرب الأوسط

المبحث الثالث: علاقة حميان بالدولة الحمادية وموقفهم من معركة سبيبة

المبحث الرابع: النزاع بين رياح وزغبة في إفريقية ومصير حميان

ا-<u>معركة حيدران وموقف حميان منها</u>:يعتبر بعض المؤرخين أن معركة حيــدران كانت معركة فاصلة في تاريخ المغرب الإسلامي خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري،لأنها كانت المعركة التي كانت نتائجها انهيار إمارة بني زيري،وفي نفس الوقــت غيرت من المعالم السياسية في بلاد المغرب.اختلف المؤرخون حول مراحلــها فــالبعض تعرض إلى ذكر معركة حيدران أنها وقعت في مرحلة واحدة،والبعض الآخر أشــار إلى عدة مراحل(1)،فمــاهي مراحــل معركــة حيدران؟بــدأت في ســنة443هـــ1051-1052م،وانتهت سنة446هـ 1054-1055م،بادر المعز بن باديس بإعلان الحــرب علــى العرب الهلالية،ولم تكن بطون بني هلال هي التي أعلنت الحرب فالمعز هو الذي تحــرك بجيشه تجاه مواطن بني هلال،وهددهم بالحرب واستفزهم(2).اختلفت روايات المــؤرخين والباحثين حول المرحلة الأولى من المعركة التي دارت بين أهل إفريقية يتزعمهم المعــزبن باديس والعرب الهلالية،وكان من المتوقع أن ينتصر المعزبن باديس نظرا لضخامة جيــشه وجودة سلاحه وكثرة فرسانه(3)،حيث جند ما يقارب ثلاثين ألف من العبيــد،وحوالي ألف من صنهاجة بني حماد،الذي بعث بها ابنه عمه الذي كان المعز يريد غدره وهو القائد ابن حماد بعد أن طلب منه النجدة والدعم اللوجستيكي واستنفر المعزبن باديس زناتــة فوصل إليه المستنصر بن خزرون المغراوي في ألف من قومه ومن بقايا عرب الفتح.لمــا احتفل المعز بن باديس بعيد الأضحى،جمع جنوده وسارهم حتى وصل إلى حيدران*.

(1) العبر:ج6-ص 13-الكامل:ج9-ص568-عبدالحميد خالدي:المرجع السابق ص126

(2)د.عبد الفتاح الغنيمي:المرجع السابق-ج3-ص65

*جبل حيدران:هوجبل بينه وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام, يقع بين قابس وصفاقس والقيروان،كانت تسكنه بعض قبائل بــني هلال وهي زغبة ورياح وعدي ينظر إلى العبر:ج6ص13- الكامل:ج9-ص568- وعند حسن حسني هو مكان بــالجنوب الشرقي من المملكة على الجادة الكبرى ويسمى حاليا ببودران.ينظر إلى خلاصة تونس-ص112-د.حسين مــؤنس:المرجــع السابق-ج1-ص603.

(3) Noèl:op.cit.p132 -ألفرد بل:المرجع السابق-ص212

وكان عدد العرب الهلالية ثلاث آلاف،وهذا ما يبين أن بني هلال لم تشارك بكافة بطونها في المعركة،مع أن عدد فرسان بني هلال عندما دخلت إلى إفريقية،كان يقدر حسب ما ذكر بعض المؤرخين مابين 45ألف و50ألف فارس(1)،وكاد العرب أن ينسحبوا من ساحة القتال بسبب قلة عددهم،ولكن شيخ بني هلال مؤنس بن يحي الرياحي عندما لاحظ أن جنوده في حالة هلع وخوف من ضخامة جيش المعز،حاول أن يرفع من معنويات جيشه قائلا لهم:ما هذا يوم فرار،ينبغي مواجهتهم.يبدو أن بهذه الكلمة استطاع مؤنس أن يسترجع قوة جيشه وقالوا له:أين نطعن هؤلاء وقد لبسوا الكزاغندات والمغافر؟ قال لهم:في أعينهم،فسمي هذا اليوم بيوم العين،وبعد أن بدأت المواجهة العسكرية بين الطرفين،اتفقت صنهاجة على خيانة المعز ودفعته إلى الهزيمة(2).وترك المعز العبيد حتى يرى نعلهم ويقتل أكثرهم،ولكنه انهزم وفر المعز إلى القيروان،وغنمت العرب الهلالية،وأخذت الخيل والخيام ومافيها من مال ومتاع(3).واتفق ابن الأثير مع ابن خلدون في تركيبة جيش المعزبن باديس وعدد قواته ولكن ابن خلدون لم يحدد اليوم الذي خرج فيه المعز وخلص أن العرب الهلالية أثخنت في صنهاجة بالقتل واستباحوهم ودخل المعز إلى القيروان منهزما(4).وفي رواية ثانية لابن خلدون عن المرحلة الأولى من معركة حيدران أنه تعرض إلى ذكر بطون بني هلال التي شاركت في المعركة.

(1) العبر:ج6-ص14-الكامل:ج9-ص568-ابن أبي دينار:المصدر السابق-ص84-د.عبد الفتاح الغنيمي:المرجع السابق-ج3-ص65 د.حسين مؤنس:المرجع السابق-ج2-ص600- مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص178-د.السيد عبدالعزيز:المغرب الكبير-العصر الإسلامي-دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية-ج2-دار النهضة العربية-بيروت-1971ص 668

(2) الكامل:ج9-ص568- العبر:ج6-ص14د.عبد الفتاح الغنيمي:المرجع السابق ج3ص65عبدالحميد خالدي:المرجع السابق 126-د.السيد عبدالعزيز سالم:المغرب الكبير-ج2-ص269

(3) العبر:ج6-ص14البيان:ج1-ص289- -أحمد مختارا لعبادي:المرجع السابق-ص325

(4)نفسه:ص14-البيان-ج1-ص289

ومن بين هذه البطون زغبة التي تنتسب إليها حميان. بينما اتفق ابن عذارى مع ابن الأثير في اليوم الذي وقعت فيه المعركة وهو يوم عيد الأضحى، بينما اتفق ابن الأثير وابن خلدون في عدد جيش المعز وجيش العرب، واختلف عنه في نتائج المرحلة الأولى(1). أما المرحلة الثانية فقد وقعت في القيروان سنة444هـ، وكان ذلك يوم عيد الأضحى، وكان عدد جيش المعز سبعة وعشرين ألف فارس، وعدد جيش العرب سبعة آلاف. وكان المعز يريد غدر بني هلال وهم في الصلاة، لكنه فشل وانهزم وقتل عدد كبير في صفوف جيش المعز، وتسمى هذه الواقعة بواقعة باب القيروان، وفرضت زغبة ورياح حصارا على القيروان(2) وقتل عدد من صنهاجة(3). وفي المرحلة الثالثة حاول المعزبن باديس أن يحسم الموقف ويقضي على عرب بني هلال، فجمع جيشه المكون من صنهاجة وزناتة في عدد كبير وسارهم إلى بيوت العرب بجبل حيدران وحدث القتال واشتعلت نيران الحرب وكان عدد العرب لا يتجاوز سبعة آلاف، فانهزمت قوات المعز وتفرق شملها، وانسحب كل رجل منهم إلى بيته، وكذلك انهزمت زناتة وبقي المعز وعبيده، وثبت المعز بن باديس ثباتا لم يسمع مثله، ثم انهزم وعاد إلى المنصورية، وأحصى ذلك اليوم فكانوا ثلاثين ألف وثلاثمائة، ثم دخلت العرب ونزلت بمصلى القيروان، وبعد دخولهم وقعت الحرب في المنصورية ورقادة، وقتل عدد كبير من أهالي هذه المدن، مماأدى بالمعز إلى الاستسلام، وأباح للعرب دخول القيروان، وسمح لهم بالبيع والشراء، وأخذ يتعرضون للاستفزاز والتطاول من طرف العامة، فوقعت الحرب بين العرب والعامة وانتهت بانتصار العرب.

(1) الكامل: ج9-ص567-العبر: ج6-ص14

(2) البيان: ج1-ص289-العبر: ج6-ص 14

(3) نفسه: ص 289

(4) العبر-ج6-ص13-البيان: ج1-ص293-د. حسين مؤنس: المرجع السابق- ج1- ص604-د. عبدالفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة المغرب العربي-ج3-ص66-د. السيد عبدالعزيزسالم: المغرب الكبير-ج2-ص669

وحاصرت العرب القيروان سنة446هـ(1)يستخلص من أحداث معركة حيدران أنه حدث ما لم يكن في مخيلة المعز ابن باديس،حيث ظهرت ملامح الانهزام في جيشه منذ الوهلة الأولى،فانخذلت عرب الفتح وانحازت إلى بني هلال للعصبية القديمة.وخانته صنهاجة وزناتة(2)،وربما يعود سبب خيانة صنهاجة وزناتة إلى سياسة القهر والاستبداد التي مارسها المعز ضدهم،وكانت النتيجة أن انهزم المعز بن باديس بسبب تخاذل وحدات جيشه،وفر هو وحاشيته وترك جيشه للقتل(3).وغنمت قبائل العرب وبدأت بوادر الضعف في الإمارة الزيرية.وكان المعز قد أقام بالمنصورية مع من بقي معه من عسكره وولى ابنه تميما على المهدية،وعقد صلحا مع بني هلال في سنة445هـ-1054م،ولكن لم تأت سنة446هـ حتى نقضت العرب الصلح،وذلك ربما لم يلتزم المعز بن باديس بالصلح الذي تم بينه وبين بني هلال،مما دفعهم إلى محاصرة القيروان وهدموا الحصون وضيقوا المنافذ عليها مما اضطر المعز أن يلتحق بالمهدية(4).وأقام فيها مع ابنه تميم،وجعلها عاصمة بني زيري الجديدة،وخرج الناس إلى المهدية وهجروا القيروان(5)،وذكر المؤرخون أن عبيد المعز وعسكر صنهاجة لما دخلوا مدينة صبرة بعد الهزيمة أساءوا استخدام مبانيها وخربوا عمائرها بسبب الهزيمة التي لحقت بالمعز بن باديس،بل انتقم أهل صبرة وجيش المعز منه،ولم تخربها عرب بني هلال(6).ومع ذلك اتهم المؤرخون والباحثون العرب والمستشرقون عرب بني هلال بتخريب وفساد القيروان وصبرة والمنصورية.

(1) العبر: ج6-ص14-الكامل: ج9-ص567

(2)نفسه: ص 13-الكامل: ج9-ص567

(3)د.عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي في الجزائر- ص132

(4)د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق-ج2-ص174-عبدالحميد خالدي:نفسه-ص133

(5) د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق-ج3و4-ص65- د.حسين مؤنس:المرجع السابق -ج1- ص603-دواد بن يوسف:دولة بني يفرن الإباضية بتلمسان-مقالة-مجلة الأصالةالعدد26-ط البعث قسنطينةجويليةأوت1975-ص118

(6)د.حسين مؤنس:المرجع السابق-ج1-ص603

يرجع أحد الباحثين أن سبب هزيمة المعز بن باديس في مدافعة العرب الهلالية إلى شجاعة العرب الفائقة،ومهارتهم الحربية الكبيرة،وتخاذل الصنهاجيين وزناتة وخيانتهم للمعـز في كل معاركه،وتشبهه بالنعيم والجاه،وتشبع روحهم بالحياة المغرية والمرفهة،وإيثار المعز بن باديس عبيده على جنده من صنهاجة،وكانت هذه العوامل وغيرها ذات أثـر بـالغ في هزيمة المعز(1).يعتقد كثير ممن الذين لم يتعمقوا في تاريخ إمارة بـني زيـري أن مدينـة القيروان،قد خضعت لسيطرة وحكم العرب،بعد أن غادرها المعز إلى المهدية(2)،ولكن لم يحدث ذلك فالمعز بن باديس قبل أن يغادر القيروان قد عين عليها واليا من طرفه،يتـسم بالقسوة والقوة يدعى قائد ميمون الصنهاجي،وكانت تحكم باسم المعز وتحت سيطرته،إلا أن العرب أحدثوا بعض المتاعب فقط(3).ولم يكن لهم أدنى حكم في القـيروان ولا إدارة ولا تنظيم اللهم إلا الانتشار في أنحاء المدينة،وبعد وفاة المعزسنة454هـــ،زادت سـيطرة العرب وقويت شوكتهم بالقيروان،لكن تميم بن المعز كان حريصا على وحـدة بـلاده ورأى أنه من الضروري المحافظة على توازن داخل القيروان فعمل على نشر قواته وجنده لإعادة السيطرة على المدينة وحفظ النظام واستتباب الأمن(4)،فأقام الحراسة والمراقبـة على أبواب القيروان ليلا وأبراج القيروان،بل أن عرب بني هـلال كـانوا يغـادرون القيروان ليلا عندما يتم البيع والشراء،وأرسل تميم بن المعز المزيد من العون العـسكري والعتاد،وجهز جيشا ضخما بقيادة والي القيروان(5).رغم قلة عدد العرب الهلالية إلا أن روح العصبية والتحالف والإرادة والشجاعة سمحت لهم بالانتصار العسكري الـساحق

(1) د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:موسوعة المغرب العربي:ص67- د.حسين مؤنس:نفسه -ج1-ص 603

(2) نفسه:ص67 -د.حسين مؤنس:المغرب العربي وحضارته-ج1-ص603

(3)د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:موسوعة المغرب العربي- ص68

(4)نفسه:ج1-ص67

(5) نفسه:ج1-ص67

على جيش المعز بن باديس الذي كان يفوقهم عددا وعدة وبالتالي ليست العبرة في ضخامة الجيش،وإنما العزيمة والرغبة في الانتصار هي أدت إلى انتصار العرب(1).هل شاركت حميان من جموع بني زغبة في معركة حيدران؟اختلف المؤرخون والباحثون حول موقف حميان من جملة بني زغبة من معركة حيدران.فذهب بعض المؤرخين بالقول أن حميان من جموع بني زغبة شاركت في معركة حيدران في ذي الحجة 443هـ الموافق ل15إبريل 1052م.وربما تبنى هؤلاء المؤرخون رواية ابن خلدون التي ذكر فيها أن بطون بني هلال التي شاركت في المعركة وهي رياح وزغبة وعدي.وجاء ابن خلدون بقوله"...ارتحل المعز في أولئك النفر ومن لف لفهم من الأتباع والحشم والأولياء ومن في إيالتهم من بقايا عرب الفتح وحشد زناتة ومن نحوهم في أمم لا تحصى يناهز عددهم فيما يذكر ثلاثين ألفا،وكانت رياح وزغبة وعدي بحيدران جهة قابس..."(2).بينما ذهب بعض الباحثين بالقول أن زغبة لم تشارك في معركة حيدران وكانت غالبية الهلالية من بني رياح وعددا من بطون بني هلال (3).ومن البديهي أن تدافع بطون بني هلال عن نفسها وهو دفاع شرعي خاصة إذا تعلق الأمر بمسألة الشرف والذود عن الأهل والمال ورد المظالم ولا يمكن أن يبقى بنوهلال مكتوفي الأيدي أمام المعز ابن باديس وجيشه الذي كان يريد محاربتهم في ديارهم،فالمعز بن باديس هو الذي اتجه بجيوشه إلى جبل حيدران،وكان غرضه هو توقيف النزوح الهلالي،والدفع ببني هلال إلى التراجع والعودة إلى مناطقهم السابقة،أوربما كان ينوي إبعادهم عن إفريقية،وبالتالي لم يكن بنوهلال هم الذين زحفوا بجيوشهم إلى المعزبن باديس.

---

(1)د.حسين مؤنس:المرجع السابق-ص602-د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق-ج1-ص46-أحمد الطاهر الزاوي:تاريخ الفتح العربي في ليبيا-ص225-عبدالحميد خالدي:المرجع السابق-ص132

(2)ينظر إلى العبر:ج6-ص14-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص178

(3)Said Dahmani:op.cit.p147

ومن ثمة لا بد أن يدافع بنو هلال على أنفسهم من جيش المعزبن باديس،وبالتالي فمعركة حيدران كانت تعكس أنانية المعزبن باديس وكذلك مدى رفضه لبني هـــلال كعنـــصر جديد في وسط المجتمع البربري(1).ما موقف حميان من معركة حيدران؟كما هو معلوم أن حميان كانت تستقر مع بقية بني زغبة في المنطقة الواقعة بين طرابلس وقابس،وكون جبل حيدران يقع في المكان الذي وقعت فيه المعركة على الأقل في مرحلتها الأولى،فإن حميان من جملة بني زغبة شاركت في هذه المعركة؛لأنها كانت مهـــددة في حياتهـــا وفي كيانهـــا ووجودها أوربما لم تشارك زغبة في بقية مراحل المعركة؛لأن هناك زغبة من بـــني ريـــاح وزغب* أو احتمالا شاركت زغبة بفرق عسكرية إلى جانب بني رياح وبقية بطون بـــني هلال.وكانت نتيجة معركة حيدران أن قسم عرب بني هـــلال إفريقيـــة،فكان لزغبـــة طرابلس إلى قابس ولمرداس بن رياح باجة،ثم قسموها للمرة الثانية فكان لسليم الشرق ولهلال من تونس إلى الغرب وكان ذلك في سنة446هـــ1055م(2).(ينظرالخريطة رقم 02-ص 440)وخرج المعز من القيروان سنة449هـــ-1058م مع خفيره منهم مؤنس بن يحي أمير رياح،فلحق في خفارته بالمهدية،بعد أن أصهر إليه في ابنته فأنكحه إياها،وقد كان أن قدم إليها ابنه تميما فترل عليه،ودخلت العرب القيروان واستغل حمد أو حمـــو بـــن ومليـــل البرغواطي انهزام المعز،فغلب على مدينة صفاقس وملكها سنة451هـــ(3).

---

(1) Said Dahmani :op.cit.p147

(2) ينظر إلى العبر:ج6-ص16

*بنوزغب:وهم بطن من بهثة من سليم من العدنانية، وهم بنوزغب بن مالك بن بهثة، أما بنوزغب فهم بطن من بني رياح مـــن بني هلال بن عامر بن صعصعة من العدنانية، قال في العبر وفي بلاد زناتة بالمغرب منهم خلق كثير،أما بنو زغبة فهم بطـــن مـــن بني الأشهل بن الأوس من القحطانية ،وهم بنو زغبة بن زعوا الأشهل،وهناك أيضا بنو زغبة بطن من بني القين من قضاعة مـــن القحطانية،وكذلك بنو زغبة من بني هلال إخوة رياح ينظر إلى العبر-ج6-ص40القلقشندي:نهاية الإرب ص.ص12-13

(3)د.عبد الفتاح الغنيمي:المرجع السابق-ج3-ص45-د.حسين مؤنس:المرجع الـــسابق-3و4ص601-عبـــد الحميـــد خالدي:المرجع السابق-ص 133

وأصبحت تونس ولاية تابعة للناصربن علناس،التي ولى عليها عبد الحق بن خراسان فاستبد بها واستقرت في ملكه وملك بنيه(1)لم يتوقف نشاط بنوهلال عند دخولهم إلى إفريقية على تقويض إمارة بني زيري بل امتد نشاطهم السياسي في إفريقية والمغرب،وكانت لهم كلمتهم في تحديد معالم سياسة المغرب الإسلامي،فكانوا عنصرا فعالا في قيام الدول المغاربية وفي سقوطها(2)،ولعل أول أثر سياسي تركه بنوهلال بعد دخولهم إفريقية هو تشكيل إمارات عربية صغيرة مثل أسرة جامع بن دهمان من بني علي إحدى بطون رياح في قابس،ونجحت في جعلها حاضرة صغيرة مزدهرة مليئة بالقصور والبساتين والعمائر،وقد أتاح لها موقعها الجغرافي أن تتمتع بمميزات المدينة البحرية الصحراوية في آن واحد(3).ولكن ألفرد بل ذهب إلى القول"بأن بني هلال لم يأتوا إلى المغرب لضم بلاد جديدة إلى دار الإسلام،ولم يكن لديهم أي يقصد بني هلال ميل لنشر الدعوة الإسلامية ولا للاستشهاد في سبيل الله مثل قواد الفتوح الإسلامية الأولى،ويبدو أن الفرد بل لايعرف أن الفاتحين الأوائل أغلبهم من بني هلال الذين دخلوا إلى الإسلام في بداياته الأولى،ويستطرد قائلا:ولا أن يؤسسوا في الشمال الإفريقي دولة عربية تدين بالولاء لخلافة القاهرة،وهو أمر عاجزين عنه كل العجز(4).واستقل حمو وليل البرغواطي الذي تحالف مع بني زغبة ورياح وعدي والأثبج في سفاقس(5).والغالب على الظن أن حميان قد شاركت إلى جانب بني زغبة

(1)عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي – ص132

(2) البكري:المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب–ص 17–ألفرد بل:الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي–ص219

(3)العبر:ج6–ص 15 التيجاني:رحلة التيجاني–ص.ص98–100–العبر:ج6–ص15–أحمد الطاهر الزاوي:المرجع السابق–ص222

(4)ينظرإلى الفرق الإسلامية–ص212

(5)أحمد الطاهر الزاوي:المرجع السابق–ص222

في تشكيل إمارة مع حمو بن مليل البرغواطي*،إن معركة حيدران قد أظهرت هـشاشة نظام الحكم الزيري،ومع ذلك لم يؤسس بنوهلال ملكا على حساب إمارة بني زيري،بل تركوا إمارة المعزبن باديس قائمة ولكنها محصورة في المهدية وسواحلها(1)،ويبدو أن عدم إدماج بني هلال في مجتمع إفريقية منذ دخولهم والتنكر لوجودهم في إفريقية هو الـذي أدى إلى هذه النتيجة المأسوية على إمارة بني زيري.وبعد الانهيار الذي لحق بإمارة بـني زيري بعد معركة حيدران،قد دفع كثير من المؤرخين والباحثين إلى اتهام بـني هـلال، وحملوهم تبعات كل ما حدث في المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري مع أنهم لم يكونوا موجودين بالمغرب الإسلامي في تلك الفترة(2)،وراحوا يتـهمونهم بتخريـب وفساد المغرب الإسلامي.وبأنهم كانوا سببا في الأزمة التي حلت به في منتصف القـرن الخامس الهجري،وكانوا سببا في تدمير ملك المعزبن باديس(3).اندلعت معركة حيدران في شهر ذي الحجة 433هـ أفريل 1052م(4)مباشرة بعد وصول بـني هـلال إلى إفريقيـة

*برغواطة:أوبلغواطة بباء ولام مفتوحتين وغين معجمة ساكنة والنسبة إليها بلغواطي،وهي جماعات ممن البربر أخلاط من عـدة قبائل تسكن ساحل تامسنا، وكان لادين لهم، وهم بالمجوس أشبه، وادعى فيهم النبوة صالح بن طريف في أيـام هـشام بـن عبدالملك سنة125هـ، وأصل صالح بن طريف من برناط حصن من عمل شدونة من أعمال الأندلس،ونشأ بها فكـان يقـالا لمن دخل في ديانته برناطي، وحولته إلى برغاطي، فسموا برغواطة، وصالح بن طريف يهودي الأصل،رحل إلى المشرق وأخـذ عن عبيدالمعتزلي،واشتغل بالسحر، ورجع إلى المغرب، وعاشر قبائل برغواطة وادعى فيهم النبوة، وشرع لهم الصيام رجـب، وإفطار رمضان، وجعل لهم الضحية في الواحد والعشرين من محرم، وشرع لهم في الوضوء غسل السرة والخاصرة.ينظرإلى أحمد الطاهر الزاوي-تاريخ الفتح العربي في ليبيا-هوامش-ص226

(1)العبر:ج6-ص15-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص165-عزالدين أحمد موسى:النشاط الاقتصادي في المغـرب الإسـلامي خلال القرن السادس الهجري-دارالشروق-بيروت 1983-ص177

(2) أبوالقاسم سعدالله:آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر-القسم الأول-ط2-الشركة الوطنيـة للنـشر والتوزيـع-الجزائـر-1981ص- 08- د.مصطفى أحمد أبوضيف:المرجع السابق- ص64- مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق ج2ص153

(3)محمد خيرالدين:مذكرات-ج1-المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1984-ص17

(4) عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي في الجزائر-ص132

قادمين من صعيد مصر،وبعد محاولة الأميرالزيري المعز بن باديس تطويقهم لصالح دولته إلا أنه فشل في ذلك،فالسؤال الذي يفرض نفسه ماذا تمثل هذه المعركة بالنسبة لبني زيري وللمغرب الإسلامي،ولاسيما بعد قطع العلاقات مع الفاطميين في مصر،وإقامة الدعوة للخليفة العباسي في بغداد؟هل هي مجرد معركة عسكرية تقابل فيها جيشان غير متكافئين من ناحية العدد والعدة من جهة ثلاثين ألف في صف المعز،وثلاثة آلاف من جهة العرب الهلاليين؟أم هل الحدث يتجاوز معركة عسكرية،ليكون حينئذ كما ذكر بعض الدارسين المحدثين من المستشرقين حدثا دافع من خلاله المعز بن باديس عن دولته وعن الحضارة الإفريقية بصفة عامة أمام مجموعات قبلية بدوية غير منظمة(1)لها أهداف معينة تريد تحقيقها وهي السيطرة على مجالات في إفريقية،واستغلت خيراتها ثم تقسيم الإمارة الزيرية بينها(2)،ثم إن هذه المجموعات تعيش حسب نمط معيشي مغاير لنمط معيشة السكان الأفارقة،وبالتالي يجب ربط هذه المعركة بالصراع الزيري الهلالي ككل(3).وفي هذا الإطار يجب طرح التساؤل التالي ما معنى هذا الصراع؟هل هو صراع بين عرب بدو قادمين من نجد والحجاز،وأقاموا مدة في صعيد مصر،وانتقلوا إلى إفريقية في منتصف القرن الخامس الهجري،وبين عناصر حضارية مستقرة في إفريقية، لها كيان منظم ودولة ومؤسسات وجيش؟وبعبارة أخرى هل يتعلق الأمر من ناحية بقبائل مشتتة لا تربط بينها وحدة،ماعدا النسب الانتماء إلى الفرع القيسي المضري العدناني الشمالي(4).جاءت إلى إفريقية مدعومة من طرف الفاطميين في مصر.

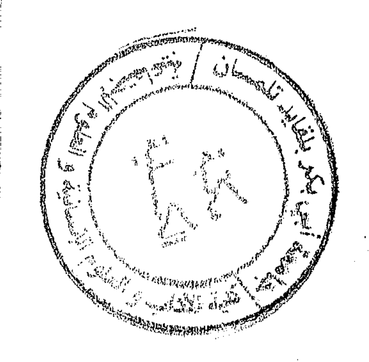
---

(1) صالح مصطفى مفتاح:ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية-الشركة العامة للنشر والتوزيع-بنغازي-1978-ص174-د.مصطفى أبوضيف عمر:المرجع السابق-ص92

(2) عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي-ص132

(3) نفسه:ص133

(4)نفسه:ص133



ومن جهة أخرى بدولة مغربية أسسها بنوزيري من صنهاجة بعد انتقال الفاطميين إلى مصر.وكانت السيطرة على إفريقية.تجمع المصادر التاريخية على أن إمارة بني زيري كانت مزدهرة قبل ذلك،ثم تحولت إثر قدوم بني هلال إلى فسيفساء من الإمارات العربية البدوية في المدن الساحلية والداخلية،بينما انحصر النفوذ الزيري على مدينة المهدية المحصنة،وقد تغيرت الأوضاع في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري لتصبح إفريقية مهددة من طرف النورمان إلى أن تمكن الموحدون القادمون من المغرب الأوسط بقيادة عبدالمؤمن بن علي الندرومي الكومي التلمساني من تحريرها من النورمان،وضمها إلى دولته الواسعة التي شملت كامل المغرب الإسلامي والأندلس(1).فلماذا يحمل المؤرخون مسؤولية التخريب والتدهور الذي حدث في إفريقية والمغرب الإسلامي إلى بني هلال ؟إن التخريب والانهيار الذي لحق بالمغرب الإسلامي كانت له خليفاته السياسية،وهو عبارة عن تراكم أزمات سياسية واقتصادية وإثنية ناجمة عن الصراع الصنهاجي الزناتي وهناك من تحامل على بني هلال تحاملا غير علمي وغير نزيه*ورد بعض المؤرخين على هذا الغلو في وصف بني هلال بهذه الأوصاف التي لا أساس من الصحة،فمن الأخطاء الشائعة ما يتناقله الباحثون عن بني هلال فهم يروون الأخبار والأساطير عن همجيتهم فمن قائل أنهم كالجراد الذي أكل اليابس والأخضر(1).ومن قائل أنهم كالبرابرة الشمالية الذين خربوا العمران وشوهوا الحضارة،لماذا لأنهم عرب أو أعراب،ولأنهم جاءوا من الشرق لا من الغرب(2)؛لأنهم اختلطوا بالسكان وتزاوجوا معهم ولم يكن وجود بني هلال وجودا سياسيا ولا عسكريا.

---

(1) د.أبو القاسم سعدالله:آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر–ج2–ص153

*يقول علي عبد الواحد وافي إن ابن خلدون هو الذي تحامل على بني هلال؛ لأنه كان مولع بالعمران والحضارة, وفشل في السياسة.ينظر إلى:إتهام ابن خلدون بالتحامل على العرب مقالة مجلة الأصالة–العدد14بدون تاريخ ص15

(2)عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي في الجزائر– ص127

_لأنه كما هو معروف أنهم اختلطوا بالسكان بسهولة(1)وإذا كانت هناك حروب فهي حروب انتقامية ذات هدف محدود وهو هنا السلطة الرافضة لحكم الفاطميين وليس سكان البلاد ولا حضارتهم وعمرانهم(2)،ولم يكن هدف بني هلال تأسيس دولة على حساب شعب البلاد التي حلوا بها،ولم يكن هدفهم أن يعيدوا مذهب الشيعة بأمر من الخليفة الفاطمي في القاهرة،ولا أن يؤسسوا في الشمال الإفريقي دولة عربية تدين بالولاء للخلافة الفاطمية(3)وأن الدعوة القائلة بأن بني هلال قوضوا العمران في شمال إفريقية غير صحيح،ذلك أن الحضارة الإسلامية كانت تتهاوى في كل مكان،وتظهر عليها علامة الشيخوخة،فوجود بني هلال كان ظاهرة من ظواهر التدهور الحضاري خلال العصور الوسطى وقد سبقهم في فعل ذلك عوامل كثيرة خارجية وداخلية سياسية واقتصادية،فلماذا يتحملون وحدهم ذنب ما حدث؟(4).والمسؤول الأول عما لحق بالمغرب من أضرار الحرب،هي صنهاجة التي لم تحسن سياسة هؤلاء العرب،وجرأتهم عليها بما كان بين دولها من تنافس وحروب مخربة للمدن والقرى ومشردة للسكان(5)،كالحروب التي وقعت بين المعز بن باديس وزناتة،قبل دخول بني هلال.بل تتحمل الإمارة الزيرية والدولة الفاطمية مسؤولية مانجم من دمار وتخريب في إفريقية

(1)راض دغفوس:معركة حيدران والصراع الزيري الهلالي في القرن الخامس الهجري-الحادي عشر الميلادي-مقالة-مجلة اتحاد المؤرخين العرب-العدد54-بغداد-1996-ص117

(2) (2)راض دغفوس:معركة حيدران والصراع الزيري الهلالي في القرن الخامس الهجري-الحادي عشر الميلادي-مقالة-مجلة اتحاد المؤرخين العرب-العدد54-بغداد-1996-ص117-د.أبوالقاسم سعدالله:آراء وأبحاث-ج2-ص153

(3)د.أبو القاسم سعدالله:آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر- ص09

(4)د.أبو القاسم سعدالله:آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر- ص09 محمدخيرالدين:مذكرات-ج1- ص17-

د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:موسوعة المغرب العربي-ص65

(5)نفسه:ص17-د.عبدالحليم عويس:دولة بني حماد-ص177

الذي غالى فيه كثير من المؤرخين اقتصاديا واجتماعيا(1)،وإذا كان المؤرخون المستشرقون الأوائل هم الذين بادروا إلى دراسة بلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط،وقاموا بتحليله،فإن المؤرخين المحدثين من المستشرقين أخذوا على عاتقهم دحض الرؤى وأنصفوا بني هلال وبني سليم،حيث تعرض هؤلاء المؤرخين والباحثين أن الاعتماد على روايات ابن خلدون في إقرار ظاهرة التخريب والدمار يعتبر خطأ فادحا،وذلك أن ابن خلدون بحكم رجل دولة،وانتمائه إلى الأرستقراطية من جهة،والتصاقه بالحياة المدنية الحضرية من جهة أخرى جعله يتناول موضوع بني هلال من منظور عصر يدين البداوة مقحما بني هلال في هذه المشاهد،كما أن ابن خلدون كتب بعد ثلاثة قرون على هجرة بني هلال وهي فترة كافية لوجود عدة تغيرات حتمية ليست بالضرورة ناتجة عن هجرة بني هلال(2)،وذهب هؤلاء المؤرخون والباحثون المستشرقون بالقول عنصرية نظرياتهم (3).وتعد هذه الدراسات إضافات في مجال دراسة أزمة القرن الخامس الهجري وقد تبعتها دراسات أخرى جديدة التي تناولت أسطورة الغزوة الهلالية وقد أبرزت هذه الدراسات أن تدهور ودمار إفريقية،كان قد بدأ قبل قدوم بني هلال إلى المغرب الإسلامي(4) أن المؤرخين المعاصرين لدخول بني هلال إلى إفريقية،أو الذين عاشوا المرحلة الثانية لهجرتهم لم يتناولوا هجرة بني هلال إلى المغرب الإسلامي بالحدة والقسوة التي تناولها ابن خلدون وكما لم يذكروا أن بني هلال قد رموا النيران في المدن،أو قطعوا الأشجار ووجه المؤرخون المستشرقون المحدثون نقدا إلى مارسيه(G.Marçais) وقوتيه

(1) محمد خير الدين مذكرات ج1-ص17

(2)محمدخيرالدين:المرجع السابق:ص17-د.عبدالحليم عويس:دولة بني حماد-ص177

(3) مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ص182

(4)د.أبو القاسم سعدالله:آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر-ص153

(Gautier)وغيرهم لاتخاذهم موقفا سلبيا من بني هلال معتمدين على كتابات ابن خلدون مبرزين أثر الدمار والتخريب،وقد اتخذ إيف لا كوست (F.Lacoste) الوجهة ذاتها حيث أبرز النظريات القائلة بمسؤولية بني هلال في أزمة القرن الخامس الهجري،فلاكوست انتقد المؤرخين لاعتمادهم على ابن خلدون في تفسير الأزمة (1) إذ يفيد بأنه لا يوجد في أي من مقدمة ابن خلدون ولا في كتاب العبر دراسة نظامية متماسكة للأزمة التي لاحظها ابن خلدون آثارها في القرن الخامس الهجري،فالمؤلف لايضم عرضا منهجيا للأسباب العميقة لهذه الظاهرة المدمرة،ذلك أنه اكتفى بوصف تتالي للاضطرابات والفوضى(2).وقيام وسقوط العديد من المراكز السياسية،ولكن مسألة الأزمة لم تطرح والهجرة الهلالية لم تكن المحور الرئيسي،وإنما طرحت ضمن الفوضى والاضطرابات(3).ويذكر إيف لاكوست على أن اعتماد المؤرخين والباحثين الشبه الكلي على ابن خلدون لا يعبر بشكل قاطع عن الوضع،أما جاك بارك(Jacques Berque) فيتفق أيضا مع إيف لاكوست،وينتقد بدوره اعتماد المؤرخين على كتابات ابن خلدون،والذين أسقطوا من حساباتهم الأحداث التي تعيق هذه النظرية أوضعفها خاصة وأن مصدر ابن خلدون شمل العديد من الأحداث المضادة لهذه الرؤية المدينة لبدو بني هلال وبني سليم.ويرى لاكوست أن هذه الرؤية هي أسطورة من قبل الصدفة،أنه يفند لفظة غزو،بل يرى أن تنقل القبائل العربية الهلالية منذ القرن الخامس الهجري وحتى القرن الثامن الهجري في بلاد المغرب،قد غذيت في إطار الإيديولوجية الاستعمارية(4).

---

(1)إيف لاكوست:تاريخ المغرب في القرون الوسطى-مؤسسة الكتاب-الدار البيضاء-1976-ص10-عبد الحميد خالدي:المرجع السابق-ص225

(2)إيف لاكوست:تاريخ المغرب ص10-عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي في الجزائر-ص225

(3)إيف لاكوست:المرجع السابق-ص10

(4)نفسه:ص10

وفند لاكوست ماذهب إليه بعض الدارسين من أن دخـــول بـــني هـــلال إلى المغـــرب الإسلامي كان بمثابة غزوات المغول لبلاد المشرق فالفارق واسع(1)،فالـــذي لم يعاصـــر أحداث القرن الخامس الهجري وكتب في مرحلة متأخرة ويستدل بارك على ذلك بـــأن البكري(2)الذي عاصر الأحداث لم يذكر سقوط القيروان إلا في ســـنة1052م أي بعـــد الهجرة الهلالية بحوالي عشر سنوات،كما يدحض الزعم القائل بخراب المغرب الإســـلامي الشامل إذ يذكر أن القيروان بالرغم مما تعرضت له من تدمير استطاعت في فترة لاحقة استعادة نشاطها وحيوها الاقتصادية المعهودة،ومثلما اعتمد المؤرخون العرب المحـــدثون على وجهات نظر استشراقية حول اهام بدو بني هلال وبني سليم بتدمير إفريقيـــة،فإهم وللمرة الثانية يبدو أهم يعتمدون على رؤى استشراقية،فندت مزاعم تخريب بدو بـــني هلال وبني سليم للمغرب الإسلامي ونفت عنهم الاهام،ومن بين الذين فندوا اهام بدو بني هلال بالتخريب عبدالله العروي وجميل أبوالنصر وأبو القاسم كـــرم الـــذين قـــاموا بدراسات اعتمدوا من خلالها على دحض الأطروحات القائلة بأن دخول بني هلال إلى المغرب الإسلامي كانت نقطة تحول سلبية في تاريخ المنطقة.وانتقدوا المؤرخين والد ارسين لعدم تمعنهم في الأحداث(3).فالعروي يقدم تحليلا لعوامل ومراحل انحـــلال الإمـــارة الزيرية بالمغرب الإسلامي،مبرزا وجهة نظره بأن وجود بني هلال لا يختلف عن وجود أية قوة بدوية بالمنطقة،فالبدوي يحتاج إلى مراعي،وهذه المراعي ليـــست محـــدودة في بـــلاد المغرب،فلابد للوافد أن يطرد من سبقه إليها،وفي مرحلة لاحقة يضايق الاقتصاد الرعوي الزراعة والغراسة،فتتعذر العودة إلى إنتـــاج زراعـــي وتفـــرغ القـــرى والمداشـــر(4)

(1)عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي—ص225

(2)ينظر إلى:المسالك والممالك—الدار العربية للكتاب—تونس—1992—ص73

(3)د.عبد الفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق—ج4—ص144—عبدالحميد خالدي:المرجع السابق—ص225

(4) ينظر إلى:مجمل تاريخ المغرب—المركز الثقافي العربي—الدار البيضاء—1994—ص10

ويتناثر السكان،وتتباعد الأحياء،وتحل الخيام محل الدور وتترتب عن هذه التطورات تحولات أخرى لا تقل خطورة مع انحطاط الإنتاج الزراعي،وتناقص غلال الفرس وتقل الثروة العامة،وتكسد التجارة وتسوء أحوال سكان المدن.فتختنق هذه خاصة بعد أن تكون قد نهبت وسلبت من ذخائرها أثناء الحروب والفتن،وهذا ماحصل بالضبط للقيروان وقلعة بني حماد وتاهرت(1).كماذكر عبدالله العروي أيضا بأن دخول بني هلال إلى المغرب الإسلامي وما صاحبه من اضطرابات وفوضى لا ينكرها المؤرخون.ولكنهم لا يتعدون الوصف إلى الاتهام، وأن هؤلاء لا يكتفون بالقول هذا مافعله البدو الرحل،بل يؤكدون على أن ما يفعله العرب حيثما كانوا رغم أنهم يعرفون أن ابن خلدون يقول العرب ويعني بهم الأعراب أي البدو الرحل،ولكن الأغراض الاستعمارية،دفعت بكتاب الاستعمار إلى استغلال الاشتراك في المعنى(2)،أما جميل أبوالنصر فبعد أن يسرد وقائع المواجهة بين بني هلال وبني زيري كما جاءت في المصادر التاريخية العربية الأولى،فإنه ينتقد كل من اتخذ مؤلفات التيجاني وابن خلدون مصدرا رئيسيا في دراسة أزمة المغرب الإسلامي في القرن الخامس الهجري ويتخذ أبوالقاسم كرم(3)وجهة نظر من تقدم ذكرهما،وأول ما أكده جسامة الخطأ الذي وقع فيه الدارسون لاعتمادهم بالدرجة الأولى في تحليلهم ونتائج أبحاثهم على ابن خلدون لإبراز مسؤولية بني هلال في الأزمة التي عاشها المغرب الإسلامي في القرن الخامس الهجري،وأخذ أبو القاسم كرم على عاتقه إبراز اختلاط الأمر على ابن خلدون في تناوله لموضوع بني هلال،وذلك من خلال تعميمه في أخباره ووصفه للخراب والدمار الذي شاهده(4)، وكأن حدث كله من

(1) ينظرإلى مجمل تاريخ المغرب:ص14–عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي–ص227

(2) ينظر إلى ابن الهانئ الأندلسي–ط2–الدارالعربية للكتاب–تونس–1977–ص151عبدالحميد خالدي:نفسه–ص228

(3) عبدالله العروي:مجمل تاريخ المغرب–ص14–عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي–ص229

(4)ينظر إلى:ابن الهانيء الأندلسي–ص151

طرف القبائل العربية والمغربية في القرن الخامس الهجري بالرغم من أن الكثير من هذه القبائل كانت لها أدوار إيجابية.ولعله من المفيد القول أن أبا القاسم كرم يعطي بعض العذر لابن خلدون ذلك لأن المصادر السابقة له وقفت بذكر انتعاش المنطقة وازدهارها الاقتصادية في القرن الخامس الهجري وأن مصادر القرن السادس الهجري أكدت على الفتن والحروب والنهب،وفي إبراز عدم مسؤولية بني هلال في الخراب الاقتصادية الذي أكده عليه بعض الدارسين اعتمادا على ابن خلدون الذي يذكر بعض الأحداث التي خربت في بعض الأراضي في المغرب الإسلامي كمناطق في برقة وقفصة على سبيل المثال(2)،وعلى العموم فإن إيجابيات بني هلال كانت أكثر فاعلية في جانبها الثقافي والفكري والديني؛أنهم ساهموا في بناء وترسيخ الحضارة العربية الاسلامية(3).وعلى الرغم من النزوح الهلالي قد بسط نفوذه على كل أنحاء المغرب الإسلامي امتدادا من حدود مصر شرقا إلى المحيط الأطلسي مرورا بكل الأقاليم إلا أنه لم يؤسس ملكا أو يشيد دولة أو أن يكون له كيانا سياسيا كبير معترف به إقليميا ودوليا،ولكنه اقتصر على سكنى السهول والأودية وإقامة الإمارات الصغيرة(4)،بالإضافة إلى أن القبائل الهلالية لعبت دورا متميزا في أوجه الحياة المختلفة،وكان وجودها على أرض المغرب الإسلامي انطلاقا من منتصف القرن الخامس الهجري حتى العصر الحديث عبارة عن صفحة مضيئة من تاريخ المغرب الإسلامي السياسي والاجتماعي والاقتصادي وعلى الرغم من الحملات المزعومة التي حاولت أن تشوه هذا الدور.

---

(1) ينظر إلى:ابن الهانئ الأندلسي–ص151عبد الله العروي:مجمل تاريخ المغرب– ص14

(2) –عبدالله العروي:مجمل تاريخ المغرب:ص229

(3)محمد سالم شرف الدين:ملامح المغرب في القرن الخامس الهجري المؤسسة العربية للكتاب بنغازي1999ص127

(4)نفسه:ص 127د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي موسوعة المغرب العربي–ج1–ص65– عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي–ص132–د.مصطفى عمر أبوضيف:القبائل العربية–ص62

ولولا الدور الهلالي في حياة المغرب لتغير مسار تاريخ الإسلام والعروبة في تلك المنطقة من العالم الإسلامي(1).لاتزال الدراسات الدقيقة التي تسمح بتحديد دور كل بطن من بطون بني هلال في إفريقية قليلة،وبالتالي لا يمكن في ضوء قلة الدراسات أو انعدامها الوقوف على الدور الإيجابي أوالسلبي الذي قام به كل بطن من بطون بني هلال،حتى لا تتهم بطون بني هلال كلها بالتخريب والتدمير الذي لحق بإفريقية،ولم يكن بنوهلال وراء التخريب الذي شهده المغرب الإسلامي،وإنما كان الوجود الهلالي في المغرب الإسلامي مظهرا من مظاهر التفكك والانهيار الذي أصاب العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري،الحادي عشر الميلادي(2).وما يؤخذ على المؤرخين أنهم لم يركزوا على الغزو الصليبي للعالم الإسلامي عامة والمغرب الإسلامي خاصة في تلك الفترة،والذي كان سببا مباشرافي تفككه وانهياره وأثر بشكل أو بأخر على الوضع الداخلي،فكانت القبائل البربرية في المغرب الإسلامي بدل أن تواجه الغزو الخارجي المتمثل في الغزو النورمندي،يلاحظ أنها ركزت جهودها لمواجهة قبائل بني هلال وسليم ،بل كانت في صراع فيما بينها،بين قبيلة صنهاجة من جهة وقبيلة زناتة من جهة أخرى،ولم يقتصر هذا الصراع على هذه القبائل فحسب،بل أقحمت قبائل بنوهلال وسليم،حيث دخلت في نزاع مع قبيلة صنهاجة،وأيضا مع قبيلة زناتة،وكانت نتائج هذا الصراع أن ضعفت هذه القبائل،وانعكس ذلك على تطور المغرب الإسلامي في القرن 5هـ-11م.إن انهزام المعزبن باديس وصنهاجة في معركة حيدران أمام بني هلال،وانهيارإمارة بني زيري،يمكن إخضاعها لنظرية العمران البشري عند ابن خلدون في تفسيره للتطور المجتمع(3).

(1)د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي-ج1-ص65-عبدالحميد خالدي:المرجع السابق-ص132

(2)د.أبو القاسم سعدالله:آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر-ج2-ص153

(3)دصلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-دار غريب-القاهرة-2002-ص257

حيث تأخذ هذه النظرية في هذا المجال شكلا حيويا بيولوجيا مرتكزة على مقارنة المجتمع في تطوره بالجسم الحي وحياته،فالمجتمع البشري كالإنسان تماما،يولد طفلا وينمو إلى أن يصبح صبيا ثم شابا ثم رجلا ثم شيخا ثم هرما(1)،وهذا ما حدث لإمارة بني زيري وكذلك المجتمع له حالات أربع في نموه وتطوره عند ابن خلدون وليست حالات التطور هذه اختيارية قد يمر بها المجتمع وقد لايمر،بل تسير في تتابع حتمي لا تمهد خلاله كل مرحلة للتي تليها فقط،وإنما تجذبها إليها جذبا(2)،وهذه الحالات الأربع أو الأجيال الأربعة كما يسميها ابن خلدون هي حالة البداوة،وتمثل الجيل الأول في حياة المجتمعات البشرية،وترتكز في رأي ابن خلدون على ركيزتين أساسيتين أولاهما حاجة الناس إلى التعاون لإشباع احتياجتهم الضرورية،وثانيتهما حاجة الناس إلى الحماية والدفاع عن أنفسهم ضد مخاطرالطبيعة والكائنات الحية الأخرى على حد سواء،ومن هنا كانت أو نشأت القبيلة أو الأشكال الاجتماعية الجماعية التي ضمت بني البشر أو احتوتهم على أساس من العصبية ووفق تنظيم سياسي واجتماعي صارم(3).وقد تأسست نتيجة لذلك قبيلة صنهاجة التي تفرعت إلى بطون،ومن بين بطونها بني زيري ويرجع ابن خلدون قيام الملك إلى العصبية التي شدت من أزر أفراد القبيلة الواحدة وقوت شجاعتهم وصيرتهم أكثرا توحدا وبأسا ودفعتهم إلى الغزو والفتح(4). وقد حدث أن قامت قبيلة صنهاجة خاصة بطنها بنوزيري بالغزو والفتح أثناء الحكم الفاطمي في المغربين الأوسط والأقصى.

(1)ابن خلدون:المقدمة-ص.ص149-150-د.حسن الساعاتي:علم الاجتماع الخلدوني-ص167-د.ألبيرنصري نادر:من مقدمة ابن خلدون-ص.ص119-120-د.محمود عودة:أسس علم الاجتماع-دارالنهضة العربية-بيروت-ص238-د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-دار غريب-القاهرة-2002-ص.ص257-258

(2)المقدمة-ص150-د.حسن الساعاتي:علم الاجتماع الخلدوني-ص167-د.ألبير نصري:من مقدمة ابن خلدون-ص120-د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص258

(3) المقدمة-ص150-د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص258

(4)نفسه:ص150-د.حسن الساعاتي:علم الاجتماع الخلدوني-ص.ص167-168

ضد دولة بني أمية وحلفائها قبيلة زناتة وإقامة الملك بعد انفصال بني زيري عن الدولة الفاطمية والملك يستتبع بالضرورة إنشاء البلدان والأمصار وما يلزمها من مختلف الصنائع وغيرها من الأمور الضرورية للعمران الأمر الذي يبعد المجتمع عن حالة التوحش والعصبية(1)وينتقل به من حالة البداوة إلى حياة الحضارة،التي أسسها بنو زيري في إفريقية والحضارة عند ابن خلدون هي غاية العمران وهي أيضا التفنن في الترف،حيث يستقر خلالها الملك وتزخر بالنعيم وتتقن فيها الصنائع وتتجلى المهارات الفنية،ويسود فيها الترف وتتنوع الميول والشهوات وينصرف الناس كل إلى ملذاته فتضعف العصبية،وتضيع الشجاعة وتلين الخصال وينسى كل الناس أصول الحماية والمدافعة(2)،ويؤجرون الموالي والمرتزقة لقيام بهذه المهمة عنهم،وهذا ماوقع لبني زيري عندما اشتري المعزبن باديس ثلاثين ألف سودانيا للدفاع عن إمارة بني زيري بسبب الترف الذي وصلت إليه صنهاجة التي آثرت الراحة والدعة على المتاعب ومن هنا كان هلاكهم الحتمي والمؤكد على يد قبيل غاز آخر أكثر منهم توحشا وأوفر منهم عصبية وحذقا بأمور الحماية والمدافعة(3)وهو قبائل بني هلال،وبلغت إمارة بنوزيري حالة الهرم وهي ختام حياة المجتمع والدولة في رأي ابن خلدون(4)،لأن غاية العمران هي الحضارة والترف،وإذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ الهرم كالأعمار الطبيعية للحيوانات،ويرى ابن خلدون أن حالة الهرم هذه حالة حتمية أوضرورية لابد منها،وذلك لأن حالة الهرم نشأت كنتيجة ضرورية لضعف العصبية وإيكال أمر المدافعة.

(1)المقدمة:ص151-د.حسن الساعاتي:علم الاجتماع الخلدوني-168-د.ألبير نصري نادر:من مقدمة ابن خلدون-ص120-د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص258-د.محمود عودة:أسس علم الاجتماع-ص238

(2)المقدمة:ص151-د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص259

(3)نفسه:ص152-د.ألبير نصري نادر:من مقدمة ابن خلدون-ص120

(4)نفسه:ص152-د.حسن الساعاتي:علم الاجتماع الخلدوني-ص169

والحماية إلى الموالي والمرتزقة،وتعود حالة الهرم كذلك على الاكتفاء بمظاهر القوة والغلبة والأنفة دون ممارسة حقيقية لها،والتكالب على أمور الدنيا وإرضاء الشهوات والخضوع لها سواء كانت شهوات معنوية أم حسية أم جسدية،وكذلك شهوة والانغماس في جمع المال بكل الطرق،وكل هذه أمور تتسبب أو تؤدي إلى هجوم من قبيل غاز متربص قوي العصبية شديد الشكيمة ومتوحش الطباع.ومن هنا يبدأ المجتمع دورته من جديد حالة بداوة تسودها العصبية،وحالة ملك بالغزو والقهر،وحالة حضارة ببلوغ العمران إلى منتهاه،ثم حالة الهرم وهي حالة موات لا محالة حتى مع ظهور بعض المصلحين أو مع تأخر القبيل الغازي في الانقضاض على فريسته(1).فإن ما وقع لبني زيري وصنهاجة أنها تعرضت لقبيل غازي وهو بنوهلال،ولكن هذا القبيل لم يؤسس ملكا أو دولة،حسب القوانين التي استنتجها ابن خلدون من نظريته العمران البشري ،لأن مبرر ابن خلدون أن العرب لا يحصل لهم ملك إلا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين(2) والسبب في ذلك أنهم لخلق التوحش فيهم ،وأصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة،فقلما تجتمع أهواؤهم،فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم،وذهب خلق الكبر والمنافسة فيهم،فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المهذب للغلظة والأنفة والوازع عن التحاسد والتنافس،فإذا كان فيهم النبي أوالولي الذي يبعثهم على القيام بأمرالله يذهب عنهم مذمومات الأخلاق،ويأخذ بمحمودها حصل لهم التغلب والملك.

---

(1)المقدمة:ص150-د.حسن الساعاتي:علم الاجتماع الخلدوني-ص168-د.أليرنصري نادر:من مقدمة ابن خلدون-ص102-د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص258-د.محمود عودة:أسس علم الاجتماع-ص238

(2)المقدمة:ص151-د.ألبير نصري نادر:من مقدمة ابن خلدون-ص102

(3)نفسه:ص152-د.حسن الساعاتي:علم الاجتماع الخلدوني-ص169

(4)نفسه:ص152-د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص258

ب-موقف حميان من زناتة إفريقية والمغرب الأوسط:اختلف المؤرخون والباحثون حول موقف حميان من جملة بني زغبة من زناتة إفريقية والمغرب الأوسط فذهب بعض المؤرخين أن بني هلال عند وصولهم إلى طرابلس اصطدمت بزناتة إفريقية ويبدوذلك من رواية ابن أبي دينار التي ذكرفيها أن بني هلال لما وصلوا إلى المغرب كانت لهم وقعات مع زناتة طرابلس(1).وربما كان هذا الإصطدام متوقعا وطبيعيا؛لأن بني هلال التي واصلت مسيرتها إلى إفريقية من المحتمل قد اصطدمت بزناتة طرابلس ذلك أن طرابلس كانت المحطة الثانية بالنسبة لبني هلال،والغالب على الظن أن الإصطدام كان ظرفيا نظرا لضخامة عدد بني هلال،الذي غطى مساحات واسعة من مراعي طرابلس ومن الطبيعي أن ترفض زناتة الوجود الهلالي في منطقتها لتشابه حياة زناتة البدوية مع حياة بني هلال،وربما كانت زناتة ترى في استقرا ربني هلال في منطقتها يؤدي إلى مزاحمة بني هلال لها،وبالتالي يؤدي ذلك إلى ضيق المساحات الرعوية،ويصعب عليها العيش في هذه المنطقة،وكذلك كانت ترى زناتة أن بني هلال عنصر جديد ودخيل عليها،وبالتالي رفضت إدماجه؛ أو احتمالا أن زناتة رأت أن استقرار بنوهلال في طرابلس ونواحيها يؤدي إلى سيطرة بني هلال على المنطقة وبالتالي يحدث لزناتة كما حدث لها مع صنهاجة التي أبادهم في منطقة برقة،وأرغمت من بقي منهم على الهجرة على المغرب الأوسط والأقصى،ومايؤخذ على المؤرخين أنهم استخدموا أسلوب التعميم في تحليل ظاهرة التخريب وكأنها خاصة ببني هلال،فاتهموا كل بطون بني هلال دون استثناء،وإذا كانت بطون بني هلال كرياح والأثبج وبني عدي وجشم وبقية البطون العربية الأخرى كعوف وزغب قد واصلت سيرها إلى إفريقية سنة443هـ—1050م.واستقرت حميان من

(1)المؤنس:ص84- وعند أحمد الطاهر الزاوي وكانت زناتة بجهات طرابلس فدهمهم العرب بجموعهم، واحتازوهم إلى القيروان قوة واقتدارا بعد حروب طاحنة ينظر إلى تاريخ الفتح العربي في ليبيا- ص224

جموع بني زغبة بطرابلس وضواحيها،فما موقف حميان من جملة بني زغبة من زناتة؟جاء في العبر أن زغبة عند دخولها إلى إفريقية كانت تتميز بكثرة العدد،والشرف وتغلبت على نواحي طرابلس وقابس،وقتلت سعيد بن خزرون*من ملوك مغراوة بطرابلس(1).ويفهم من رواية ابن خلدون أن بني زغبة كبطن من بطون بني هلال قتلت ملك طرابلس سعيد ابن خزون ربما كان يريد إبعادها عن طرابلس،التي تعد إقطاعا لها والذي حدد لها من طرف الخليفة الفاطمي،وإذا كانت زغبة فرضا قد قتلت أمير مغراوة،فإنها لم تقتل قبيلة مغراوة قاطبة،ولكن لم يذكر ابن خلدون أسباب مقتل سعيد بن خزرون على أيدي زغبة،وذهب بعض المؤرخين أن بني هلال دخلت في حروب مع زناتة بعد انتصارهم على صنهاجة إفريقية(2)،وكانت زناتة تسيطر على الجزء الغربي وهو إقليم تلمسان،وكانت رياسة الضواحي من زناتة لبني يفرن ومغراوة وبني ومان ويلومان(3)،فلما رأت زناتة ما فعلته العرب الهلالية بصنهاجة وبلادهم إفريقية خافت على نفسها،وتحركت لمواجهة بني هلال وفي رواية رشيد بورويبة أن زناتة المغرب الأوسط لما رأت ما فعل بنوهلال بإخوانهم في إفريقية الذين طردوا من أراضيهم،ولاذوا بالفرار إلى المسيلة للخلاص منهم،وانتهى الصراع بانتصار بني هلال على زناتة. واضطروهم إلى الفرار إلى المغرب الأقصى،

---

*يبدوأن هذه الرواية تحتاج إلى مراجعة؛ لأن ابن خلدون نقل هذا الخبر عن التجاني فزغبة إنما كانت أجازت النيل بعد سنة440هـ 1047م-1048م فلم يكن لها وجود في طرابلس سنة429هـ 1036م-1037م، إلا أن كان تقدم بعض أحيائهم إلى إفريقية قبل ذلك وكان بنوقرة ببرقة وبعثهم الحاكم مع يحي بن حمدون إلا أن ذلك لم ينقله أحد،وبالتالي يستبعد أن قتلته زغبة.ينظر إلى محمد بن عميرة:زناتة والحركة المذهبية-ص298

(1) العبر:ج6وص41- مصطفى أحمد أبوضيف:المرجع السابق-ص-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر بين القديم والحديث-ج2- ص 188-داود بن يوسف سليمان:المرجع السابق-ص118

(2) العبر:ج6-ص15-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر -ج2-ص178

(3) د.:رشيدبورويبة:تاريخ الحماريين- ص203

فاستقر بنوهلال في منطقة الزاب وهي منطقة بسكرة حاليا، حيث اتفقوا بينهم وبين بني حماد،فحافظ الحماديون على المدن،وتركوا الأرياف لبني هلال(1).ويبدوأن صنهاجة هي التي أقفرت المغرب الأوسط من زناتة في القرن الرابع الهجري،عندما كان الصراع قائما بين زناتة وصنهاجة في عهد الفاطميين حيث قام زيري بن مناد الصنهاجي عامل المعز لدين الله الفاطمي بأشير* وتاهرت بمحاربة زناتة،وسمح له الخليفة الفاطمي بضم الأراضي التي يستطيع الاستيلاء عليها فسار إلى ابن الخير وقام بهجوم مفاجئ سنة360هـ–970م – 971م(2)،تمكن من محاصرة زناتة حتى لم يبق أمام أميرها إلا أن ذبح نفسه(3).غير أنه لم يمض وقت طويل حتى أتيحت لزناتة الفرصة لكي تثأر لنفسها،ذلك أن عامل المسيلة والزاب للخليفة الفاطمي جعفر ابن علي بن حمدون(4) خلع طاعته ولحق بابن الخير بن محمد وقومه واعتصم بدعوة المروانية(5).ماكان سببا مباشرا إلى وقوع معركة ثانية بين صنهاجة بقيادة زيري بن مناد وزناتة بقيادة الخير بن محمد بن الخير في رمضان سنة360هـ–يوليو970م(6)بملوية وكانت نتيجتها عكس المعركة الأولى،إذ انتهت بقتل زيري وهزيمة أصحابه(7)،وما أن علم المعز لدين الله الفاطمي بذلك حتى أسند المهمة التي كلف بها زيري. إلى ابنه بلكين بنفس الشروط بعد ماولاه على عمل أبيه وعمل جعفربن

(1)د.رشيد بورويبة:تاريخ الحماديين:ص–203

(2)العبر:ج2–ص37_محمد بن عميرة:زناتة والحركة المذهبية–ص298

(3) عن هذه المعركة ينظر إلى العبر:ج2–ص.ص37–38–البيان:ج2–ص243–الكامل:ج7–ص47

(4)العبر:ج2–ص38–ويسميه صاحب مفاخر البربر جعفر بن محمدون المعروف بالأندلسي–ص06،وقد تولى المسيلة بعد مقتل أبيه في معركة خاضها ضد أبي زيد سنة334هـ –945م–946م ينظرإلى المقتبس ص.ص35–56–اتعاظ الحنفاء–ج1–ص99–المؤنس:ص74

(5)مؤلف مجهول:مفاخرالبربر–ص07،وتذكر بعض المصادر أن جعفر وزناتة هم الذين هاجوا صنهاجة.ينظر إلى مفاخرالبربر–ص07–المؤنس:ص07

(6)العبر:ج2–ص38–مفاخرالبربر:ص07–البيان:ج2ص242–الكامل:ج7–ص47–المقتبس:ص.ص.26–27

(7)أي أنه ملكه ما تغلب عليه من أعمال زناتة.ينظر إلى العبر:ج2–ص32

علي على تحرك بلكين نحو المغرب سنة361هـ 971م -972م وراح يجول في أعمال طبنه وباغايه والمسيلة وبسكرة،وأجفلت زناتة أمامه،وتقدم إلى تاهرت ولحق بالمغرب الأقصى.واتبع آثار الخيربن محمد وقومه إلى سجلماسة،فأوقع بهم وتقبض عليه فقتله وفض جموعهم،وانكف بالمغرب الأوسط،فاستلحم بوادي زناتة ومن إليهم من الخصاصين(1)،ورفع الأمان عمن ركب فرسا،فأقفر المغرب الأوسط من زناتة،وساروا إلى ما وراء ملوية من بلاد المغرب الأقصى(2).يستخلص من هذه الأحداث أن منطقة المغرب الإسلامي كانت منطقة صراع بين القبيلتين الزناتية والصنهاجية منذماقبل الإسلام،وربما يعود سبب الصراع بين زناتة وصنهاجة إلى الاختلاف بينهما في نمط الحياة أو في نمط التفكير،ولم يقتصر على القبيلتين بل تعداه إلى التناحر بين أفراد القبيلة الواحدة مثل ما وقع بين بني زيري وأبناء عمومتهم بني حماد،وبين مغراوة وبني يفرن،إلا أن زناتة هي التي اجتهدت في مدافعة بني هلال،وأعلنت الحرب ضدهم بما كانت أملك للبأس والنجدة بالبداوة،وتحالفت قبائل زناتة ضد بني هلال،وزحفت إليهم من المغرب الأوسط وإفريقية،وتولى ذلك منهم محمد ابن خزرون صاحب تلمسان،وأرسل نحوهم جيشا يقوده أبوسعد اليفرني سنة450هـ(3)فوقعت بينهم حروب طويلة،ذكرها بنوهلال في أشعارهم،وقتل بنوهلال أبي سعد اليفرني وانتهت هذه الحروب بانتصار العرب الهلالية،وتراجعت زناتة إلى تلمسان(4).وتغلب بنوهلال على الضواحي،وعجزت زناتة عن ردهم بإفريقية الملتحم بينهم في الضواحي بين جبل راشد ومصاب من المغرب

---

(1)مفاخرالبربر:ص08وحسب ابن الأثير فإن المعز ولاه المسيلة وأعمالها بعدما حارب زناتة تعبيرا عن فرحه به-ينظر إلى الكامل:ج7-ص48

(2) العبر:ج2-ص119-المؤنس:ص75-عبدالرحمن الجيلالي:تاريخ الجزائر-ج1-ص126

(3)العبر:ج6-ص20-مبارك بن محمدالميلي:المرجع السابق-ج2-ص178

(4)نفسه:ص20-د.حسين مؤنس:المرجع السابق-ج1-ص603مبارك بن محمدالميلي:تاريخ الجزائرج2-ص178

والزاب وصار الأوسط(1)، ويبدو أن بعض المؤرخين حاولوا تأويل ماحدث بين صنهاجة وزناتة من حروب،فمن أهم مميزات القرن الرابع الهجري بالنسبة للعالم الإسلامي تزايد ضعف الخلفاء العباسيين،وقيام دولة الفاطميين بإفريقية ومنافستهم للعباسيين في الخلافة وخصوصا بعد استيلائهم على مصر وعلى معظم أنحاء المغرب،وقد هب الأمويون أمراء الأندلس إلى مساعدة القبائل المستقرة في المغرب الأقصى والأوسط،وأغلبها من زناتة،ومدها بالأسلحة والأموال لرد هجمات الفاطميين وأنصارهم من صنهاجة،مما أدى إلى نشوب حروب طاحنة بين زناتة وصنهاجة تخللت القرن الرابع الهجري كله(2)،ومن أهم نتائج الحروب التي اندلعت بين صنهاجة وزناتة منذ أواخر عهد الفاطميين بإفريقية إلى أوائل القرن الخامس الهجري نزوح عدد كبير من بني يفرن ومغراوة وغيرهم من قبائل زناتة إلى المغرب الأقصى،بعد استيلاء صنهاجة على أراضيهم في المغرب الأوسط(3).ويلاحظ أن قبائل زناتة وصنهاجة وقعت ضحية صراع مذهبي بين الفاطميين والأمويين،واستغلت صنهاجة هذا الصراع لطرد زناتة من إفريقية والمغرب الأوسط.وكانت نتائج الحروب بين صنهاجة وزناتة وخيمة تضررت منها زناتة إفريقية والمغرب الأوسط ليلصقوا التهم ببني هلال،ويحملوهم ما وقع من تخريب ودمار في منطقة إفريقية،ويفهم من رواية ابن أبي دينار أن الصراع الهلالي الزناتي حدث قبل الصراع الهلالي الصنهاجي في إفريقية(4)،وقد تجدد الصراع بين بني هلال وزناتة وكذلك بين

(1)العبر:ج6–ص 20

(2) د.عبدالحميد حاجيات:تاريخ المغرب الأوسط في عهد المرابطين–الجزائر في التاريخ–العهد الإسلامي–من بداية الفتح إلى العهد العثماني–ج3–المؤسسة الوطنية للكتاب–الجزائر–1984–ص291

(3) الكامل ج10ص456د.مصطفى أبوضيف:القبائل العربية في المغرب ص61–عبدالحميد يونس:الهلالية–ص74

(4)) ينظر إلى:المؤنس–ص84

الهلاليين والصنهاجيين بعد معركة حيدران،وكان ذلك بين بني هلال وبني حماد،الـــذي تجسد ذلك في معركة سبيبة سنة457هـــ(1). بينما في رواية ابن الأثير فجاء فيها أن بـــني هلال سيطروا على صنهاجة ثم مدوا نفوذهم إلى زناتة حتى تم لهم إخضاع القبيلتين،وهذا مايبين أن بني هلال لم تكن لهم الرغبـــة في القـــضاء علـــى دول البربـــر في المغـــرب الإسلامي.خلاصة القول أن حميان من جموع بني زغبة ربما شاركت في الصراع بين بـــني زغبة مع زناتة طرابلس،ويستبعد أنها شاركت في حروب بني هلال مع زناتـــة المغـــرب الأوسط؛لأنها كانت مستقرة بضواحي طرابلس.

ج-علاقة حميان بالدولة الحماديةوموقفهم من معركة سبيبة:

كانت حميان من جموع بني زغبة تستقر مابين طرابلس وقابس*أوربما تحركت بعض بطون زغبة إلى غرب قابس بعد التقسيم الثاني سنة446هـ،إما بالقرب من المهدية أو القيروان، ولو أن المصادر التاريخية لم تتفق على رأي واحد،ومن ثمة فلم تكن لحميان من جملة بـــني زغبة علاقات جوار أواحتكاك بإمارة بني حماد بسبب البعد الجغرافي،ولم تكن حميان مـــن جملة بني زغبة بينها وبين بني حماد نزاع عسكري،ويبدو أن أول علاقة سياسية بين حميان من جموع بني زغبة حدثت في عهد الأمير الحمادي الناصر بن علناس(2) الذي تولى حكم إمارة بني حماد سنة454هـ في المغرب الأوسط.

*قابس:تقع في نحرالبحر، وهي مدينة الأفارقة، وذلك أن من مدينة قابس إلى الفوارة ثلاثون ميلا(الميل=8كلم)، وكانت فيمـــا سلف قرية نوهي الآن خراب، ومنها إلى آبار خبت إلى قصر الدرق ثمانية وعشرون ميلا، ومن قصر الدرق إلى بئر الجمـــالين ثلاثون مرحلة،وكل هذه المنازل التي ذكرت في هذا الطريق خلاء بلقع، قد أتت العرب على عمارتهـــا، وطمـــست آثارهـــا، وأخربت عشارها وأفنت خيراتها، فليس بها الآن أنيس قاطن ولا حليف ساكن، وهي مستباحة بقبيلة من العرب تسمى مرداس من بني عوف من سليم من العدنانية، كانت منازلهم تمتد بين قابس وعنابة في المغرب مع قومهم، وكانت رياستهم حتى القـــرن الثامن الهجري في جامع.ينظر إلى:الإدريسي-المصدر السابق-ص197

(1)أحمد الطاهر الزاوي:تاريخ الفتح في ليبيا-هوامش-ص226

(2)إسماعيل العربي:دولة بني حماد القلعة-ص164-د.مصطفى أبوضيف عمر:القبائل العربية-ص56

وهي نفس السنة التي تولى فيها ابن عمه تميم بن المعز إمارة بني زيري في إفريقية.وكان الناصر بن علناس يريد توسيع إمارته شرقا على حساب إمارة ابن عمه تميم مستغلا انحصار النفوذ الزيري ما وراء أسوار المهدية(1)ويلاحظ أن بني زغبة من جموع بني هلال لم تكن وراء تحرشات الناصربن علناس على إمارة ابن عمه تميم،وإنما الصراع الحمادي الزيري كان من ورائه الناصر ومع ذلك اتهم المؤرخون بني هلال جميعهم بأنهم كانوا سببا في الصراع وفي اندلاع معركة سبيبة بحيث اتهموهم بأنهم أوقعوا بين تميم والناصر،بينما السبب الذي أدى إلى الصراع يعود إلى الخلافات التي كانت بين بلكين جد الناصر وبين باديس بن المنصور جد تميم،حيث مات باديس وهو محاصرا لقلعة بني حماد(2)ولو لاتلك القلعة المحصنة لقضي على بلكين وأبنائه،وقد استمر الصراع بين المعزبن باديس وحماد،ودخول حماد في طاعته،وانتقلت العداوة بين القائد بن حماد والمعزبن باديس،وكان القائد يضمر الغدر وخلع الطاعة ولكنه كان عاجزا عن ذلك(3)،وكان المعز بن باديس يريد الفتك بالقائد بن حماد عندما حاول تجنيد بني هلال عند دخولهم إلى إفريقية ولكنهم رفضوا،فلما رأى القائد بن حماد أن عرب بني هلال أضعفوا إمارة بني زيري،وأصبح المعز بن باديس غير قادر على إعادة بناء دولته،خلع الطاعة واستبد بالمغرب الأوسط،وكان بنوحماد لا يزالون يحتفظون بشمال ووسط المغرب الأوسط وبالجبال والنجود وبالسلطان على الأثبج(4).وبدلا من أن تضعف شوكتهم نتيجة للأحداث التي وقعت في إفريقية،فإنه يلاحظ أن ملك بني حماد قد اتسع.

(1)إسماعيل العربي:دولة بني حماد القلعة–ص164

(2)الكامل:ج10–ص45

(3)إسماعيل العربي:دولة بني حماد–ص164

(4)الكامل:ج10–ص44–إسماعيل:العربي:المرجع السابق–ص164–.عبدالحليم عويس:دولة بني حماد ط1دار الشروق–بيروت– 1980– ص128

فجاء بعد القائد ابنه محسن،ومن بعده ابن عمه الناصربن علناس بن محمد بن حماد،وكان كل منهم متحصنا بالقلعة التي اتخذوها دار ملكهم،بعد أن سقطت القيروان في أيدي بني هلال،وأصبح المعز غير قادر على حماية سكان الإمارة الزيرية(1).هاجر كثير من أهلها إلى بلاد بني حماد؛لأنها كانت تتميز بجبال وعرة ومسالك صعبة يمكن اللجوء إليها لتمنعهم من بني هلال،وقد انعكست هجرة أهل الإمارة الزيرية إيجابيا على ملك بني حماد حيث ازدهرت الإمارة الحمادية.وكثرت الأموال.وكان أهل إمارة بني زيري يكرهون المعز بن باديس؛لأنه عجز عن حمايتهم من بني هلال،ومن بعدهم أبنائهم يرثه صغير عن كبير(2).ويبدو أن الصراع تجدد بين تميم والناصر بن علناس،حيث امتد نفوذ الناصر إلى تونس،التي أصبحت ولاية تابعة للقلعة،بلغ تميم أن الناصربن علناس يقع فيه في مجلسه ويذمه(3)،ويحط من شأنه ويسخر منه وعازم على المسير إليه لمحاصرته في المهدية،وأنه حالف واستعان بصنهاجة وزناتة وعرب الأثبج وعدي لمحاصرة المهدية والإطاحة بتميم مستغلا ضعفه ليوسع رقعته الجغرافية نحو الشرق بل احتواء إمارة بني زيري(4).وفي رواية ابن الأثير أن عرب المغرب الأوسط هي التي كانت وراء الصراع بين الناصر وتميم بقوله"...**وكانت بين تميم والناصر صاحب القلعة أثناء ذلك فتن كان سببها العرب يأجون بالناصر من قلعته،ويطئون عساكره ببلاد إفريقية،وربما ملك بعض أمصارها وثم يردونه على عقبه إلى داره...**"(5).

(1)الكامل:ج10–ص45–د.عبدالحليم عويس:دولة بني حماد–ص128

(2)إسماعيل العربي:المرجع السابق–ص164–د.عبد الحليم عويس:نفسه – ص128

(3)العبر:ج6–ص19

(4) الكامل:ج10ص45 –ابن عذارى:البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب–مراجعة ج.س.كولات وليفي بروفنسال–ج1–بيروت 1980–ص299–إسماعيل العربي:دولة بني حماد– ص164–عبد الحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي في الجزائر– ص107 مبارك ابن محمد الميلي:تاريخ الجزائر بين القديم والحديث ج2ص185

(5) ينظرإلى الكامل:ج10–ص45

ولما علم تميم بهذا الخبر وصح ذلك وأدرك المخاطر المحدقة به من ابن عمه الناصر، استدعى تميم عرب بني هلال التي تقيم بإفريقية وهي رياح وزغبة وسليم(1)،ولم يكن بنوهلال هم الذين استدعوا تميما للغارة ضد بني حماد،وقد تكررت خطة أبيه المعزبن باديس لكي يستعين بهم ضد ابن عمه الناصر،ويبدو من رواية ابن الأثير أن تميم بن المعز لم يستدع بني زغبة،وإنما اكتفى ببني رياح،بقوله:"...**أرسل تميم إلى أمراء بني رياح فأحضرهم إليه وقال لهم:أنتم تعلمون أن المهدية حصن منيع أكثره في البحر،لا يقاتل منه في البر غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجلا وإنما الناصر بعث هذه العساكر إليكم.فقالوا له الذي تقوله حق ونحب منك المعونة.فأعطاهم المال والسلاح من الرماح والسيوف والدروع والرق، فجمعوا قومهم وتحالفوا على لقاء الناصر**(2).بينما أشار بعض المؤرخين أن تميما استدعى زغبة ورياح وسليم لحماية إفريقية من الناصربن علناس،فاستجابت له هذه القبائل،وعليه يمكن اعتبار هذا الموقف الذي اتخذته زغبة ورياح وسليم من تميم هو بمثابة الدفاع عن الموطن والشرف ونصرة المظلوم؛ لأن تميما هو الذي احتاج إلى سيوفهم(3).إن قراءة دقيقة لهذه الرواية تبرز أن تميم بن المعز هو الذي حرض بني هلال على مواجهة الناصربن علناس،حيث بين لهم أنهم مهددين في مصيرهم من طرف الناصر ولم يفصح لهم بأن إمارته مهددة،وأكثر من هذا يظهر من الرواية أن أمير المهدية شجع بني هلال على مجابهة الناصر فدعمهم بالمال والسلاح.ويذهب أحد الباحثين أن سبب معركة سبيبة من ورائها الناصر بن علناس(4) الذي لم يوفق أول عهده في وضع أسس علاقة متينة تربطه بابن عمه تميم.

(1)إسماعيل العربي:دولة بني حماد القلعة–ص164

(2) ينظر إلى الكامل:ج10– ص128

(3)نفسه:ص 45–العبر:ج6–ص19–د.عبدالحليم عويس:دولة بني حماد–ص128

(4)د.عبدالحليم عويس:دولة بني حماد–ص128

لاسيما وأن ظروفهم كانت تستدعي منه هذا لعمل ،بل أنه وضع أمله الأكبر لتوسيع رقعته بعد سقوط مملكة القيروان*وقد كانت القبائل العربية قد أصبحت حقيقة من حقائق الوجود المغربي،تحتاج من الناصر إلى مهارة شديدة في ترويضها ولا سيما وأنها كانت تتأهب للتروح إلى مملكته(1). كيف وقعت معركة سبيبة؟وهل شاركت حميان من جموع بني زغبة في هذه المعركة؟وماهي نتائج معركة سبيبة؟شرعت قبائل بني هلال التي كانت إلى جانب تميم بعد أن اقتنعت برأيه،في تعبئة الطرف الثاني الموالي للناصر بن علناس،فجمع بنوهلال قومهم وتحالفوا واتفقوا على لقاء الناصر،وأرسلوا إلى من مع الناصر من بني هلال وإلى المعز المغراوي يقبحون عندهم مساعدتهم عندهم للناصر ويخوفونهم منه إن قوي،وأن يهلكهم بمن معه من زناتة وصنهاجة،وأنهم إنما يستمر له المقام والاستيلاء على البلاد إذا تم له الحلف،وضعف السلطان فأجابهم بنوهلال وهم الأثبج وعدي إلى الموافقة وقالوا:اجعلوا أول حملة تحملونها علينا،فنحن ننهزم بالناس ونعود عليه،ويكون لنا ثلث الغنيمة(2)،فأجابوهم إلى ذلك واستقر الأمر على ذلك(3).وأرسل المعز المغراوي الزناتي إلى من مع الناصر من زناتة بنحو ذلك،

*القيروان:أم أمصار وقاعدة أقطار، وكانت أعظم مدن المغرب قطرا، وأكثرها بشرا، وأيسرها أموالا وأوسعها أحوالا وأتقنها بناء، وأنفسها هما، وأربحها تجارة وأكثرها جباية،وأنفقها سلعة، وأنماها ربحاوأجهرهم عصيانا،وأطغاهم أغمارا، والغالب على فضائلهم التمسك بالخير والوفاء بالعهدة، والتخلي عن الشبهات واجتناب المحارم والتفنن في محاسن العلوم والميل إلى القصد، فسلط الله عليها العرب، وتوالت عليها الحوائج عليها، حتى لم يبق منها إلا أطلال دارسة وآثار طامسة، وهي الآن في وقت الإدريسي هذا على جزء منها سور تراب وولاة أمورها العرب، وهم يقبضون ما يتوفر من جبايتها،وبها أقوام قليلون، تجارهم يسيرة ومنافعها نزرة.ينظر إلى: الإدريسي:القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس-تحقيق وتعليق إسماعيل العربي-ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر-1983-ص198-حسن الوزان:وصف إفريقية-ج2-ص.ص402-403

(1)ابن الأثير:الكامل -ج10-ص45

(2)نفسه:ج10-ص10 -البيان ج1-ص299-عبدالحميد خالدي:المرجع السابق-ص107 - مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص185- إسماعيل العري:دولة بني حماد القلعة-ص164

(3)الكامل:ج10-ص45- العبر:ج6-ص20-د.عبدالحليم عويس:المرجع السابق- ص117

فوعدوه أيضا أن ينهزموا،فحينئذ رحلت رياح وزغبة وسليم وزناتة جميعها(1).اتفق معظم المؤرخين والباحثين أن الناصر بن علناس أراد أن ينقل المعركة إلى إفريقية،للحد من وصول عرب بني هلال إلى المغرب الأوسط خاصة المعادية له،وفي الوقت نفسه التوسع في إفريقية في حالة انتصاره على تميم،وكان الناصر قد اختار مكان المعركة لغرض استراتيجي،فحشد معه صنهاجة وعرب الأثبج وعدي وزناتة بقيادة المعز الزيري المغراوي صاحب فاس واصطدم بجيش تميم الذي كانت تمثله زغبة ورياح وسليم بمنطقة سبيبة الواقعة غرب القيروان بنحو خمسين كلم،جنوب الإربس من أعمال الكاف على مقربة من سوفس (sufex)سنة457هـ-1065م(2)،وانهزم الناصر بعد أن حدث الاتفاق بين طرفي النزاع من بني هلال وزناتة على هزيمة الناصر،فحملت رياح وزغبة وسليم على عدي والأثبج،وحمل المعز المغراوي على زناتة، فانهزمت الطائفتان وتبعهم جنود الناصر منهزمين ووقع فيهم القتل (3).وكانت نتيجة المعركة أن انهزم الناصر وقتل أخوه القاسم،وبلغ عدد قتلى الناصر من صنهاجة وزناتة حوالي أربع وعشرين ألف(4).وفر الناصر إلى قسنطينة،ورياح في أتباعه وغنمت العرب.

---

(1)الكامل:ج10-ص45-العبر:ج6-ص20-د.عبدالحليم عويس:المرجع السابق-ص117

(2)نفسه: ص45-العبر-ج6-ص20-د.عبدالحليم عويس:دولة بني حماد-ص117

(3) العبر:ج6-ص20-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص185-محمد خيرالدين:المرجع السابق-ص17-رابح بونار:المرجع السابق-ص135-وعندالسيد عبدالعزيز سالم فإن القلعة هاجمها العرب في عهد عبدالعزيز.ينظر إلى المغرب الكبير-ج2-ص685-البيان:ج1-ص299-عبدالحميد خالدي:المرجع السابق-ص107

*وماجاء عن الإدريسي أن هذه مدينة المسيلة وطبنة كانت مجالات لعرب بني هلال،ولكنه لم يشير إلى بطون بني هلال التي كانت تنتشر بهذه المناطق،حيث ذكر ومن طبنة شرقا إلى دارملول مرحلة كبيرة،وفيها حصن مطل فيه مرصد من البلد، ينظرإلى مجال العرب في بلادهم ويتطلع منه إلى مابعد من الأرض،وشربهم من ماء عيون بها جارية، ومنه إلى حصن بادس،ومنه إلى المسيلة أربعة أميال.ينظرإلى:القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس.تحقيق إسماعيل العربي-المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1986-ص.ص164-165

(4) د.عبدالحليم عويس:المرجع السابق-ص177

جميع ماكان في العسكر من مال وسلاح ودواب واستباحت العرب وزناتة خزائن الناصر ومضاربه،ولحق بالقلعة فنازلوها وخربوا أطرافها فاقتسموها على من استقر بينهم (1).وقد قدرللناصرأن يدفع ثمن خطأه هذا في موقعة سبيبة* التي جره العرب إليها ضد ابن عمه تميم،لم يعمل الناصر على إحداث تعاون في بداية،بل أخذ يقع في تميم في مجالسه،ووصل به الأمر بينهما إلى الالتقاء في موقعة سبيبة،ويذكر عبدالحليم عويس بعض الآراء التي تعلل هذا اللقاء العدائي بين فرعي بني زيري رأي ابن الأثيروالنويري اللذان يحملان الناصر تبعات هذا الصراع سواء على مستوى هجاء تميم وعزمه على المسير إليه وتحالفه مع بعض صنهاجة وزناتة ليعينوه على حصار المهدية(2).أما رأي ابن خلدون على الرغم من ذهابه ضمنيا إلى أن الناصر هو البادئ بالعداء إلا أنه يصور الأمر على أساس أن الناصر وقع ضحية خداع القبائل العربية التي وفدت عليه رجالاتها من الأثبج مستصرخين على رياح،ويكاد يوافق هذا الاتجاه ابن كثير وبعد أن اضطر الناصر إلى التقهقر والرجوع إلى المغرب الأوسط(3)،استولى بنوهلال على المسيلة وطبنة،ثم تلاحقت طوائف الأعراب بأحلافهم إلى المغرب الأوسط عن طريق سبيبة(4).

(1)د.عبدالحليم عويس:المرجع السابق ص177إسماعيل العربي:المرجع السابق ص165عبدالحميد خالدي:المرجع السابق ص107*سبيبة:تعتبر من أعمال إفريقية أي تونس، وتقع في الجنوب الغربي من تونس، ينظرإلى:كانت مسرحا للمعركة الحاسمة بين قوات الناصر بن علناس أمير دولة بني حماد، وقوات تميم أمير دولة بني زيري، وكانت قبائل بني هلال ضحية هذا الصراع السياسي بين طرفين أحدهما يريد الحفاظ على ما تبقى من دولته وهو تميم بن المعز، والآخر وهو الناصربن علناس الحمادي الذي كان يريد التوسع على حساب أراضي إفريقية، وبسط نفوذه على المغرب الإسلامي، وهو مخطط استراتيجي كان الناصر يريد تحقيقه، فما عجز عنه ابن عمه حاول الناصر بن علناس استدراكه وأن يفرض على أرض الواقع إعادة بناء دولة بني زيري من جديد انطلاق من المغرب الأوسط، ووضع حد لانتشار قبائل بني هلال في المغرب الأوسط، وإرغامها على الخضوع لدولته باستخدام القوة العسكرية كحل لردع بني هلال الذين كانوا سببا في انهيار وسقوط دولة بني عمومته.

(2)د.عبدالحليم عويس:دولة بني حماد–ص117–إسماعيل العربي:دولة بني حماد القلعة–ص165

(3) نفسه:ص118

(4) نفسه:ص118

ودخلوا تبسة،وانتشروا في جنوب الأوراس وقرب بسكرة،وسلكوا طريقه بين الأطلسين التلي والصحراوي حتى وادي الساحل وجبال البيبان وانحدر آخرون من جهة باجة بتونس فظهروا بنواحي القالة وبونة وقسنطينة وجبال البابور(1).

يستخلص مما سبق ذكره أن حميان كان موقفها من معركة سبيبة هو موقف بني زغبة،وإذا كانت زغبة طرفا في المعركة إلى جانب تميم فمن الطبيعي أن حميان قد شاركت في هذه المعركة،أوربما لم تشارك حميان من جملة بني زغبة في هذه المعركة؛ لأنه ليس بالضرورة أن بطون زغبة كلها قد شاركت ضد الناصربن علناس،وبالتالي لا تتحمل بطون زغبة كلها مسؤولية نتائج معركة سبيبة؛لأن ما يؤخذ على المؤرخين التعميم خاصة إذا تعلق الأمر بقبائل بني هلال.ومن المحتمل أن حميان قد دخلت إلى المغرب الأوسط بعد معركة سبيبة.أواحتمالاأنها عادت إلى القيروان،أوإلى إقطاعها الأول مابين طرابلس* وقابس.فإذا كان الاحتمال الأول فحميان من جموع بني زغبة،نزحت إلى المغرب الأوسط وبقيت مستقرة بمنطقة الزاب،وإذاكان الاحتمال الثاني فإن حميان عادت إلى مابين طرابلس وقابس وبقيت مستقرة إلى غاية ظهور بني غانية حسب ما جاء في رواية ابن خلدون(2)ثم نزعت مع بقية بطون زغبة إلى الموحدين؛أوأن حميان نزحت إلى المغرب الأوسط بعد النزاع الذي وقع بين زغبة ورياح،الذي طردت فيه زغبة من

---

*طرابلس:أو أطرابس كما يسميها الإدريسي وحسن الوزان، مدينة حصينة عليها سور حجارة، وهي في نحر من البحر، بيضاء حسنة الشوارع متقنة الأسواق،وبها صناع وأمتعة، يتجهز بها إلى كثير من الجهات، وكانت قبل هذا مفضلة العمارات من جميع جهاتها، كثيرة شجر الزيتون والتين،وبها فواكه جمة ونخل، إلا أن العرب أضرت بها، وبما حولها من ذلك، وأجلت أهلها، وأقفرت بواديها وغيرت أحوالها، وأبادت أشجارها، وأغورت مياهها، واستفتحها الملك روجارفي سنة540هـ.ينظر إلى الحسن الوزاني:وصف إفريقية–ص55

(1)مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث–ج2–ص188–عبدالرحمن الجيلالي:تاريخ الجزائر العام–ج1–ص162د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية– ص92

(2)إسماعيل العربي:المرجع السابق–ص165

إفريقية سنة467هـ(1)،بعد عشر سنوات من معركة سبيبة.وخلاصة القول أن حميان بقيت مستقرة بإفريقية،ويظهر ذلك من خلال التزاع الذي وقع بين زغبة ورياح الذي حدث في إفريقية،ولم يحدث في المغرب الأوسط،والغالب على الظن أن حميان من جملة بني يزيد لم ترافق بقية بطون بني زغبة إلى المغرب الأوسط؛ويستنتج ذلك من رواية ابن خلدون التي تشير إلى حميان من جملة بني يزيد بقيت بطرابلس إلى غاية ظهور بني غانية.

د-<u>النزاع بين زغبة ورياح</u>:تجدد التزاع بين زغبة ورياح سنة466هـ أو 467هـ 1074م أو1075م،وربما يعود ذلك إلى الخلاف بين زغبة ورياح الذي لم ينته واستمر لفترة طويلة وفشل اليازوري في إنهائه،بل عادت العداوة من جديد بينهما بعد عودة النفوذ الفاطمي إلى المغرب (2).بالإضافة إلى ذلك كانت القيروان لفترة من الزمن تتنازعها السلطة الزيرية والحمادية،ولكن تبعتها كانت اسمية لبني حماد.ويعود سبب هذا التزاع حول مسألة القيروان وكان ذلك في عهد تميم،الذي كان ينتهج سياسة التفرقة بين بطون بني هلال،مستغلا سوء التفاهم بين رياح وزغبة،اللتان كانتا تسيطران على القيروان بعد سنة446هـ،وفي هذا الشأن قال ابن خلدون"**ولما هلك المعز قام بأمره ابنه تميم وغلبه العرب على إفريقية،فلم يكن له إلا ماضمه السور،خلا أنه كان يخالف بينهم ويسلط بعضهم على بعض**"(3).وزحف حموبن ومليل البرغواطي صاحب صفاقس فخرج تميم للقائه،وانقسمت العرب بين مؤيد لتميم ومعارض له(4)،واختلف المؤرخون حول موقف حميان من جموع زغبة من الصراع.

(1) د.مصطفى أبوضيف عمر:المرجع السابق, ص92

(2)العبر:ج6-ص21

(3) نفسه:ص21

(4)نفسه:ص21

فالبعض ذكر أن زغبة كانت إلى جانب تميم في صراعه مع حموبن ومليل البرغواطي بحكم أنها اشتركت معه في تأسيس الإمارة بصفاقس وتحالفت معه،وفي رواية ابن عذارى أن تميم بن المعز قد استعان بعرب زغبة ورياح وكان حمو بن ومليل البرغواطي في حربه ضد تميم بعرب الأثبج وعدي،حيث ذكر أنه "...في سنة456هـ زحف إلى المهدية حمو بن ومليل البرغواطي الثائر بمدينةصفاقس بمن استعان من العرب،فورد خبره على تميم،فسار إليه ومعه طائفة كبيرة من زغبة ورياح،وكان مع حمو طائفة من الأثبج وعدي،فاقتتل الفريقان ثم ولت طائفة حمو أدبارها فأخذتها الحتوف..."(1)ويبدو من نص ابن عذارى أن زغبة كانت إلى جانب تميم في هذا الصراع،والراجح أن زغبة.كانت إلى جانب حموبن ومليل البرغواطي فانهزم حمو وأصحابه.وفي أيام تميم كانت قابس وضواحيها تحت رئاسة حمو بن ومليل البرغواطي وهو من الخزرونيين أعداء الصنهاجيين.وكانت زغبة تسكن هذه الناحية ويناصرون حمو،فثاروا على الأمير تميم تحت قيادة حمو فتغلب عليهم (2).لأن تميما بعد أن فتح سوسة،وبعث بعساكره إلى تونس وحاصروا ابن خراسان حتى يستقيم على الطاعة لتميم بعث أيضا عساكره إلى القيروان(3) وكان بها قائد بن ميمون الصنهاجي واليا الذي عينه المعزبن باديس بعد مغادرته لها سنة449هـ إلى المهدية(4).وأقام بها ثلاثة أيام وتغلبت عليه هودا وعاد إلى المهدية،ثم بعث تميم مرة ثانية العساكر إلى قائد بن ميمون الذي استنجد

---

(1)ينظر إلى البيان-ج1-ص.ص.298-299

(2)العبر:ج6- ص.ص.159-160 وفي رواية هادي إدريس التي ذكرفيها أن قائد بن ميمون الصنهاجي التقى بأمير صفاقس حموبن ومليل،وهذا الأخير نجح في إقناع أمير زغبة يبقى بن علي على بيع القيروان إلى سيده الجديدة هو الناصربن علناس،وأن الناصر قد وعد قائد بن ميمون بمكافأة في حالة نجاحه في هذه المهمة وهي تعيينه حاكما عليها.ينظر إلى: la bèrbérieorientale.op.cit.t1.p214

(3) الطاهر أحمد الزاوي:تاريخ الفتح العربي في ليبيا -ط2 دار المعارف - مصر 1963ص.ص.226-227

(4) العبر:ج6-ص160-عبد الحميد خالدي:المرجع السابق- ص126

بالناصر بن علناس،وسلمه القيروان.ثم عاد قائد بن ميمون إلى سنة460هـ إلى حموبن وليل البرغواطي بصفاقس وابتاع له القيروان من مهنى بن علي أمير زغبة،فولاه عليها وحصنها سنة670هـ(1).ويبدو أن زغبة كانت تسيطر على القيروان بعد أن غادرها قائد بن ميمون،بل كانت في تلك الفترة تسكن القيروان(2).وهي التي باعت القيروان إلى حمو بن ومليل البرغواطي الذي عين قائد بن ميمون واليا عليها للمرة الثانية،وفي رواية ابن عذارى أنه في سنة466هـ،طُردت زغبة من إفريقية،طردهم رياح منها وباعت القيروان من الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي صاحب القلعة(3)وربما كان هذا الاتفاق الذي وقع بين زغبة وحمو بن ومليل البرغواطي سببا في النزاع بين زغبة ورياح،فوقعت بينهما معارك دموية أصيبت زغبة بهزيمة وانتهت بانتصار بني رياح.وذلك سنة467هـ وطردوا زغبة من إفريقية،وربما يعود سبب انتصار بني رياح على زغبة إلى تشتت بطون زغبة التي لم تكن مجتمعة في منطقة واحدة، حيث ذكر الطاهر الزاوي"...وفي أيام تميم كثرت الثورات وانتشرت الفتن, وفي سنة466هـ تغلب بنورياح على زغبة وأجلوهم من القيروان،وكانت زغبة تسكن القيروان..."(4).ثم أن بني رياح أجلوا زغبة من قابس أيضا،وقال لا يدري هل أجلوهم بعد أن أجلاهم الرياحيون عن القيروان أو قبل أن يجلوهم عن القيروان،هل زغبة غادرت القيروان قبل النزاع بينها وبين رياح أم بعد النزاع،ولكنه لم يبين كم دام الصراع الرياحي الزغبي،بل اكتفى أن قابس استولى عليها بنوجامع من بني رياح،وبعد أن طردت بنورياح زغبة من قابس تولى أمرها بنوجامع

(1) الطاهر أحمد الزاوي:المرجع السابق, ص227
(2)اسماعيل العربي:المرجع السابق–ص172 البيان:ج1–ص300
(3) إسماعيل لعربي:المرجع السابق– ص173
(4) ينظر إلى:تاريخ الفتح العربي في ليبيا– ص227

وأصبحوا أمراء قابس في عهد الصنهاجيين.يستخلص من رواية الطاهر الزاوي أن زغبة كانت تسكن القيروان وقابس،وبعد معركة القيروان بين رياح وزغبة،تمكنت رياح من طرد زغبة،ولكنه يتساءل وإذا كانت زغبة قد هاجرت من القيروان ومن قابس،فهل عادت إلى طرابلس أم نزحت إلى المغرب الأوسط.ويبدو أن تميم قد نجح إلى حد ما في كسب ود بني رياح التي دافعت عن القيروان،حتى أجلت منها زغبة،وتمكن في نفس الوقت من تحقيق هدفه وهو التفرقة بين القبيلتين الكبيرتين الهلاليتين.ولكن هذا الانتصار وضع مشكلة أمام تميم الذي وجد نفسه فجأة محروما حتى من المساعدة غير المباشرة التي كان يتلقاها من تطاحن قبائل العرب فيما بينها،حتى أصبح الآن وجها لوجه أمام بني رياح(1)،فخسر القيروان بعد أن أصبحت رياح تتحكم فيهاوقابس بعد أن سيطرعليهابني جامع من الرياحيين.بينما يذهب نوال(Noèl)إلى القول:"**وبعد بضعة سنوات حاربت زغبة ضد جيرانها وكانت تطاردها باستمرار في كل مناطقها،تركت رياح تونس وهاجرت إلى الحضنة والهضاب العليا بالمغرب الأوسط،وقد جلبت حياة البدو،وتحولت هذه المناطق فيما بعد من العزلة إلى التعمير**"(2)،ويبدو من رواية نوال أن زغبة هي التي طردت رياحا من إفريقية،ولكنه لم يذكر أسباب الطرد،ولم يتعرض إلى جوهر النزاع وهوبيع القيروان بل اكتفى أن زغبة هي التي طردت رياحا من إفريقية،ويلاحظ أن الترجمة لم تكن دقيقة وصحيحة،ولكن مع ذلك بين نوال المناطق التي اتجهت إليها رياح بعد ماطردت من إفريقية.أين اتجهت زغبة التي تنسب إليها حميان بعد أن انهزمت وطردت من إفريقية؟ربما اتجهت بعض بطون زغبة إلى المغرب الأوسط،واندمجت مع القبائل العربية الأخرى،أوأن رجعت إلى أوطانها الأولى.

(1)العبر:ج6-ص40-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:المرجع السابق-ص156

(2) ينظر إلى:Documents pour servir àl'histoire de hamayn.p138

الفصل الرابع: هجرة حميان من جملة بني يزيد إلى المغرب الأوسط سنة 580هـ - 1184م

المبحث الأول: توسع الدولة الموحدية في إفريقية وموقف حميان منها

المبحث الثاني: الدور العسكري لحميان من جملة بني يزيد في الدولة الموحدية

المبحث الثالث: علاقة حميان من جملة بني زغبة بباديس وموقفها من بني غانية

أ-توسع الدولة الموحدية في إفريقية وموقف حميان منها:لما قضى عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة الموحديةسنة524هـ 558هـ—1130م -1163م،سعى لضم بلاد المغرب الأوسط وإفريقية إلى دولته،خاصة وأن الظروف السياسية السائدة كانت تشجعه على ذلك،فقد بلغه اضطراب بلاد إفريقية بسبب تنازع أمرائها من بني زيري بن مناد،واستطالة العرب عليهم،وأنهم حاصروا مدينة القيروان وأن مؤنس الرياحي دخل مدينة باجة وملكها(1) إذ أضحى هؤلاء الأعراب في رغد من العيش وسعة السلطان،ثم بلغوا من العزة والقوة جعلهم يصبون إلى قمة الغرور والطغيان،فأراد عبدالمؤمن أن يحد من بطشهم وطغيانهم(2).ويبدو أن المؤرخين لم يراعو عامل الزمن بحيث سيطر مؤنس بن يحي على باجة سنة446هـ،وعبد المؤمن دخل إفريقية والمغرب الأوسط سنة546هـ حوالي قرن فهل كان مؤنس بن يحي حيا في هذه الفترة التي دخل فيها عبد المؤمن إفريقية،وأوشكت حواضرها على السقوط في أيدي النورماند،واستيلائهم على سواحل إفريقية(3)فقرر غزو إفريقية،بعد أن شاور الشيخ أبا حفص وأبا إبراهيم وغيرهما من المشيخة،فوافقوه فخرج من مراكش أواخر546هـ،واستخلف عليها الشيخ أبا حفص الهنتاتي،وسار بجيشه حتى وصل إلى سلا،ثم توجه إلى سبتة مظهرا أنه يريد العبور إلى الأندلس يقصد الجهاد،فلما وصل إلى سبتة استدعى فقهاء قرطبة واشبيلية وأعيان الأندلس،فاستوضح منهم أحوال البلاد وأوصاهم بما إليهم منها وودعهم، ورحل عن سبتة مظهرا العودة إلى مراكش،وسار حتى وصل إلى القصر الكبير وهوقصر كتامة.

---

(1) العبر:ج6 ص235أحمد الطاهر الزاوي:تاريخ الفتح العربي في ليبيا هوامش ص226 السلاوي:الاستقصاج2ص120

(2)د.عبدالله علي علام:الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبدالمؤمن بن علي- دار المعارف- مصر-1971ص203د.صالح بن قربة:عبد المؤمن بن علي- مؤسس دولة الموحدين, المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر- 1991ص 39

(3) السلاوي:الاستقصا-ج2- ص120- د.مصطفى أحمد أبوضيف:القبائل العربيةوص71- د.عبدالله علي علام:الدولة الموحدية- ص203

فميز جيوشه وأزاح عللهم وفرق الأموال،وأمر بتجديد الأزواد.وخرج يعتسف البلاد على غير طريق فجعل مدينةفاس عن يمينه،وجد السير حتى خرج على وادي ملوية تحركت جيوش الموحدين بقيادة عبد المؤمن إلى المغرب الأوسط سنة541هـ-1146م ثم سار إلى تلمسان،فأقام بها يوما واحدا ثم خرج منها متجها إلى بجاية،فطرق الجزائر على حين غفلة من أهلها،فدخلها وأمنهم واستولى على بجاية سنة559هـ(1) وفر صاحبها القائم بن يحي بن العزيز إلى أبيه يحي ببجاية.وفي رواية ابن خلدون أن عبد المؤمن بن علي أنه أغدى السير إلى باجة(2).وخرج إليه الحسن بن علي صاحب المهدية(3).فصحبه واعترضته جيوش صنهاجة بأم العلو فهزمهم ودخل بجاية،وكان سبب دخول عبد المؤمن بجاية هو أن بقايا المرابطين ببعد ذهاب دولتهم والمتعاطفين معهم كانوا ينظرون إلى إمارة بني حماد نظرتهم إلى ملجأ يمكن أن يتجمعوا فيه ويكيدوا للدولة الموحدية(4)،وركب يحي ابن العزيز البحر في أسطولين كان قد أعدهما لذلك وحمل ذخائره وأمواله ولحق بقسنطينة،إلى أن نزل بعد ذلك منها على أمان عبد المؤمن واستقر بمراكش*(5)،ثم سرح عبد المؤمن عسكر الموحدين وعليهم ابنه عبد الله،وبها جوش بن العزيز في جموع صنهاجة،فاقتحمها عبدالله،واستلحم من كان بها منهم وأضرم النار في ساكنها

(1) ينظر إلى العبر:ج6-ص236.

(2)نفسه:ص236

(3) السلاوي:ج2- المصدر السابق, ص121

(4)د.عبد الحليم عويس:المرجع السابق-ص193

(5)د.عبدالله علي علام:المرجع السابق.ص.ص 235 -238- العبر:ج6- ص236 واختلف المؤرخون حول تحديد تاريخ دخول عبد المؤمن قلعة بني حماد فعند صالح بن قربة فلما استولى عبدالمؤمن على مملكة الحماديين في شهرذي القعدة سنة547هـ-1152م ص67،ونفس التاريخ ذكره مبارك محمد الميلي:ج2.المرجع السابق -ص322، وكذلك عند حسن مؤنس:المغرب العربي-ج1- ص623

*مراكش: تقع في الجنوب الغربي من المغرب الأقصى،وكانت تمثل عاصمة الدولة الموحدية.

وقتل جوش ويقال أن القتلى بها كانوا ثمانية عشر ألف وامتلأت أيدي الموحدين بالغنائم والسبي(1)وبلغ الخبر إلى العرب بإفريقية بخطر الدولة الموحدية،فخشيت على استقلالها وعلى حريتها،خاصة بعد أن تابع عبدالمؤمن زحفه إلى إفريقية،فاجتمع بنوهلال وهم رياح وزغبة وبني قرة(2).أوالأثبج وعدي وزغب وغيرهم من العرب(3), بينما ذكر بعض المؤرخين والباحثين أن بطون بني هلال التي تخوفت من توسع الجيش الموحدي هي بني رياح والأثبج وجشم؛ لأن ابن خلدون أشار في روايته أن الذي لقي جيش الموحدين هم بنورياح الذي كان يقودهم أميرهم محرز بن زناد بن باذخ،ونقل حسين مؤنس عن ابن خلدون نفس البطون الهلالية التي واجهت جيش الموحدين،فهي ليست كل بطون بني هلال(4).وإنما بطن بني رياح والبعض من بني هلال،وبالتالي فاحتمالا كانت حميان من جموع بني زغبة بعيدة عن الصراع،أوربما شاركت حميان من جملة زغبة في لقاء باجة وكذلك في معركة سطيف دون أن يذكر المؤرخون متى اجتمعوا ربما حدث ذلك بعد دخول عبد المؤمن إلى الجزائر سنة541هـ،حيث وضعوا مابينهم من ترات،وتناسوا مابينهم من خلاف وعداوة،ودعتهم المصلحة المشتركة إلى الاتحاد على إخراج عبد المؤمن من إفريقية،بل منعه من دخولها فبل أن يرسخ نفوذه فيها(5). فتحالفوا مع

(1) العبر:ج6- ص236- د.صالح بن قربة:المرجع السابق, ص40- السلاوي:ج2- المصدر السابق-ص121 مبارك بن محمد الميلي:نفسه-ص322-د.صالح بن قربة:المرجع السابق- ص61

(2)الكامل:ج12-ص185، العبر:ج6-ص236بينما اكتفى عبدالحميد حاجيات بذكر قبائل العرب القاطنة في مختلف أنحاء إفريقية دون تحديد بطون بني هلال التي اجتمعت بظاهر باجة.ينظر إلى: تاريخ الجزائر السياسي-ص307

(3)د.عبد الحميد حاجيات:تاريخ الجزائر السياسي في عهد الموحدين- ص307

(4)ينظر إلى العبر:ج6-ص20- الكامل:ج12-ص185

(5)البيذق:أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين-نشر ليفي بروفنسال – باريس -1928-ص114

صنهاجة إفريقية جيرانهم مدعية الدفاع عن الأمير يحي بن العزيز(1)وذهب بعض المؤرخين أن بني هلال أعلنوا الثورة ضد جيش عبد المؤمن للدفاع عن إمارة بني حماد عقب سقوطها في أيدي الموحدين(2).وفي رواية ابن الأثير التي قال فيها:"...**فاجتمعت من أرض طرابلس إلى أقصى المغرب،وقالوا:إن جاورنا عبد المؤمن أجلانا من المغرب،وليس الرأي إلا لقاء معه،وإخراجه من البلاد قبل أن يتمكن،وتحالفوا على التعاون والتظافر،وأن لايخون بعضهم بعضا،وعقدوا العزم على لقائه بالرجال والأهل والمال،ليقاتلوا قتال الحريم...**"(3).ويبدوأن بني هلال اجتمعوا بظاهر باجة بما فيهم بطن زغبة الذي تنتمي إليه حميان بعد أن بلغهم خبر المأساة التي حلت بأهالي إمارة بني حمادمن طرف عبدالله بن عبد المؤمن،ومن ثمة قررت مواجهة عبد المؤمن لرد الاعتبار لإمارة بني حماد،وفي نفس الوقت حماية إمارة بني زيري،كما يستخلص من رواية ابن الأثير أن عرب بني هلال من طرابلس إلى أقصى المغرب،وهنا لم يستثن ابن الأثير بطن من بطون هلال التي لم تثق في عبد المؤمن وقوته التي ظهرت في المغرب الإسلامي،وبالتالي خافت على مصيرها،وكانت قبائل بني هلال تجهل قوة عبد المؤمن.وربما كانت ترى أنه سيحدث لها مثل ماحدث لها مع المعزبن باديس،وكانت تشعر أنها غريبة على المغرب الإسلامي،وهي معرضة في أية لحظة للطرد من هذه المنطقة الغنية بمراعيها الواسعة،لذا اتفقت على مواجهة عبد المؤمن ونقلت الحرب إلى سطيف،فإذا ما انتصرت ستتوسع على حساب المغرب الأوسط وإذا انهزمت ستحتفظ بإفريقية،

(1)ينظر إلى العبر:ج6- ص236-د.صالح بن قربة.عبدالمؤمن بن علي-ص40-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص121

(2) العبر:ج6-ص236-السلاوي:المصدر السابق-ص121 د.مصطفى أبوضيف عمر: القبائل العربية-ص72

Idriss Hady:la bèrbérie orientale sous les Zirides 10et12siècles t1 librairie andrien Maisonneuve paris; 1962; p371

(3) الكامل:ج12-ص.ص.185-186-العبر:ج6- ص236-د.حسين مؤنس:المرجع السابق-ج1-ص601

ويبدو أن قبائل بني هلال لم تكن بتلك القبائل المتمرسة في الحيل والخداع.فكانت تريد مواجهة عبدالمؤمن بكل ماتملكه من أهل ومال،ومن البديهي أنها ستنهزم في الحرب؛ لأن بني هلال كانت تنقصهم الخبرة في حرب الجبال،وهم متعودون على حرب المواجهة في البسائط والسهول.واستغل بنوهلال الخلاف الذي وقع بين قائدي القوات الموحدية يصلاش بن المعز وعبدالله بن وانودين صهر عبدالمؤمن،وانسحب يصلاش وترك عبدالله في قلة من الجنود،فهاجموه بنورياح وأسروه وقتلوه(1).ولما بلغ عبدالمؤمن ماحدث غضب غضبا شديدا،ووجه لعرب إفريقية كافة الموحدين حتى لم يبق إلا الخاصة والسوقة،وبلغ جيش الموحدين أكثر من ثلاثين ألف فارس(2).وكان عبد المؤمن قد رحل من بجاية إلى المغرب الأقصى،فلما بلغه خبر قدوم بني هلال وهو آنذاك بمتيجة في طريق عودته إلى مراكش،أرسل مددا لابنه(3).وأراد روجار صاحب صقلية أن يمد بني هلال بخمسة آلاف فارس،ولكن العرب رفضوا وأجابوه بأنهم في غنى عن نجدته،إذلايستعان بكافر على مسلم(4)،وربما هذا الموقف الذي اتخذه بنو هلال من روجار الصقلي يبين أن قبائل بني هلال لم ترض أن يستغلها نصرانيا في إضعاف إخوانهم المسلمين،فهذا الموقف يشكل في نفس الوقت انتصارا للموحدين،وهوموقف شجاع يبين مدى حسن نيتهم وأنهم كانوا لا ينون غدرا بالمسلمين مهما كلفهم ذلك،والتقى الموحدون والعرب بناحية سطيف(5)

(1)الكامل:ج12–ص166– مبارك بن محمدا لميلي:ج2–المرجع السابق– ص323

(2)د.السيد عبالعزيز:المغرب الكبير–العصرالاسلامي–ج2–ص794

(3)العبر:ج6– 235–السلاوي:المصدر السابق–ص121د.عبدالحميد حاجيات:تاريخ المغرب الأوسط السياسي في عهد المرابطين–الجزائر في التاريخ–العهد الإسلامي–من بداية الفتح إلى بداية العهد العثماني–ج3–المؤسسة الوطنية للكتاب–الجزائر–1984–ص307

(4) البيذق:أخبارالمهدي:المصدر السابق–ص114–مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق–ج2–ص257

(5)نفسه:–ص114–العبر:ج6–ص235–السلاوي:

وقعت المعركة سنة547هـ بين قوات الموحدين بقيادة عبدالله بن عبدالمؤمن وعرب بني هلال دامت أربعة أيام(1)بع فيها الجيش الموحدي خطة عسكرية محكمة كانت تتمثل في نصب كمين لقوات بني هلال بين الجبال،واستخدم كذلك أسلوب التمويه،حيث فاجأ قوات بني هلال،ومال عليهم على غير أهبة،واشتد القتال ثلاثة أيام حتى انهزم العرب في اليوم الرابع،وعجزت قوات بني هلال عن التصدي؛لأنها مثقلة بالأولاد والنساء والدواب،بل يقال أن بني هلال ربطوا أنفسهم حتى لا يتم الفرار،ويبدو هذا خطأ وقع فيه بنو هلال في معركة مصيرية،وقد حدث مالم يكن في مخيلة القوات الهلالية التي لم تكن تنتظر الهزيمة العسكرية لأنها تعودت على تحقيق الانتصارات في كل معركة عسكرية فاصلة وحاسمة.بينما أشار هادي إدريس(Haddy Idriss) أن معركة سطيف دامت يوما واحدا(2.وكانت نتيجة المعركة أن فر بنوهلال وتركوا خلفهم أموالهم وأولادهم ونسائهم،تتبعهم قوات الموحدين مضحين بالأسلاب والغنائم طالبين ثأرهم لهزيمتهم في القيروان حتى وصلوا إلى حصن تبسة بجبل الأوراس(3)؟،فقسم عبدالمؤمن جميع أموالهم على عسكره،وكان أسرى العرب من الكثرة،حتى وزع في فاس ومكناس وسلا(4.واحتفظ بالنساء والأولاد وعين لهم من يحميهم ويقوم بحوائجهم حتى وصلوا إلى مراكش،فأنزلهم عبد المؤمن المسكن الفسيح،وأجرى لهم النفقات الواسعة وأمر ابنه محمد أن يكاتب أمراء العرب،ويحيطهم أن نساءهم في الحفظ والصيانة(5، وأنه قد بذل لهم

(1)البيذق:أخبار المهدي-ص114-العبر:ج6-ص235

(2 ينظر إلى:la bèrbérie orientale-t2-p271

(3 الكامل:ج12-ص.ص 185-186-.مصطفى أحمد أبوضيف:المرجع السابق ص321

(4 البيذق:المصدر السابق-ص116ابن خلدون:ج6- ص238

(5ابن أبي زرع:الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس-نشر تور بزغ- ترجمة لاتينية- أسالا-1842- ص139

الأمانة والكرامة والعفو.لقد وفد على عبدالمؤمن بمراكش زعماء بني هلال بعد مراسلات محمد بن عبدالمؤمن،وهم ديفل بن ميمون وحباس بن الرومية،وابن قطران وأبوعرفة والقائد بن معرف،فرد عليهم نساءهم وأولادهم ومنحهم أموالا جزيلة فستألف قلوبهم وضمن ولاءهم وصرفهم إلى إفريقية(1).ولما عاد عبد المؤمن إلى إفريقية في سنة533هـ-1138مبجيوش من الموحدين وقبائل العرب وهم الأثبج وزناتة(2) لمحاربة بني خرسان وحلفائهم بني علي برئاسة أميرهم محرز بن زياد من بطون رياح الذين سبق لهم إيقاع الهزيمة بجيوش عبدالله بن عبدالمؤمن حول تونس،تمكن عبدالمؤمن بن علي بسهولة من دخول المدينة،ثم حاصر المهدية وأرسل ابنه لتصفية الإمارات العربية التي تأسست وتمتعت بالاستقلال الذاتي على حساب الدولة الزيرية(3)،فاستولى على قابس من بني كامل من رياح،وقفصة من بني الورد وطبرق من مدافع بن علال وجبل زغوان من بني حماد بن خليفة والإربس من بني فتاتة،وبنزرت من عيسى بن مقرب بن طراد بن الورد اللخمي،وبذلك افتتح عبدالمؤمن جميع بلاد إفريقية،وأدخل في طاعته أهالي المنطقة الممتدة من برقة حتى تلمسان(4).وبعد أن تم لعبد عبد المؤمن بن علي فتح إفريقية أحضر أمراء عرب بني هلال وأحلفهم على مصحف عثمان(ض) على السمع والطاعة،وحاول عبدالمؤمن استغلال فيهم الأصل العربي للاشتراك معه في جهاد النصارى بالأندلس، فأخذ الموحدون يدعونهم بأبناء العم،ويذكرونهم بصلة النسب ووشائج القربى التي تجمع الموحدين مع العرب قيس عيلان،ولكن عرب بنوهلال خذلوا عبدالمؤمن وخيبوا ظنه بالقرب من وهران،وطلبوا العودة إلى حللهم فقرر عبدالمؤمن بعد رفضهم،

---

(1)ابن أبي زرع:الأنيس المطرب-ص139

(2) ابن أبي زرع:نفسه- ص139 د.صالح بن قربة:المرجع السابق- ص52

(3)د.مصطفى أبوضيف عمر:القبائل العربية-ص57

(4) ابن صاحب الصلاة:المن بالإمامة على المستضعفين-نشر عبد الهادي التازي-بيروت-1964-ص172

من نقل ألف قبيلة بعيالهم إلى المغرب الأقصى ،من عرب جشم ورياح وبني عدي،وكانوا من الكثرة حتى وصفهم ابن صاحب الصلاة بقوله:"ضاق بهم الفضاء،ونافسوا الحصى والذباب في كثرته"(1).وكان عبد المؤمن يهدف من وراء تهجير البطون الهلالية وإبعادهم عن إفريقية والاستقرار بالقرب من عاصمته،هو إستغلال شجاعتهم وحبهم للقتال والجهاد في الأندلس(2)،ويبدو أن عبدالمؤمن تمكن من كسر شوكة القبائل العربية التي كانت تقطن إفريقية،وأن انتصاره عليهم كان ساحقا،ورغم ذلك أوصى أبناءه وولي عهده في أواخر أيامه بأن يعملوا على نقل عرب إفريقية إلى المغرب الأقصى للاستفادة بهم في حروب الأندلس ضد النصارى(3).وفي رواية ابن خلدون وبعد هزيمة بني هلال في معركة سطيف دخلوا في دعوة الموحدين وتمسكوا بطاعتهم وأطلق عبد المؤمن أسراهم ولم يزالوا على استقامتهم،وكان الموحدون يستنفرونهم في جهادهم في الأندلس وربما بعثوا لهم في ذلك المخاطبات الشعرية،فأجازوا مع عبد المؤمن ويوسف ابنه ولم يزالوا على استقامتهم إلى أن خرج عن الدولة بنوغانية المسوفيون أمراء ميورقة(4).والسؤال الذي يتبادر هل شاركت حميان من جموع بني زغبة في معركة سطيف سنة547هـ؟فالاحتمال الأول أن حميان شاركت في لقاء باجة وفي معركة سطيف،والاحتمال الثاني لم تشارك في لقاء باجة وفي معركة سطيف؛ لأن المؤرخين لم يشيروا إلى بني زغبة من بين الوفد المكون من زعماء بني هلال الذي وفد على عبدالمؤمن،ولم يذكروا بني زغبة من القبائل التي كانت معادية للموحدين، والتي تم نقلها إلى المغرب الأقصى،وربما كان موقف حميان من جموع بني زغبة من الدولة الموحدية إيجابيا

(1)ينظر إلى المن بالإمامة-ص144

(2)العبر:ج6-ص276-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص122

(3) العبر:ج6-ص-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص122

(4)العبر:ج6-ص20-مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص178

واحتمالا فالطرف الذي شارك في لقاء باجة من المحتمل بطن زغب من بني سليم،الذي شارك في معركة سطيف؛ أو زغبة من بطون رياح،لأن زغبة بن هلال التي تنتسب إليها حميان هي أول بطن من الهلالية التي حددت موقفها من الموحدين،خاصة منذ أول دولة يعقوب المنصور في سنة581هـ-1184م،وإذا كانت بطون بني هلال التي خضعت للدولة الموحدية بعد انهزامها في معركة سطيف،والتي عقدت صلحا مع عبد المؤمن على أساس الطاعة والمشاركة في الجهاد ضد نصارى الأندلس،فإنها نقضت الطاعة بعد ظهور بني غانية،وظلت زغبة على ولائها للموحدين،هل كان ذلك منذ الفتح الموحدي لإفريقية أم كان ذلك في عهد يعقوب المنصور؟ربما بعد أن خضعت قبائل بني هلال كلها لعبد المؤمن بعد عودته الثانية لإفريقية؛أوربما من خلال ماجاء في رواية ابن خلدون التي ذكر فيها أن زغبة لم تتحرك من طرابلس إلا بعد ظهور بني غانية بإفريقية،وبعد دخول المنصور يعقوب الموحدي إلى إفريقية للقضاء على بني غانية وأتباعهم من بني هلال وسليم.(1).

<u>ب-الدورالعسكري لحميان من جملة بني يزيد في دولة الموحدين</u>:خضعت حميان من جموع بني يزيد بن زغبة إلى الموحدين بعد عودة عبد المؤمن الثانية إلى إفريقية سنة553هـ-1138م،حيث استطاع عبدالمؤمن أن يخضع جميع بلاد إفريقية وأدخل كافة القبائل المستقرة بها من برقة إلى تلمسان (2).نقل إلى المغرب الأقصى عددا كبيرا من بني هلال وهم رياح والأثبج،ووضعهم بجوار عاصمته مراكش،وضمهم إلى جنده وخصصهم لحماية رعيته واستعان بهم في غزو الأندلس (3).

(1)العبر:ج6-ص20-مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص178

(2)العبر:ج6-ص20-ابن أبي زرع:الأنيس المطرب-ص121-ابن الأثير:الكامل-ج12-ص 210-عبدالرحمن الجيلالي:تاريخ الجزائر العام-ج2-ص15

(3) العبر:ج6- ص-20-عبدالواحدالمراكشي:المعجب في تلخيص المغرب - ص226- د.السيد عبد العزيزسالم:المرجع السابق ج2 ص-794

وعندما ازداد عدد جنده بعد أن انضمت إليه من القبائل العربيـــة،جاز عبـــدالمؤمن إلى الأندلس سنة555هـــ–1160م،وأقام بها شهرين مد نفوذ الموحدين من خلال قوة بني هلال إلى غرب الأندلس وعاد إلى مراكش(1).وفي يوم الخميس السابع والعشرين من رجـــب سنة557هـــ –فبراير1162م اجتمع عبدالمؤمن في رباط سلا بجند الموحدين من مسوفة ولمتونة وعرب إفريقية وغيرهم من عرب المغرب الذين لبوا نـــداء الجهـــاد،فجهزهم بـــالخيول العربية الواردة في أرض إفريقية فاجتمع له من القوات النظامية المختلفة أكثر من ثلاثمائة ألف فارس(2).ومن المتطوعة ثمانين ألف فارس ومائة ألف راجل أغلبـــهم مـــن القبائـــل العربية(3).وتشير المصادر التاريخية أنه بعد انتهاء هذه الحملة بالأنـــدلس،وزعت هـــذه القبائل العربية التي تنتمي إلى زغبة ورياح وجشم على المدن الأندلسية لحماية أهلها من ناحية والاستقرار بأرضها من ناحية أخرى.فجعل بعضهم في نواحي قرطبة،وبعـــضهم في إقليم إشبيلية،بمايلي شريش وأعمالها،وقد أوصى عبد المؤمن أبناءه وولي عهده أن ينقـــل عرب إفريقية إلى المغرب للاستفادة بهم في حروب الأندلس (4)،وبعد وفاته بويع ابنه أبو يعقوب يوسف بالخلافة سنة558هـــ–580هـــ 1163م–1184م،وقد ساعده على المبايعة إخوته ومشيخة القبائل العربية(5).اتبع أبو يعقوب يوسف سياسة والده التي كانت ترمـــي إلى اصطناع العرب والاستعانة بهم في حروبه.

---

(1)ابن صاحب الصلاة:المن بالإمامة–ص.ص172–173

(2)نفسه:193–يحدد كل من أبي زرع والسلاوي سنة المرور في 558هـــ –ينظر إلى: الأنيس المطرب–ص131والاستقـــصا–ج2–ص128

(3)ابن أبي زرع:المصدر نفسه–ص132–السلاوي:الاستقصا–ج2–ص128–وأورد البيذق أنه بعد اجتياز الخليفة إلى ســـلا أمر يوسف بن سليمان بإعداد أربعة عشر ألف فارس من العرب ونجح في مهمته،فكافأه عبدالمؤمن على ذلك.ينظر إلى:أخبـــار المهدي–ص.121

(4)د.مصطفى أبوضيف:المرجع السابق–ص88–مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق–ج2–ص259

(5) العبر:ج6–ص238–د.مصطفى أبوضيف عمر:القبائل العربية–ص75

وقد استكثر منهم أبويعقوب يوسف،وأبو يعقوب المنصور حتى أن جزيرة الأندلس أصبحت مملوءة بعرب زغبة ورياح وجشم بن بكر وغيرهم،فانتشر نسلهم في جنوب الأندلس حتى بلغ عددهم في بداية القرن السابع الهجري نحو خمسة آلاف فارس سوى الرجالة(1)،للقيام بحماية جنوب الأندلس والدفاع عنه،يضاف إلى ذلك عائلاتهم المستقرة هناك،وهذا ما يعطي فكرة واضحة عن كثرة أعدادهم،وبعد أن غزى فرديناد ملك ليون غرب الأندلس وحذى حذوه ابن مردنيش.بعث أبويعقوب يوسف أخاه أباحفص إلى الأندلس سنة560هـ-1165م(2) الذي بادر إلى إرسال مقدمة جيشه المكون من عساكرأختير من أعيان العرب وفرسانهم،ومنهم علي بن محرز بن زياد(3)وأربعة آلاف فارس من عشيرته لتعزيز جند اشبيلية،وفرسانها من العرب للاشتراك في حمايتها وكذا خمسمائة فارس لتعزيز قوات بطليوس،وقد تمكن العرب من هزيمة بعض قوات شنترين وغنموا ما معهم (4).وعندما أرسل أبوحفص بعض جيشه بقيادة أبي سعيد وأبي عبدالله لاستخلاص قرطبة من أبي مردنيش تقابل الجيشان بحصن لك*،ودامت المعركة بينهما طوال اليوم أظهر العرب من دروب الشجاعة والبسالة،ماجعل ابن صاحب الصلاة يشبه قتالهم بقتال المؤمنين الأوائل(5).

(1)وهوابن محرز بن زياد من رياح الذي ثار ضد عبدالمؤمن بن علي

(2)ابن صاحب الصلاة:المن بالإمامة-ص.ص.50-51

*حصن لك:يقع بنواحي قرطبة بخلاف مدينة لك بضم اللام وتشديد الكاف،وتعرف بLugo وهي مدينة وولاية في شمال غرب اسبانيا في منطقة جبلية،وكذا مدينة لك الثانية وهي بلدة من نواحي برقة بين الإسكندرية وطرابلس الغرب-ينظر إلى ابن صاحب الصلاة-نفسه:ص270.

(3) ابن صاحب الصلاة:نفسه-ص.ص269-270

(4) نفسه:ص.ص.271-274-العبر:ج6-ص238،يطلق البيذق على هذه الموقعة بموقعة الجلاب.ينظر إلى أخبار المهدي-ص126،والجلاب موضع غني على بعد أربعة أميال من مرسيه.ينظر إلى.د.مصطفى أبوضيف عمر:القبائل العربية-ص90

(5) ابن صاحب الصلاة:المن بالإمامة -ص281

ولكن لتفوق قوات ابن مردنيش اضطرت القوات العربية لطلب المعونة من الأمير أبي حفص في أول رمضان سنة560هـ-1165م(1)،فخرج بنفسه على رأس القوات الموحدية والعرب من بني رياح والأثبج وزغبة حيث تقابل مع قوات ابن مردنيش ومن انضم إليه من مسيحي اسبانيا بجوار مرسيه قسم ابن مردنيش جيشه إلى ثلاث أقسام اندفع الأول لمهاجمة القبائل العربية التي يبدو أنها كانت في المقدمة وهاجم القسمان الثاني والثالث باقي الجيش الموحدي(2).ولكن نتيجة ثبات العرب في الميدان،وانكسار مهاجميهم على سنان رماحهم وسيوفهم أن ثبتت القوات الموحدية من أهل تينملل وهنتاتة،وصبروا صبرهم والتفوا حول قوات ابن مردنيش،وتمكنوا من إيقاع الهزيمة به وانسحب ابن مردنيش إلى مرسيه هاربا(3).ويبدو أن الموحدين قد اعتمدوا في حروبهم المحررة للأندلس على القبائل العربية ومن بينهم زغبة التي تنسب إليها حميان اعتمادا كبيرا،حتى أن الدولة الموحدية نوهت بدورهم الإيجابي في الجهاد بالأندلس وحمايته،فوزع أبوحفص وأخوه عثمان رسالة على طلبة وشيوخ القبائل وأعيان الموحدين باشبيلية يزف إليهم النصر مادحا العرب بقوله:"**وفي خلال مقام تلك الأيام تبعث خيل مباركة من الموحدين والعرب لشن غارة في الميمنة والميسرة وحملت الروم حملتهم المعلومة المعهودة،وصمدت جملتهم،إذ صمدت قبيل رياح من العرب والتفت عليهم قبائل الموحدين،فصبروا صبر أمثالهم واحتدمت الحرب وحمى الوطيس**(4)**،وأجفل الكفرة منهزمين والسيف يأخذ منهم فوق ما يدع.**

(1)ابن صاحب الصلاة:المن بالإمامة-ص281د.مصطفى أبوضيف عمر:القبائل العربية-ص

(2)نفسه: ص281

(3)نفسه:ص.ص293-296

(4)القصيدة الأولى من نظم ابن طفيل والثانية من نظم ابن عياش ينظر إلى ابن صاحب الصلاة:المن بالإمامة-ص368و411و415

وكتب في العشر الوسط من ذي الحجة560هـ"(1).وفي سنة563هـ-1167م، أجمع الموحدون على تجديد البيعة.ليوسف بن عبدالمؤمن وتسميته بأمير المؤمنين(2).وفي سنة عزم أبويعقوب يوسف على استكمال غزو الأندلس،ولكنه أرغم على تأجيل ذلك لمرضه،ورغم ذلك فقد قام باستدعاء عرب إفريقية طوال هذه السنة والتي تلتها محرضا إياهم على الجهاد ومثيرا فيهم شهامتهم والقربى التي تجمعهم وإياه في قيس عيلان في قصيدة طويلة،ثم يعود ويعاتب القبائل العربية لتأخرها في الوفود عليه بقصيدة طويلة من نفس العرض فلبى عرب إفريقية والزاب،والمغرب الأوسط النداء مسارعين للمغرب، رفقة أبي زكريا والي بجاية.وأبي عمران والي تلمسان(3).وأبي محمد عبدالواحد والي تونس(4)،مزودين بالخيل العراب العتاق والمدربة عندهم والبالغ عددها أربعة آلاف من إفريقيا وألف من تلمسان،فوصلوا مراكش يوم السبت الثاني من ربيع الثاني سنة566هـ-1171م،فقسمت عليهم الدروع والبيضاء والرماح والدرق والأسلحة والكسوات والعلامات والرايات،وبعد أن تم تميزهم بلغ عسكر العرب عشرة آلاف فارس وخمسة وثلاثون ألف راجل ونفس العدد تقريبا من جنود الموحدين (5)حتى بلغ عدد الجيش مائة ألف من العرب والموحدين والمتطوعة(6).عندئذ أمر يعقوب يوسف بالحركة إلى الأندلس،فجاز أبوسعيد يخلف ابن الحسين بالموحدين،ثم تلاهم أبوزكريا بالقبائل العربية ودام هذا الجواز خمسة أيام(7).

---

(1)ابن صاحب الصلاة:المن بالإمامة-ص417

(2)العبر: ج6-ص240-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص134

(3)ابن صاحب الصلاة:المصدر السابق-ص418

(4)ابن صاحب الصلاة:المن بالإمامة-ص418و430و436و451

(5)السلاوي:الاستقصا-ج2-ص134

(6)ابن صاحب الصلاة:المن بالإمامة-ص451

(7)د.السيد عبدالعزيز سالم:المغرب الكبير-ج2-ص799

ومكث أبويعقوب في الأندلس أربعة أعوام(1).صالت فيها القبائل العربيـــة وجالـــت في أرجائها،فتمكنت من استرجاع بطليوس من أيدي مسيحي إســبانيا في ســـنة566هـــ-1170م(2).وبعد عودة أبي يعقوب يوسف إلى مراكش لم تلبث أن ساءت الأحـــوال مـــن جديد في الأندلس،إذتمكن القشتاليون بمساعدة الفونسو الثاني ملك أرغون من الاستيلاء على قونكة في سنة572هـ-1176م ثم أخذت ضربات مسيحي إسبانيا تتوالى على إمارات المسلمين. فعزم أبويعقوب على الجواز إلى الأندلس للمرة الثانية(3)،فأخذ في اســتدعاء العرب من إفريقية،فوفد أبوسرحان مسعود بن سلطان أمير رياح عليه بمراكش في جيش كبير من وجوه قومه برسم الخدمة،وبعد أن جهز الجيش بالمجانيق والـــسلاح والخيـــول والأموال اللازمة(4)،ميز أبو يعقوب بين الموحدين والعرب في جمادي الثانيـــة 580هـــ-1184م تمهيدا للغزو،ووزع الأخبية على الفرسان لكل عشرة منهم خباء وثم اقلع الجيش إلى رباط الفتح بسلا قاصدا إفريقيا.ويبدو أن ذلك بسبب عدم استجابة القبائل العربيـــة بها للدعوة لغزو الأندلس،وحينما وصل إلى المهدية،وفدت عليه فرسان العرب برفقة أبي محمد بن أبي إسحق بن جامع معلنين الطاعة والبراءة ممن ثارمن القبائل العربية التي هربت إلى الصحاري(5)،عندما علمت بخروج الخليفة إلى إفريقيا،وتتابعت الوفـــود العربيـــة إلى المهدية فأجزل لهم العطاء،فأدموا حملته بثلاثين ألفـــا مـــن الفرســـان والمـــشاة(6).وفي سنة580هـ-1184م جازت الجيوش الموحدية إلى الأندلس. وفي مقدمتها القبائل العربيـــة

(1)السلاوي:الاستقصا-ج2-ص136

(2)مبارك بن محمدالميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص259

(3)ابن عذارى:البيان - ج4-ص62

(4)ابن أبي زرع:الأنيس المطرب-ص.ص140-141أحمد مختارالعبادي:دراسات في تاريخ المغرب والأنـــدلس الإســـكندرية-1968-ص354

(5)د.السيد عبدالعزيز سالم تاريخ المغرب الكبير-ج2--ص798

(6)العبر:ج6-ص242

متوشحين بالسيوف الهندية والدرق اللمطة والقس الخطية(1).وحاصرت شنترين مفتاح وادي التاجو من بلاد غرب الأندلس،وأمر الخليفة ابنه أبا إسحاق بغزو مدينة أشبونة*،وشن الغارات على أنحائها،وقد تحرك إليها بقوات الأندلس فقط،وأن يكون رحيله نهارا(2).فأساء الفهم ورحل ليلا فاتبعته القوات الموحدية،وجاء صباح اليوم التالي،ليجد الخليفة نفسه بدون جنده،فاستغل المسيحيون الفرصة وهاجموه وأصابوه بمقتل بويع المنصور يعقوب وكان أول من بايعه أعيان زغبة تلمسان(3)ومن معهم من العرب بقصر مصمودة(4)،ولما وصل رباط الفتح تلقاه أبو عبد الله بن واجاج ومعه وفود العرب،وأهل فاس ومكناسة بالتأييد(5)ولكنه واجه خلال فترة حكمه مصاعب جمة في المغرب الأوسط وإفريقية مع بني غانية وحلفائهم من المماليك الغز الوافدين من مصر بقيادة قراقوش،ومن عرب بني هلال وسليم بإفريقية(6).وفي عهده نقلت حميان من جملة بني يزيد الذين تحالفوا مع بني بادين لمحاربة بني غانية وحلفائهم من لمتونة وعرب بني هلال الموالين لهم وحماية المغرب الأوسط منهم،والذود عنه حتى سقطت دولة الموحدين.

---

*أشبونة:هي عاصمة البرتغال حاليا

(1)العبر:ج6- ص242 -د.حسين مؤنس:ج1-المرجع السابق- ص624- مبارك بن محمد الميلي:ج2- المرجع السابق, ص324-إبراهيم حركات:ص283-وعند نوال(Noèl)وفي سنة1185م ثار علي بن غانية ضد الموحدين،وحاصر عنابة،وانضمت تحت لوائه جشم ورياح والأثبج،باستثناء زغبة التي أضحت مناصرة لأمراء المغرب, ينظر إلى: les documents pour servir àl'histoire de hamyan.p133

(2) العبر:ج6- ص242

(3) نفسه:ص242-ابن عذاري:البيان-ج4-ص.ص.76-77- -السلاوي:الاستقصا-ج2-ص142د.حسين مؤنس:المرجع السابق- ص624

(4) العبر:ج6-ص 21- مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص185

(5)ابن عذارى:البيان-ج4-ص128-أحمد مختارالعبادي:دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص.ص358-361

(6)نفسه:ص128-أحمد مختار العبادي:دراسات في تاريخ المغرب-ص.ص358-361

واتبع يعقوب المنصور سياسة آبائه المتمثلة في ضرورة توحيد بلادالمغرب،فقضى على ثورات إفريقية،ونظم أمورها وبعد أن تم له ذلك رأى أنه حان الوقت للانتقام لهزيمة أبيه ومقتله في الأندلس، ففتح باب التطوع لجميع المسلمين من بربر وعرب وغيرهم في جبال وسهول المغرب،فأتته معظم القبائل العربية(1).وفي 586هـ-1190م حينما علم مسيحو إسبانيا بانشغاله في بلاد هاجموا مدن شلب وباجة ويابر من غرب الأندلس.فاستعظم المنصور ذلك وكتب إلى أمراء الأندلس يأمرهم بمواجهتهم،وعبر بجيشه الذي ازداد عدده بفضل من انضم إليه من القبائل العربية المنقولة إلى المغرب الأقصى(2)بدأ المنصور بمملكة البرتغال.إذكانت أشد الممالك الاسبانية خطورة على المسلمين،وقد سبق أن استشهد فيها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن.والد المنصور،هاجم المنصور مملكة البرتغال في سنة587هـ-1191م برا وبحرا(3)،وحطم قواها وخرب حصونها وديارها واكتسح أراضيها،ولم يجرؤ ملكها سانشو هنريك(Sancho Enriquez)على مواجهة المنصور في معركة عامة مكشوفة،بل ظل مختفيا وراء جدرانه لاحول ولا قوة(4).وعاد المنصور إلى المغرب بعد أن صالحه صاحب قشتالة على خمس سنين لا يهاجم أحدهم الآخر،ولكن في نهاية هذه الهدنة ووقوع الخليفة فريسة لمرض أيأس أطباءه(5)طمع فيه المجاورون له فتربص به ملك قشتالة،وثار العرب بإفريقيا وعادت تشتعل نارا.ثم شفي الخليفة المنصور وعزم على الخروج بنفسه لمحاربة الخارجين عليه واضطر إلى البدء بالجبهة

---

(1)ابن أبي زرع:الأنيس المطرب-ص144-د.السيد عبدالعزيزسالم:المغرب الكبير-ج2-س805 Lévi Provençal:les trentes sept lettres officielles Almohades-Rabat-1941-pp.218-228

(2) أحمد مختارالعبادي:الموحدون والوحدة الإسلامية -مقالة-مجلة التربية الوطنية السنة الثالثة-العدد2إبريل1962-ص29

(3)السلاوي:الاستقصا-ج2-ص165

(4)ابن عذارى:البيان-ج4-ص.ص157-158

(5)ابن أبي زرع:الأنيس المطرب-ص146

القشتالية (1).فعبر إلى الأندلس سنة591هـ-1195م في جيش كبير من الموحدين والعرب،ثم زحف شمالا حتى انتهى إلى الموضع المعروف بالأرك وهو قريب من قلعة رياح وهناك عقد مجلسه الاستشاري المكون من شيوخ العرب والموحدين للتشاور في كيفية إدارة المعركة مع المسيحيين ،فعقد للقائد ابن صناديد على جيش الأندلس ولجرمون بن رياح على القبائل العربية(2)،ولمنديل بن عبدالرحمان المغراوي على قبائل مغراوة،ولمحيو بن أبي بكر بن حمامة المريني على قبائل بني مرين ولجابر بن يوسف على قبائل بني عبدا لواد،ولعباس بن عطية على بني توجين، ولتلجين بن علي على قبائل بني هسكورة وسائر المصامدة،ولمحمد بن منغفاد على قبائل غمازة ولفقيه الصالح أبي خزريخلف بن خزر الأوربي على المتطوعة،والجميع كانوا تحت قيادة أبي يحي ابن أبي حفص زعيم هنتاتة(3).وزع أبو يحي الرايات على رؤساء أمراء القبائل،وقسم عساكره على النحو التالي:عسكر الأندلس في الميمنة،وزناتة والمصامدة والعرب وسائر قبائل المغرب في الميسرة والمتطوعة والرماة في المقدمة وبقي هو وقبيلة هنتاتة في القلب(4).وبعد توزيع القوات خرج جرمون بن رياح يتنقل في صفوف المقاتلين مشجعا إياهم على الثبات والصبر في ميدان القتال،وفجأة تقدمت مجموعة من فرسان مسيحي إسبانيا تقدر بنحو عشرة آلاف فارس مدججين بالسلاح مدرعين بالحديد لإلقاء الرعب في نفوس المسلمين،

(1)السلاوي:الاستقصا-ج2-ص165

(2)ابن عذارى:البيان-ج4-ص.ص157-158

(3) يذكر ابن أبي زرع أن عامر الزعيم العربي شجع القوات الإسلامية بقوله:"عبادالله إنكم حزب الله, ألبتوا للقتال بين أعداء الله, فإن حزب الله هم المفلحون وهم المنصورون وهم الغالبون".ينظر إلى الأنيس المطرب.ص 149150

(4)ابن عذارى:البيان-ج4-ص163-الشريف أبو القاسم محمد الغرناطي:كتاب رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة-ج2-القاهرة-1344م-ص156-أحمد مختارالعبادي:الموحدون والوحدة الإسلامية-ص30

فبرز من أمراء العرب عامر الزعيم مشاركا جرمون في تشجيع المسلمين دافعا بقبائله العربية من الميسرة إلى جموع الفرسان الذين تمكنوا من اختراق القلب،ونجحوا في قتل قائد الجيوش الإسلامية أبي يحي،وتمكنت القبائل العربية والمتطوعة التي حذت حذو العرب من الإطاحة بهم،ووقع فرسان إسبانيا المسيحيين بين شقي الرحى تطحنهم القوات الإسلامية طحنا،فانكسر شوكة جيش الفونسو الثامن الملقب بالصغير،حيث كان جل اعتماده على هؤلاء الفرسان(1).وفي نفس الوقت أظهر الخليفة المنصور في معركة الأرك شجاعة وبسالة نادرة مهدت له النصر.لمارأى انكسار مقدمته أمام هجمات العدو وترك مقر قيادته،وسار منفردا إلى الصفوف الأمامية(2)،حيث ألقى على جنوده بعض نصائحه وتوجيهاته العسكرية في كيفية النفوذ إلى العدو،ثم عاد ثانية إلى موضعه.ثم عاد ثانية إلى موضعه فلما وقعت أعين الناس عليه، وعلموا بالدور الذي قام به حمت نفوسهم وحملوا على العدو حملة صادقة انتهت بالنصر(3).وأسرع بعض فرسان العرب إلى الخليفة المنصور يبشرونه بهزيمة العدو،ويبدو من هذه الأحداث أن القبائل العربية ومن بينهم حميان تمكنت سواء عن طريق تشجيعهم للمقاتلين في ميدان القتال من ناحية واندفاعهم للقتال في اللحظة المناسبة من ناحية أخرى،من أجل تحقيق النصرفي موقعة الأرك.بقي الخليفة المنصور بالأندلس حتى سنة592هـ-1196م(4)وتمكن من الاستيلاء على حصن منتانجش بعد استسلام حاميته وتأمين الخليفة لهم وكذلك استولى على ترجالة وبالنثيا منزلا الخراب والدمار بأنحاء مملكة قشتالة،مادفع ملكها إلى طلب السلم والمهادنة

(1)ابن عذارى:البيان-ج4-ص163-الشريف أبو القاسم الغرناطي:كتاب رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة-ص156-أحمد مختار العبادي:الموحدون والوحدة-ص30

(2)ابن أبي زرع:الأنيس المطرب-ص.ص149-150

(3)د.السيد عبدالعزيز سالم:المغرب الكبير-ج2-ص813

(4) السلاوي:الاستقصا-ج2-ص.ص.195-196 دالسيد عبدالعزيز سالم:المرجع السابق-ص.ص814-819

لمدة عشر سنوات،فوافق الخليفة يعقوب المنصور،وعاد إلى مراكش حيث توفي في سنة595هـ-1199م(1).ورغم موت الخليفة المنصور إلا أن القبائل العربية بقيت موالية للموحدين في حروبهم ضد النصارى بالأندلس،حيث تجددت الحرب بين ألفونس الثامن ملك قشتالة الذي لم ينس هزيمته في معركة الأرك،فظل يفكر في محو آثار الهزيمة،وبدأ يحصن قلاع بلاده الواقعة على الحدود الإسلامية،وتحالف مع كل من ملكي نبرة وأرغون سنة607هـ-1210م وقض ملك قشتالة الهدنة التي تمت بينه وبين الموحدين(2).فكتب الخليفة الناصر إلى جميع بلاد إفريقية والمغرب يستنفر المسلمين للغزو،فأجابه خلق كثير ورغم ذلك فقد ألزم كل قبيلة من القبائل العربية ببلاد المغرب بحصة من الخيل والفرسان والرجالة للانضمام إلى الجيش الموحدي والخروج معه للجهاد بالأندلس(3).ولما تكاملت لديه الحشود،تحرك إلى الأندلس في 19شعبان607هـ-1211م (4).ووصل إلى إشبيلية،وأقام بها للراحة والاستعداد للغزو،فاجتمع له في هذه الغزوة من أهل المغرب والأندلس ستمائة ألف مقاتل(5)،ورغم احتمال مبالغة المؤرخين،إلا أنهم أجمعوا على قيامه بتقسيمهم إلى خمس فرق:الأولى من العرب والثانية من زناتة وصنهاجة والمصامدة وغمارة وسائر أصناف قبائل المغرب والثالثة من المتطوعة والرابعة من جند الأندلس والخامسة من الموحدين،وأنزل كل فرقة منهم بناحية.

---

(1)ابن أبي زرع:الأنيس المطرب-ص154-السلاوي:الاستقصا-ج2 -ص196

(2)نفسه:- ص157- د.السيد عبدالعزيزسالم:المغرب الكبير-ج2-ص.ص823-825

(3)ابن أبي زرع:الأنيس المطرب-ص158-أحمد مختارالعبادي:دراسات في تاريخ االمغرب-ص370وأثر معركة العقاب في انهيار نفوذ الموحدين في الأندلس.

(4)ابن أبي زرع:الأنيس المطرب-ص158-أحمد مختار العبادي:دراسات في تاريخ المغرب-ص370

(5)السلاوي:الاستقصا-ج2-ص.ص199-200 ابن أبي زرع:الأنيس المطرب-ص159

ولما انتهى من تنظيم جيشه تحرك في أوائل سنة 608هـ-1211م على بلاد قشتالة،واستولى على قلعتي اللج وشلبطرة معتمدا في ذلك على الفرقة العربية من جيشه.زحفت الجيوش المسيحية من ليطلة في سنة609هـ -20يونيو1212م واستولت على ملجون وعلى قلعة رباح،بعد أن حاصرتها ويئس قائد حاميتها من نجدة الناصر له،ففضل تسليمها مقابل خروجه بقواته والمسلمين أمنين على أنفسهم،فغضب الناصر لذلك وأمر بقتله في إشبيلية،وأثار غضب الفرقة الأندلسية في جيشه فعزل قوادهم،واستبقى الجنود وقد أخطأ بذلك نظرا لتعود قواد الأندلس محاربة المسيحيين بها ودرايتهم بخططهم في القتال،والتقى الجيشان وجيش المسلمين على هذه الحالة من التفكك(1)،بموضع يعرف في المصادر التاريخية العربية باسم العقاب،وفي المصادر الإسباني يسمى بlasnavesdetolosa*فقامت فرقة المتطوعة البالغ عددها مائة وستين ألف مقاتل بهجوم خاطف ولكن القوات المسيحية تمكنت من امتصاص الفرقة بأكملها بداخلها،ورغم تفاني المتطوعة في القتال وفقد استشهدوا عن أخرهم وباقي الفرق الأخرى من الجيش الموحدي ينظرون إلى فنائهم دون أن يمدوا إليهم يد المساعدة(2) فرغ المسيحيون من فرقة المتطوعة،فهاجموا القوات الموحدية العربية الباقية ودارالقتال عنيفا بينهم وانتهزت الفرقة الأندلسية الفرصة وولت الأدبار. انتقاما بما فعله الناصر

---

(1)السلاوي:الاستقصا-ج2-ص200-احمد مختار العبادي:دراسات في تاريخ المغرب والأندلس-ص370

*يطلق اسم Navas في اللغة الاسبانية على الوديان الفسيحة أوالأراضي الوطيئة والمقصود هنا الوديان التي تنساب بين جبل الشاراتو،وقد وقعت هذه الموقعة في احد الوديان القريبة من بلدة تولوسا،ولهذا عرفت في المصادر الاسبانية باسم لا نافاس دي تولوسا أما التسمية العربية فهي العقاب بضم العين نسبة إلى حصن أوقصر قديم مرتفع ينسب إلى الأمويين مازالت بقايا هذا الحصن باقية حتى الآن, كما لا يزال الاسم الإسباني لاس نافاس ي تولوسا يطلق على قرية هناك في ولاية جينا تخليدا لذكرى هذه الموقع:أحمد مختار العبادي:دراسات في تاريخ المغرب والأندلس-ص.ص176-177- Henri Terrasse:histoire du Maroc des origines àl'établissement du protectorat français-casablanca-1949-p341

(2)ابن أبي زرع:الأنيس المطرب-ص159-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص.ص199-200

بقوادها،فكان ذلك بداية الهزيمة لجيوش الموحدين(1)،واتبعت فرقة القبائل البربرية نفس مافعلته فرقة الأندلس ثم تلتها فرقة الموحدين،وآخر من ترك ميدان المعركة الفرقة العربية التي اشتبكت وتلاحمت بالسيوف مع المسيحيين مدافعة عن الناصر ورغم ذلك تمكن المسيحيون من الوصول إلى الدائرة التي تحيط به،وقتلوا من عبيد دائرته نحو عشرة آلاف فارس.أدركت الفرقة العربية أن الهزيمة قد حاقت بالجيش الموحدي، وأن المسيحيين قد أوشكوا على قتل الخليفة الناصر(2).فقام بعض فرسان العرب بمساعدة الخليفة على الفرار،حتى تخلى أحد العرب عن فرسه العربي الأصيل للناصر لبدانة فرسه وثقله قائلا له:"اركب هذه الحرة فإنها لا ترضى بعار فلعل الله ينجيك عليها،فإن في سلامتك الخير كله"،فركبها الناصر تتقدمه نخبة من فرسان العرب ويحيط به عبيده والقوات المسيحية في أعقابهم حتى تمكنوا من الفرار به(3).وقُضي على معظم الجيش الموحدي،وعاد الخليفة الناصر إلى مراكش حزينا حيث احتجب بقصره إلى أن توفي في شعبان سنة610هـ-1213م(4).أي بعد سبعة أشهر من هزيمة العقاب،ولقد انهار النفوذ الموحدي في الأندلس بعد هذه الكارثة،وأخذت المدن الأندلسية تتهاوى في يد المسيحيين.ويسجل التاريخ تاريخ وفاة الناصر بداية انهيار دولة الموحدين، التي امتدت رغم ذلك حتى سنة668هـ-1269م سنة مقتل أبي دبوس أمام أسوار مراكش التي دخلها بنو مرين.يستخلص مما سبق

(1)د.السيد عبدالعزيز سالم:المغرب الكبير-ج2- ص-82-أحمد مختار العبادي:دراسات في تاريخ المغرب-ص159

(2) العبر:ج6-ص41-د.مصطفى أبوضيف:القبائل العربية-ص15

(3)نفسه:ص41-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص178-د.مصطفى أبو ضيف عمر:القبائل العربية-ص225،ولكن لم يذكر المؤرخون والباحثون الأسباب السياسية التي دفعت بالموحدين أن يختاروا حميان من جملة بني يزيد كحلفاء ويمنحونهم الاقطاعات والامتيازات عن باقي بطون بني زغبة خاصة وأن ابن خلدون في رواية له ذكرأن زغبة عند دخولها على إفريقية كانت تتميز بالعزة والشرف،وفي رواية أخرى اقتصر على بني يزيد من جموع بني زغبة،هل هذه المكانة الاجتماعية،والصفات الأخلاقية الحميدة كانت وراء اختيار الموحدين لهم

(4)ابن أبي زرع:الأنيس المطرب-ص159-أحمد مختارالعبادي:دراسات في تاريخ المغرب-ص370

ذكره من أحداث أن القبائل العربية في عهد الخليفة عبدالمؤمن وأبو يعقوب يوسف قد شاركت كلها في حروب الأندلس،وكذلك في عهد يعقوب المنصور،وبقيت القبائل العربية الهلالية مستمرة في دعمها للموحدين إلى غاية انهيار دولة الموحدين،ومن خلال الأحداث أن القبائل العربية الهلالية بجميع بطونها كانت دائما في الصفوف الأمامية في حروب الأندلس ضد نصارى إسبانيا،ويبدو أن العرب أبدوا شجاعة باسلة في القتال،ولولاهم لما نجى الخليفة الناصر من الموت،وكان الجيش العربي هو آخر من ترك ساحة القتال(1).وربما قد شاركت حميان كبطن من بطون بني زغبة في هذه الحروب،لأن المؤرخين لم يستثنوبطن من بطون بني هلال في حرب الأندلس بحيث أعلنت كل القبائل العربية الطاعة والولاء للموحدين والجهاد في سبيل الله ضد نصارى الأندلس،ومن المحتمل أنها ساهمت في تحقيق الانتصار بالأندلس،وربما قد استقرت بعض الأسر من حميان بالأندلس،وربما أيضا قد شاركت حميان من جملة بني زغبة في الجبهة الثانية في إفريقية والمغرب الأوسط إلى جانب الموحدين ضد بني غانية* وحلفائهم من عرب بني هلال.ويذكر المؤرخون أن أول بطون بني هلال التي اقتطعتهم دولة الموحدين الإقطاعات والامتيازات هم بنو يزيد بن زغبة،التي تنسب إليهم حميان ببلاد حمزة والدهوس وبني حسن من وطن بجاية(2).

(1)الكامل: ج11–ص519 –ابن عذارى:البيان–ج4–ص.ص76–77 –عبدالمواحدالمراكشي:المعجب–ص178–أحمد مختارالعبادي:دراسات في تاريخ والمغرب والأندلس–ص332

*نوغانية في الأصل من قبيلة مسوفة الصنهاجية،ومن كبار المرابطين في الأندلس،ويقال أنهم عرفوا ببني غانية على إسم أمهم غانية وأمثال هذه التسميات كانت معروفة عند المرابطين إذ نجد كثيرا من قوادهم ينسبون إلى أمهاتهم مثل ابن عائشة وابن فاطمة.ينظر إلى عبدالواحد المراكشي:المعجب في تخليص المغرب–القاهرة–1949–ص176–احمد مختارالعبادي:دراسات في تاريخ المغرب والأندلس–ص331

(2) العبر: ج6–ص41–عبدالقادر المشرفي:بهجة الناظر–ص26– مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث–ج2–ص188

ج-علاقة حميان من جملة بني يزيد ببني بادين وموقفها من بني غانية:

لما سمع علي بن إسحاق المعروف بابن غانية*بوفاة أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن،جهز أسطولا يتكون من عشرين قطعة،وخرج من ميورقة متجها إلى بجاية في شعبان سنة580هـ-1184م(1)،ودخلها على حين غفلة من أهلها وعليها يومئذ السيد أبو الربيع بن عبدالله بن عبد المؤمن،وكان خارجا في بعض مذهبه وفي رواية ابن أبي زرع في استيلاء ابن غانية على بجاية قال:**دخل الميورقي وهو علي بن اسحق مدينة بجاية يوم الجمعة في السادس من شعبان سنة ثمانين وخمسمائة والناس في صلاة الجمعة**(1).ويبدو أن من راسله من أعيان المدينة كان من نسل بعض العائلات العربية التي استقرت بالمغرب،وتنقلت من مدينة إلى أخرى وراء العلم تارة وطلبا الرزق تارة (2).تتبع ابن غانية الموحدين الفارين والتقى بهم بياميلول *.في نفس السنة فانسحب العرب من صفوف الموحدين لينضموا إلى بني غانية مترلين هزيمة ساحقة بالموحدين الذين فروا إلى تلمسان تاركين خلفهم أثقالهم وأموالهم(3).ربما انتقاما لدولته المرابطية التي قضى عليها عبدالمؤمن،أواستعادة مجد المرابطين أو من أجل استعادة ملك أبناء عمومتهم صنهاجة بني حماد،أوربما لكي يجد الدعم والمدد من بني حماد،والانتقام من المصامدة الزناتيين الذين استولوا على عاصمة بني عمومتهم إن اختيار ابن غانية علي بن إسحاق مدينة بجاية لم يكن من باب الارتجال وإنما كان مخططا له منذ خروجه من ميورقة.

---

(1)ينظر إلى:الأنيس المطرب-ص158

(2)العبر:ج6-ص242- ص140-الكامل-ج11-ص 521السلاوي:الاستقصا-ج2-ص121-المزاري:طلوع سعد السعود-ج1-ص140

*ياميلول:بجوار بجاية

(3)ابن أبي زرع:الأنيس المطرب -ص131-العبر:ج6-ص20-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص120, وعند مصطفى أحمد نقلا عن عبدالواحد المراكشي أن علي بن إسحق دخل بجاية يوم الاثنين في شعبان 580هـ.ينظر إلى:القبائل العربية-ص77-البيان:ج4-ص86

ولما سمع والي بجاية الموحدي خبر وصول علي بن غانية الميورقي،عاد من طريقه ومعه من الموحدين ثلاثمائة فارس(1)،تقوى بنوغانية بما غنمه من موقعة ياميلول ومخازن بجاية،ووزع الأموال والأسلحة على حلفائه الجدد من العرب(2).ثم استولى علي ابن غانية بعد ذلك على الجزائر ومازونة ومليانة،وقلعة بني حماد وماجاورها من قلاع وثم تمكن بمحالفة عرب إفريقية وهم جميعا لا يميلون إلى الطاعة والنظام،وكان من أوائل المنضمين إلى بني غانية جشم والأثبج بما كانوا ساخطين على الموحدين لرضاهم عن رياح ثم انضم إليهم نفر من رياح،وكشفوا القناع في نقض طاعة الموحدين كما انضمت إليه فلول لمتونة من أطراف البقاع فمضى على الجريد.وأقام الدعوة العباسية(3).وفي رواية ابن الأثير ذكر "أنه في سنة 580هـ ملك علي بن إسحق الملثم بجاية وأرسل يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن صاحب المغرب العساكر،واستعادتها،فسارعلي إلى إفريقية،فلما وصل إليها اجتمع سليم ورياح ومن هناك من العرب،وانضاف إليهم الترك الذين دخلوا من مصر مع قراقوش وكلهم كاره لدولة الموحدين(4)،ويلاحظ أن رواية ابن الأثير تختلف في مضمونها عن رواية نوال وإبراهيم حركات التي ذكرا فيها أن قبائل بني سليم بقيت موالية للموحدين(5)،والراجح أن بني سليم لم تكن موالية للموحدين،بل كانت ضدهم في كثيرمن المعارك خاصة في إفريقية، ولم يشير أغلب المؤرخين أن قبائل بني سليم ساندت الموحدين في معاركها التي خاضتها في إفريقية والأندلس.

(1)في نفس السنة قام الموحدون بتغريب بعض من الأسر الكبيرة من بجاية إلى مدينة سلا،يذكر منهم أسرة بني حمدون وبني القائد مما يرجح هذا الرأي-ينظر إلى ابن عذارى:البيان-ج4-ص96

(2)الكامل:ج10-ص.ص519-520-د.السيد عبدالعزيزسالم:تاريخ المغرب الكبير-ص804

(3)ابن عذارى:البيان-ج4-ص110-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص144

(4)ينظر إلى الكامل:ج10-ص519

(5) ينظر إلى:المغرب عبر التاريخ-ص283- documents pour servir àl'histoire de hmayan.p138

من الاستيلاء على مدنها بما في ذلك قفصة وتوزر عدا تونس والمهدية(1)ونازل قسنطينة فامتنعت عليه ولم يتمكن من إخضاعها.ونوه كتاب المرابطين بتحالفهم مع العرب حتى ادعوا أن المنطقة الممتدة من بلاد الحجاز إلى إفريقية تموج بالقبائل العربية التي تؤيدهم فمن شعر أبي محمد عبدالبربن فرسان كاتب يحي بن غانية بين الحجاز وبين الغرب(2). من العوائق سدت دونها الطرق عوف وزغب وذباب وسالمها والهيبيون ودوم البحر والغرق قاطعه(3).على الأساطيل وإلى أبي محمد بن عطوش وأحمد الصقلي(4)،ولما بلغ يعقوب المنصور سرح إليه أبا زيد بن أبي حفص بن عبدالمؤمن،وعقد لمحمد بن إبراهيم بن جامع واسترد بجاية،وأنزلوا بأهلها من العرب العقاب لما بدر منهم من استدعاء وتأييد لبني غانية،ففروا للاحتماء بقنن الجبال والأوعار وكذلك بأحياء العرب بالجوار(5).وقام الشيخ أبو حفص عمر الموحدي باسترداد مدينة أشيرفي سنة581هـ من يدي غزي الصنهاجي أحد قواد ابن غانية وحلفائه من العرب ثم أمر بقتله وقتل أخيه وصلبهما،وعلقا على باب مدينة بجاية ليتعظ كل من تسول له نفسه بالخروج عن طاعة الموحدين(6).ساء الظن الخليفة المنصور في العرب حتى أنه استبعد تجنيد عرب المغرب في جيشه لتعاطفهم واتصالهم بعرب إفريقية حينما قرر غزو قفصة في سنة582هـ- 1186م (7)

(1)ابن الآبار:المقتضب من كتاب تحفة القادم-نشر إبراهيم الأبياري-القاهرة-1957-ص115- Alfred bel:les benou Ghania-paris-1903-p191

(2) العبر:ج6-ص21-ابن الأثير:الكامل-ج10-ص519-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص121-د.حسين مؤنس:المرجع السابق-ج3-ص602-إبراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ-ص283-عبدالرحمن الجيلالي:تاريخ الجزائر العام-ج2-ص15-حسن حسني عبدالوهاب:خلاصة تونس -ص123

(3)ابن عذارى:البيان-ج4-ص87

(4)ابن خلدون:ج6-ص243 السلاوي:الاستقصا-ج2-ص183ابن عذارى:البيان-ج4-ص86-د.السيدعبدالعزيزسالم:المرجع السابق-ج2-ص804

(5)العبر:ج6-ص243

(6)ابن عذارى:البيان-ج4-ص102

(7)ابن عذارى:البيان-ج4-:ص104

.ويبدو أن الخليفة المنصور ساء الظن بالقبائل العربية قبل أن يدخل إفريقية،وحينما طرق الموحدون أبواب إفريقية،فوجئوا بتحالف بني غانية والمماليك الغز،وعرب بني سليم ضد معسكرين من الموحدين بجوار القيروان،ونظرا لكثرة عددهم تحول الموحدون إلى تونس (1).وأمام هذه القوى المتحالفة أرسل الخليفة يعقوب المنصور من تونس جيشا بقيادة أبي يوسف بن أبي حفص لفتح قفصة،فالتقى في ربيع الثاني 583هـ-1187م بقوات بني غانية والمماليك والعرب بفحص غمرة*.وحينما اندفع القائد أبوالحسن بن الربرتير*بفرسانه الموحدية لإحراز نصر سريع خاطف مستهينا بأعدائه(2)،وفوجئ بسحاب من السهام العربية أسقطت معظم فرسانه وقبض عليه،فاقتفى أثره القائد أبو علي بن يومور بفرسانه من العرب لتخليصه،فأحاطت بهم القوات المتحالفة،فلم يجد فرسانه من العرب بدا من الانسحاب وتركوهم أسيرا في أيدي أعدائهم(3).

(1) نفسه:ص104

*غمرة أوعمرة منه أعمال قفصة ينظر إلى ابن عذارى:البيان:-ج4-ص109وابن خلدون:العبر-ج6-ص244

(2)ابن عذارى:البيان-ج4-ص.ص105-107-العبر:ج6-ص244-المراكشي:المعجب-ص.ص180-181-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص121

(3)ابن عذارى:البيان-ج4-ص.ص105-107-العبر:ج6-ص244-المراكشي:المعجب-ص.ص180-18

*الربرتير:Reveerterأو Reberter هكذا ضبط اسمه دوزي Dozy حسب النصوص الحولية للإمبراطور ألفونسو السابع, أما المصادر العربية، فقد ذكرته بأشكال مختلفة مثل الدبرتيروالدبرتين والأبرتين،وواضح من الاسم أنه من أصل مسيحي إذ كان أبوه فارسا قطلانيا من برشلونة،ثم وقع أسيرا في يد أمير البحر علي بن ميمون الذي حمله إلى سلطانه علي بن يوسف بن تاشفين بمراكش،فعينه السلطان قائدا على جنوده الاسبان الذين كانوا في خدمته...وقد اعتنق ابنه الإسلام وسمي بأبي الحسن علي بن الربرتير،ولما قامت دولة الموحدين انخرط في خدمتهم ينظر إلى ابن عذارى:البيان-ج4-ص16و159-Recherches sur l'histoire de l'Espagne-t2-3éd amsterdam-1965-p.p437-442-Levi-provençal:Documents d'histoire Almohade.p139 وأحمد مختارالعبادي:دراسات في تاريخ المغرب-تعليق- ص355

وسرعان مادبت الفوضى في القوات الموحدية،ويُرغم أبو يوسف على بن أبي حفص على الانسحاب إلى تونس وتمتلئ أيدي العرب بالأسلاب(1).ويبدو أن صدى الهزيمة كان كبيرا في بلاد المغرب،والأندلس لدرجة أن عم الخليفة أبا الربيع والي تادلا وأخاه أبوحفص والي مرسيه قاما بإسقاط دعوته ومناداة كل منهما بنفسه خليفة للموحدين،فأمر الخليفة باعتقالهما وقتلهما(2).جمع يعقوب المنصور قواته بإفريقية وخرج بنفسه لملاقاة المتحالفين ضدها،فتوجه من تونس إلى القيروان حيث التقى على مسيرة أيام منها بأعدائه في الحمة(3)،وتمكن من إيقاع الهزيمة بهم في 9شعبان583هـ-1187م(4).وهرب ابن غانية جريحا حيث مات في خيمة عجوز أعرابية،وتولى الأمر من بعده أخوه يحي الذي لحق بالصحراء مع العرب(5).استولى يعقوب المنصور على قفصة وقابس ثم توجه إلى بلاد الجريد متتبعا العرب وبني غانية بلدا بعد بلد مبقيا على رؤسائها من العرب البلديين الأفارقة بعد تأكده من طاعتهم مستأصلا من بها من الأعراب الذين ثبت فسادهم حتى ألجأهم إلى صحاري برقة فجاءوه تائبين خاضعين(6)،فنقل قبائل بني هلال وجشم بن معاوية بن بكر المتسلطين والمستقرين بإفريقية على المغرب الأقصى،فنزلت قبيلة رياح من بني هلال ببلاد الهبط فيما بين قصر كتامة المعروف بالقصر الكبير إلى أزغار البسيط الأفيج هناك على ساحل البحر الأخضر أي المحيط الأطلسي.ونزلت قبائل جشم ببلاد تامسنا البسيط مابين سلا ومراكش.

(1)السلاوي:الاستقصا-ج2-ص144

(2) تعرف بحمة دقيوس ينظر إلى المراكشي:المعجب-ص181- العبر:ج6-ص243،وعند السيد عبدالعزيز سالم دقيوش ينظر إلى المغرب الكبير-ج2-س805

(3)العبر:ج6-ص244-ابن عذارى:البيان-ج4-ص.ص109-110

(4)ابن عذارى:نفسه-ص110-السلاوي:الاستقصا-ج2-144

(5)السلاوي:الاستقصا-ج2-ص183

(6)المراكشي:المعجب-ص181

ورغم ندم الخليفة المنصور في أيامه الأخيرة بسبب نقله للعرب إلى المغرب الأقصى وهو يعرف أنهم أهل فساد(1).فقد أدى صنيعته هذا إلى استكمال عروبته وصبغه بالدماء العربية،حيث سبق أن قامت دولة الأدارسة* بإدخال الحضارة الإسلامية وقليل من الدماء العربية إليه،وقبل أن يعود الخليفة المنصور إلى المغرب الأقصى أقام بالمهدية ريثما سن القوانين اللازمة لتنظيم اقطاعات القبائل العربية بإفريقية وعفا عن المماليك الغز ورئيسهم شعبان واستألفهم وضمهم إلى جنده(2).وفي سنة588هـ 1192م اصطحب أبوزيد عامل المنصور على إفريقية في رحلته إلى مراكش عاصمة الخلافة وفودا من شيوخ عرب سليم ورياح لمشاهدة عز الدولة وبهائها وغناها الذي يثير الإعجاب،وليشعرهم في نفس الوقت بقوة الدولة،وشدة بأسها فأقاموا بالمدينة ثمانية أيام ضيوفا على الخليفة،ثم التحقوا بفاس حيث بحثوا معه شؤون بلادهم،وأعلنوا له التزامهم بطاعته وعادوا إلى إفريقية بعد أن أنعم عليهم ووصلهم (3).ويبدو أنه عندما استولى المنصور على قابس انضمت عرب زغبة إلى يعقوب المنصور في تلك الفترة بسبب ماكان بينهم وبين رياح من عداء شديد حيث نقل الموحدون حميان من جملة بني يزيد بن زغبة إلى المغرب الأوسط(4)،وربما لم يكن سبب انضمام بني رياح لبني غانية كافيا لإعلان بني زغبة ولائها وتحالفها مع الموحدين،بل حددت زغبة موقفها من الموحدين بعد أن لاحظت أن ميزان القوة غير

(1) ابن عذارى:البيان-ج4-ص110و122

*الأدارسة:نسبة إلى إدريس الأكبربن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب،الذي خرج من المشرق لما يئس من نجاح مطلب آل البيت هنالك،ونجا بنفسه من اضطهاد العباسيين إلى المغرب،وقد علم يومئذ ضعف سلطانهم به،وانحرفوا أهله عنهم،فقصده ونزل بمدينة وليلي بالمغرب الأقصى،وأسس دولته سنة172هـ-177هـ،وكان المغرب الأقصى تحت نفوذ قبيلتين من قبائل زناتة

(2)د.السيد عبدالعزيزسالم:المغرب الكبير-ج2-ص805

(3)د.حسين مؤنس:المرجع السابق-ج3-ص603

(4)العبر:ج6-ص41-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص165

متكافىء بين الدولة الموحدية وبني غانية بسبب قوة الدولة الموحدية العسكرية.وفي رواية ابن خلدون التي ذكر فيها أن زغبة نزعت إلى الموحدين وانحرفوا عن بني غانيـــة،ونزعوا حق نزوعهم،واتصلت مجالاتهم مابين المسيلة وقبلة تلمسان في القفار(1).ويبدو أن علاقة حميان من جملة زغبة ببني بادين كانت علاقة تحالف وعصبية،وتوطدت منذ أن كانـــت زغبة وبنوبادين بطرابلس(2)،وبعد أن انتهت الصراعات بينهم والتي لم تكـــن في واقـــع الأمر سوى اختلاف حول المراعي وموارد الماء،نظرا لتشابه حياة البدو بين بـــني زغبـــة وبني بـــادين مـــن زناتـــة،ولم تكـــن الـــصراعات بينـــهما ذات طـــابع سياســـي أو أيديولوجي(3)،والتي غالى فيها كثير من المؤرخين الذين أعطوا لهذه الـــصراعات صـــبغة سياسية؛لأن بني زغبة لم تكن لهم أهداف سياسية يريدون تحقيقهـــا،ثم ازدادت العلاقـــة بينهما خاصة بعد أن انضم بنوبادين إلى الدولة الموحدين وكذلك زغبة الـــتي أعلنـــت ولاءها للموحدين،فالمصلحة المشتركة بينهما والهدف الواحد هو الـــذي عـــزز هـــذه العلاقة.من هم بنو بـــادين؟وهم بنـــو عبـــدالواد وتـــوجين ومـــصاب وبنـــوزردال وبنوراشد،وكانوا شيعة الموحدين منذ قيام دولتهم،فكانوا أقرب إليهم من أبناء عمومتهم بني مرين،وكانوا يجوبون أرياف المغرب الأوسط وتلولـــه بحريـــة عـــن غيرهـــم مـــن زناتة(4).ويقومون برحلة الصيف بما لم يؤذن لأحد ممن سواهم في مسه،حتى أنهم كـــانوا من جملة قوات الموحدين وحاميتهم،وكانوا يخضعون إلى صاحب تلمسان مـــن ســـادة القرابة(5).ولما انعزلت زغبة عن بني هلال التي كانت من جملتهم نزلت مع بـــني بـــادين

(1)العبر:ج6- ص40-السلاوي:الاستقصا-ج4-ص165-مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص200

(2)نفسه:ج6-ص41-ابن الأحمر:تاريخ الدولة الزيانية-ص45-رابح بونار:المغرب العربي-ص280

(3)نفسه:ج6-ص41 Rachid Bourouiba :L’art religieux musulman-Sned-1981-p71

(4)العبر:ج6-ص41-ابن الأحمر:تاريخ الدولة الزيانية-ص45

(5)نفسه:ص41-د.حسين مؤنس:المغرب العربي وحضارته-ج2-ص603

واتجهوا جميعا إلى قبلة المغرب الأوسط(1).من مصاب إلى جبل راشد،بعد أن كانت قسمتهم الأولى بقابس وطرابلس(2).وصاروا إلى هذا الوطن لمواجهة بني غانية.وانحرفت زغبة عن بني غانية،وأعلنت ولائها إلى الموحدين،وانعقد مابينهم وبين بني بادين حلف على الجوار،والذود عن المغرب الأوسط والأقصى وحمايته من معرة العدو في احتيال غرته،وانتهاز الفرصة فتعاقدوا على ذلك واجتوروا،فأقامت زغبة في القفار وبنوبادين في التلول والضواحي،ولما تلاشت دولة الموحدين أصبحت بعض بطون بني زغبة ومنها سويد شيعة لبني عبدالواد(3).ويبدو أن حميان شاركت من جموع بني زغبة إلى جانب جيش يعقوب المنصور،الذي فتح رفقة حلفائه من عرب زغبة بقية أقاليم إفريقية،ثم نقل يعقوب المنصور من كان بها من أتباع ابن غانية.وذويه في البحر إلى تونس،ثم اتجه بجيشه إلى توزر فاستولى عليها،وقتل من وجد بها،ثم إلى قفصة التي احتلها أياما حتى أعلنوا الطاعة،وقتل من كان بها من قوات ابن غانية أوالموالين لهم وهدم سورها وأبقى على أهلها،وجعل أملاكهم بأيديهم،ولما انتهى من أمر قفصة نهض يعقوب المنصور إلى عرب إفريقية التي أعلنت ولائها إلى ابن غانية ففتك بهم واستباح حللهم وأموالهم وشردهم في كل اتجاه حتى جاءوا خاضعين،فنقل منهم خاصة أهل الفتنة والخلاف إلى المغرب الأقصى،ورجع إلى مراكش في رجب سنة أربع وثمانين وخمسمائة(4) يفهم من رواية ابن خلدون أن حميان من جموع بني يزيد بن زغبة كانت مستقرة مابين طرابلس وقابس إلى غاية ظهور بني غانية في إفريقية،فانضمت زغبة إلى الموحدين وبالتالي نقل الموحدون بني

(1)العبر:ج6-ص41-عبدالقادر المشرفي:بهجة الناظر-ص23- رابح بونار:المغرب العربي-ص280- مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص201

(2)العبر:ج6-ص41-Noël:op.cit.p138

(3)نفسه:ص45-د.مصطفى أبوضيف عمر:القبائل العربية-ص225

(4)العبر:ج6-:ص41

زغبة إلى المغرب الأوسط وأنزلوهم في المنطقة الممتدة من المسيلة إلى قبلة تلمسان في القفر(1).وجاء في رواية ابن خلدون القفر ربما كان يقصد الهضاب العليا الغربية موطن حميان الحالي.فأقطع الموحدون حميان من جملة بني يزيد بلاد حمزة والدهوس*.وبني حسن من أوطان بجاية،فاستقروا هناك وقاموا بحماية بجاية من بربر زواوة وصنهاجة(2) وذلك خوفا من التحالف زواوة مع بني غانية،الذين كانوا يستغلون غياب الخليفة الموحدي عندما كان منشغلا بحروب الأندلس وكذلك لحماية أبناء الخليفة الذين كانوا يتناوبون على حكم بجاية؛لأن أول مدينة نزل بها بنوغانية بعد مجيئهم من ميورقة إلى المغرب الأوسط هي بجاية،فهذه المدينة في نظر الموحدين،كانت تشكل مدينة هامة واستراتيجية في الصراع الموحدي وبني غانية من جهة والصراع الموحدي الحمادي من جهة أخرى،وبالتالي كان لابد على الموحدين تشديد الرقابة على هذه المدينة التي كانت عاصمة الحماديين،وبالتالي وضع الخليفة الموحدي المنصور حميان من جموع بني يزيد في منطقة بجاية،ربما لكثرة عدد بني يزيد الذين يتميزون بالشرف والعزة،واحتمالا كان اختيار الخليفة الموحدي بني يزيد في هذه المنطقة الحساسة لهذا الغرض،وفي الوقت نفسه حماية وحراسة بجاية والذود عنها في حالة أي خطر يهدد أمن بجاية من بني غانية الذين كانوا يتربصون بالموحدين وحلفائهم.ولكن كيف وصلت زغبة إلى مابين المسيلة وتلمسان؟وكيف نزحت حميان من جموع بني يزيد إلى منطقة حمزة والدهوس ببجاية؟اختلف المؤرخون والباحثون حول الطريق الذي اتبعته حميان من جموع بني زغبة عند دخولها إلى المغرب الأوسط في عهد الموحدين.

(1)العبر:ج6-ص41-عبدالقادر المشرفي:بهجة الناظر-ص26-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص200

(2) العبر:ج6-ص41-عبدالقادر المشرفي:بهجة الناظر-ص26

*حمزة والدهوس:هي مناطق تقع ببجاية.ينظر إلى:عبدالقادر المشرفي:بهجة الناظر-ص23

فذهب بعض المؤرخين والباحثين أن حميان من جملة بني زغبة دخلت عبر سبيبة ثم تبسة وانتشروا جنوب الأوراس بقرى الزاب وهي جهة الصحراء حيث كانت تستقر زناتة بخيامها(1).ويؤيد هذا الاتجاه نوال(Noèl) بقوله:"... إن المصادر الشفاهية التي سجلتها ليست دقيقة وعلمية،ومن ثمة بحثت عن أسلوب منهجي يمكن من خلاله تتبع الهجرة الكاملة لحميان منذ دخولها إلى إفريقية،وإلى غاية وصولهم إلى الموطن الذي يستقرون فيه حاليا وهو الهضاب الوهرانية،ويقول أنني أعرف وبصورة دقيقة أنه في سنة1048م اخترق الغزو الهلالي إفريقية،وكانت زغبة التي تنتمي إليها حميان تستقر بطرابلس حسب ابن خلدون ومن المعروف أن زغبة نزحت إلى قابس،ثم نزحت إلى جنوب الأوراس وربما كانت زغبة تسكن على وادي إيتال (Itel) قرب بسكرة سنة1150م..."(2).وكانت أسبق منه في سواها،وربما هي الأثبج وعدي واحتمالا بعض بطون من زغبة حسب ما ذكره إسماعيل العربي (3),والجهة الثانية وهي جهة الهضاب مابين الأطلسين التلي والصحراوي حيث كانت تستقر الدولة الحمادية قائمة ودخلها بنوهلال عبر الإربس وانتهوا إلى وادي الساحل (4)ربما حسب ما يذكر بعض المؤرخين والباحثين دخلت حميان من جملة بني زغبة إلى المغرب الأوسط من جهة الصحراء عبر منطقة وادي سوف،ثم اكتسحت منطقة الزاب ووصلوا إلى ورقلة وتفاعلوا مع سكانها تفاعلا إيجابيا،ووصلوا إلى غرداية والأغواط وأفلو والمشريةوالنعامة وعين الصفراء وجنين بورزق(2)، ومازالت عاداتهم وتقاليدهم واضحة

---

(1)مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص-200-د.عبدالحليم عويس :المرجع السابق-ص177-إسماعيل العربي:دولة بني حماد القلعة-ص164-د.مصطفى أبو ضيف عمر:القبائل العربية-ص22

(2) ينظر إلى:Les Documents pour servir à l'histoire de hamayan.p138

(3)ينظر إلى دولة بني حماد القلعة-ص164-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص188

(4)مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص 188

إلى اليوم (1)،واحتمالا أن حميان من جملة بني يزيد قد نزحت إلى بجاية عبر المسيلة،بعدما أن تم اختيارها كقوة عسكرية،أوكل لها الموحدون حراسة مناطق زواوة وبني غانية.وبعد أن عجز الجيش الموحدي قامت حميان من جموع بني يزيد بها،وكافأهم الدولة الموحدية بالإقطاعات الكثيرة بجوار بجاية وتمكنت حميان من جملة بني يزيد من الاستقلال بأوطانهم(2).وأصبحوا يتحكمون ويتصرفون في جبايتها التي كانوا يأخذونها من زواوة وصنهاجة بجاية وضواحيها(3)،وبقيت حميان مستقرة مع بني يزيد بهذه المنطقة إلى غاية أن دب الضعف بالدولة الموحدية،وتأسست دولة بني عبدالواد حيث استدعى يغمراسن بن زيان قبيلة بني عامر،وتبعتها حميان التي انعزلت عن بني يزيدسنة633هـ -1236م إلى صحراء تلمسان لمواجهة عرب المعقل(4).خلاصة القول أن حميان من جملة بني يزيد ارتبط تاريخها منذ دخولها إلى المغرب الأوسط بتاريخ دولة الموحدين خاصة في عهد الخليفة يعقوب المنصور،وهو الذي كان سببا في دخولها إلى المغرب الأوسط،والغالب على الظن أن حميان من جملة بني يزيد خاضت إلى جانب الموحدين جل الحروب التي اندلعت بالأندلس ضد النصارى،كما ساهمت في حماية بجاية من بني غانية وحلفائهم.توفي يعقوب المنصور،وبويع ابنه وولي عهده أبو عبدالله محمد وكان يلقب بالناصر لدين الله 595هـ-610هـ-1199م-1213م(5) ،وفي عهده انتكست صورة التحالف الموحدي العربي،فأصبح صوريا بقدرما يحفظ على العرب استقلالهم الذاتي،ويبرر خروجهم على طاعة الخليفة بمراكش.

(1)عبدالحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي في الجزائر-ص23

(2) نفسه:ص23

(3)نفسه:ص.ص195-196

(4)العبر:ج6-ص348-د.مصطفى أبو ضيف عمر:القبائل العربية-ص225

(5)ابن عذارى:البيان-ج4-ص.ص207-208

ما إن توالت أخبار إفريقية بثورات الموحدين وبسط نفوذهم على مدنها،وتحالفهم مع يحي بن غانية،فتحركت جيوش الموحدين بقيادة أبي الحسن بن أبي حفص ومعظم جنده من قبائل العرب(1).وربما كان من بينهم حميان من جملة بني يزيد من بجاية إلى قسنطينة،حيث تقابل الجبشان ولخيانة العناصر العربية المعادية في الجيش الموحدي وإفشائهم لأسرار مضاربه وانسحابهم المفاجئ من المعركة منادين بوقوع الهزيمة مغيرين على مضارب قائد الجيش ليسلبوه ماله وأثاثه،أحدقت القبائل العربية وبنوغانية بالجيش الموحدي من كل جانب حتى فر إلى حصن قسنطينة(2).وكانت الهزيمة مريرة اضطر الخليفة إلى إرسال أبي زيد واليا على تونس بدلا من أبي الحسن،وأخذت جيوشه تزحف من تلمسان إلى بجاية ثم قسنطينة محققا بعض النصر على العناصر العربية الثائرة في نواحيها(3)،ولكنه أدرك عندما عاين جيوش إفريقية المتحالفة أنه لا قبل له بمواجهتها فانسحب سريعا إلى فاس(4).ثم انتقلت القوات الموحدية مرة أخرى إلى إفريقية فانسحب أمامها العرب وبنوغانية من تونس دون قتال،وفي سنة601هـ-1204م تتبعهم الخليفة الناصر إلى المهدية،حيث تركوا بعض قواتهم لحمايتها وتوجهوا إلى نواحي الجريد وحوصر العرب بالمهدية لمدة أربعة أشهر برا وبحرا،ولكنهم تمكنوا من الصمود(5).وقام عرب سليم ورياح المستقرين في نواحي الجريد لمساعدتهم وشد أزرهم فارتحلوا بأهليهم وأثقالهم حتى وصلوا نواحي قابس،فعلقوا الإبل وأوقعوا الظعائن،ليقاتلوا دونها كالحصون(6). وليكون دفاعهم عنها

(1)البيان:ج4-:ص.ص207-208-د.مصطفى أبوضيف عمر:القبائل العربية-ص225
(2)العبر:ج6-ص348 ابن عذارى:البيان-ج4-ص194-195-د.السيد عبدالعزيزسالم:المغرب الكبير-ج2-ص805-د.مصطفى أبو ضيف عمر:القبائل العربية-ص225
(3)البيان:ج4-ص.ص209-213-د.مصطفى أبوضيف عمر:القبائل العربية-ص225
(4) العبر:ج6-ص348
(5)البيان-ج4-ص.ص209-213
(6)العبر:ج7-ص348

أشد حماسا وأكثر صدقا،فلا يفرون ومع ذلك فقد انهزموا(1).وقتل شيوخهم ومنهم جبارة وكاتبه اللمطي وعامله الفتح بن محمد(2)،الموحدون أسلابا أضاع العرب عشرين سنة في جمعها من طرابلس إلى بجاية،وغنم وفي نفس الوقت استسلم عرب المهدية وعاد الناصر إلى تونس في سنة603هـ-1206م،ليعيد الهدوء إلى إفريقية وينظم شؤونها،ويعمل على إصلاح مافسد من أرضها وزيادة مزارعها حتى تستقر القبائل بها(3).ولم يستسلم ابن غانية للهزائم التي مني بها أمام الموحدين خصوصا بعد أن ناصرته عرب الذواودة من رياح بقيادة محمد بن مسعود البلط وغيرهم من أعراب بني سليم وتمكن من مواجهة الجيش الموحدي بقيادة أبي محمد بن أبي حفص بنواحي تونس،وأثبت العرب كفاءة واضحة في الهجوم والضغط على ميسرة الجيش الموحدي حتى فر من بها من المماليك الغز والعرب،ولكن ثبوت أبي محمد بمركزه في قلب الساقة مكنه من انقاذ جيشه من هزيمة محققة والانتصار على أعدائه في سنة606هـ-1209م مما اضطر زعماء القبائل العربية وأتباعهم للفرار إلى طرابلس.,وأوقعت الهزيمة الرعب في قلوب العرب الأفارقة المستقرين بالبلاد(4).وفي سنة607هـ-1210م أغار أبو محمد عبدالواحد على قبائل سليم وغنم أموالهم وأسر شيوخهم بتونس رهينة ليرغم أتباعهم على الطاعة والتخلي عن مناصرة بني غانية الذين تولى محمد بن عبدالسلام والي طرابلس أمورهم.

---

(1)البيان-ج4-ص.ص224-225،وقد سبق وأن تم القضاء على قوة بني غانية بعد استيلاء الخليفة الناصر على جزر البليار،وقتل عبدالله بن إسحاق بن غانية أميرها في سنة599هـ-1203م،فالتحق معظم فرسان بني غانية بالجيش الموحدي،وتزوج الموحدون من نسائهم.ينظر إلى المراكشي:المعجب ص211وأحمد مختارالعبادي:دراسات في تاريخ المغرب-ص.ص367_368.

(2)العبر:ج6-ص348-أحمد مختار العبادي:دراسات في تاريخ المغرب-س.ص367-368

(3) البيان-ج4-ص226-المراكشي:المعجب-ص211

(4)نفسه:ص230

فهاجمهم بجوار جبل نفوسه وسلب عتادهم (1).مما دفع بنوغانية وأنصارهم من عرب بني ذباب إلى منافسة قراقوش الأرمني على ما بيده من بلاد فزان،فحاصروه بودان حتى فني طعامه واضطره للتسليم وقتل هو وابنه وصلب خارج المدينة في سنة609هـ-1212م(2).وأخذ عرب ذباب بثأر شيوخهم الذين غدر بهم قراقوش بقصر العروسين بقابس،ولا شك أن هذه الاضطرابات التي لعبت فيها القبائل العربية دورا واضحا في إفريقية أدت إلى تعيين أبي حفص واليا دائما على إفريقية(3)،مما ساعد على تدعيم النفوذ الموحدي في تلك الجهات وكذلك الدولة الحفصية المستقلة(4).

خلاصة القول:يستخلص من خلال ماسبق ذكره أن القبائل العربية الهلالية انشقت على نفسها في الصراع الزناتي الصنهاجي وكذلك في النزاع الموحدي المرابطي،والغالب على الظن أن حميان من جملة بني يزيد بقيت على ولائها للموحدين بعد وفاة الخليفة يعقوب المنصور،ولاشك أنها شاركت إلى جانب الخليفة الناصر الموحدي ضد القبائل العربية الثائرة في إفريقية،وكذلك ضد بني غانية وحلفائهم إلى غاية سقوط الدولة الموحدية.وقيام الدول الثلاث الحفصية والمرينية والزيانية.ولما احتاج يغمراسن بن زيان إلى سيوف بني عامر بعد أن ظهر عبث المعقل(5).أما من الجانب السوسيولوجي يمكن إسقاط نظرية العمران البشري فيما يتعلق بالعصبية في تأسيس الملك وبناء الدولة بحيث اعتمد الموحدون على عصبية بني هلال وزناتة،وعندما ضعفت هذه العصبية سقطت دولة الموحدين،لأنها بلغت مرحلة الهرم والانقراض،وقامت مكانها ثلاث دول.

(1)التيجاني:رحلته-ص110- البيان-ج4-ص230

(2) نفسه:ص110-أحمد مختار العبادي:دراسات في تاريخ المغرب-ص.ص367-368

(3)البيان-ج4-ص230-نفسه:ص.ص367-368

(4)المراكشي:المعجب-ص211-البيان-ج4-ص230

(5)العبر:ج6-ص42-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر-ج2-ص178

الفصل الخامس: هجرة بنوعامر وحميان

إلى صحراء تلمسان ودورهم في إمارة بني زيان

المبحث الأول: علاقة بنوعامر وحميان ببني عبدالواد

أ- لمحة تاريخية عن بني عبد الواد

ب- أسباب استدعاء يغمراسن لبني عامر وحميان

ج- دور بنوعامر وحميان في دولة بني عبدالواد(1236م- 1359م)

المبحث الثاني: دوربنوعامروحميان في عهد الإمارة الزيانية

دور بنوعامر وحميان العسكري في عهد أبي حمو موسى الثاني

مابين 1359م1390م

ا-لمحة تاريخية عن بني عبد الواد:قبل دراسة دور بني عامر وحميان في دولة بني عبد الواد،لابد من الإشارة إلى تاريخ بني عبدالواد وظروف تأسيس إمارتهم في المغرب الأوسط؛لأن حميان وبني عامربن زغبة كانت تربطهم ببني عبدالواد علاقة تحالف منذ قيام دولة الموحدين وظهور بني غانية فاتفقوا على حماية المغرب الأوسط من بني غانية وأتباعه من عرب بني هلال وغيرهم من الموالين لهم.يصنف ابن خلدون بني عبدالواد ضمن الطبقة الثانية من زناتة(1)،وهم أبناء بادين بن محمد،وهم إخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد،وكان يتولى رئاستهم يوسف بن تكفا،ويعود نسبهم إلى زحيك بن واسين بن ورشيك بن جانا،وكان إخوانهم مستقرين بمنطقة مصاب وهي منطقة غرداية حاليا،وجبل راشد الذي يعرف اليوم بجبل العمور وفقيق وملوية(2)،وكان عبد الواد وإخوانهم في صراع مع أبناء عمومتهم بني مرين لأسباب لا تعدو أن تكون حول المراعي ومنابع المياه والرئاسة؛ لأن هذه القبائل كانت بدو رحل تشبه في حياتها حياة عرب بني هلال،وكانت تجمع بين بني عبد الواد وبني راشد ومصاب وبني زردال الروح القبلية والعصبية باستثناء بني توجين،وكان بنوعبد الواد يقومون برحلة الشتاء والصيف(3)،كانت رئاسة بني عبدالواد في بني القاسم أو أيت القاسم لشدة شوكتهم واعتزاز عصبتهم،فكانوا بطونا كثيرة فمنهم يكتمين وعمر وأعدوي بن يكتيمن الأكبر ويقال الأصغر،ومنهم عبدالحق بن منغفاد وأعدوي بن يكتمين ونصرحة

(1)العبر: ج7-ص 51.د.عبدالحميد حاجيات:أبوحموموسى-آثاره-المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984-المرجع السابق-ص ص13-.د.مصطفى أحمد عمر أبوضيف:المرجع السابق- ص151

(2) أحمد بن عبدالرحمان الشقراني:القول الأوسط-ص50-د.يحي بوعزيز:المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني الواد الزيانية(1236م -1554م)- مقالة-مجلة الأصالة-العدد26-جويليه- أوت-1975-ص13-رابح بونار:المرجع السابق-ص279-عبدالرحمن الجيلالي:المرجع السابق-ج2-ص115و144و269- مبارك بن محمدالميلي:المرجع السابق-ج2-ص347و394- عثمان العكاك:موجز تاريخ الجزائر-مطبعة العرب-تونس-1925 -ص330و418

(3) العبر: ج7-ص52- مبارك بن محمد المرجع السابق-ج2-ص.347و394

وبنوتومرت، وبني مطهر وبني علي،وبنوطاع الله وهذا الفرع الأخير هو الـــذي أســـس دولة بني عبدالواد،بينما ذكريحي بن خلدون"...فكانت شعبهم ستا وهم بنومطهر بن يمل ابن يزجن* بن القاسم،وبنوعزان بن مسعود يكريمن الأكبـــر بـــن القاســـم، ويضاف إليهم أولاد عمر ويكريمن الأصغر أخوي أبيهم وعزان،وبنودلول بن علي بن يمل بن يزجن بن القاسم وبنومعطي بن جوهر بن علي بن يمل،وبنوحمي بن علي بن يمل وبنوطاع الله بن علي بن يمل وفي عقب محمد بـــن زجـــدان بـــن ينـــدوكس بـــن أطـــاع الله هـــذا لملـــك وأولاده ثلاثـــة ثلبـــت أبوزيـــان والـــد يغمراسن،ويوسف أبو جابر المتلك الأول ومجن..."(1).فبنوالقاسم أولادهم الـــذين حازوا شرف النسب وكرم الأبوة وفخر الملك القديم والحـــديث(2).وذكـــر أن بـــني عبدالواد التي أقطعها الموحدون بلاد ومانو بتلمسان،حاول الـــبعض رفـــع نـــسبه إلى الأدارسة،وقيل أن تسميتهم بالزيانيين نسبة لجدهم لأبيهم زيان بن ثابت بن محمـــد بـــن زيدان بن يندوكس بن طاع الله بن علي ابن يمل بن يزجن بن القاسم ين محمد بن عبدالله بن إدريس بن إدريس بن عبدالله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه(3).أما تسميتهم ببني عبدالواد نسبة لجدهم لأمهم عبدالواد بن بادين بن محمد بن زحيك بن واسين،وعبدالواد أصله عابد الوادي رهبانية عـــرف بهـــا جدهم من ولد سجيع بن واسين ابن يصليتن بن مسرى بن زاكيا(4). ابن رسيح بن مادغس

* يوجد بغرداية هذا الفرع من زناتة يسمى ببني يزجن أو يزقن ربما ينسب إلى بني عبدالواد الزيانيين.

(1) يغية الرواد:ج1ص190– رابح بونار:المغرب العربي ص279د.مصطفى أبو ضيف عمر:القبائل العربية ص151

(2) أبو حمو موسى بن يوسف:واسطة الـــسلوك في سياســـة الملـــوك–تـــونس –1279هــــ ص 16– عـــبدالرحمان بـــن خلدون:التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا–نشر محمد بن تاويت الطنجـــي–القـــاهرة–1951–ص62–يحـــي بـــن خلدون:بغية الرواد–ج1–ص190– ابن عودة المزاري:طلوع سعدالسعودج1–ص 240

(3) يحي بن خلدون:بغية الرواد–ج2–ص09و184–ابن عودة المزاري:طلوع سعد السعود–ج1–ص240

(4)ابن عودة المزاري:طلوع سعدالسعود–ج1–:ص240–رابح بونار:المغرب العربي:المغرب العربي –ص134

الأبتربن قيس عيلان بن إلياس بن مضر بن نزاربن معد بن عدنان (1).وقال المزاري نقلا عن التنسي في نظم الدرر والعقيان في شرف بني زيان"...والقاسم جد أمير المـؤمنين المتوكل،اتفق النسابون على أنه من ولد عبدالله الكامل بن الحسن المثنـى بـن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب،ولكن اختلفـوا فـي طريـق اتصاله بها..."(2).ولم يكتف بنوعبدالواد بتأكيد نسبهم إلى آل إدريس وبل تقربـوا إلى العلويين وحيث كانت لهم قرية من أعمال تلمسان تعرف بقرية العلويين،وقد عمل أبـو حمو موسى بن يوسف على تدعيم هذه الصلة،فزوج ابنته للإمام أبي عبد الله محمد بـن أحمد الشريف الحسني ويعرف بالعلوي وبنى له مدرسة بتلمسان للانتفاع بعلمه ودرسه حتى توفي سنة771هـ 1369موكان بنوعبدالواد فرعا من زناتة طرابلس،ثم اندفعوا غربـا أمام التروح الهلالي،واستقروا في منطقة الزاب ونزحوا إلى شمال الصحراء والهضاب العليا الغربية،وعاشوا نحو قرن من الزمن حياهم البدوية،وعندما استولى الموحدون على تلمسان ونواحيها،انـضم بنوعبـدالواد بجميـع بطـوهم وهـي بنـويكتين وبنوولـو وبنوورصطيف،وبنوالقاسم إلى عساكر الموحدين وأصبحوا في خدمة عامل تلمـسان أبي حفص الموحدي كلما احتاج إلى سيوفهم،وكان من أعظم هذه الخدمة بذل كل مـا في وسعهم لمنع سقوط تلمسان في أيدي بني غانية الموالين لدولة المرابطين التي قضى عليهـا الموحدون،وأقاموا دولتهم على أنقاضها(3). فكافأهم خليفة الموحـدين علـى ذلـك ،

---

(1)العبر:ج7-ص 51-يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج1-ص 240-ابن عودة المزاري:طلوع سعدالسعود-ج1-ص241-رابح بونار:المغرب العربي-ص281

(2)يحي بن خلدون:بغية الرواد-:ص240

(3)ابن الأحمر:تاريخ الدولة الزيانية- تقديم وتحقيق وتعليق هاني سلامة ط1-مكتبـة الثقافـة الدينيـة للنـشر والتوزيـع-الإسكندرية-2001-ص10-د.عبدالحميد حاجيات:تاريخ المغرب الأوسط -الجزائر في التاريخ -ج3-للمؤسـسة الوطنيـة للكتاب-1984ص 384-د.عطاءالله دهينة:الدولة الزيانية في عهد يغمراسن-الجزائرفي التاريخ- ج3-المؤسـسة الوطنيـة للكتاب-الجزائر-1984-ص359

وربما ينتسب سكان قصور بني عامر إليهم،فهم موزعون اليوم على مدن المشرية وعين الصفراء والبيض،حيث يطلق عليهم تسمية الشلوح أوالقصوريين* تربطهم علاقة نسب ببني عبدالواد،أوربما يمثلون بطن من بطونهم؛لأن بني عبدالواد كانوا بدو رحل يجوبون منطقة الأطلس الصحراوي،وبالتالي فهذه المنطقة ليست غريبة على بني عبدالواد،أو احتمالا يعود ذلك إلى فترة لجوء بني عبدالواد إلى القفر عندما كانت تسقط عاصمتهم تلمسان،ويطول حصار بني مرين لها، خاصة في عهد أبي حمو الثاني،ضف إلى ذلك أن هناك بعض العائلات تحمل اسم زيان،تتكلم اللهجة الزناتية التي تعرف باسم الشلحة،وهي لغة شبيهة بلغة أهل مزاب فاحتمالا تنتسب إلى بني زيان،وهذه العائلات كانت تسكن ولاتزال قصور بوسمغون وأربا والشلالة* الظهرانية والفوقانية،ومما يدفع إلى صحة هذا القول أن قصور بوسمغون والشلالة وغيرها،كانت تتجدد في تأسيسها باستمرار خاصة في عهد إمارة بني عبدالواد الزيانية في القرن الرابع والخامس عشر الميلادي،بفن معماري يحمل بعض موصفات الفن المعماري في تلمسان؛وتجدر الإشارة هنا أن بني هلال الذين سكنوا هذه القصور والتي سماها ابن خلدون بقصور بني عامر(1). لم تسمح لهم ظروف الحياة البدوية وخصائص المجتمع البدوي على إحداث تطور عمراني وتشييد القصور والقرى.

---

*يتميز هؤلاء القصوريون بصفات قبائل الزناتة،إلا أنهم أخذوا عن قبائل بني هلال بعض الصفات العربية ،بسبب الاندماج والتفاعل الاجتماعي،وكانوا يمارسون النشاط الزراعي ولايزالون قرب قصورهم ،وتغير نشاطهم الاقتصادي بعد دخولهم إلى مدن المنطقة وهي المشرية وعين الصفراء والبيض،بحيث أصبحوا يمارسون النشاط التجاري.

*قصر الشلالة:وهي تمثل قصرا من قصور بني عامر،تنقسم الشلالة إلى قسمين:الشلالة الظهرانية والقبلية،وتبعد الشلالة الظهرانية عن القبلية بنحو6كلم،ويتشكل سكانها من زناتة،تقع قصور الشلالة شمال قصربوسمغون،وتبعد الشلالة الظهرانية عن قصر بوسمغون بنحو15كلم

(1) ينظر إلى العبر:ج6-ص52- عبدالقادر المشرفي:بهجة الناظر-ص 25-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص373.

ولو أن هناك آثارا لبعض القصور منهارة،يسميها أهل المنطقة بآثار بني عامر توجد بعين توسيرة،وتواجر وبجبال عين بوداود وتيوت وهذه الآثار تقع بموطن حميان.أوربما يعود نسب سكان قصور بني عامر إلى مضغرة من قبائل زناتة التي كانت تجوب منطقة فقيق إلى مصاب التي ذكرها ابن خلدون بقوله:"...ومن قبائل مضغرة أيضا بصحراء المغرب كثيرون ونزلوا بقصورها واغترسوا شجرة النخيل على طريقة العرب،فمنهم بتوات...ومنهم في قبلة تلمسان وعلى مراحل قرى أخرى متتابعة على سمتها متصاعدة قليلا إلى الجوف آخرها على مرحلة من قبلة جبل راشد وهي في مجالات بني عامر من زغبة،وأوطانهم في القفر،وقد تملكوها لحظ أبنائهم وقضاء حاجاتهم حتى نسبت إليهم في الشهرة..."(1).وهذه القصور تمتد على خط واحد من الجنوب الغربي من فقيق إلى البيض إلى الشمال الشرقي.ماهي الظروف التي تأسست فيها إمارة بني عبدا لواد؟ بعد هزيمة الجيش الموحدي في معركة العقاب سنة609هـ-1212م تفككت الدولة الموحدية،وتصدعت السلطة وتأزم الوضع بين أمراء أسرة عبدالمؤمن والشيوخ رؤساء القبائل المناصرة للدعوة الموحدية،واشتدت هذه الأزمة السياسية خاصة بعد وفاة العادل سنة624هـ(2)،وتعيين إدريس المأمون على عرش الموحدين أدى إلى اندلاع نزاع عنيف بعد أن ظهر يحي المعتصم كمنافس للمأمون بتأييد من شيوخ القبائل،ولم تنته هذه الفتنة إلا بوفاة يحي المعتصم سنة633هـ(3).

(1)ينظر إلى:العبر-ج6-ص120- مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص178 د.مصطفى أبوضيف:عمر:القبائل العربية-ص153

(2)العبر:ج7-ص 72-وعرفت دولة بني عبدالواد بدولة بني عبدالواد بدولة بني يغمراسن باعتباره أول ملوكها وبدولة بني زيان أو الزيانية نسبة إلى اسم والده-ينظرإلى أحمد مختار العبادي:دراسات في تاريخ والمغرب والأندلس-ص.ص 197-198د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-س11-د.يحي بوعزيز:المراحل والأدوار-ص13

(3)العبر:ج7-ص72ومابعدها-القلقشندي:صبح الأعشى-ج5-ص149-أحمد مختار العبادي:دراسات في تاريخ المغرب-ص198-رابح بونار:المغرب العربي-ص280

وفي تلك الفترة كان نفوذ السلطة الموحدية قد ضعف في إفريقية والمغرب الأوسط،حتى لم يبق بها من المناطق الخاضعة لها سوى تلمسان ومايليها،وكانت حدود إمارة بني عبدالواد غير ثابتة.إذ أنها كانت تضيق وتتسع حسب قوة جيرانها من بني حفص شرقا وبني مرين غربا،إلا أنه يمكن القول بأن حدودها كانت تمتد طولا من البحر المتوسط شمالا،إلى صحراء المغرب الأوسط جنوبا وعرضا من جبال سعيدة ووادي مينا شرقا إلى وادي ملوية ومدينة وجدة غربا(1).وعندما ضعف أمر بني عبد المؤمن بما بينهم من الفرقة تطاول بنوعبدالواد إلى الاستيلاء على تلمسان لقربهم منها،فجاسوا خلالها،وأوجفوا عليها بالخيل والركاب،واحتاز كل منهم جانبا من تلمسان،وأمن أهلها على خراج يؤديه إليها كل سنة،وأمرهم إلى كبيرهم جابربن يوسف بن عم زيان والد يغمراسن(2)،وفي الوقت الذي أقدم فيه بنوحفص على إلغاء تبعتهم للأسرة المؤمنية بإفريقية،استغلت مختلف القبائل الزناتية فرصة انهيار الدولة الموحدية.وأخذت تقتطع لنفسها أراضي التل الغنية،فاستقلت مغراوة* بناحية الشلف(3).واحتل بنوتوجين*جبل الونشريس،وبنوراشد*

(1)د.مصطفى أبوضيف عمر:القبائل العربية-ص151

(2)يحي بن خلدون:بغية الرواد ج1ص240 العبر:ج7ص 72د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني- ص- 12

(3)نفسه:ص 241-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى- ص13

*مغراوة:قبيلة بربرية مركزها الأصلي بمواطن بني ورسينان مابين مليانة وتنس،وملتقى وادي الشلف بوادي الفضة،بقي منها بطن يعرف بنفس الاسم جنوب غرب مستغانم،مجاورة لقبيلة عبيد الشراقة المخزنية،ومنهم الكنادرة،وأهل عين فرس،ومنهم أهل الكرد،وفرقة مينا،وأول من اختط مدينة وهران خزرالمغراوي بن حفص بن صولات بن وزماربن صقلاب سنة تسعين من القرن الثالث.ينظرإلى:أحمد بن عبدالرحمان الشقراني:القول الأوسط-ص50

*توجين:أصلهم من قبائل بني بادين،أحد شعوب زناتة-ينظرإلى العبر-ج6-ص63-أحمد بن عبدالرحمان الشقراني:القول الأوسط-ص74-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص107

*بنوراشد:أصلهم من قبائل بني بادين،أحد شعوب زناتة،ومنهم فرقة بأرض أولاد خالد تركوا وتناسلوا وهناك مدينهم خرابا،وقد انقرض بعض من ذكر وبعضهم اندرج في القبائل ،والبعض بقي معروفا،وتغير اسم الذي كانت تسكنه هذه القبيلة من جبل بني راشد على جبل العمور.ينظرإلى أحمد الشقراني:المصدر السابق-ص52

الجبل الذي أصبح يسمى بهم وبنوعبدالواد الأراضي التابعة لتلمسان،ولم يستول بنوعبدالواد على تلمسان إلا بعد أن حدثت اضطرابات خطيرة بها.وثار أحد رجال لمتونة المستخدمين آنذاك في الجند على الوالي واعتقله،فكان دخول بني عبد الواد تلمسان سنة627هـ بقيادة جابربن يوسف خطوة أولى نحو تأسيس دولتهم(1).ثم تولى حكم الإمارة بعده ابنه الحسن سنة 629هـ،ثم من بعده أخيه عثمان سنة630هـ 631هـ ثم إلى ابن عمه زيدان بن زيان 631هـ 633هـ واصطدم زيدان بمعارضة قوية من بعض عناصر قبيلته،فحاربهم ولكنه قتل أثناء معركة دارت رحاها خارج تلمسان سنة633هـ فخلفه أخوه يغمراسن(2).من هو يغمراسن بن زيان؟هوابن ثابت بن محمد العبد الوادي أمير المسلمين،أبو يحي أول من استقل بتلمسان من أمراء بني عبدالواد،وأسس دولة بني عبدالواد الزيانية.ولقب بيغمراسن ومعناه بلغة زناتة كثير المرق لكثرة جوده(3).ولد يغمراسن سنة603هـ-1206م،بويع يوم مقتل أخيه زيان بن زيان في 24ذي القعدة633هـ 21جويلية1236م (4)،صفته أبيض اللون،ربعة أشقر الشعر،وكان حازما سياسيا شجاعا ذا أخلاق فاضلة وهو الذي خلط زي البداوة بأبهة الملك في إمارة بني عبدالواد(5),وكان شجاعا حليما متواضعا،وتمكن بفضل سياسته وحزمه من توطيد الأمن ونشر العدل وإزالة الاضطرابات(6)،وضروب المظالم التي كانت عليها تلمسان ونواحيها،ووقف في وجه السلاطين المجاورين له.

---

(1)يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج1-241-د,عبدالحميد حاجيات أبو حمو موسى-ص13

(2)د.عبد الحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص13السلاوي:الاستقصا-ج4-ص278

(3) بن عودة المزاري:المصدر السابق-ج1-ص162-رابح بونار:المغرب العربي-ص280

(4)يحي بن خلدون:بغية الرواد -ج1-ص241-العبر:ج7-ص 72-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى-ص13-د.الدولة الزيانية في عهد يغمراسن-ص359-عبدالرحمان الجيلالي:تاريخ الجزائر العام-ج2-ص121

(5)رابح بونار:المغرب العربي-ص292

(6) يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج1-ص112

ورأى الناس كفاءته للسلطنة والإمارة فبايعوه بيعة عامة سنة633هـ،وأذعن لحكمه القاصي والداني(1).وقد أشار يحي بن خلدون على جهوده الكبيرة في تأسيس إمارة بني عبدالواد،وتوطيد الأمن بها،وإزالة الإضطرابات التي كانت تهز تلمسان ونواحيها فقال:"...والأرض يومئذ تموج بالسكان والهرج يثبو بالمساكن والفساد عمر الأقطار،وأنزج الأوطار والعنف قد سل الأشفار،فسكن الأرجاف وسمن بكلأ الهداية العجاف،وقبض العداء ومكن يد عزه من رقاب الأعداء،فجدد الملة وأشعرذي الخلافة الجلة..."(2).وكان رجلا ذكيا تنبه إلى أن التجارة مورد خير كبير لإمارته،فأحسن معاملة التجار،وشارك هو وبعض أهل بيته في التجارة،وارتفع شأن التجارة والتجار،وكان يكثر في مجالسه العلماء والصالحين،حتى أصبحت هذه الإمارة من أقوى إمارات المغرب الإسلامي،وقد أثنى عليه عبدالرحمان بن خلدون الذي قال فيه:فوقع التسليم به والرضا عنه من سائر القبائل ودان له بالطاعة جميع الأمصار،وكتب الخليفة الرشيد بالعهد على عمله وكان ذلك سلما إلى الملك الذي أورثه بنيه سائر الأيام(3).واتهم بعض المؤرخين يغمراسن بالضعف والجين،وهذه تهمة بعيدة كل البعد عن الحقيقة(4).فقد كان من أقوى فرسان عصره.وقد وصفه لسان الدين بن الخطيب: أول أملاكهم يعمور ليت الشرى والبطل المشهور.تثني عليه حومة الميدان مالا مرئ بيأسه يدان. لا في الجموع من بني مرين كالليث يحمي جانبه العرين(5).

---

(1) ابن الأحمر:تاريخ الدولة الزيانية-ص60

(2)ينظر إلى بغية الرواد-ج1-ص112

(3)العبر:ج7-ص.ص152-153-رابح بونار:المرجع السابق-ص292

(4) ينظر إلى:بغية الرواد-ج1-ص204-أحمد بن عبدالرحمان الشقراني:القول الأوسط-ص59

(5)ينظر إلى:بغية الرواد-ج1-ص112-عثمان العكاك:موجز تاريخ الجزائر -ص347-عبدالرحمان الجيلالي:تاريخ الجزائر العام-ج2-ص121

وصاهر بني حفص أصحاب تونس،فزوج ابنه عثمان بابنة إبراهيم بن عبدالواحد الحفصي،وخرج للقائها بمليانة،بينما هو عائد أدركته الوفاة،في وادي شلف سنة681هـ-1283م وحمل إلى تلمسان فدفن فيها(1).وكانت مدة إمارته 44سنةوخمسة أشهر وأثنى عشر يوما*،وكان أسلافه يقولون أنهم من الأشراف،فسئل عن رأيه في صحة هذا النسب فقال:إن كان المراد شرف الدنيا فهو مانحن عليه،وإن كان القصد شرف الأخرى فهو عند الله(2)،وقد وصف لسان الدين بن الخطيب يغمراسن بأنه آية من الآيات في جرأته ورجولته ودهائه ومواقفه شهيرة وسلاحه في الجفوة مثل وسياسته عجيبة(3)،وقيل أنه قام بالملك أحسن قيام،واضطلع بأعبائه وأحسن السيرة في الرعية،واستمال عشيره وقبيله وأحلافه من زغبة بحسن السياسة والاصطناع وكرم الجور،واتخذ الآلة ورتب الجنود والمسالم واستلحق العساكر من الروم (4).وقال فيه عبد الرحمان بن خلدون"...**كان يغمراسن من أشد هذا الحي بأسا وأعظمهم في النفوس،مهابة وجلالة وأعرفهم بمصالح قبيلته وأقواهم كاملا على حمل الملك واضطلاعا بالتدبير والرياسة،مهدت له بذلك آثار الملك هو بعده،وكان مرموقا بعين النجلة،مؤملا للأمر عند المشيخة،وتعظمه من أمره عند الخاصة ويفزع إليه في النوائب العامة...**"(5).كيف تولى يغمرا سن حكم إمارة بني عبدالواد؟

---

(1)يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج1-ص 204- ابن الأحمر:المصدر السابق-ص59د.عبدالحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني-ص13 -رابح بونار:المرجع السابق-ص280*وعند ابن الأحمر50سنةو5أشهر.ينظرإلى تاريخ الدولة الزيانيةص60،وعند رابح بونار48سنة.ينظرإلى المغرب العربي ص292

(2) يحي بن خلدون:ج1-ص112-ابن الأحمر:تاريخ الدولة الزيانية-ص60

(3) العبر:ج7-ص- 153

(4) ابن الأحمر:تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان- -ص60

(5)ينظر إلى العبر:ج7-ص162-رابح بونار:المرجع السابق-ص292

يبدو أن بني عبدالواد قد سبقوا حميان وبني عامرفي خدمة الموحدين،بينما تجلى دور حميان وبني عامر في إمارة بني عبد الواد بحكم استقرارهم بصحراء تلمسان بعد أن ارتحلوا من شرق صحراء بني يزيد.مسك يغمراسن بالبيعة للرشيد بن المأمون الموحدي،ثم حاول الاستيلاء على ناحية الشلف فاستغاث أمراء بأبي زكرياء الحفصي(1).ونهض الأمير الحفصي بجيوشه إلى تلمسان فاحتلها سنة640هـ،ثم رأى أن يعقد الصلح مع يغمراسن على أن تقام الخطبة باسمه دون الرشيد(2).وبعد ذلك زحف السعيد الموحدي مابين سنتي 640هـ-646هـ بجيش قوي في اتجاه المغرب الأوسط،فتصدى له يغمراسن واعتصم بجبل جنوب وجدة(3)،وهناك وقع السعيد في كمين نصبه له جنود يغمراسن فقتل وانهزم جيشه،وغنم بنوعبدالواد ذخائره سنة646هـ(4).فقد حالف بنوعبدالواد القبائل العربية التي استقرت بالمغرب الأوسط،خصوصا بطون عرب زغبة التي جمعتهم وزناتة عصبية الحلف(5)،وازدادت مكانة شيوخ هذه القبائل حتى أسند يغمراسن في بعض الأحيان إلى عمر بن مهدي شيخ عرب سويد بن مالك بن زغبة ولاية تلمسان وما يتبعها عند خروجه لقتال أعدائه وذوي عبيدالله من عرب المعقل المجاورين لبني عامر بن زغبة المستقرين بجوار تلمسان(6).من هم عرب سويد؟تنسب سويد إلى بني مالك بن زغبة،ومن أشهر بطونهم ثلاثة سويد بن عامر بن مالك،والحرث. ومنهم عطاف بن زيان

---

(1)) يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج1-ص109

(2)ابن الأحمر:المصدر السابق-ص60

(3)العبر:ج7-ص163

(4)د.عبد الحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص13،وعند عطاء الله دهينة فإن يغمراسن بن زيان قد عين في سنة624هـ-1227م،عاملا على تلمسان وبلاد زناتة وهومنصب لم يتوله إلى حد ذلك الوقت سوى من كان من السلالة الملكية.ينظر إلى: الدولة الزيانية في عهد يغمراسن-ص359

(4)د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني:ص14

(5)نفسه ص14

بن يعقوب بن روى بن الحارث بن مالك.والديالم من ديلم بن حسن بن إبراهيم بن روى بن الحارث بن مالك وأولاد غريب ونجيس(1).ومن بطون سويد شبابة ومنهم الحساسنة وهم بنو حسان وفلمةأوفليته،وجوثة ومنهم بنومريح بن ثوابة ومجاهر ومنهم بنوسليمة وغفير وشافع ومالف وبنومقرر،وحمدان وبرحمة(2). وبوكامل ورياستهم في بداية بني عبدالواد في أولاد عيسى بن عبدالقوي بن حمدان وهم مهدي وعطية وطراد ثم تولى يوسف بن مهدي،رياستهم وتلاه أخوه عمر بن مهدي(3)،فكانوا أحلاف لبني بادين قبل الدولة وخاصة ببني عبدالواد،فأقطع يغمراسن يوسف بن مهدي بلاد البطحاء وسيرات وعنتربن طراد بن عيسى ماحول البطحاء،حيث كانوا يحصلون أتاوتهم على بلد سراة والبطحاء(4)،ثم تولى رئاسة القوم عثمان بن عمر ابن مهدي وتلاه أولاد ميمون سعيد ويحي،وانقلبت في عهدهم العلاقات مع بني عبدالواد،فلجأ عريف بن يحي وكذلك ميمون بن عثمان وابنه عريف إلى المرينيين بالمغرب،وتولى أولاد سعيد الناجعة من عرب سويد سمعون بن سعيد أولا ثم تلاه أخوه عطية بن سعيد،إلى أن آلت رئاسة جميع عرب سويد ومالك إلى ونزمار بن عريف بن يحي يساعده إخوته عيسى وأبوبكر ومحمد،حينما اثر ونزمار الترهب والابتعاد عن الصراعات القبلية تولى رئاسة سويد ميمون بن سعيد بن عثمان،فتآمر عليه أبوبكر ومحمد ودسا من اغتاله،واستبدا برئاسة سويد(5).ولماملك بنوبادين تلول المغرب الأوسط وأمصاره،استقرت بنوتوجين منهم بالتلول القبلية

---

(1)العبر:ج6-ص.ص58-59-محمد بن ماء العينين:الجأش الربيط في النضال عن مغربية شنجيط-ص.ص28-29

(2) العبر:ج6-ص48.د.مصطفى أبو ضيف عمر:القبائل العربية-ص226

(3) نفسه::ج6-ص.ص45-46- مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص 178

(4)نفسه:ص.ص45-46

(5) نفسه:ج6-ص.ص45-46

المحاذي لأوطان بني توجين،فهادنوهم وصاهروهم،وصاروا حلفاء لهم ضد بني عبدالواد،واستقر منهم بخيس بن عامر وأخوه سويد بضواحي وهران(2)..ففرضت عليهم المغارم،وصاروا الرعايا أهل الجباية،وأشهر زعمائهم عريف بن يحي كان مستشارا لدولة بني عبدالواد،ثم تحول لدولة بني مرين،ولعب دورا كبيرا في تاريخ المغرب الأقصى في القرن الثامن الهجري ثم ابنه ونزمار،واستقرت هبرة بن مجاهر بن سويد بنواحي البطحاء بالضفة اليمنى من نهر مينا،ورغم نسبهم في مجاهر بن سويد،فهم يزعمون أنهم من قوم المقداد بن الأسود وبالتالي فهم من قضاعة ومنهم من يزعم أنهم من تجيب إحدى بطون كندة،ومن بطون مالك ناجعة يعرفون بصبيح من علاج بن مالك لهم عدة وقوة ويظعنون مع سويد ويقيمون معهم(1).ولكن بني عبدالواد تمكنوا بزعامة يغمراسن من مقاومة الغزو المريني بفضل اعتمادهم على عرب بني يزيد التي تنتسب إليهم حميان،وكذلك على حصين ومالك وعروة وعامرمن زغبة وذوي عبيدالله من المعقل(2).ومن هنا بدأت إمارة بني عبدالواد تشكل قوة يعتد بها في المغرب،وأصبحت تطمح إلى الاستيلاء على المغرب الأوسط كله،وعلى الناحية الشرقية من المغرب الأقصى ممايلي نهر ملوية(3) فكان يغمراسن بعدذلك،متجها نحو تحقيق هذه السياسة،فخاض غمار كثير من الحروب ضد بني حفص حينما هاجمه أبوزكريا الحفصي،بسبب أن يغمراسن كان يميل إلى الرشيد بن إدريس الموحدي(4)،واستطاع أبوزكريا أن يحتل تلمسان لكثرة جيوشه،ولكنه حينما فكر فيمن يضعه أميرا عليها لم يجد أمامه شخصا يليق بها سواه

---

(1) العبر:ج6ص.ص 45-46-G.Marçais:les arabes en berbériep273-275-314-316

(2) في سنوات 670هـ-1271م- 679هـ-1281م ينظر إلى: ابن أبي زرع:الأنيس المطرب ص.ص207-226-ابن خلدون:العبر-ج7-ص86وص184-السلاوي:الاستقصا-ج3-ص.ص31-32

(3) د.عبد الحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني- ص14.مصطفى أبو ضيف أحمد عمر:المرجع السابق-ص188

(4)العبر:ج6-ص.ص45-46

فصالحه،وكان الساعي عن هذا الصلح هي أمه سوط النساء،وبعض أعيان الزيانيين وقد جاء في هذا الصلح أن على يغمراسن أن يتحالف مع الحفصيين ضد الموحدين.وأن يعترف ببيعتهم وسيادتهم فرضي بذلك،إلا أن أبا زكريا خشي من استفحال ملك يغمراسن،فرفع يده عن حكم قبائل توجين ومغراوة ومليكش،وأسند زعمائها غاراتها ليزاحموه على سلطانه(1)،وقام يغمراسن بحروب كثيرة ضد قبائل مغراوة،وبني مرين وأحلافهم من العرب غربا فهزموه في وادي إسلي سنة647هـ وبابي سليط سنة655هـ وبتلاغ سنة666هـ ،وبإسلي أيضا قرب وجدة سنة670هـ،وكان النصر فيها لغيره،ومع ذلك لم يستسلم أو يخضع لهم،وبسبب هزيمته كثر أعدائه،وتفوقهم عليه في عدتهم الحربية(2)،وضد بني توجين وأولاد منديل شرقا(3).عندما سقطت مدينة مراكش عاصمة الدولة الموحدية،ودانت بلاد المغرب لبني مرين حتى زحف يعقوب بن عبد الحق سنة657هـ 685هـ-1259م-1286م ببني مرين وقبائل العرب لاستخلاص سجلماسة من أيدي بني عبدالواد،فحاصرهم سنة كاملة وبعد انتصاره،تطلع يعقوب بن عبدالحق للاستيلاء على أملاك الدولة الموحدية السابقة خلال ازدهارها بالمغرب الأوسط بغزو تلمسان عدة مرات مستعينا بالقبائل العربية بالمغرب كسفيان والخُلط والعاصم وبني جابر من عرب الأثبج وذوي حسان والشبانات(4).إن الضغط الذي تعرضت له إمارة بني عبدالواد أثناء مرحلة التأسيس من جيرانها بني مرين وبني حفص،وقبائل زناتة هو الذي دفع بيغمراس إلى الاستعانة ببني عامر وحميان من زغبة

---

(1)يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج1-ص112

(2)نفسه:ص114

(3)د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى-ص14

(4)العبر:ج7-ص.84و184-د.مصطفى أبو ضيف عمر:القبائل العربية-ص225

ب-أسباب استدعاء يغمراسن لبني عامر وحميان: إذاكانت جهود يغمراسن هذه لم تكلل بانتصارات باهرة،فإنها تمخضت عن اتساع رقعة الإمارة العبدالوادية على حساب الإمارات المجاورة،وسمحت بالصمود أمام هجمات بني مرين،وإبعاد خطرهم عن المغرب الأوسط.تعود العلاقة الودية بين بني عامر وحميان إلى عهد الموحدين،بحيث كانت تربط بنوعامر وحميان ببني عبد الواد من جملة بني بادين علاقة حلف وعصبية،وازدادت هذه العلاقة خاصة بعد أن تولى يغمراسن بن زيان إمارة بني عبدالواد بعد وفاة أخيه أبي عزةزجدان والذي تمت مبايعته يوم الأحد الرابع والعشرين لذي القعدة سنة633هـ الموافق ل21جويلية 1236م(1).في تلمسان.بعد أن دخلت قبائل زناتة المنطقة التلية وأرياف المغرب الأوسط،أصبحت صحراء تلمسان خالية من بدو زناتة،ومن بدو عبد الواد التي دخلت الأمصار والمدن(2)،خاصة بعد أن أخضع يغمراس القبائل الزناتية المتمردة على سلطة بني عبدالواد كمغراوة وبني توجين،وكذلك بعد أن زحفت زغبة من أوطانها إلى التلول،استغل أهل أنقاد وهم عرب المعقل هذا الفراغ وأصبحت هذه القبيلة تهدد إمارة بني عبد الواد؛لأنها كانت تحتل موقعا استراتيجيا بين دولتي بني مرين وبني عبد الواد،وربما كان سبب هذا التهديد من ورائه بني مرين،الذين كانوا يريدون إضعاف إمارة بني عبدالواد،وأخذت عرب المعقل تعيث فسادا في هذه المنطقة وملأتها اضطرابا وفوضى(3).وفرضت على من بقي من عرب زغبة في القفار خفارة يختارونها من بكرات

---

(1) يحي بن خلدون:بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد-ج1-تحقيق وتقديم وتعليق د.عبد الحميد حاجيات-المكتبة الوطنية-الجزائر- 1980, ص204-د.عبد الحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزيانيص57 وعند د.عطاالله دهينة سنة624هـ ينظر إلى:الدولة الزيانية المرجع السابق ص359.

(2)Noël:op.cit.p139-الشرفي:المصدر السابق-ص23-د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق-ج3ص153-رابح بونار:المرجع السابق- ص293-د.حسين مؤنس:ج3- المرجع السابق- ص130-عبد الرحمن الجيلالي:ج2-المرجع السابق- ص151-شارل أندري جوليان:تاريخ إفريقية الشمالية- ص212

(3) العبر:ج6- ص42- د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:المرجع السابق-ص155

إبلهم، فأنفوا وتآمروا واتفقوا على محو العار بقيادة ثوابة بن جوثة زعيم عرب زغبة،فطردوا المعقل من أوطانهم بالصحراء(1)،وفي نفس الوقت ازدادت قوة بني عبدالواد فطردوا زغبة من التلول إلى أوطانهم بالصحراء،ولكن لم يذكر المؤرخون الأسباب التي دفعت ببني عبدالواد إلى طرد بني زغبة من التلول؟فالغالب على الظن أن بني عبدالواد تخوفوا من استفحال أمربني زغبة حيث ندرت الحبوب وقلت الأقوات،فهزلت مواشي زغبة وضعف أمرهم،وأعطوا الأتاوات والصدقة للدولة مرغمين إلى أن ضعفت دولة بني عبد الواد بسبب الهجمات الخارجية من جيرانها بني مرين وبني حفص،وتوالت ثورات أمراء بني عبدالواد بسبب الصراع حول السلطة تمكنت بعض بطون زغبة من العودة إلى التلول حيث الحبوب ووفرة الأقوات والرخاء،وأقطعت دولة بني عبد الواد النواحي والسهول والأمصار مقابل التحالف والمساندة والطاعة،حتى يتمكن أمراؤها من مقاومة الغزو الخارجي من ناحية والاستحواذ على السلطة والقضاء على منافيسهم المتطلعين للحكم من ناحية أخرى،وربما قد حدث هذا قبل استدعاء يغمراسن لبني عامر وحميان(2).ماهي أسباب استدعاء يغمراسن بن زيان لبني عامر وحميان؟لما أدرك يغمراسن المخاطر التي تهدده من جيرانه بني مرين وبني حفص وعرب المعقل،وقبائل زناتة من توجين ونازعه الأمر بني مطهر* من قبيله بمظاهرة بني راشد وممالأة من سائر القبيل(3).فكر يغمراس بن زيان في سياسة حكيمة يزع بها هذه القبائل

(1)العبر:ج6- ص42-د.مصطفى أبوضيف عمر:القبائل العربية-ص155-محمود بوعياد:جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري(15م)-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر-ص16-عبدالرحمن الجيلالي:تاريخ الجزائر العام-ج2-ص151

(2)العبر:ج6-ص42- مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص373

*بنومطهر:لاتزال توجد فروع من بني مطهر تسكن حاليا منطقة سيدي بلعباس،اندمج بعضها مع بني هلال،وأصبحت معربة،ولاتكاد تميز اليوم بينهم وبين العرب الهلالية

(3)يحي بن خلدون:بغية الرواد ج1ص114العبر:ج7-ص 42 - د.عبد الحميد حاجيات:أبو حموموسى الزياني ص57

بعضها عن بعض وفي خطة لحماية إمارته،وتقويتها بعد شعر بضعف موقفه اتجاه جيرانه.استدعى يغمراسن بني عامر وتبعتهم حميان وأصبحت في تعدادهم،كماجاء في رواية ابن خلدون"...**فلما ملك يغمراسن بن زيان تلمسان ونواحيها ودخلت زناتة إلى التلول والأرياف،كثر عيث المعقل،وفسادهم في وطنها،فجاء يغمراسن ببني عامر هؤلاء من محلاتهم بصحراء بني يزيد وهي المنطقة الممتدة بين المسيلة وجبل راشد المعروف اليوم بجبل العمور،وأنزلهم في جواره بصحراء تلمسان وهي منطقة العريشة وسبدو كيادا للمعقل ومزاحمة لهم بأقيالهم،فنزلوا هنالك وتبعتهم حميان من بطون بني يزيد بما كانوا بطونا وناجعة،ولم يكونوا حلولا فصاروا في عداد بني عامر لهذا العهد،أي عهد ابن خلدون،وتولت بنويزيد بلاد الريف وخصبه،فأوطن فيه أكثرهم...**"(1)(ينظرالخريطةرقم 3ص441)يفهم من رواية ابن خلدون أن يغمراسن لم يستدع حميان وإنما استدعى بني عامر؛لكي تواجه المعقل وربما كان يغمراسن يدرك قوة بني عامر سواء من حيث العدد أو العدة،وقدرتها على وضع حد لشغب المعقل والانتقام منها؛لأن المعقل أساءت العلاقة بينها وبين زغبة في الصحراء.وكذلك بحكم الجوار بين دولة بني عبدالواد وبني عامر.

---

(1) ينظر إلى العبر:ج6- ص42- عبدالقادرالمشرفي:المصدر السابق- ص25-د.عبد الفتاح مقلد الغنيمي:ج5و6- المرجع السابق-ص153- د.حسين مؤنس:ج3- المرجع السابق- ص 130- ابن الأحمر:المصدر السابق-ص24-عبد الرحمن الجيلالي:ج2, المرجع السابق- ص151. وعند نوال(Noèl)وفي سنة1259م استدعى أمير تلمسان يغمراسن بني عامر،ووضعهم في مقابل المعقل،وجاءت مع بني عامر حميان الشفاعة،وبقيت حميان الجنبة مستقرة بمنطقة قسنطينة ينظر إلى:Documents pour servir àl'histoire de hamyans.P139- رابح بونار:المرجع السابق- ص293- مبارك بن محمد الميلي:ج2-المرجع السابق- ص373-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:المرجع السابق-ص147-أحمد توفيق المدني:المرجع السابق- ص139

وعند يحي بن خلدون أغنه في يوم الأربعاء التاسع والعشرين من محرم فاتح سنة640هـ تجندت قبائل إفريقية لمؤازرة يغمراسن على تأسيس ملكه بتلمسان.ينظر إلى بغية الرواد-ج1- ص.ص 204 ـــ 205

ولحق حميان ببني عامر وكانوا بدوا رحلا حميان،ولم يكونوا مستقرين.واستولواعلى الأرياف واستغلواخصوبتها،فاستقرت أكثر بطون بني يزيد أبناء عمومة حميان،وتبين الرواية كذلك أن بطون بني يزيد* لحقت بحميان،مستغلة الظروف التي كانت تمر بها إمارة بني عبد الواد في تلك الفترة،وبقيت بعض بطون بني يزيد في أوطانها السابقة وهي وطن حمزة وبلاد بني حسن،وربما نزلت هذه البطون في قرى البربر وأصبحت من أهل الحاضرة أو احتمالا أنها بقيت ناجعة.وكان داود بن هلال بن عطاف بن يعقوب يتولى رئاسة بني عامر وحميان في عهد يغمراسن سنة633هـ-1236م،وكان رديفه ومساعده معرف بن رباب رئيس بني عامر بن حميد(1)،وبالتالي كانت حميان وبنوعامر بن شافع خاضعة لبني عامر بن يعقوب وحميد ،ولم تكن فيهم الرئاسة في عهد يغمراسن.ذكر بعض المؤرخين أن يغمراسن استقدم بني عامر وجعلهم بينه وبين المعقل،وحميان من بني يزيد سدا بينه وبين القبائل الغربية(2).وأنشأ يغمراسن من بني عامر وحميان صفوف جمع صف بضم الصاد،وجندا لإمارة بني عبد الواد،لحمايتها من هجمات الأعداء،ولما استعادت إمارة بني عبد الواد عافيتها،واطمأن يغمراسن على إمارته واستعاد قوتها،شعر بثقل وطأة الصفوف فصرفهم عن بلاده(3)وحجر بني عامر وحميان بالصحراء أي بصحراء تلمسان وأذلهم بالمغرم والعسكرة في جنده،واستمر على ضعفهم المالي والسياسي مدة عظمة إمارة تلمسان(4)لماذا تخلى يغمراسن بن زيان عن جنده من بني عامر وحميان؟

---

*لم يذكر ابن خلدون بطون بني يزيد التي نزحت مع حميان ،ولم يشير كذلك إلى البطون التي استقرت بمنطقة حمزة والدهوس،وإنما اكتفى بذكر بني يزيد،والغالب على الظن أن من بين بطون بني يزيد التي لحقت بحميان إلى صحراء تلمسان هم بنوعقبة،والمرابعة وأولاد لاحق.

(1) العبر:ج6-ص42-عبدالقادرالمشرفي:المصدر السابق-ص25مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق ج2ص373

(2) نفسه:ج6-ص51-رابح بونار:المغرب العربي-ص 298-عبدالرحمان الجيلالي:تاريخ الجزائر العام ج2ص122

(3) رابح بونار:المرجع السابق-ص293-د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:موسوعة المغرب العربي ج5و6- ص153

(4) ابن الأحمر:تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان-ص24

بعد أن استعاد قوة إمارته وهيبتها،وكانت هذه القبائل تشكل قوة إمارة بني عبد الواد(1).وكان لها الدور الحاسم في استعادة هيبة إمارة بني عبدالواد.فكيف كان ردفعل بني عامر وحميان من موقف يغمراسن السلبي؟فالغالب على الظن أن يغمراسن لم يتخل عن بني عامر وحميان بصفة نهائية،وإنما أبعدهم عن عاصمة الإمارة تلمسان،بل منحهم الإقطاعات في صحراء تلمسان،عكس ماذكره بعض المؤرخين أن يغمراس أذل بني عامر وحميان بدفع الضريبة،وأضعفهم ماليا وسياسيا،وأبقى عليهم كجند في صفوف قواته(2)؛ لأن يغمراسن كان يتميز بالحنكة السياسية والدهاء والشجاعة،وذا أخلاق فاضلة،وكان يحب العلم وأهله وكان حازما ومقداما،استطاع أن يوطد الأمن ونشر العدل ،من المستبعد أن تصدر عنه مثل هذه الأخطاء.فهو الذي استدعى بني عامرولا يمكن بإي حال من الأحوال أن يعاملهم معاملة سيئة،وهو الذي قال فيه يحي بن خلدون: "...**فارع الثنية وعاطف الحنية والمستأثر دون الملوك بالخلال السنية،ومظهر الريع والريعان, ومقيم حفلي الطعام والطعان،خليفة الله المرتضى،سيف حمايته المنتض،ووعد أمينه الصادق المقتضى،منيرا لأحلاك وناظم الأسلاك،وملك الشرفاء وشريف الأملاك أي علاء ومجد،وعلم كامل في نجد،ومكيف عناية وجد،طلع سعد أخبيته المسخر،وقد بدأ فرع الدولة المؤمنية المؤخر،فشاء سعد سعوده...**"(3)،فالرجل الذي يتميز بهذه الصفات الحميدة لايمكن أن يعامل جنده معاملة سيئة،ربما قد تخوف من قوة بني عامر وحميان العسكرية التي قد تحدث له قلاقل قرب عاصمة إمارته.وكان رد فعل بني عامر وحميان من موقف يغمراسن السلبي عاديا.

---

(1) مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص373

(2)د.حسين مؤنس:المرجع السابق-ج3-ص130-د.عبدالفتاح مقلد الغنيمي:المرجع السابق-ج5و6ص153 ابن الأحمر:تاريخ الدولة الزيانية-ص 24-مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص374

(3)ينظر إلى:بغية الرواد -ج1-ص190-رابح بونار:المغرب العربي- ص.ص293-294

وبقيت بنو عامر وحميان على علاقتها الطبيعية مع بني عبد الواد،ربما قد تفهمت موقف يغمراسن من ناحية وحياتها البدوية لا تسمح لها بالاستقرار بالقرب من عاصمة بني عبدالواد.لأن الحياة البدوية تتطلب مراعي واسعة،وهذه المراعي غير متوفرة بتلمسان من ناحية أخرى.رأى بعض المؤرخين والباحثين أن سبب استغناء يغمراسن عن بني عامر وحميان بعد أن استرجعت إمارته قوتها يعود إلى تخوف يغمراسن من أن تنافسه هذه القبائل العربية في الحكم،أو أن تؤدي إلى الإطاحة بنظام دولة بني عبد الواد،ولذلك قرر إبعادها عن محيط عاصمته(1)،وذهب بعض الباحثين أن بيت بني عبدالواد لم تكن له سياسة واضحة إزاء بني زغبة،فتقلب أمراء بنو عبدالواد من فريق منهم على فريق حسب الظروف،وكانت علاقة بني عبد الواد ببني زغبة ظرفية نتيجة اختلاف الحلفاء من وقت لآخر(2)،وكذلك نظرا لاضطراب أمزجة أمراء بني عبد الواد،واختلاف المصالح من عهد إلى آخر(3).كانت إمارة بني عبدالواد تحتاج إلى سيوف بني عامر وحميان في أوقات الشدة والحصار،وسرعان ما تنتهي هذه العلاقة بعد الانفراج،وكانت مصلحة بني عامر في دولة بني عبد الواد هو الدخول إلى منطقة التل والمزيد من الإقطاعات،فقال أحد الباحثين أن دوافع القبائل الحليفة لبني عبد الواد منفعية أكثر منها عاطفية،وعليه كان السلطان ملزم في هذه الحالة بإغداق الأموال،وتخصيص الرواتب والجريات لرؤساء تلك القبائل حفاظا على ولائهم للدولة(4).

(1) ابن الأحمر:تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان-ص24-مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص37

(2) بوزيان الدراجي:نظام الحكم في دولة بني عبدالواد الزيانية-ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر-1995-ص203

(3) نفسه:-ص203-رابح بونار:المغرب العربي:المرجع السابق-ص294-عبدالرحمان الجيلالي:تاريخ الجزائر العام-ج2-ص121-العكاك:موجز تاريخ الجزائر-ص347

(4) يحي بن خلدون:بغية الرواد -ج1-ص 112-بالعبر:ج7-162-بوزيان الدراجي:المرجع السابق-ص203-العكاك:موجز تاريخ الجزائر-ص346-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص-358

ويفهم من هذا القول أن بني عامر وحميان كانت علاقتهما بإمارة بني عبد الواد علاقة مصلحة،ولم تكن علاقة حلف وعصبية.بدأ تاريخ بنوعامر وحميان بشكل بارز مع قيام دولة بني عبدالواد،ولكن دور حميان السياسي والعسكري والاقتصادي كان غير مباشرا وخفيا،حيث طغى عليه النشاط السياسي والعسكري الذي قام به بنوعامر السياسي والعسكري طيلة فترة قيام دولة عبد الواد الزيانية.واحتمالا أن دور حميان كان جزء من دور بني عامر.ومن ثمة لا يمكن أن يستثنى حميان من الأحداث السياسية والعسكرية والاقتصادية التي شهدهما دولة بني عبدالواد منذ تأسيسها سنة1236م إلى غاية سقوطها سنة1554م.وكذلك تأثرت حميان بسياسة دولة بني عبد الواد سواء بإيجابياهما أوسلبياهما؛أو ربما قد التزمت حميان وبني عامر الشفاعة الحياد إزاء دولة بني عبد الواد بعد وفاة يغمراسن،وسيتضح ذلك من خلال التطورات السياسية والعسكرية لدولة بني عبدالواد.لقد سبق عرب سويد بني عامر وحميان في التحالف مع بني عبدالواد،فكانت تجمع سويد علاقات طيبة مع بني عبدالواد قبل ظهور دولتهم بالمغرب الأوسط،وبعد سيطرة بني عبدالواد على تلمسان وضواحيها اختص عرب سويد بحلفهم وولايتهم دون سائر بطون زغبة(1)،وقرب يغمراسن مؤسس إمارة بني زيان رؤسائهم من أولاد عيسى ابن عبدالقوي،فاختص مهدي بالرياسة عليهم ثم ابنه يوسف بن مهدي،ثم أخاه عمربن مهدي،وأقطع يغمراسن يوسف بن مهدي بلاد البطحاء وسيرات*،وأقطع عنتربن طراد ابن عيسى براري البطحاء،يأخذون أتاوهم من رعاياها(2).وبعد أن تدهورت العلاقات بين سويد وبني عبدالواد بسبب الفتنة بين يغمراسن وعمر بن مهدي والتي قتل فيها

---

(1)العبر:ج7-ص.ص143-145-د.مصطفى أبو ضيف عمر:القبائل العربية-ص188

*سيرات:توجد مدينة سيرات جنوب شرق مستغانم،والتي تبعد عنها بنحو 20كلم

(2)نفسه:ج6-ص46-د.مصطفى أحمد أبوضيف:المرجع السابق-ص188

عمر بن مهدي، طَرد بنوعبدالواد عرب سويد من التلول والأرياف(1)،فاستقروا بجوار أوطان بربر توجين في الصحراء،وهادنوهم وتصاهروا فيما بينهم حتى صاروا حلفاء ضد بني عبدالواد.وعندما تولى أبوتاشفين بن موسى بن عثمان ابن يغمراسن الحكم تقرب إليه عريف بن يحي زعيم عرب سويد لسابق علاقة ربطت بينهما أيام الصبا،ولكن سرعان ماغضب عليه بسبب تشبه عريف بن يحي بالملوك(2).في بعض تصرفاته المقصورة على أراء بني عبدالواد من ناحية،وتآمر هلال مولى أبي تاشفين على عريف من ناحية ثانية،فهرب عريف بن يحي إلى بني مرين سنة720هـ-1320م وأخلص في خدمتهم (3).نتيجة لذلك اتسمت العلاقات بين سويد وبني عامر بالعداء الشديد وحل بنوعامر وحميان محل سويد في خدمة ومحالفة إمارة بني عبدالواد وتأييدها(4)،وكان رد فعل سويد أن لعبت دورا رئيسيا في غزو بني مرين للمغرب الأوسط سواء بالتحريض أو الاشتراك في قوات بني مرين،وكسب طاعة القبائل العربية بالمغرب الأوسط لحساب حلفائهم من بني مرين،مماجعلهم في وضع مميز في الإمارة المرينية خصوصا وقد اعتمدوا عليهم وعلى أحلافهم من عرب العطاف*والديالم*(5). الأقل عددا وقوة من سويد(6).

---

(1) العبر:ج6-ص46-د.مصطفى أبوضيف عمر:القبائل العربية-ص158

(2) نفسه:ج6-ص46- مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص-374

(3)العبر:ج6-ص.ص46-48 -د.مصطفى أبوضيف عمر:القبائل العربية-ص159

(4)نفسه:ص.ص46-48-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص374

(5) نفسه:ص48-د.مصطفى عمر أبوضيف:القبائل العربية-ص159

*العطاف:توجد مدينة تحمل إسم العطاف،ربما يعود سبب تسميتها إلى القبيلة العربية المعروفة بالعطاف،وهي تقع على بعد 30كلم شمال الشلف،وهي تتوسط مدينة الشلف وعين الدفلة

*الديالم:يوجد واد يسمى بالديلمي،ربما يسمى بإسم هذه القبيلة العربية الهلالية،ويقع جنوب غرب المدية،ويبعد عنها بنحو 20كلم،وبالتحديد قرب قرية حربيك،بل توجد قبيلة بالمدية تحمل إسم الديلمي.

(6)العبر:ج6-ص48-مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص374-د.مصطفى أبوضيف:المرجع السابق-ص159

ويبدوأن الخلاف الذي وقع بين بني عبدالواد وعرب سويد قد حدث ذلك قبل استدعاء يغمراسن لبني عامر وحميان،وعلى هذا الأساس حاول يغمراسن بن زيان أن يعوض بني عامر وحميان بعرب سويد لتقوية صفوف جيشه أمام قبائل زناتة المتمردة ضد بني عبدالواد،وكذلك ضد أعدائه من بني عمومتهم بني مرين وبني حفص.أو احتمالا خلال فترة تحالفه مع عرب سويد.

خلاصة القول:ومن ثمة يمكن القول أن إمارة بني عبدالواد لجأت إلى تجنيد بني عامر وحميان لمواجهة بني عمومتهم عرب سويد،وكذلك عرب المعقل وعليه فإن بني عبدالواد أرادوا استغلال عرب زغبة لخدمة إمارقم،لكن يلاحظ أن المؤرخين وجهوا التهم إلى عرب زغبة على أنها كانت تتلاعب بمصير إمارة بني عبدالواد،مع أن الصراع بين إمارة بني عبدالواد وبني مرين تارة،وبني عبدالواد وبني حفص تارة أخرى كان يأخذ شكل الإغارة والغزو والتدخل في الشؤون الداخلية.ولم تكن هناك علاقات سياسية أو علاقات دبلوماسية واضحة بين هذه الإمارت الثلاث،فمبجرد أن يحدث سوء تفاهم بين أمراء هذه الإمارت،تندلع الحرب ويتم الغزو،وسرعان ما تلجأ كل إمارة من الإمارات الزناتية الثلاثة إلى توظيف القبائل العربية الهلالية في الصراع،مما جعل القبائل العربية الهلالية تتفطن لضعف هذه الإمارات السياسي والعسكري،وقد سبق أن اتهمت قبائل بني هلال على أساس أنهاكانت سببا في انهيار وسقوط الدول البربرية التي كانت قائمة في بلادالمغرب،بدء بالإمارة الزيرية ثم الحمادية والموحدية،مع أن الصراع في الواقع كان بين فروع صنهاجة ،أوبين زناتة وصنهاجة مثل الصراع المرابطي الموحدي تارة أوالنزاع الزناتي الزناتي مثل الصراع المريني الحفصي العبدالوادي تارة أخرى.

إن مشاركة بني هلال بصورة عامة في صراع الإمارات البربرية منذ دخولهم إلى بلاد المغرب كان بدافع الحفاظ على وجودهم وكيانهم وعلى مصيرهم وحقوقهم،وحماية استقرارهم من ردود فعل الإمارت البربرية التي كانت قائمة في بلاد المغرب،وكذلك من

أجل الحفاظ على موازين القوى بين الإمارات في المغرب الإسلامي.

ج-دور بنوعامروحميان في دولة بني عبدالواد681-703هـ-1282-1359م:

ج1-في عهد الأمير أبي سعيد عثمان الأول: كان دور بنوعامر وحميان في دولة بني عبدالواد خلال الفترة الممتدة مابين 1282م و1359م يتوقف على الظروف السياسية التي كانت تمر بها دولة بني عبد الواد،وعلاقتها بجيرانها التي كانت تتميز بالصراع تارة والاستقرار والهدوء تارة أخرى،وعلى أمزجة أمراء بني عبد الواد(1)،حيث تقلص دور بنو عامر وحميان بعد وفاة يغمراسن خاصة بعد أن حل مخزن الإمارة الذي لم يعد يعتمد عليه(2)،ومع ذلك لعب بنوعامروحميان دورا أساسيا في إمارة بني عبدالواد،وقد تجلى ذلك في حمايتها من الاعتداءات التي كانت تتعرض لها من إمارتي بني مرين وبني حفص ومن تحرشات سويد.أما في عهد أبي سعيد عثمان الأول بن يغمراسن الذي تولى الحكم مابين سنتي681هـ-ذي القعدة 703هـ الموافق ل1282م-1303م(3)فإنه قداعتمد قبائل بني عبدالواد وزناتة،وفي عهده نقضت كثير من القبائل العربية ومنها بني عامر طاعتها؛لأنه استخدم ضدها أسلوب العنف فكانت النتيجة أن اشتد الضيق على تلمسان(3).وسرعان ماتفطن ابنه أبوزيان بن عثمان الذي خلف أباه مابين سنتي 703هـ و21شوال707هـ- الموافق ل 1303م-1307م.

(1)ابن الأحمر:الدولة الزيانية-ص29-بوزيان الدراجي:المرجع السابق-ص203

(2) العبر:ج6-ص52.د.مصطفى أبوضيف:المرجع السابق ص د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص14

(3) ابن الأحمر:الدولة الزيانية-ص29 رابح بونار:المرجع السابق-ص-293-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص14

إن قوة إمارة بني عبدالواد تكمن في استرجاع قبائل بني عامر وحميان وسويد التي تسرع يغمراسن في إبعادها عن بلاط بني عبدا لواد(1).ولما تولى أبوزيان بن أبي سعيد عثمان بن يغمراسن أمر الدولة،أراد أن ينتقم من البربر والعرب الذين مالأوا المرينين في ناحية السرسو الواقعة جنوب وهران،وأقوى جماعتهم بني عامربن يعقوب من بني زغبة،ولكنه لم يستطع فاضطر إلى مصالحتهم(2).إن تصلب مواقف بعض أمراء بني زيان،وعدم استقرارهم على سياسة واضحة،وتأرجح ميزان القوى تارة لصالح بني مرين وتارة أخرى لصالح بني حفص على حساب بني عبدالواد(3)،هو الذي أثر سلبا على تماسك بني عامر،وأدى ذلك إلى انشقاقهم وانقسامهم،وبالتالي أثرواعلى حميان كجزء من بني عامر،خاصة في عهد أبي حمو موسى الأول سنة718هـ-1318م.وفي ذي الحجة 681هـ-1282م،وقع أول خلاف سياسي بين عثمان بن يغمراسن وشيخ بني عامر الذي عاصر أباه يغمراسن بسبب موقف شيخ بني عامر داودبن هلال بن عطاف اتجاه الأمير أبي زكرياء بن السلطان أبي إسحاق الحفصي،حيث قام داود بن هلال بمساعدة أبي زكريا على الفرار من تلمسان،وفي رواية مبارك الميلي"...وكان أبو زكريابن إسحاق الحفصي لدى عثمان بن يغمراسن،وأراد امتلاك بجاية على عمه أبي حفص،فتظاهر بالصيد ولحق بداود بن هلال،فأمره عثمان برده..."(4). فأبى فسخط عثمان دواد

(1)ابن الأحمر:الدولة الزيانية- ص25-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر-ج2-ص178-رابح بونار:المغرب العربي-تاريخه وثقافته-ص293

(2) العبر:ج6-ص52-بوزيان الدراجي:نظم الحكم في دولة بني عبدالواد-ص204 شارل أندري جوليان:تاريخ شمال إفريقية-ص203

(3) بوزيان الدراجي:نظام الحكم في دولة بني عبدالواد-ص 204-مبارك بن محمد:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص178- رابح بونار:المغرب العربي-ص293-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني:ص14

(4)العبر:ج6-ص52-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص178-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص230

بن هلال فلحق بالصحراء..."(1).ولكن ابن خلدون لم يذكر في روايته أن داود بن هلال التحق بالصحراء،بعد أن دب الخلاف بينه وبين عثمان بن يغمراسن،وعندما قرر عثمان بن يغمراسن إرجاع أبا زكريا،رفض داود أمر عثمان وإخفار ذمته في ذلك(2).ورافق داود أبا زكريا حتى نزلا على عطية بن سليمان من شيوخ الذواوذة،وقد استولى أبو زكريا على بجاية وقسنطينة.وأقطع دواد بن هلال بن عطاف وطنا من بلاد حمزة يسمى كدارة(3) مقابل موقف دواد الشجاع اتجاه أبا زكريا الذي أنقذه من قبضة بني زيان،وبقي دواد شيخ بني عامر وحميان في مجالاته الأولى(4) وهي صحراء بني يزيد ،إلا بعد أن هاجم يوسف بن يعقوب المريني تلمسان وطال حصاره لها،وفد عليه داود ربما يطلب الحماية والنجدة،وقد حمله صاحب بجاية وهو أبو زكريا إلى يوسف بن يعقوب الذي شك في أمر هذه الرسالة،أو تخوف يوسف بن يعقوب من خلفيات ماورد في نص هذه الرسالة؛أوربما كان وطال حصاره لها،وفد عليه داود ربما يطلب الحماية والنجدة. يعتقد أنها مؤامرة تحاك ضده من طرف أبي زكريا وداود بن هلال ضد السلطان المريني يوسف بن يعقوب الذي وصل نفوذه إلى بلاد الحفصيين،فلما عاد داود متجها إلى موطنه بالدهوس،بعث يوسف بن يعقوب في أثره فرسان من زناتة نصبوا له كمينا في سد ببني يبقى،وفي رواية الميلي بسيق فقتلوه(5).وخلفه في رئاسة بني عامر ابنه سعيد،في الوقت الذي انجلى الحصار عن تلمسان. فرضي بنو زيان عن سعيد بن داود، بني مرين جريمة

(1)ينظر إلى:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص178

(2)العبر:ج6-ص52-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص230

(3)نفسه:ص52-مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ص179-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:المرجع السابق-ص230

(4)العبر:ج6-ص53-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص231

(5) العبر:ج6-ص52-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ص178- د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص159

قتل في حقه أبيه داود(1)،ولكن ابن خلدون لم يذكر أن بني زيان رضوا عن سعيد بسبب مقتل أبيه على يد بني مرين،وإنما ذكر أن أبناء عثمان بن يغمراسن قاموا بإرجاع أبناء داود إلى موطنهم ومع قومهم بقوله"...وكان قبل مرين وسيلة رعاها لهم بنو عثمان بن يغمراسن،فرجعوهم إلى مواطنهم ومع قومهم..."(2)،ربما أدرك بنوزيان أهمية بني عامر في الدفاع عن إمارة بني زيان،خاصة وأنهم فقدوا الحليف عرب سويد أيام يغمراسن،وبعد أن عاد أولاد معرف بن سعيد من غيبتهم،بدأ الشقاق يدب بين بني عامربن يعقوب وبني عامربن حميد بسبب المكانة السياسية التي احتلها بنوحميد في بلاط بني عبدالواد،فهذه الغيرة هي التي دفعت سعيد بن داود إلى أن يفد على السلطان المريني أبي ثابت يحرضه على إمارة بني عبدالواد للانتقام من أبناء عمومته بني حميد،فلم يصادف محلا ورجع إلى قومه ربما كان سعيد ابن داود يريد أن يجد لقومه مكانة في البلاط المريني ينافس بها أبناء عمومته بني عامر بن حميد(3).وكان بنوعامر يشكلون كتلة واحدة متماسكة(4).مالبث أن ازدادت حدة الخلاف بين بني عامر بن يعقوب وبني عامر بن حميد.ولكن لم يذكر المؤرخون بني عامربن شافع وحميان في هذا الصراع،ربما التزمت هذه الأطراف الحياد إزاء ماكان يحدث بين أطراف النزاع من بني عامر.أوكانت حميان وبنوعامربن شافع طرفا مواليا لأحد المتصارعين،ويلاحظ أن المؤرخين قد تغافلوا عن ذكر موقف بني عامر بن شافع وحميان من الصراع الذي وقع بين بني عامر بن يعقوب

(1) العبر:ج6–ص52–مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث–ج2– ص374

(2) نفسه:ص52–د.مصطفى أبوضيف عمر:القبائل العربية–ص159

(3) نفسه:ص53 –مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث–ج2–ص375

(4)نفسه: ص52–بوزيان الدراجي:نظم الحكم في دولة بني عبدالواد–ص204

وبني عامر بن حميد،ولم تزل المشاحنات بينهم أي بين بني عامربن يعقوب_وبني عامر بن حميد،حتى حصلت عداوة بين إبراهيم بن يعقوب بن معرف وسعيد بن داود فقتل إبراهيم بن يعقوب سعيد بن داود(1).وقتل ماضي بن ردان من أولاد معرف بن عامر بمجالاته فتعصب وتحالف ضد أولاد رباب كلهم،وكانت نتيجة ذلك أن انشق بنوعامر على أنفسهم،وانقسموا إلى حيين هما:بنويعقوب وبنوحميد،وحدثت القطيعة بينهما في عهد أبي حمو موسى الأول بن عثمان بن يغمراسن سنة707هـ-718هـ-1307م-1318م(2)،وتولى رئاسة بني يعقوب بعد مقتل سعيد ابنه عثمان،بينما تولى رئاسة بني حميد بعد إبراهيم بن يعقوب ابنه عامر بن إبراهيم،وكان شهما حازما له صيت،وحل بالمغرب قبل عريف بن يحي،ونزل على السلطان المريني أبي سعيد(3)،وأصهر إليه ومده السلطان أبو سعيد بالمال،ربما كان يريد الاستعانة ببني مرين ضد أبناء عمومته بني يعقوب بن عامر،وكان عثمان بن سعيد رئيس بني يعقوب يتحين الفرصة للغدر بعامر بن إبراهيم حتى قتله في بيته(4)،وكان لهذه الجريمة التي ارتكبها عثمان بن سعيد والتي تنكر لها بنوعامربن حميد،أن حدثت القطيعة النهائية بين بني يعقوب وبني حميد.فكانت نتيجة أن تحالف بنو يعقوب مع سويد ضد أبناء عمومتهم بني حميد،واستطال ولد عامر بن إبراهيم بقومه على بني يعقوب فلحق بنو يعقوب بالمغرب الأقصى،ولم يزالوا به إلى أن جاءوا في جيش أبي الحسن المريني في شوال736هـ-1337م(5)

.

(1) نفسه:ص52-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر-ج2-ص375

(2) نفسه:ص52-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص159

(3) نفسه:ص53-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر-ص376-د.مصطفى ابوضيف احمد عمر:القبائل العربية-ص159

(4)العبر:ج6-ص52-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص374

(5)نفسه:ص52-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص374-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:المرجع السابق-ص 158

ج2-دور بنو عامر وحميان في عهد أبي زيان بن أبي سعيد عثمان:يبدو من الأحداث التاريخية السابقة أن بني عامر في بداية تأسيس إمارة بني عبدالواد،كانوا يشكلون كتلة واحدة،وشاركوا في كثير من المعارك والحروب التي شنها يغمراسن،ولكن فجأة حدث الانشقاق في صفوف بني عامر بين جناحي بني يعقوب وبني حميد خاصة بعد أن تعكرت العلاقات بين دواد بن هلال والأمير أبي سعيد عثمان بن يغمراس،ربما بسبب اختلاف المصالح بينهما،أوحول من يحتل مكانة في بلاط بني مرين،ووصل النزاع بينهما إلى حد الاقتتال،بل أخذ الصراع والتنافس الداخلي بين بني عامر منحا سياسيا،حيث دفع بنوعامر بن يعقوب إلى محالفة عرب سويد وحددت موقفها من بني عبدالواد،ودفع بنو عامربن يعقوب وسويد إلى تحريض السلطان أبي الحسن المريني على غزو إمارة بني عبدالواد،واتسعت دائرة الصراع بين بني عامر،فلم يبق بينهم فحسب بل أصبح بين إمارتي بني عبدالواد وبني مرين.وبالتالي أخذ هذا الصراع طابعا إقليميا،ووجد سلاطين بني مرين فرصة لتوسيع رقعتهم على حساب إمارة بني عبدالواد،وهذا مايبين تأثير قبائل بني زغبة على سياسة الإمارات الثلاثة،وفي خضم الغزو المريني للمغرب الأوسط قتل عثمان بن سعيد على أيدي أولاد عريف بن سعيد الذين ثأروا لعامر بن إبراهيم،وتولى رئاسة بني يعقوب بعد مقتل عثمان ابن عمه هجر بن غانم بن هلال الذي كان مساعدا له أورديفا له في حياته،ثم قتل هجر بن غانم وخلفه سليمان بن داود(1).متى استولى السلطان أبو الحسن المريني على تلمسان،وما موقفه من بني عامر بن حميد وحميان؟ زحف أبو الحسن المريني إلى نواحي تلمسان سنة732هـ-1332م(2) ونزل بتسالة ربما لمراقبة تحركات قوات بني عبدالواد والتجسس على استراتيجية أبي تاشفين. مهددا إمارة بني

(1) العبر:ج6-ص52-مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص379

(2) ينظر إلى أبي حمو موسى الزياني-ص18

عبدالواد، ثم بعث أبو الحسن المريني إلى صهره الحفصي يدعوه إلى مهاجمة عسكر بني عبدالواد المتمركز قرب بجاية،وهض أبو يحي الحفصي متجها نحو بجاية(1)،وعندما علم جنود بني عبدالواد باقترابه فروا من مقرهم وأسلموه للحفصيين سنة733هـ،ربما يعود ذلك إلى نقص الإمدادات العسكرية بسبب بعد تلمسان العاصمة عن بجاية.ثم حاصر أبو الحسن المريني تلمسان سنة735هـ(2)،وأحكم حصاره واستعمل في حربها أحدث الآلات المعهودة آنذاك،ولم يتمكن أبوتاشفين وجيشه من حمل الجيش المريني على الإفراج عن تلمسان،وكان أبو الحسن أثناء الحصار يبعث عساكره إلى نواحي المغرب الأوسط(3).فاحتل جميعا وفي 22رمضان 737هـ-24إبريل1337م اقتحم الجيش المريني عاصمة بني عبدالواد تلمسان،واحتلها عنوة وانحاز أبو تاشفين وثلاثة من أبنائه ووزيره موسى بن علي الغزي إلى باب القصر يقاتلون دون الحرم والأولاد إلى أن قتلوا جميعا،فكان ذلك أول انتصار هام حققه بنومرين في المغرب الأوسط،ويبدو أن قوات بني عامر بن حميد وبنوعامر بن شافع وحميان لم تشارك في هذه المعركة،مما عظم نفوذ أبي الحسن المريني وظهر بمظهر السلطان القوي،وذاع صيته في الآفاق،وتأكد لدى الجميع أن نجم بني عبدالواد قد أفل،وأن دورهم التاريخي قد انتهى(4).ولما استولى أبو الحسن المريني على تلمسان فربنوعامر بن حميد إلى الصحراء،وكان شيخهم في تلك الفترة صغير بن عامر(5)،لماذا فر بنوعامربن حميد وشافع وحميان من السلطان المغربي أبي الحسن المريني؟ربما خوفا من انتقام بني عامر ابن يعقوب الذين حالفوا بني مرين..

---

(1) د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص 21

(2)نفسه: ص21

(3)نفسه:ص23-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:المرجع السابق-ص188

(4)د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص23

(5)العبر: ج6-ص52-عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص24

أو ربما لأن بني عامر بن حميد حالفت بني عبدالواد.لماذا كان السلطان أبو الحسن المريني يريد استمالة بني عامربن حميد؟ فالغالب على الظن أن السلطان أبي الحسن المريني كان يهدف من وراء استقطاب بني عامر بن حميد إلى إضعاف قوة بني عبد الواد ليسهل عليه السيطرة على إمارة بني عبد الواد،ومع ذلك تمكن السلطان المريني أن يستميل بنوعامر ابن حميد من أولاد رياب وهم قوم صغير وذلك بواسطة عريف بن يحي؛وعين عريف بن سعيد شيخا من بني عمومة بني حميد وأولاد رياب وهو يعقوب بن العباس بن ميمون.فوفد على السلطان أبي الحسن المريني بعد ذلك عمربن إبراهيم عم صغير فولاه السلطان عليهم أي على من انضم من بني عامر بن حميد إلى السلطان المريني إلا صغيربن عامر شيخ بنوعامربن حميد الذي خالف إخوته،ورفض الانصياع للسلطان المريني،فاستغلهم في حربه ضد بني زيان(1).وذهب المؤرخون أن بني عامر قوم صغير شاركوا في معركة القيروان،حيث وفد صغير ابن عامر على السلطان أبي الحسن المريني طالبا الاعتذار،فقبل منه السلطان ذلك واسترهن أخاه أبابكر،الذي رافق السلطان إلى تونس،وشارك معه في معركة القيروان(2).بينما ذكر أحد الباحثين أن بني عامر قاموا بدور ايجابي في مقاومة الغزوالمريني للمغرب الأوسط،واسترداد أملاك بني عبدالواد بعد استيلاء أبي الحسن المريني على تلمسان سنة737هـ-1337م(3).فعندما زحف السلطان أبو الحسن المريني لغزو تلمسان وحاصر المدينة،وأثناء تفقده لحصونها ومعاينته لأبوابها،فاجأه فرسان بني عبدالواد مقلدين مافعله يغمراسن بالسعيد الموحدي(4). وكادوا أن يغتالوه لولا وليه عريف بن يحي أمير عرب سويد الذي دافع بإخلاص عن سيده حتى

(1)العبر: ج6-ص.ص52-53-الزركشي:تاريخ الدولتين-ص81-السلاوي:الاستقصا-ج3-ص.ص154-155

(2)نفسه: ج7-ص.ص259-260-السلاوي:الاستقصا-ج3-ص.ص132-133

(3)د.مصطفى أبوضيف عمر:القبائل العربية-ص157

(4)العبر: ج7-ص42-السلاوي:الاستقصاج3-ص.ص133-134

لحقت بهم الإمدادات،ودخل بنومرين تلمسان في 748هـ-1347م(1)،قام عريف بن يحي باستئلاف القبائل العربية بالمغرب الأوسط لحساب سلطانه،فحالفت بطون حميد وأولاد رباب من بني عامر بن زغبة المرينيين،ماعدا بعض من بني عامر بقيادة صغير والديالم وأولاد ميمون بن غانم بن سويد منافسي أولاد عريف،فقد فضلوا ملازمة بني عبدالواد وهربوا إلى الصحراء،واستقروا بقليعة بعيدا عن متناول أعدائهم(2)،وعندمامرض أبو الحسن المريني بمدينة متيجة،ظن أبناؤه عبدالرحمان وأبومالك أنه على وشك الهلاك فجند كل منهما الأعوان،وما أن شفي أبو الحسن المريني حتى سكنت الفتنة،وأدار أنصار الأمس ظهورهم للأميرين فاشتد جزع الأمير عبدالرحمان وفر إلى أولاد علي من أمراء زغبة بأرض حمزة وهم بنويزيد التي تنتمي إليهم حميان،المحالفين لبني عامر طالبا مساعدتهم ضد أبيه،فقبض عليه أميرهم موسى بن أبي الفضل،وأعاده إلى أبيه الذي اعتقله،وأودعه السجن فتفرق خدمه في الجهات(3).يفهم من الأحداث السابقة أن بني عامر أصيبوا على المستوى الداخلي بالاغتيالات،وعلى المستوى الخارجي بالانقسام،واسُتغلوا كجند في الإمارتين المرينية والعبدالوادية،وأصبح كل طرف منهم يقاتل الثاني،كذلك يستخلص من هذه الأحداث أن بني عامر ومن جملتهم حميان انقسمت إلى ثلاث أجنحة بعد غزو أبي الحسن المريني للمغرب الأوسط،فقد حسم بنو عامربن يعقوب موقفهم من الغزو المريني،فهم الذين كانوا وراء هذا الغزو،أما بنوعامربن حميد فإنهم كانوا موالين لبني عبدالواد، ولكن بعد مطاردة السلطان المريني لهم استسلم البعض منهم للسلطان،

(1)العبر:ج7-ص.ص259-260-السلاوي:الاستقصا-ج3-ص.ص133-134د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص157

(2) العبر:ج7-ص 259-260- -يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص28-السلاوي:الاستقصا-ج3-ص.ص133-134 د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية في المغرب-ص188

(3)د.عبدالحميد حاجيات:أبوحموموسى الزياني-ص25

وتمرد البعض الأخر بزعامة صغير بن عامر وفر وأتباعه من بني عامر بن حميد ولجأوا إلى موطن الذواودة،ونزلوا على يعقوب بن علي وقد استقربهم المقام عنده،وقد تضاربت آراء المؤرخين حول موقف بني عامر بن حميد وبني عامر بن شافع وحميان أتباع صغيربن عامر،فذهب بعض المؤرخين والباحثين أن صغير بن عاموفد على السلطان المريني أبي الحسن وشارك معه في معركة القيروان،والبعض الأخر من المؤرخين والباحثين ذهب إلى القول بأن بني عامر بن حميد واجهت السلطان أبي الحسن المريني عندما غزى تلمسان والراجح أن بني عامر بن حميد واجهت السلطان أبي الحسن المريني دفاعا عن إمارة بني عبدالواد.ولكن عندما سيطر السلطان المريني على المغرب الأوسط وتطلع إلى غزو إفريقية،فاحتمالا راجع صغير بن عامر موقفه من بني مرين،خاصة بعد أن لاحظ أن أمراء بني عبد الواد انضموا إلى جيش أبي الحسن المريني في معركة القيروان(1)،أوربما كان صغير بن عامر وأتباعه من ضمن جيش بني عبدالواد الذي أعلن انضمامه إلى الجيش المريني في معركة القيروان وكان ذلك في عهد أبي تاشفين،حتى شبوا نار الفتنة بالدعي بن هيدورشبيه أبي عبدالرحمن بن السلطان أبي الحسن،وقد ساعد هيدور المشبه بأبي عبد الرحمن بن أبي الحسن الناقمين على الدولة المرينية من الديالم وأولاد ميمون بن غنم بن سويد فاجتمعوا له وبايعوه(2).ولما بلغ السلطان أبوالحسن خبر مبايعة عرب بني عامربن حميد وعرب سويد والديالم والعطاف لهيدور المشتبه بأبي عبدالرحمن.بعث بونزمارلمحاربتهم فنهض ونزمارإليهم،وأوقع بهم وقضى عليهم ومزق جمعهم(3).

(1)د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني–ص25

(2) العبر:ج6– ص53– د.عبد الحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني –المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر– 1980– ص84–د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية– ص157

وفر صغير بن إبراهيم وأتباعه من بني عامربن حميد(1)إلى القفار وقطعوا العرق الرمل الذي يعد سياجا على مجالات العرب،ونزل صغير وأتباعه بقليعة والد واستقرها.واحتل صغير وقومه مكانة خاصة في بلاط بني عبدالواد(2) بسبب ولائه لإمارة بني عبدالواد.

ج3-دوربنوعامر بن حميد وحميان في عهد الأميرين أبي سعيد وأبي ثابت:بعد أن تحول عرب سويد إلى خدمة بني مرين،اتسعت رقعة الدولة المرينية خاصة خلال عصري أبي الحسن علي بن عثمان وابنه أبي عنان في الفترة من 731هـ إلى 759هـ 1331م-1358م(3)،واتصل ملك بني مرين مابين برقة إلى السوس الأقصى،وفي المغرب الأقصى قام الصراع في البيت المريني حول السلطة،وتأرجحت طاعة مدن المغرب الأقصى بين أبي الحسن وابنه أبي عنان على أن تقرر مصير الصراع بينهما على أرض المغرب الأوسط وبيد قبائله العربية(4)،فقامت سويد بقيادة عريف وابنه ونزمار وأنصارهم من عرب حصين والعطاف والديالم للقضاء على ثورة أبي عنان ومحالفه من بني عبدالوادوعرب بني عامر،والتقوا جميعا بوادي ورك من بلاد العطاف في 750هـ-1348م(5)وهزمت سويد وأحلافها.فلجأ الأمير الناصر بن أبي الحسن إلى أمير بسكرة ولجأ عريف بن يحي إلى أبي عنان بالمغرب الأقصى(6)وفي المغرب الأوسط اجتمع إلى أبي الحسن المريني عدد كبير من عرب سويد والديالم والعطاف والحرث وحصين(7).

---

(1)د.عبد الحميد حاجيات:إحياء الدولة الزيانية-الجزائر في التاريخ-ج3- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1984- ص401-د.يحي بوعزيز:المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد-ص20

(2)العبر:ج7-ص260

(3)نفسه ص 260- يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص28-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص84

(4)نفسه:ص260-يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص28-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص.ص171-172

(5) نفسه:ص260-بغية الرواد-ج2-ص28-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص84

(6)بغية الرواد:ج2-ص28-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص172

(7)العبر:ج7-ص260-بغية الرواد-ج2-ص29

بقيادة ونزمار بن عريف بن يحي السويدي ومن التف حوله من عرب الثعالبة،فزحف بهم إلى تلمسان،والتقى بقوات بني عبدالواد وحلفائهم من عرب بني عامر بقيادة الأمير ثابت(1)،فهزمت القوات المرينية وقتل الناصربن أبي الحسن،وفر أبو الحسن ووليه ونزماربن عريف إلى الصحراء،حتى بلغ سجلماسة بالمغرب الأقصى عازما على استرداد ملكه،وزحف أبو عنان لملاقة أبيه وكتب عريف بن يحي إلى ابنه ونزمار بن عريف ينصحه ومن معه من عرب سويد بالتخلي عن أبي الحسن مهددا إياه بقتل ابنه عنتر بن ونزمار الموجود معه فاثر ونزمار رضا أبيه ولحق ببسكرة(2)،مما اضطر إلى اللجوء إلى جبل هنتاتة بلاد المصامدة بالأطلس الكبير.وفي عهد السلطان أبي عنان المريني ارتفعت مكانة ونزمار بن عريف أمير عرب سويد،فأقطعه أبو عنان بلاد السرسو وقلعة ابن سلامة وكثيرا من بلاد توجين (3).والتف بنوعامر بن حميد ومن معهم من بني عامر بن شافع وحميان حول الأميرين وهما أبوسعيد بن عبدالرحمان بن يحي بن يغمراسن وأخوه أبوثابت،وغادرا إفريقية متجهين نحو عاصمة أسلافهم تلمسان لإحياء إمارة بني عبدالواد تمكن السلطان أبو الحسن المريني أن يستميل بطون بني عامر بن حميد وأولاد رباب أورياب في بعض نسخ ابن خلدون وتم له ذلك بواسطة عريف بن يحي،وفي نفس الوقت ذكر عبدالرحمان بن خلدون بقوله:"ثم عاد أبوبكر إلى قومه بني عامربن حميد،والتحقوا جميعا بإمارة بني عبدالواد،واستخدموا قبائلهم لأبي سعيد عثمان ابن عبدالرحمن بن يحي بن يغمراسن الدائل بتلمسان بعد واقعة القيروان(4).

(1)العبر:ج7-ص117-118-279-283-يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج1-ص.ص153-154

(2) العبر:ج 6- ص52حاجيات:بد الحميد حاجيات:إحياء الدولة الزيانية-ص401 أبوزيان الدراجي:نظام الحكم في دولة بني عبدالواد-ص204

(3)العبر:ج7-ص119و285-يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج1-ص156-السلاوي:الاستقصاج2ص.ص171-172

(4)ينظرإلى العبر:ج6-ص47

يفهم من نص ابن خلدون أن بني عامر بن حميد وربما بني عامر بن شافع وحميان بعد أن انتهوا من معركة القيروان وتم الإفراج عن أبي بكرمن طرف أبي الحسن،التحق بنوعامر بن حميد ومن معهم من بني عامر بن شافع وحميان بإمارة بني عبدالواد،وسخروا قبيلـــهم لخدمة أمير أبي سعيد بن عثمان.وقد حد ابن خلدون تاريخ التحاق بنوعامر بن حميد بأبي سعيد بن عثمان وكان ذلك سنة750هـ.فر صغير بن إبراهيم إلى الصحراء كعادته،وأقام بالقفر وأخذ يترقب ما يحدث ولحق به أكثر قومه من بني معرف بن سعيد(1) فارتحل بهم في كل مكان واتصل صغير وقومه بأولاد حسين من المعقل الذين تخلوا عن السلطان أبي عنان سنة755هـ(2)، وهاجموا مع أولاد حسين سجلماسة حتى فاجأهم جيش أبي عنـــان وهم بنكور،فاكتسح الجيش المريني عامة أموالهم وأثخنوا فيهم قتلا وأسرا(3)،،واحتلـــت سويد وبني عامربن يعقوب مكانـــة في بـــلاط بـــني مـــرين في عهـــد الـــسلطان أبي عنان،واستولت سويد وبني عامر بن يعقوب على مجالات بني عامر بن حميد،الذين بقـــوا مشردين في الصحراء إلى أن توفي أبي عنان(4).وقد تغافل بعض المؤرخين والباحثين عـــن دور بني عامر وحميان في عهد أبي سعيد وأبي ثابت حيث ذكر يحي بن خلدون أن بـــني عامر بن حميد وشافع ومن جملتها حميان ساهمت في جيش أبي سعيد وأبي ثابت فالأول أي أبو سعيد كان يتولى السلطة السياسية وإدارة شؤون الدولة،والثاني أي أبو ثابت كـــان يتولى الشؤون العسكرية،فماهو دور بنو عامر بن حميد وشافع وحميان العسكري في عهد أبي سعيد وأبي ثابت؟حسب ماجاء في المصادر التاريخية أن بني عامر وحميان شاركت في

(1)العبر:ج6-:ص53-يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص28-السلاوي:ج3ص.ص133-134-مبـارك بـن محمـد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص373

(2) يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج1-ص246-ابن عودة المزاري:طلوع سعد السعود-ج1-ص179

(3) ابن عودة المزاري:طلوع سعدالسعود-ج1-ص179-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص75

(4)د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص75

جيش أبي ثابت،ولكنها تخاذلت عنه مما أدى إلى هزيمته في ايسلي أمام قوات أبي عنان المريني وكان سبب هذه المعركة أن استنجدت قبيلة مغراوة بالسلطان أبي عنان الذي طلب من أبي ثابت رفع الحصار عنها،فأبي السلطان أبو ثابت ولما سمع أبوعنان بموت علي بن راشد أنف وتحرك اتجاه تلمسان،ولقيه أبوسعيدوأبوثابت بجيش بلغ منه الإعجاب بأنقاد ونزلوا باسلي،وبنومرين بمزغنان.فكان مصاف القتال بوادي القصب*، واستمر أبوثابت لتلمسان فأقام بها يوما واحدا،ولحق بالجزائر،فاجتمع عنده جيش عظيم،ورجع مغربا لعدوه فكان مصاف القتال بوادي شلف،فوقعت حربا فنكص بنومرين الأعقاب،فحمل ونزمار بن عريف على أبي ثابت،فردهم على أعقابهم وحصلت الهزيمة،ففر أبو ثابت وأبو حمو موسى الثاني والوزير يحي بن داود في اتجاه المنطقة الشرقية في ثياب التنكر(1)،فأرصدهم صاحب بجاية،فأخذهم فقال لهم الآخذون من هو ثابت منكم،فتقدم أبوحمو وقال لهم أنا فأطلقوا غيري،فورد عليهم من يعرف أبي ثابت وهو ونزماربن عريف،فحملهم إلى أبي عنان المريني فقتله في عشر رمضان سنة752هـ،وذهب يحي بن خلدون بقوله "...أنه وفي أول هذا الشهر أي في غرة محرم فاتح سنة اثنتين وخمسين اتفق أن وصل من تونس محمد بن عمر الجمي مجتازا على مغراوة،فقتلوه غيلة بمازونة تعديا لحدود الله وخرقا لحجاب السلم،فاهتاجت لذلك حمية السلطانين،ونهض لحربهم السلطان أبو ثابت بقبيله وألافهم يوم الاثنين غرة محرم فاتح سنة752هـ،واستجاش سويد وبني عامر وأقدم عليهم فلم يثبتوا للقائه وتذموا بمعقل أجزواو..."(2).

---

*وعند ابن عودة المزاري ولما حمى الوطيس خدعت بنوعامر على عادتهم وجرت الهزيمة أبي سعيد وكب به فرسه، فأخذ وقتل يوم السبت حادي عشر جمادي الأولى سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة للهجري ينظرإلى:طلوع سعد السعود-ج1ص179

(1) د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص75

(2) ينظر إلى بغية الرواد-ج1-ص246

يفهم من رواية يحي بن خلدون أن بني عامر شاركت في معركة إيسلي،ولكنه لم يحدد يحي بن خلدون فرعا من فروع بني عامر،وربما كان يقصد بني عامر بن حميد وشافع وحميان التي شاركت إلى جانب أبي ثابث ضد مغراوة.

ا-دور بنوعامر وحميان العسكري في عهد أبي حمو موسى الثاني(ينظرإلى الملاحق ص)مابين1359م-1390م: لعب بنوعامر بن حميد وشافع وحميان دورا بارزا في إمارة بني زيان خاصة في عهد أبي حمو موسى الثاني،حيث ذكر عبد الحميد حاجيات"...لعب بنوعامر دورا في حركة أبي حمو موسى الثاني لإحياء الدولة الزيانية،وأضاف أن الصراع بين أمراء بني زيان،أدى إلى أن تلعب قبيلة بني عامر دورا حاسما في بلاط بني زيان..."(1).وفي قرية بريكة من بلاد الحضنة لقي بني عامر وشيخهم صغير،وكانوا قد طردوا من أراضيهم بالمغرب الأوسط فغادروا منطقتهم والتجأوا إلى تلك الناحية في منتصف شوال 759هـ(2).وفي رواية المزاري"...إلى أن جاءه من المغرب سقيربن عامر الهلالي رئيس بني عامر بقبيله ومعه مغراوة فجاءوا مغربين به لجبل عياض ومنه للزاب وريغة ووارقلا وجبل مزاب وواد زرفون..."(3)ولكن السؤال الذي يطرح نفسه كيف عرف بنو عامر قوم سيقرأن أباحموكان متمركزا بهذه الناحية؟وكيف عرفوا أنه ينسب إلى أسرة أمراء بني عبدالواد؟ربما بلغ صغيربن عامر شيخ بني عامر بن حميد خبر وجود أبي حمو بهذه المنطقة بحكم كان بنو عامربن صغير بمنطقة بريكة،وأبوحمو موسى الثاني كان رفقة عرب الذواودة،كذلك بهذه المنطقة.فإن اللقاء كان سهلا بينه وبين بني عامر.

(1)د.عبدالحميد حاجيات:أبو موسى الزياني-ص84

(2) نفسه:ص84

(3) ينظر إلى:طلوع سعد السعود-ج1-ص.ص181-182

أوأن أبا حمو موسى الثاني قد اتفق مع حلفائه من بني عامر قوم صغيرأن يتم اللقاء بهذه الناحية.وربما كان بنو عامر بن حميد وشافع حميان على علم بأن ابن أخ أبي سعيد وأبي ثابت كان برفقتهما،وربما وصلتهم أخبار أنه اتجه إلى تونس بعد ما ألقي القبض على أبي ثابت،وبعد أن قتل عمه أبوسعيد عثمان الثاني.وقضى أبو حمو سنة كاملة متنقلا في جنوب إفريقية،فصحب الذواودة في معظم هذه الفترة(1) وساهم في غاراتهم على بعض النواحي،إلا أنه لم يفتأ يتطلع إلى موطنه،ويتربص لأعداء قومه منتظرا الفرصة التي تمكنه من إحياء الدولة الزيانية(2)،ولاشك أنه حاول أثناء هذه الفترة استئلاف الذواودة واستمالتهم لمساعدته على تحقيق هدفه،وأمنيته وأمنية قومه وأحلافهم في المغرب الأوسط وهي طرد بني مرين من المغرب الأوسط(3).فكانت مقاومة الخطر المريني في المنطقة الغربية من إفريقية أول مرحلة نحو بلوغ ذلك الهدف.وقدذكر عبد الرحمان بن خلدون"...أن الذواودة اجتمعوا إلى الحاجب أبي محمد بن تافراكين،ورغبوه في لحاق أبي حمو بن يوسف بالمغرب من غربته،وأنهم ركابه لذلك ليجلب على تلمسان ويحصل للسلطان أبي عنان شغلا عنهم..."(4)،وفي رواية السلاوي"كان بنوعامربن زغبة من عرب هلال خارجين على السطان أبي عنان منذ استيلائه على تلمسان،وكانت رياستهم إلى صغيربن عامربن إبراهيم،ولما رجع أبوعنان إلى فاس،اعتزم صغير على الرحلة بقومه إلى وطنهم من صحراء المغرب،وظهر أبوحموموسى الثاني بن يوسف أخو السلطان أبي سعيد عثمان بن عبدالرحمن(5)

(1) العبر:ج7-ص53

(2)د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-:ص85

(3) نفسه:ص85

(4)نفسه:ص85

(5)ينظر إلى الاستقصا-ج2-ص22

لطلب ملك أسلافه بتلمسان،وكان مستقرا بتونس منذ غلبهم أبو علي على أمرهم،فرحل صغيرمن الصحراء والتحق بوطن الذواودة،ووفد على يعقوب بن علي الذي كان في خلاف مع السلطان أبي عنان(1)،وتوسل إليه صغير من أجل مساعدته على نقل أبي حمو الثاني من إيالة بني حفص من الموحدين والتوجه به إلى تلمسان وإنهاء الحكم المريني به،فأرسلوا معه وأعطوه الآلة(2).يبدوأن مسيرة أولاد عثمان بن سباع مع أبي حمو في اتجاه الحضنة كانت ترمي إلى ذلك،ثم إن اللقاء مع قوم سقيربن عامر كان من شأنه أن يقوي عزيمة الجميع للغارة على بني مرين وأحلافهم(3).وانتقل أبوحمو ورفاقه إلى مقرة لتجسس أخبار الجيش المريني،ثم توجهوا نحو الزاب على ثنية غنية بين جبل أوراس عبر جبال عياض ونزلوا بريغ،ثم تابعوا سيرهم إلى الجنوب واستقروا مدة بوارجلا(4).والظاهر أن هذه المسيرة كانت ترمي إلى الفرار من العدو المريني وإيهامه بالتوجه نحو الشرق مما يجعل حدا لمطاردته(5).أو ربما كانت تهدف هذه المسيرة إلى الابتعاد عن الجيش المريني ومباغتته لأبي حمو ورفاقه،أو احتمالا أن أبا حمو اتبع هذه الاستراتيجية لإرهاق الجيش المريني،ولكن أبا حمو وأحلافه من بني عامر قوم صغير.

---

(1) لسان الدين بن الخطيب:نفاضة الجراب في علة للإغتراب–تحقيق د.أحمد مختار العبادي– مراجعة عبد العزيز الأهواني–دار الكتاب العربي للطباعة والنشر– القاهرة–دون تاريخ–ص10–العبر:ج7–ص .ص 259–260– السلاوي:الاستقصا ج3–ص.ص 133–134د.عبد الحميد حاجيات:إحياء الدولة الزيانية– ص401– د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية–ص 157–مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث–ج2–ص380–رابح بونار:المغرب العربي–تاريخه وثقافته–ط3–دار الهدى–عين مليلة–الجزائر–2000–ص296

(2)د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني–ص86

(3)مؤلف مجهول:زهرالبستان–ورقة8ظ–يحي بن خلدون:بغية الرواد–ج2–ص.ص 22–23د.عبدالحميد حاجيات:نفسه:ص85

(4)د.عبدالحميد حاجيات:نفسه–ص86

(5) يحي بن خلدون:بغية الرواد–ج2–ص.ص23–24–مؤلف مجهول:زهر البستان–ورقة9د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني –ص86

توجهوا بعد ذلك نحو الغرب فمروا بمنطقة الزاب.ومن ثم قصدوا إلى الشمال الغربي،سالكين طريق وادي زرفون(1)،وهناك حل موسم عيد الأضحى فأقاموا بتلك الناحية أياما إلى أن بلغهم نبأ استقرارسويد بوادي ملال،فأغاروا عليهم وفاجؤوهم بذلك الموضع،فهزموهم وقتلوا بعض أبطالهم مثل عثمان بن ونزمار بن عريف،وسبوا نساءهم وغنموا الإبل والمال(2)،فنال بنوعامر ما كانوا يأملونه من الانتصار على أعدائهم والانتقام منهم وكان ذلك في أواخر ذي الحجة 759هـ(3)،ومكث أبوحمو وصغير وجماعتهما بوادي ملال يترقب الأخبار بعض الأيام وفي السادس أو السابع من محرم 760هـ-1359م حتى فوجئوا بخبر وفاهم من بلدهم ألا وهو وفاة السلطان أبي عنان وجنازته بفاس في 27ذي لحجة759هـ-5ديسمبر1358م(4)وعندئذ أدرك أبوحمو ورفاقه من بني عامر وحميان أن الفرصة سانحة للقيام بحركة في اتجاه تلمسان،ورأى أبو حمو وصغير أن آن الأوان لطرد بني مرين وأحلافهم عن تلمسان ونواحيها،فعزما على القيام بحركتهما لإحياء دولة بني عبدالواد(5).ورافق أبوحمو الثاني صغير بن عامر وصولة بن يعقوب بن علي وزيان بن عثمان بن سباع وشبل بن أخيه ملوك من بني عثمان ومن البدو دغاربن عيسى بن رحاب بقومه من سعيد،وصاروا مع أبي حمو ورفاقه من بني عامر إلى تخوم بلاده(6)،وكان الغرض من مسيرة أبي حمو رفقة أولاد عثمان بن سباع وبني عامر هو شن الغارات على جنوب المغرب الأوسط وعلى ناحية سجلماسة(7).

(1)العبر:ج6-ص52-السلاوي:الاستقصاج2ص05 مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديثج2-ص373

(2)د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص86-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:المرجع السابق-ص188

(3)نفسه:ص86

(4) السلاوي:الاستقصا-ج2-ص06-عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني:ص86

(5)العبر:ج6-52-يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص.ص24-25-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص87

(6)د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص87

(7) السلاوي:الاستقصا-ج2-ص05

وذلك لشغل أبي السلطان أبي عنان المريني عن مهاجمة بلاد إفريقية،أما أولاد عثمان بن سباع من الذواودة فإنهم قرروا العودة إلى أراضيهم بغرب إفريقية،وكان موت أبي عنان تنبئ باضمحلال النفوذ المريني بإفريقية(1).فتوجه أبوحمو ورفاقه إلى سبخة كبود،ثم إلى درج ومن هناك إلى التل عن طريق ثنية فرتون ثم انتقلوا إلى عين الحجر وقصدوا بعدذلك وادي يسر،وهو من روافد وادي تافنة،ثم توجهوا نحو تلمسان مارين بتيط وشقوف،ولما اقتربوا من تلمسان تصدت إليهم الحامية المرينية بوادي الصفصيف على مسافة 5كلم من المدينة فلم تستطع مواجهتهم ومدافعتهم،وولت منهزمة واعتصمت بتلمسان في 25صفر760هـ(2).وكان على تلمسان آنذاك محمد بن السلطان أبي عنان يتولى شؤونها بمساعدة مربيه سعيد والأمير يغمراسن بن عثمان بن سليمان المريني،ولم يكن الاستيلاء على تلمسان بالأمر الهين،وذلك أن عدد جنود الحامية كان لا يقل عن ثلاثة آلاف من بينهم ألف وثمانمائة من بني مرين(3).وعندئذ أقبل على أبي حمو بعض أهالي تلمسان فأخبروه عن عورات البلد وأغروه بأغادير لقرب مناله بشيع أهله(4).وقسم أبوحمو جيشه إلى فرقتين:إحداهما تضم بني عبد الواد وغيرهم من الزيانيين بقيادة ابن برغوث،تتخذ طريق العقبة الواقع في الجهة الشرقية من تلمسان، والثانية تشمل عرب بنوعامر ومن جملتهم حميان التي اتجهت نحو باب كشوطة الواقع في الجهة الغربية من المدينة،وكانت هذه الخطة ترمي إلى شغل معظم الحامية المرينية في الجهة الغربية(5).ليتسنى لابن برغوث ورفاقه اقتحام المدينة من الجهة الشرقية بأغادير.

---

(1)د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص87

(2)مؤلف مجهول:زهر البستان-ورقة12ظ-عبدالحميد حاجيات:نفسه-ص87

(3)يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص28-د.عبدالحميد خاجيات:أبو حمو موسى-ص 88

(4) نفسه:ص28-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص88

(5) نفسه:ص28

ولما ظهرت جموع أبي حمو وهم من بني عامر وحميان،وتصدى لمدافعتهم جنـود الحاميـة المرينية،وهم يطلون عليهم من شراريف الأسوار بعد أن أغلقوا أبواب المدينة،توجه ابن برغوث ومن معه نحو باب العقبة ولم يمض قليل من الوقت حتى ملكوا أغادير(1)،وانتهى الأمر باستسلام حامية بني مرين،ودخول أبي حمو مع حلفائه تلمسان محققا بذلك آمـال قبيلته وأهالي بلاده في الخلاص من الاحتلال المريني،وإحياء الإمارة الزيانية في فاتح ربيع الأول سنة760هـ-1359م(2).بينما ذكر يحي بوعزيز بقولـه:"وعـاد بنوريـاح إلـى بلادهم،وسار أبوحمو الثاني مع عدد كبير من أنصاره عبرالمسيلة والـزاب وواد يسر،ومضيق وهران.وقد تعرض أبوحمو وبنوعامر لهجوم من طرف سويد التي لقيتهم،واستطاع بنوعامر إلحاق الهزيمة بسويد،وقتلوا شيخها ابن عيسى عريف وأسروا أخاه أبابكر،وعلي بن عمر من بني عامر أطلق سراحه وعملـوا علـى نجدة أبي حمو،وفي الوقت الذي فرغ بنوعامرمن حربهم مع سويد،دخل أبوحمو الثاني إلى تلمسان رفقة بني عامر وبني زغبة ربما حميان ودخلوا إليهـا مـن المغرب،وتغلبوا على عـساكر بنـي مرين،وانتزعـوا تلمـسان مـنهم أوائـل سنة760هـ-1359م"(3)ولم يجد ابن السلطان أبي عنان والي تلمسان مفرا مـن اللجـوء وحاشيته وقومه إلى صغير بن عامر زعيم عرب بني عامر لحمايتـهم.فأحـسن إلـيهم وأجـارهم وأعـادهم إلى بلادهـم في حمايـة فرسـان عـرب بـني عـامر(4).

(1)يحي بن خلدون:بغية الرواد-ص.ص28-30-د.عبد الحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص88

(2)وعن دخول قوات أبي حمو إلى تلمسان ذكر يحي بن خلدون أن سكان أغادير كانوا قد وعدوا أبا حمو على لسان الفقيـه عبدالرحمان بن مخلوف الشامي بنصرته ضد بني مرين وأنهم فتحوا باب العقبة لابـن برغـوث فـتمكن مـن الـدخول إلى أجادير.ينظر إلى بغية الرواد-ج2-ص.ص28-30

(3) ينظر إلى:المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبدالواد-ص13

(4)العبر:ج7-ص123و302-السلاوي:الاستقصا-ج2- ص103

ضاربا بذلك المثل لأخلاق العربي في إخفار ذمة اللاجئ الطالب للحماية حتى وإن كان من الأعداء ،ونوه الشعراء بدور بني عامر في إحياء إمارة بني زيان،ونددوا بهزيمة أعدائها من عرب سويد.**تسربلت كردوسين من آل عامر ومن آل إدريس الشريف بن القاسم.رجال إذا جاش الوطيس تراهم أسود الوغى من كل ليث ضبارم.وولت سويد ثم خلت مجيرها وشيخ حماها في الثرى أي جاثم**(1).ويعود نجاح أبي حمو الثاني وحلفائه بني عامروحميان في حركتهم على تلمسان إلى الأوضاع السياسية بإفريقية والمغرب الأوسط قبيل سنة760هـ،التي تمثلت في فشل أبي الحسن المريني في بعث دولته بسبب منافسة ابنه أبا عنان،وتعاون أبو حمو الثاني مع أبي إسحاق الحفصي(2)،واستعاد أبو حمو الثاني ملك بني عبد الواد،وأطلق عليها اسم الدولة الزيانية بعد أن كانت تسمى بإمارة بني عبد الواد(3).يظهر من هذه الأحداث أن حركة أبي حمو كانت ترمي إلى مقاومة الاحتلال المريني للمغرب الأوسط والحد من هجمات القوات المرينية على إفريقية،وأن القوات التي شاركت في هذه الحركة،كانت تضم خاصة قبيلة بني عامرخاصة بني عامر بن حميد وشافع وحميان وبعض من رياح وقليلا من الزناتيين ممن كانوا قد هاجروا قبل ذلك إلى إفريقية(4).ولم تتخذ الحركة شكلها السياسي الموجه إلى إحياء دولة بني عبدالواد.إلا بعد أن ورد خبر وفاة السلطان أبي عنان،حيث ظهر أن الفرصة سانحة للقيام بمحاولة قد تكون ناجحة(5).

---

(1)يحي بن خلدون:بغية الرواد-2-ص28-مصطفى أبو ضيف أحمد عمر:القبائل العربية في المغرب-ص159

(2) نفسه:ص401 د.عبد الحميد حاجيات:إحياء الدولة الزيانية-ص 402-د.يحي بوعزيز:المراحل والأدوار-ص20

(3) د.يحي بوعزيز:المراحل والأدوار- ص20-رابح بونار:المغرب العربي وثقافته-ص290

(4)العبر:ج6-ص52-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص84

(5د.عبد الحميد حاجيات:إحياء الدولة الزيانية-ص402

وبناء على هذه الاعتبارات يمكن الخروج بنتيجة وهي أن حركة أبي حمو حظيت بتأييد بني عامر ومساعدتهم(1).وكان بنوعامر بن حميد وشافع وحميان ،لأن بني عامر بن يعقوب فقد حددت موقفها من سويد منذ الشقاق الذي وقع بين فرعي بني عامر،يهدفون من وراء هذه الحركة إلى مناهضة سويد أعدائهم بالدرجة الأول،أما دور أبو حمو موسى الثاني لم يكن دون الرئيس المدبر بأتم معنى الكلمة،فترشيحه للإمارة لم يكن حسب التقاليد المألوفة،إذ لم يكن ابن سلطان ولم يعين من طرف مشيخة بني عبدالواد(2)،وإنما اتجهت أنظار عرب بني عامر إليه للأسباب السياسية المذكورة،ولم يكن ذلك لاحتياجهم إلى رئيس يقودهم إلى النصر،بل لتكتسي عمليتهم طابعا شرعيا فهم إذ يغيرون على المغرب الأوسط يقومون بإعادة أمير على عرش أجداده ويساهمون حينئذ في أخذ حق ورد عدوان(3).وهنا تتجلى خطورة مشاركة بني عامر في هذه الحركة،وأهم ما يلاحظ فيها أن عرب بني عامر كانوا ينتظرون منذ زمن طويل فرصة للدخول إلى التل والاستيلاء على مراعيه الخصبة التي كانوا محرومين منها ربما من طرف عرب سويد وليس من طرف بني عبدالواد،ومنذ بداية النصف الثاني من القرن الثامن الهجري خصوصا خلال فترة حكم أبي حمو الثاني ازدادت قوة بني عامر وحلفائهم من القبائل العربية بالمغرب الأوسط،وضعفت قبائل زناتة فتملكت زغبة سائر البلاد بالإقطاع من أبي حمو طوعا أو كرها حتى طردوا زناتة على سيف البحر(4)،والواضح أن دفاع هذه القبائل عن المغرب الأوسط هو في الواقع دفاع عن مصالحها من الضياع .وكأن أبا حمو بإقدامه على التحالف معهم،قد التزم نحوهم بترضية هذه الرغبة.

---

(1)العبر:ج6-:ص53-د.مصطفى أبو ضيف أحمد عمر:القبائل العربية في المغرب-ص160

(2)د.عبد الحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص90

(3)العبر:ج6-ص.ص47-48-ج7-ص302-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية- ص-158

(4)يحي بن خلدون:بغية الرواد ج2-ص39و50-51- مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث ص178

الأمر الذي سيجعل بني عامر يحتلون مكانة سامية(1) في بلاط بني زيان وفي أوضاع الإمارة السياسية والاقتصادية مدة طويلة(2)ورغم الأزمة المالية التي كانت تعاني منها الإمارة الزيانية،إلا أن أبا حمو الثاني كافأ أنصاره وحلفائه من بني عامر بن حميد قوم صغير وشافع وحميان والمعقل حينما وفدوا لتهنئته،فكساهم جميعا رغم كثرة عددهم البالغ نحو ثمانية آلاف(3)،ووهب رؤساءهم الخيل الأصيلة التي أخذها من فرسان بني مرين،وأقطعهم الأراضي ومنحهم الامتيازات فأنفق بذلك جل ما ألفاه في بيت المال وسروجها المرفهة والأسلحة المحلاة بالجواهر بجانب منحهم المال(4).وشرع أبوحمو الثاني في تنظيم شؤون دولته، وأمام هذه التطورات السياسية التي حصلت بالمغرب الأوسط،لم يبق بنومرين مكتوفي الأيدي(5)،خاصة عندما وصل إلى بلادهم عرب سويد بعد هزيمتهم بوادي ملال،فرغب عرب سويد بني مرين على الزحف إلى تلمسان.وكان بنومرين بايعوا بفاس الأمير الصغير أبي بكر السعيد بن أبي عنان إلا أن زمام الأمر كان بيد الوزير الحسن بن عمر الفودودي في بلاط بني مرين. وفي أوضاع الإمارة السياسية والاقتصادية مدة طويلة الذي قرر حشد الجيش من أجل استرجاع تلمسان ومايليها،فنهض القائد مسعود بن عبدالرحمان بن ماساي.إلى تلمسان في جيش يبلغ عدده تسعة آلاف مقاتل وحينما بلغ الجيش المريني بلاد بني عبدالواد(6). وحل قرب وادي الزيتون،

(1) يحي بن خلدون:بغية الرواد–ج2–ص39و50–52–د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني–ص92

(2) نفسه:ص93

(3)د.عبد الحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني–ص93

(4)نفسه:ص94

(5)العبر:ج7–ص.ص302–303–السلاوي:الاستقصاج2ص104 د.عبدالحميدحاجيات:أبوحمو موسى الزياني–ص94

(6) يحي بن خلدون:بغية الرواد–ج2–ص.ص59–62–مؤلف مجهول:زهر البستان–ورقة27ظ–د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني–ص95

رأى أبوحمو مغادرة تلمسان لقلة ما كان لديه من الجنود والتحق بقبيلة بني عامر بن حميد وشافع وحميان في الجنوب أوائل جمادي الأولى 760هـ(2)،وهذا ما يبين أن قوات بني عامر وحميان لم تكن حاضرة في هذه المحنة بتلمسان،كما توضح هذه الحادثة أن أبا حمو كان يعتمد على بني عامر ين حميد قوم صغير وشافع وحميان بصفة تكاد تكون مطلقة،وأن مصير بني زيان كان مرتبطا ببني عامر وحميان.ويلاحظ أن السلطان أبي حمو الثاني الزياني كان يلجأ إلى بني عامر بن حميد وشافع وحميان عندما تتعرض إمارته للغزو المريني،وبعد ذلك بقليل استولى ابن ماساي على تلمسان وأخذ يعمل لإعادة النفوذ المريني في سائر أنحاء المغرب الأوسط(3)،أما أبوحمو الثاني فإنه عسكر بعيون يسر ثم توجه نحو الجنوب وفي درج لقي بني عامر بن حميد وشافع وحميان ثم استقر بتاحملت(4).وبعث إلى المعقل يأمرهم بشن الغارات على بني مرين وقطع الطريق الواصلة بين تلمسان وفاس،فساءت في ذلك أحوال ابن ماساي وقواته،وأرسل لحرب قبيلة المعقل ابن عمه عامربن عبدالله قائد حامية وهران(5)،فانهزم عامربن عبدالله وقتل أثناء المعركة وعادت جنوده في أسوأ حال إلى وجدة(6)،وهذا مايبين استماتة قبائل المعقل وبني عامر بن حميد وشافع وحميان في حربها ضد قوات بني مرين التي أرسلها الوزير الحسن بن عمر الفودودي لاسترداد تلمسان وإلحاقهم الهزيمة حتى اضطروهم إلى الانسحاب وهم عراة حتى حدود الدولة المرينية(7). في سنة760هـ-1359م

(1)العبر:ج7-ص.ص302-303يحي بن خلدون:بغية الروادج2ص 5962د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى ص95

(2)يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص62-د.عبدالحميد حاجيات:أبو موسى الزياني-ص95

(3)د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني:ص95-د.أبوضيف عمرأحمد:القبائل العربية-ص159

(4)العبر:ج7-ص.ص302-303-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص104

(5)نفسه:ص303-يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص62-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص95

(6)نفسه:ص303-بغية الواد-ج2-ص62

(7)د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص95

وكان لهذا الحادث وقع سيء على الجيش المريني بتلمسان.إن الانتصار الجيش الزياني في هذه المعركة ضد بني مرين كان ذلك بفضل مؤازرة بني عامر ابن حميد وشافع حميان لأبي حمو الثاني،وقد أدت هذه المشاركة إلى إحداث تغيرات سياسية في البلاط المريني،حيث أُعلن خلع السعيد وعين الأمير يعيش بن علي المريني على العرش.وكان الجنود قد سئموا من استبداد الوزير عمر الفودودي على الحكم،وشقوا بذلك عصا الطاعة،وعندئذ خشي ابن ماساي على نفسه أمام هذا الوضع(1).فلجأ إلى تنصيب أمير آخر يدعى منصور بن سليمان،فاجتمعت كلمة الجيش عليه ورأى مصالحة أبي حمو(2)،وعززت مكانة أبي حمو موسى الثاني في البلاط الزياني فوقع عقد صلح معه،وأرسله إليه مع أبي بكر يحي بن موسى الحمي،وغادر بجموعه تلمسان،فعاد إليها أبوحمو ودخلها في غرة جمادي الثانية 760هـ -1359م(3).وكان من نتائج الصلح المبرم بين منصور بن سليمان وأبي حموالثاني،أن بعث منصور بن سليمان أبا يعقوب والد السلطان أبي حمو وأبا تاشفين ابنه،عندما وجدهما بفاس مكرمين،وذلك لتمكين روابط المودة بينهما،فوصلا إلى تلمسان في 7رجب 760هـ(4).وفي هذه الفترة بويع بفاس أبوسالم بن أبي الحسن المريني،وبعث برسول إلى أبي حمو الثاني في شأن الصلح طالبا منه أن يكف عن مطاردة القوات المرينية المتمركزة في المنطقة الشرقية وجاء ذلك في فاتح شوال 760هـ(5)،وبعد ذلك بقليل المريني رسولا آخرا إلى أبي حمو،يطلب منه إيقاف العمليات الحربية في المنطقة الشرقية بعث السلطان أبوسالم واقترح عليه عقد صلح في ذلك الشأن.

(1)العبر:ج7-ص.ص 259-260-يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص59-62

(2)نفسه:ص.ص259-260-يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص62

(3) يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص62

(4): نفسه:ج2-ص62 -د.عبدالحميدحاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص98

(5)نفسه:ص63

وقد تأزم الوضع بين أبي حمو وأبي سالم في الأشهر الأولى من سنة761هـ،بسبب مواصلة الهجوم الزياني على الحاميات المرينية المتواجدة بالمغرب الأوسط من جهة ولما علم السلطان المريني أبو سالم بمغادرة عبدالله بن مسلم درعة بجباية المنطقة والتحاقه بأبي حمو من جهة أخرى(1).وقد دفعت هذه الأسباب أبو سالم المريني أن يغزو إمارة بني زيان،حيث بدأ بتعبئة أحلافه في المغرب الأوسط فقام زيان بن أبي يحي الراشدي يدعو قومه بني راشد إلى مؤازرة أبي زيان حفيد السلطان أبي تاشفين الأول الملقب بالقبي،وظهرأبوزيان في الناحية الغربية بجبل يزناس.وقد التف حوله أتباع من بني مرين من المعقل وبني يزناس،وقد تصدى أبو زيان الراشدي لجيش أبي تاشفين بن أبي حمو والشيخ عمران اللؤلؤي في فاتح ربيع الأول 761هـ-1360م(2)،ولما بلغ أبوحمو خبر قدوم أبي سالم وحل بتاوريرت وهي منطقة حدودية بين الإمارتين الزيانية والمرينية غادر تلمسان مرة ثانية في 29رجب760هـ،بعد أن وجه أحلافه من بني عامر بن حميد وبني عامر بن شافع وحميان والمعقل تحت قيادة ابن مسلم نحو الجنوب في 4جمادي الثانية 760هـ،فترلوا بأميسون(3)،وزحف السلطان أبو سالم وقواته إلى تلمسان،فدخلها في 6شعبان 761هـ-1360م فاتبع أبو حمو وجيشه استرتيجية حربية محكمة،وهي ضرب قوات بني مرين من المؤخرة حيث تمكن بنوعامر بن حميد وشافع وحميان من إرغام السلطان أبي سالم على الانسحاب من تلمسان وذلك بمهاجمتهم مدن الحدود المرينية مثل وطاط وبلاد ملوية وكرسيف مخربين زروعها ومحطمين عمرانها(4) مما أقلق أبا سالم وجعله

(1)د.عبدالحميد حاجيات:نفسه-ص98

(2)العبر:ج7-ص261-بغية الرواد:ج2-ص.ص260-261-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى-ص99

(3)نفسه:ص261-بغية الرواد:ج2-ص261-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص132

(4)العبر:ج7-ص.ص260-261-بغية الرواد-ج2-ص.ص260-261-زهرالبستان:ورقة38و40ظ -د السلاوي:ج2-ص.ص131-132-د.عبدالحميدحاجيات:نفسه-ص99- مصطفى أبوضيف:المرجع السابق-ص159

يتخوف من هذا الهجوم،وخشي أن يتجه أبوحمو وجيشه إلى فاس،ويتفاقم الأمر فقرر العودة إلى بلاده وإخلاء تلمسان في11أو 12شعبان 761هـ تاركا عليها أبا زيان القبي(1)،ويعود الفضل في انسحاب السلطان أبي سالم من تلمسان إلى استماتة بني عامربن حميد وبني عامربن شافع وحميان،ولما بلغ أبا حمو خبر مغادرة أبي سالم تلمسان عاد إليها وبعث وزيره ابن مسلم في مقدمته بجيش للاستيلاء عليها وطرد أبي زيان القبي ففر أبوزيان القبي،ويبدو أن الصراع بين أمراء بلاط بني زيان بدأ بتحريض من بني مرين بين أبي حمو الثاني وأبي زيان القبي الذي التحق بأولاد عريف من قبيلة سويد بجبل وانشريس في 4رمضان761هـ(2).وبعد ذلك دخل أبوحموالثاني تلمسان في 8رمضان761هـ،وبعد أيام جهز جيشا من قومه لمطاردة أبي زيان القبي والقضاء على فتنته في 18رمضان761هـ(3)،فقضى عيد الأضحى بتاسالة بالحدود الغربية(4).فحاصر أبوحمو الثاني وأنصاره من بني عامربن حميد وشافع وحميان وأولاد حسين من المعقل أبازيان ورفاقه،وبعث جيشا لمطاردة أبي بكربن عريف في ناحية السرسو،فانهزم أبا بكر ثم اقتحم أبوحمو الجبل.واضطرأبوزيان ومحمد بن عريف إلى الفرار نحو الصحراء في أوائل ذي القعدة 761هـ(5).وعندئذ التحق أبو زيان واستجار بقبيلة ذوي عبيدالله الذين كانوا قاطنين بسهل أنقاد قرب وجدة فأجاروه ولما تفرق شمل أولاد عريف اتجه أبو حمو موسى الثاني وجيشه من بني عامر بن حميد وشافع وحميان ناحية شلف لطرد بني مرين

---

(1)د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص99

(2)العبر:ج7-ص261-بغية الرواد:ج2-ص79-زهرالبستان:ورقة40و. -السلاوي:الاستقصا-ج2-ص132 د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني -ص99-د.مصطفى أبوضيف:المرجع السابق-ص158

(3)العبر:ج7-ص261-بغية الرواد-ج2-ص80-زهرالبستان:ورقة40و-41و-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص100

(4)زهرالبستان-ورقة42و.ظ

(5)بغية الرواد-ج2-ص.ص83-84



عنها،ولمواجهة حلفائهم من مغراوة،بينما توجه الوزير ابن مسلم إلى تلمسان في كتيبة فوصلها في 23ذي القعدة 761هـ،أما أبوحمو فقد طارد شيوخ مغراوة الذين حالفوا بني مرين،فاعتصموا بتنس وكان قائدهم عثمان بن أبي تجلاء المريني فحاصرها أبوحمو الثاني ثلاثة أيام ثم فتحها عنوة وقتل قائدها في آخر سنة761هـ(1).وبعد أن استرجع أبوحموالثاني ناحية شلف،بعث بوزيره ابن مسلم إلى الغرب للإغارة على ذوي عبيدالله،فالتقى بهم بسهل أنقاد فانهزمت عبيدالله،وتفرق شملها في أوائل ربيع الأول 762هـ وفرأبوزيان إلى تاوريت حيث التحق بالإمارة المرينية بعد أن فشلت محاولته(2).يستنبط مما سبق ذكره أن بني عامر بن حميد وبني عامر بن شافع وحميان لعبوا دورا عسكريا بارزا في كل مراحل نشاط أبي حمو العسكري لاستباب الأمن والسلم في المغرب الأوسط،بل أكثر من هذا ساهم بنو عامر بن حميد وبنو عامربن شافع وحميان في استقرار إمارة بني زيان،بل يلاحظ أن الإمارة استرجعت هيبتها وقوتها بفضل الجهود التي بذلها بنو عامر بن حميد خاصة قوم صغير وبنوعامر بن شافع وحميان في جميع أطوار الإمارة الزيانية،ويظهر ذلك من مطالب سلاطين بني مرين الذين كانوا في كل مرة يطالبون بالصلح.وكان لونزمار بن عريف رئيس عرب سويد بالمغرب الأقصى الدور الحاسم في تحقيق ذلك(3).وكان من نتائج المعارك التي خاضها أبوحمو الثاني ضد أبي سالم وأنصاره من عرب سويد أنه تم خلع أبي سالم المريني من سدة الحكم،وسادت الفوضى والاضطرابات في البلاط المريني،وبعد أن فتح أبوحمو الثاني الجزائر(4)، التجأ شيوخ قبيلة

(1) العبر:ج7ص 285-بغية الرواد-ج2-ص89-د.عبدالحميد حاجيات:نفسه-ص102-د.مصطفى أبوضيف:القبائل العربية-ص192

(2)د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص103

(3)بغية الرواد:ج2ص108-زهرالبستان-ورقة75ظ-78و-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص104

(4)نفسه:ص108-زهرة البستان-ورقة75ظو78و

مغراوة إلى بجاية.فاستقبلهم أميرها إسحاق إبراهيم بن السلطان يحي الحفصي(1)وتوسع بنو عبدالواد على حساب موطن مغراوة،وعندما رفض الأمير أبو إسحاق تلبية طلبه القاضي بتسليم شيوخ مغراوة(2) عندئذ أمر أبوحمو قواد الناحية الشرقية باقتحام إمارة بجاية،فاستولى عمربن موسى المطهري على تدلس عنوة في صفر أو جمادي الأولى763هـ-1362م(3)،فحاول إسحاق استرجاع تدلس فضايقها،فانهض أبو حمو وزيره ابن مسلم إلى الشرق لرد عدوان أبي إسحاق وحماية تدلس في 21رجب 763هـ-1362م(4)،والغالب على الظن أن بني عامر بن حميد وبني عامر بن شافع وحميان قد ساهمت عسكريا في حماية تدلس،وربما كان يقودهم ابن مسلم؛ لأن قوات بني زيان التي كانت متمركزة في الجهة الشرقية،لم يكن بمقدروها صد عدوان أبي إسحاق،فاستولى ابن مسلم على فحص حمزة وعلى بلاد بني حسن،وهي موطن أبناء عمومة حميان من بني يزيد،وربما تعرض بنويزيد لمضايقة جيش أبي حمو،وجاس خلال الوادي الكبير،ثم عرج يسارا آخذا على ثنية تاغزوت وبيطار فاستضاف أيضا زواوة وما إليها،وقبض على شيع الموحدين في شوال 763هـ-1362م(5).ويشير المؤرخون والباحثون أن أباحمو الثاني تعرض إلى حركة خطيرة قام بها خالد بن عامر أخو صغير الذي توفي بعد سنتين بسنان رمح عن غير قصد فاخترقه وهلك لوقته.ويعود سبب ذلك أن صغيربن إبراهيم كان يريد أن يصلح بين حيين من قومه(6). ،لكنه راح ضحية تلك الفتنة،وعين أبو حمو أخوه شعيبا على قبيلة بني عامر مما

(1)د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص104

(2)نفسه:ص104

(3)زهرالبستان ورقة66ظ و69ظ-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني -ص105

(4)د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص105

(5)نفسه -ص105

(6)العبر:ج6-ص53- مبارك بن محمدالميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص373

خالدا(1)، وفي رواية عبدالرحمان ابن خلدون"...وتولى بعد وفاته رئاسة بني عامربن حميد أخوه خالدبن عامرويرادفه عبدالله ابن أخيه صغير..."(2).ويبدو من رواية عبدالرحمن بن خلدون أن الذي تولى رئاسة بني عامر بن حميد هو خالد أخ صغير،وليس شعيبا وربما كان قرار أبي حمو الثاني المتمثل في تعيين شعيب سببا في ارتكاب خالد جريمة قتل في حق أخيه شعيب لمنافسة بينهما،واحتمالا أن بني عامر بن حميد انقسموا على أنفسهم بسبب هذه الجريمة التي اقترفها خالد في حق أخيه شعيب،بحيث قسم منهم إلى جانب خالد وقسم منهم إلى جانب أبي حمو موسى الثاني،وربما قد أثرهذا الانقسام على بني عامر بن شافع وحميان،وكان رد فعل أبي حمو الثاني أن سجن خالدا بسبب ارتكابه لهذه الجريمة.فانتقم خالد من أبي حمو الثاني حيث بايع أبا زيان بن السلطان أبي سعيد ونصبه منافسا لأبي حمو في العرش(3)،وجاء به من المنطقة الغربية،مستغلا غياب جيش بني زيان الذي كان يقوده ابن مسلم في الناحية الشرقية.فزحف أبوزيان بن أبي سعيد رفقة خالد بن عامر(4)،ولكن لم يذكر المؤرخون هل خالد بن عامر فر إلى بني مرين،واحتمى بهم بعد أن قتل أخيه؟أم أن أبا حمو الثاني ألقى به في السجن، وبعد خروجه اتصل ببني مرين.وكيف اتصل خالد ابن عامر بأبي زيان بن أبي سعيد؟ وكيف دخل خالد بن عامر بأبي زيان بن أبي سعيد إلى تلمسان؟.ربما فر خالدبن عامر من سجنه إلى إمارة بني مرين.

---

(1)استطاع أبوزيان أن يفر من سجنه بفاس،ويلتحق بقبيلة أولاد حسين من المعقل،ثم اتصل بخالد بن عامر.يومها برزت أهمية ومكانة خالدبن عامر بين أمراء بني زيان.ينظر إلى:مؤلف مجهول:زهر البستان-ورقة78و-ظ-وإلى د.-عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص105

(2) يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص115-مؤلف مجهول:زهرالبستان-ورقة78ظ-79ظ-د.عبدالحميد حاجيات:نفسه:ص106د.مصطفى أبو ضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص158

(3)د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص106-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:المرجع السابق-ص158

(4) العبر:ج7-ص263-يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-113

وفاوض في شأن أبي زيان بن أبي سعيد مع السلطان المريني الذي أطلق سراحه،واتفق مع الوزير المريني عمربن عبدالله،وعندما أفرج عن أبي زيان بن أبي سعيد،دبر خالد في خطة لإدخال أبي زيان إلى تلمسان ومنافسة أبي حمو الثاني.ولإحباط مؤامرة خالد بن عامر وأبي زيان بن السلطان أبي سعيد،بعث أبو حمو فورا إلى عبدالله بن مسلم يأمره بإنهاء العمليات في المنطقة الشرقية،والرجوع بالجيش إلى تلمسان(1)،وفي نفس الوقت جهز جيشا من فرسان تلمسان وأحوازها،وبعثه بقيادة الشيخ عمران بن موسى اللؤلؤي لملاقة خالد وأبا زيان بن السلطان أبي سعيد وقواهم(2)،ووقع اللقاء بجبل بني ورنيد المطل على مدينة تلمسان من جهة الجنوب،فانهزم خالد بن عامر وجموعه،وتركوا كثيرا من الغنائم والأسرى في منتصف شوال 763هـ-1362م(3).ثم رأى أبو حمو أن يصانع بني عامر،الموالين له فبذل لهم ما أرضاهم من المال(4).ربما كان أبوحمو الثاني يريد إبعاد بني عامر بن حميد وبني عامر بن شافع وحميان عن خالد بن عامر،حتى لا تنحاز إليه وفي الوقت نفسه الحفاظ على توازن قواته العسكرية خاصة وأن الظرف لم يكن في صالح أبي حمو،إذا فقد قوة مثل قوة بني عامر؛لأن المنافس هو ابن عمه،وبعد أن انهزم خالدبن عامر فإنه رافق أبا زيان بن السلطان أبي سعيد إلى بلاد الذواودة حيث أجارهم شيخهم يعقوب بن علي(5).وبعدها التحق أبوزيان ببجاية عند الأمير أبي إسحاق وطلب منه المساعدة والدعم،وكان الأمير أبو عبدالله محمد بن أبي زكريا بن السلطان أبي يحي

(1)العبر:ج7-ص263-بغية الرواد-ج2-ص113

(2)د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص106-د.مصطفى أبوضيف:المرجع السابق-س159

(3)نفسه:ص132- مؤلف مجهول:زهر البستان-ورقة86و-87-وورقة92ظ-93ظ-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى-ص107

(4)بغية الرواد:ج2-135-د.عبدالحميد حاجيات:نفسه-ص108

(5)يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-135-د.عبد الحميد حاجيات:أبو موسى-ص108-د.مصطفى أبو ضيف:المرجع السابق-ص156

الحفصي ينافس آنذاك أبا إسحاق على بجاية.وقد استعان ببعض قبائل الأعراب وربما من بين هذه القبائل بني يزيد أبناء عمومة حميان التي بقيت مستقرة بفحص حمزة وبلاد بني حسن قصد الاستيلاء عليها.وقد أرسل أبو عبدالله محمد بن أبي زكريا حاجبه أبا زكريا يحي بن خلدون صاحب كتاب بغية الرواد في شهرصفر764هـ-1363م(1) مستنجدا بأبي حمو الثاني طالبا مساعدته ضد أبي إسحاق،فوجد يحي بن خلدون عند أبي حمو بعض الاستعداد لتلبية طلبه،مما شجع الأميرأبا عبدالله على الوفادة بنفسه في 8جمادي الثانية 764هـ-1363م(2)مجددا طلبه لأبي حمو الثاني.ولكن أبا إسحاق أمير بجاية كان قد بعث في تلك الأثناء وزيره إلى أبي حمو يعرض عليه الصلح،ويلتزم باعتقال أبي زيان ويطلب منه ألا يساعد أبا عبدالله في شيء،فرضي أبو حمو الثاني بهذا الاتفاق،ولم يجب طلب الأمير أبي عبدالله(3)؛لأن المنافس لأبي حمو الثاني يوجد عند أبي إسحاق،وليس بيد أبي عبدالله محمد،وبما أن أبا إسحاق لبى رغبة أبا حمو الثاني في إلقاء القبض على أبي زيان بن السلطان أبي سعيد فطلب إسحاق أولى من طلب أبي عبدالله محمد بن السلطان أبي زكرياء.ولما بلغ أبو زيان بن السلطان أبي سعيد خبر بما كان يدبر على حسابه،فلم تمر إلا أيام قلائل حتى وصل إلى تلمسان نبأ فرار أبي زيان بن السلطان أبي سعيد من بجاية إلى فحص حمزة عند أبي الليل بن موسى شيخ بني يزيد(4)وكان هذا الأخير حانقا على أبي حمو لما قام به الوزير ابن مسلم من غارات في تلك الناحية قصد إخضاع بني يزيد فبايع الشيخ أبو الليل أبا زيان بن أبي سعيد،وخلع طاعة أبي حمو وبدأ يغير بقومه على نواحي المدية.الأمر الذي جعل أبا حمو يشعر بخطر الموقف. وكان يخشى ثورة عامة بين قبائل

(1)بغية الرواد:ج2-ص135-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص108

(2)العبر:ج7-ص263-بغيةالرواد:ج2-ص135-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص108

(3)نفسه:ص264-بغية الرواد:ج2-ص136

(4)بغية الرواد-ج2-ص136-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص108

الناحية الشرقية،فبعث أبوحمو الثاني مرة أخرى وزيره ابن مسلم إلى الجهة الشرقية،واعتصم الشيخ أبوالليل وقومه بجبل جرجرة،فحاصرهم جيش بني عبدالواد(1)،ودام الحصار إلى أن أذعن أبو الليل للطاعة،والتزم صرف أبي زيان بن السلطان أبي سعيد عن بلاده،فانصرف إلى تونس في رمضان 764هـ-1363م(2).وعاد ابن مسلم إلى تلمسان بعد أن أعاد سلطة بني عبدالواد في فحص حمزة،وأبعد عن تلك الناحية خطر الأمير أبي زيان بن السلطان أبي سعيد(3).ويبدو من هذه الأحداث أن أبناء عمومة حميان وهم بنويزيد القاطنين بفحص حمزة وبلاد بني حسن،بقيادة شيخهم أبي الليل،قد وقفوا إلى جانب أبي زيان،وخالفوا أبا حموالثاني،وتعرضوا لحصار حتى أعلن شيخهم الإذعان والطاعة لأبي حمو وتشير المصادر التاريخية أن أبا حمو هاجم بني يزيد عندما أراد الاستيلاء على بجاية،مماجعل أبو الليل ينتقم من أبي حمو مستغلا وجود ابن عمه أبي زيان،فكيف كان موقف حميان وبني عامر من هجوم أبي حمو على أبناء عمومتهم في فحص حمزة؟بعد سيطرة بني عبدالواد على المغرب الأوسط تمكنوا من اقتطاع أوطان حمزة من نواحي بجاية، وصارت من أملاكهم وتمكن بنويزيد من الاستقلال بأوطانهم وتوزيع جباهًا على بطونهم خلال فترة ضعف الدولة الموحدية،وأثناء الصراع الذي دار بين أبي زيان وأبي حمو الثاني حول السلطة ثار عرب بني يزيد،وناصروا أبا زيان فأسرع أبو حمو بإرسال قواته التي قامت بتدمير وطن حمزة وبني حسن،وأصاب أبو حمو بعمله هذا مقتلا من عرب بني يزيد نظرا لبدء موسم الحصاد في ذلك الوقت(4).مماضطر عرب بني يزيد بزعامة أبي الليل للهروب إلى حصن. جرجرة فحاصرته قوات أبي حمو فأعلن

(1)يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2- ص135-د.عبدالحميد حاجيات:نفسه-ص108

(2)د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص108

(3) نفسه:ص108.مصطفى أبو ضيف عمر:القبائل العربية-ص156

(4) العبر:ج6-ص41-42و51-بغية الرواد:ج2-ص.ص133-135

طاعته وأعطى ولده رهنا على ذلك(1)،إن استيلاء بني عبدالواد على نواحي بجاية وهـي بلاد حمزة وبني حسن ربما أدى إلى حرمان بني يزيد من الامتيازات التي تحصلوا عليها من الدولة الموحدية،ومن الجباية التي كانوا يأخذونها من زواوة وكان ردفعل بني يزيد هـو الانتقام من أبي حمو(2)،ويلاحظ أن بطون بني يزيد كانوا لايزالـون يـستقرون بمنطقـة بجاية،وفي الوقت نفسه لم يذكر المؤرخون موقف حميان وبني عامر من جراء ماأصاب أبناء عمومتهم على يد أبي حمو الثاني،وهل بقيت حميان وبني عامر بن حميد محافظة على ولائها لبني عبدالواد؟لا شك أن حميان وبني عامربقيت على ولائها للإمـارة الزيانيـة؛ لأن أي موقف سلبي اتجاه بني زيان سيؤدي إلى حرمانهم من الإقطاعات والامتيازات التي قدمتها الإمارة الزيانية لهم في صحراء تلمسان وفي أرياف تلمسان وكذلك في المنطقـة التليـة الممتدة من تسالة إلى جبل هيدور بوهران،وفي رواية عبدالرحمان بن خلدون وعندما ظهر أبوزيان بن السلطان أبي سعيد عم أبي حمو يطالب بملك أجداده دخل في حرب مع ابـن عمه أبي حمو الثاني،تخلت زغبة عن أبي حمو باستثناء بني عامرالتي بقيت مخلصة لـه(3)وفي أوائل سنة765هـ-1364م تأزم الوضع من جديد بين إمـارة بـني زيـان وإمـارة بـني مرين(4)،وكان لنبأ موت ابن مسلم أسوأ الأثر في نفوس مقاتلي الجيش الزياني،فانحـاز الكثير منهم إلى جيش أبي زيان القبي وخاصة قبائل العرب،ولكن لم يذكر المؤرخون لماذا انحازت قبائل العرب إلى أبي زيان. القبي وانحرفت عن أبي حمو؟

(1)د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية في المغرب-ص160

(2) العبر:ج7-ص127-د.مصطفى أبوضيف:القبائل العربية-ص160

(3)ينظرإلى:العبر-ج7-127-يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص135-مؤلف مجهول:زهر البستان-ورقـة90و93ظ-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص109

(4)يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص146-د.عبدالحميد حاجيات:أبـو حمـو موسـى الزيـاني-ص 109د.مـصطفى أبوضيف:المرجع السابق-ص161

إذ تألبت قبائل العرب من أولاد حسين وسويد وبني عامر بن حميد وشافع وحميان مناصرين منافسه أبا زيان،وأمام تشنج الوضع اتخذ أبو حمو جملة من الإجراءات ففي 4ذي الحجة 765هـ-1364م بعث عثمان بن مسلم أخا الوزير للقاء العساكر والربط من جأشها(1).وفي 8ذي الحجة 765هـ بعث لمساعدته جيشا آخر بقيادة ابنه أبي تاشفين،وخرج أبو حمو الثاني بنفسه في 11ذي الحجة 765هـ في اتجاه الأعداء،وعندما قرب من البطحاء لقي جيوشه راجعة فثناها عن وجهتها،وأقام عسكره بالبطحاء بينما كان جيش أبي زيان معسكرا بإغيل ايزان قريبا منه.وفي 25ذي الحجة 765هـ(2)،وقعت معركة البطحاء التي شنها أبوزيان القبي وجموعه المتكونة من قبائل عرب أولاد حسين من المعقل بقيادة أحمد بن رحو بن غانم،واتفقوا مع عرب سويد بقيادة ونزمار بن عريف وبني مرين وأبي زيان القبي منافسه على السلطة على مهاجمة بلاد منداس من المغرب الأوسط(3)،على جيش أبي حمو فزحفت إليهم قوات بني عبدالواد،ولكنها هزمت كلها في 765هـ-1364م هزيمة نكراء،وغادر أبوحمو الثاني تاركا وراءه آلاته ومتاعه للعدو،وجمع حرمه وأمواله وقصد عاصمته يبغي النجاة(4)عندئذ ضرب أبوزيان وأنصاره خيام معسكرهم بالبطحاء،بينما اتبع أحمد بن رحو شيخ أولاد حسين أبا حمو يريد إلقاء القبض عليه والقضاء على أمره قبل أن يصل إلى تلمسان،مغتنما فرصة هذا النصر المفاجئ فاعترض له بسيق،لكنه لم ينجح في مهمته وقتل أحمد بن رحو،وتابع أبوحمو طريقه إلى تلمسان فدخلها في 28ذي الحجة765هـ(5)

---

(1)د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص110

(2)نفسه:ص110

(3)العبر:ج7-ص266-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص111

(4)نفسه:ص82-يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص146و151

(5) نفسه:ص130-بغية الرواد-ج2-ص.ص195-196

وكان لأولاد حسين مكانة عند الأمير أبي زيان القبي،فكان يشاورهم في أموره ويطمئن إلى رأيهم دون بني عامر بن حميد وشافع وحميان مماجعل هؤلاء يغضبون من تـصرف أبي زيان القبي،ويسخطون من استبداد المعقل أولاد حسين عليهم(1)،وكان خالد بن عـامر شيخ بني عامر بن حميد آنذاك معتقلا في تلمسان بأمر من أبي حمو الثاني،فرأى الـسلطان إطلاق سراحه وشرط عليه أن يبعد قومه عن طاعة أبي زيان(2)،وقد استطاع خالد بـن عامر أن يصرف قومه عن أبي زيان القبي،ودب الشقاق في صفوف قوات أبي زيـان،أي بين أولاد حسين وبني عامر(3)،ويتضح مدى أهمية اعتماد بـني عبـدالواد علـى بـني عامر،وارتبط ذلك باستمرار وقوة دولتهم،ولم ينقذه من الهزيمة سوى إطلاق سراح خالد ابن عامر الذي استألف عرب زغبة تحت قيادته،وتمكن من القضاء على تحالف المعقـل وسويد وبني مرين (4)،بل استطاع أيضا أن يساعد أبا حمو الثاني في مهاجمة ونزمار بـن عريف في 766هـ-1365م على الحدود المرينية،وحطم وطنه كرسـيف،ونهبت بنوعـامر محاصيله انتقاما لتدمير سويد لقصورها بالصحراء مما اضطر ونزماربن عريف إلى الهروب إلى معاقل الجبال(5) ولما ضرب أبوزيان وقواته من المعقل وسويد،نزل بنوعامر بـوادي يسر،ثم انصرفوا نحو الصحراء اخذين على ثنية فرتون طريقهم المعتـادة إلى الجنـوب، وعندما انخذل بنو عامر عن أبي زيان القبي ضعفت قواته،وانتهى أمره بعـد أن تفرقـت جموعه من حوله بدون قتال(6)،والتحقت حاشيته من وجهاء بني عبدالواد بأبي حمو الثاني.

(1)العبر:ج7-ص82د.عبد الحميد حاجيات:أبو موسى الزياني-ص112

(2)د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص111

(3)نفسه:ص113

(4)العبر:ج7-ص127-بغية الرواد-ج2-ص146و151

(5)نفسه:ص130-بغية الرواد-ج2-ص195-196

(6)بغية الرواد-ج2-196-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى-ص112

بعد أن عفا عنهم.تمكن أبو حمو الثاني من تفكيك التحالف الذي كان بين قبائل العرب وأبي زيان القبي،باستقطاب بني عامر إلى جانبه،واستطاع أن يجعل حدا لمنافسة أبي زيان القبي،حيث منح قبيلة بني عامر الأموال والإقطاعات(1)،ويرى عبدالحميد حاجيات أن خضوع الأمير أبي حمو لمطالب قبائل العرب سويد وبني عامر فتح بابا يؤدي إلى إضعاف دولته،ويسير بها حتما إلى التفكك والانهيار،وبعد ست سنوات من حكمه بدأت الأوضاع السياسية تعرف تطورا خطيرا،وأخذت إمارة بني زيان تتنازل عن امتيازات هامة لفائدة عرب زغبة(2).وكانت هذه الفترة الأولى من عهد أبي حمو أقوى فترات إمارته،شملت سلطته فيها جميع بلاد المغرب الأوسط وتمكن خلالها أن يعيد قوة الإمارة الزيانية(3)وكانت قبائل العرب لا تشكل خطرا كبيرا على عرشه إلى أن انهزمت قواته بالبطحاء.وعندئذ اتضح لعرب زغبة مايمكن لهم أن يستفيدوا من خلال مساهمتهم في الحروب القائمة بين أبي حمو الثاني ومنافسيه من قبيلته أو أسرته بالانحياز إلى جانبه أو بتأييد خصومه(4)،لقد أدركت قبائل العرب ضعف أبي حمو موسى الثاني،وأخذت تضغط على السلطة الزيانية خاصة بعد معركة البطحاء التي انهزمت فيها قواته،وقد نجم عن هزيمة البطحاء تراجع نفوذ أبي حمو في المناطق الشرقية،حيث انضمت العرب القاطنة وربما من بينها أبناء عمومة حميان من بني يزيد إلى أبي زيان القبي،وفي نفس الوقت أعربوا عن ارتياحهم لفشل السلطان أبي حمو موسى الثاني وعزموا على العمل للقضاء على إمارته،إذا امتنع عن تلبية مطالبهم(5).ولاشك أن أبا حموالثاني اعتمد منذ تأسيس إمارته

---

(1)بغية الرواد-ج2-ص 196-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص113

(2) العبر:ج7-ص 128-بغية الرواد-ج2-ص196

(3)نفسه:ص129-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص113

(4)بغية الرواد-ج2-ص197

(5)د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص114

على بني عامر ومن جملتهم حميان،بل أكثر من هذا فإن بني عامربن حميد بقيادة صغير هي التي ساهمت في إعادة إحياء إمارة بني عبدالواد،وبالتالي فكان يرى بنوعامر بن حميد وشافع وحميان أنهم لهم الحق في الإقطاعات والامتيازات قبل غيرهم من القبائل الأخرى،ويبدو أن عدم التزام أبي حمو الثاني بمواقفه اتجاه بني عامر بن حميد وشافع وحميان وتخليه عن قبيلة بني عامر من جهة وتنوع حلفائه من فترة إلى أخرى من جهة أخرى هي التي جعلته يصل إلى هذه المرحلة من الضعف،بل أنه فقد إدارة الحكم،وأصبحت قبائل العرب بني عامر وسويد والمعقل هي التي تتحكم في سياسة إمارة بني عبدالواد.وقد أدرك أبو حمو الثاني الغرض من انحياز قبائل العرب بما فيهم بني عامر لمنافسه أبي زيان القبي فقام بتلبية رغباتهم وذلك لتجنب خطرهم والاستراحة من فتنتهم(1).ويبدو أن الطريقة التي عالج أبو حمو الثاني بها فتنة الأعراب،فتحت الباب على مصراعيه أمام طمعهم في الاستيلاء على الأراضي الغنية والحصول على إقطاعات واسعة على حساب إمارة بني زيان(2)،وفي تقديري أن هذه الرواية تحتاج إلى مراجعة،فقبائل العرب من خلال المسار التاريخي للأحداث سواء كانت عرب سويد أو بني عامر،أو المعقل هي التي كانت تتحكم بصورة مباشرة أو غير مباشرة في سياسة الإمارة الزيانية في عهد أبي حمو موسى الثاني،بحكم أنها هي التي نصبت السلطان أبي حمو الثاني على عرش بني عبدالواد،بل كانت لها القدرة والقوة اللازمة والكافية لاستغلال أراضي التل الخصبة دون الرجوع إلى أبي حمو الثاني أو مطالبته بهذه الإمتيازات.فسياسة الأمر الواقع التي كانت تفرضها هذه القبائل على السلطة الزيانية في كثير من الأحيان هي التي كانت تدفع بأبي حمو الثاني إلى منحها المزيد من الإقطاعات والامتيازات.

(1)د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني–ص114

(2)نفسه:ص114

فإمارة بني زيان كانت قوية إلا بفضل هذه القبائل،ويظهر ذلك من خـــلال انهزاماتهـــا المتكررة في غياب قبيلة سويد أو بني عامر،أو المعقـــل أوريـــاح ويـــذكر عبدالحميـــد حاجيات"...ستكون مواقف العرب كلها مستوحاة من هذه الأغراض متسمة بهـــذا الطابع الذي اصطبغت به مواقفهم السياسية في ذلك العصر،والذي يهـــدف إلـــى إثارة الفتن للضغط على السلطان ونيل ماتصبو إليه نفوسهم..."(1).وبعد أن تمكن أبو حمو الثاني من إحباط محاولة أبي زيان القبي بفضل عودة قوة بني عامر بن حميد وشافع وحميان إلى الجيش الزياني،اعتقد أنه حسم الخلاف في المغرب الأوسط،وأخذ يتطلـــع إلى منطقة الحدود الشرقية؛لأنها منطقة ساخنة في الصراع الحفصي الزياني،وكان يفكـــر في معالجة شؤونها،ومدافعة هجوم أمير بجاية الحفصي عليها،ذلك أن الأمـــير أبـــا عبـــدالله الحفصي استولى على بجاية سنة765هـ الذي اغتنم فرصة هزيمة أبي حمو الثاني في البطحاء للاستيلاء على تدلس وإجلاء بني عبدالواد عنها(2).وعندئذ أنهض أبو حمو الثاني وزيـــره عمران بن موسى لاسترجاعها،فحاصرها أياما ولكنها امتنعت عليه،وعاد إلى تلمسان من دون أن تسفر مهمته عن أية نتيجة في أوائل 766هـ–1365م(3)،وربما يعود فشل عمـــران بن موسى في محاصرة تدلس إلى قلة جيشه أو عدم مشاركة بني عامر بن حميد وحميان في هذا الحصارورغم الاتفاق الذي وقع بين أبي حمو الثاني وأبي عبدالله الحفـــصي ضـــد أبي العباس بن عم أبي عبدالله الحفصي والمصاهرة التي تمت بينهما في أوائـــل ربيـــع الثـــاني 767هـ_1366م(4)،إلا أباحمو لم يتمكن من استعادة بجاية؛ لأن أبا العباس الحفصي وجه له جيشا بقيادة بشير،واستعان بالأمير ابن عم أبي حمو وهو أبا زيان. ابن السلطان أبي سعيد

(1)ينظر إلى أبي حمو موسى الزياني–ص114

(2)العبر: ج7–ص267–د. عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني–ص115

(3نفسه:ص268–يحي بن خلدون:بغية الرواد–ج2–166

(4)د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني–ص115

الذي كان آنذاك رهين السجن بقسنطينة، واصطدم أبو حمو الثاني بجيش القائد بشير قبل أن يصل إلى بجاية، وأبدى جيش بشير مقاومة شديدة ومنعت الجيش الزياني من أن يلحق به الهزيمة ويقضي عليه.ولما شعر أبو حمو بما لم يكن ينتظره من استعصاء قوة أعدائه،أقلع عنهم وراح يضرب الحصار على بجاية معتقدا أنه يفتحها بمساعدة الساخطين علـــى أبي العباس من سكان بجاية،ولكن خاب أمله في أتباعه العرب واختل التوازن في صـــفوف جيشه،وانقلب هجومه إلى هزيمة شنعاء(1).وأسر وقتل فيها كثير مـــن جنوده،والتحـــق الباقون بمنافسه أبي زيان،فلم يسع أبا حمو إلا الفرار بنفسه،تاركا لعدوه حرمه وكثير من المال والعتاد،فكانت أكبر هزيمة عرفها أبوحمـــو في حياتـــه في 8ذي الحجـــة767هـــ-1366م(2)،وقد نجم عن هزيمة أبي حمو في بجاية أن تقوى أبوزيان ابن عمه ومنافسه علـــى السلطة،بما نضم إليه من الجيش المهزوم،وأعلن عرب المناطق الشرقية،وربما من بين هذه القبائل العربية بني يزيد أبناء عمومة حميان المستقرين بفحص حمزة وبلاد بـــني حـــسن تأييدهم لأبي زيان،فأصبح يحتل لأول مرة مكانة هامة في المغرب الأوسط(3)وصار بإمكانه أن يطالب بعرش أبيه معتمدا على قوى لا يستهان بها وأتباع كثيرين.ويبدو أن الهزيمـــة العسكرية التي مني بها أبوحمو في بجاية،أدت إلى انهيار معنويـــات قواته،وشـــتت شملـــها وقضت على كثير من أبطال فرسان بني عبدالواد،وقد نجم عن ذلك أن ضعف نفوذ أبي حمو الثاني في كثير من نواحي المغرب الأوسط،وأقطعهما ما طلبوه مـــن الـــبلاد رغـــم اشتطاطهما،إلا أن تيار ثورة أبي زيان وارتفاع أمره أغراهما بالانضمام تاركا حماية بـــاقي

(1)العبر: ج7-ص270-بغية الرواد: ج2-ص.ص182-183

(2)العبر: ج7-ص.ص270-271-بغية الرواد: ج2-ص.ص182-183-د.عبد الحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزيـــاني-ص116

(3)د. عبد الحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني- ص116

البلاد لأولاد عامر بن إبراهيم،وأولاد عسكر المخلصين له من بني عامر ومحمد بن عريف وبعض عرب سويد(1).ولما خذل عرب المغرب الأوسط أبا حمو الثاني وزالت هيبته من نفوس قبائل العرب،وأخذت قبائل العرب في المغرب الأوسط توجه أنظارها نحو أراضي التل الخصبة،وترى أن الفرصة سانحة لها للاستيلاء على تلك الأراضي وإنماء ماشيتها وأموالها وبعد أن ذاقت حياة الشظف والعناء في الجنوب(2)،وأدركت عرب زغبة أن الوقت حان للسيطرة على الأراضي الزراعية الخصبة،وفي رواية الميلي "**...فلما تمكن الضعف بني عبدالواد أيام أبي حمو الثاني،نزل أبوزيان جبل تيطري سنة767هـ،وقام بدعوته حصين وسويد وبعض بني عامر،وكاد أن يتغلب على تلمسان ودامت ثورته نحو اثنى عشر سنة،توالت فيها على أبي حمو الهزائم،وتغلبت على كثير من التلول...**"(3).انحازت قبيلة حصين إلى جانب أبي زيان بن السلطان أبي سعيد وكانت مستقرة ناحية تيطري الجبلية،وكان سبب ذلك أن سئمت قبيلة حصين من دفع الضرائب للسلطان أبي حمو الثاني.فارتكبوا صعب الشقاق لمغبة العز وبايعوه على الموت الأحمر،ووثقوا بمعتصمهم من جبل تيطري أن دهمهم عسكر السلطان(4).ويلاحظ أن أبا حمو الثاني لما فشل في صد عدوان ابن عمه أبي زيان بن السلطان أبي سعيد،نهض بنفسه وخرج من تلمسان في 27جمادي الأولى768هـ-1367م.فجمع ماقدر عليه من الجنود،وبعث رسله إلى قبائل العرب يعرض عليهم الأموال والاقطاعات،ثم مر بقلعة بني سلامة حيث كان مقر أبي بكر شيخ سويد،فطلب منه مشايعته ضد أبي زيان وذلك في شعبان 768هـ-1367م.

(1)العبر: ج7-ص130-بغية الرواد-ج2-ص.ص196-197

(2)د.عبد الحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص117

(3) ينظر إلى:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص374

(4)العبر: ج7-ص271-ابن عودة المزاري:طلوع سعد السعود-ج1-ص186

وانضم إليهما خالد بن عامر وقومه،ولكن هذا الحلف لم يلبث أن افترق شمله،وذلك أن أبا بكر بن عريف وخالد بن عامر انفصلا عن أبي حمو بعد قليل،فطاردهما قصد إرغامهما على طاعته،وتبعهما إلى ناحية جرجرة ووادي الدوم،وربما كان فرارهما إلى ناحية بجاية أن وجد أبوبكر بن عريف وخالد بن عامر الدعم والحماية من أبناء عمومة حميان وهم بني يزيد،ولكنه لم ينجح في إخضاعهما،وعاد إلى تلمسان بعد أن شنوا عليه الغارة وهزموا عسكره ونهبوا ذخائره(1).ثم التحق بنوعامر الموالين لخالد بن عامر وسويد والديالم والعطاف بأبي زيان بن السلطان أبي سعيد،فاعتقد أن الأمر صار سهلا،وأن أيام أبي حمو الثاني أصبحت معدودة، فقصدأبوزيان والمدن في طريقه تنحاز إلى جانبه كتنس ومستغانم ومزغران ووهران(2).إلى أن بلغ وادي مينا بإغيل إيزان،فعسكر قرب البطحاء منتظرا قدوم أبي حمو الثاني،وعازما على القضاء عليه،أما السلطان أبوحمو الثاني فإنه خرج من تلمسان في 6ذي القعدة 768هـ(3)،وأمر أتباعه المقيمين آنذاك بتاسالة،وربما من بني عامر المنشقين عن خالدبن عامر وشافع وحميان بالتوجه نحو البطحاء وعندما بلغ معسكر أبي زيان انقض على مقدمة جيشه بغتة،فتراجعت مهزومة،وأحدث ذلك قلقا واضطرابا وسط باقي جيش أبي زيان وأحلافه،فتفرقوا من حوله وغادروا ساحة القتال،وانصرفوا إلى مناطقهم المختلفة(4).وعندما شعرت قبائل العرب بقوة أبي حمو الثاني ووفد شيوخ سويد والديالم والعطاف على أبي حمو الثاني،والتمسوا منه العفو،وأعربوا له عن إذعانهم لطاعته كما بعثت المدن بيعاتها إلا مدينة الجزائر(5).

---

(1) العبر:ج7-ص272-يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص196

(2بغية الرواد-ج2-:ص196-ابن عودة المزاري:طلوع سعد السعود-ج1-ص186-د.عبدالحميد حاجيات:ص121

(3) نفسه: ص.ص197-198

(4) نفسه:ص198-د.عبد الحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص121

(5)العبر:ج7-ص.ص272-273-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص122

وانقلب الوضع فبينما كان أبو حمو الثاني يقوم بمحاولة يائسة للدفاع عن عرشه، أصبح بعد انتصاره في البطحاء يطارد عدوه،ويسترجع نفوذه في المنطقة الشرقية(1).وتوجه أبو حمو الثاني بعد انتصاره على أبي زيان ابن عمه وأتباعه،فر خالد بن عامر وأبوبكر بن عريف إلى الجنوب،توجه أبوحمو الثاني عبر ناحية شلف إلى بسيط مليانة في محرم 769هـ-1368م(2) فافتتحها وأصلح أحوالها وحصنها،وبعث رسله إلى الذواودة من رياح على حين طاعتهم إليه من يعقوب بن علي بن أحمد وعثمان بن يوسف بن سليمان بن علي أميري الذواودة للتفاوض معهم في تأسيس حلف معهم وكانت الظروف مواتية لتحقيق هذا الحلف،بحيث كان الذواودة من بني رياح في نزاع مع أبي العباس الحفصي صاحب قسنطينة وبجاية،واتفق معهم للحركة على الأمير أبي زيان ابن عمه منافسه على السلطة وبعدها إلى بجاية(3).ربما لتقوية صفوف جيشه فضمنوا له طاعة البدو من الرياح وبعثوا عليه ذمتهم على ذلك،فردها وثوقا بهم،بهذا أصبح لأبي حمو الثاني حلفاء جدد يستعين بهم على مواجهة عدوه،ثم عاد إلى تلمسان في 15ربيع الثاني 769هـ-1368م.ويبدو أن أبا زيان بن السلطان أبي سعيد ارتحل من بجاية واتجه إلى أنصاره وهم حصين،واعتصم هناك بجبال تيطري(4).وقرر أبو حمو الثاني العمل للقضاء على منافسه أبي زيان،فنهض بجيشه في 7شعبان 769هـ-1368م،وقد اجتمع إليه الكثير من عرب زغبة واتجه نحو المنطقة الشرقية،وبدأ السير إلى الجنوب لتصفية أنصار أبي زيان وعلى رأسهم خالد بن عامر وأبي بكر بن عريف،ولكنهم فروا إلى الصحراء(5).

(1)العبر:ج7-ص273-:بغية الرواد-ج2-ص.ص202-206-د.عبد الحميد حاجيات:نفسه-ص122

(2) ينظر إلى العبر:ج7-ص272د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص168

(3)العبر:ج7-ص.ص130-131:بغية الرواد-ج2-ص200-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:المرجع السابق-ص160

(4)بغية الرواد:ج2-ص200

(5)العبر:ج7-ص.130-131-بغية الرواد:ج2-ص200-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص122

وأغذ إليه السير يعقوب بن علي وعثمان بن يوسف بمن معهم من جموع رياح حتى نزلوا بالقطعة حذاهم،قصد مع أحلافه من الذواودة جبال تيطري للقضاء على أبي زيان،وانضم إلى منافسه بنوعامر وسويد يقودهم خالد بن عامر وأبوبكر بن عريف.حاول أبوحمو الثاني ضرب الحصار عليهم إلا أن هؤلاء لم يمهلوه وهاجموه بعنف،فاختل جيشه وانهزم ونجا بنفسه إلى تلمسان عن طريق الجنوب،ورجع الذواودة إلى بلادهم في شوال769هـ-1368م(1).وفي رواية عبدالرحمان بن خلدون"...وبادر أولاد **عريف وخالد بن عامر إلى الدواودة ليشردوهم عن البلاد قبل أن تتصل يد السلطان بيدهم فصبحوهم يوم الخميس في أواخر ذي القعدة 769هـ،ودارت بينهم حرب شديدة وأجفل الدواودة أولا،ثم كان لهم الظهور مرة أخرى..."**(2). واضطر أبو حمو الثاني للاستعانة بعرب رياح بإفريقية بزعامة الذواودة،وأحرز نصرا على الثائرين عليه في 768هـ-1367م،وقتل الكثير من عرب زغبة(3).واعتقل أبو حمو شيوخ زغبة الذين اضطرته الظروف للصبر على احتمال تجبرهم واستبدادهم كعبدالله بن شيفر وسعد بن العباس وزيان بن يعقوب وزرين بن رحو بن منصور ومنديل بن يحي الصغير،وكافأ أحلافه الجدد من رياح ووزع الثياب الفخمة على فرسانهم،وأعطى مرسوم الخدمة لزعمائهم مع مبلغ كبير من المال (4).فزحفوا في 769هـ-1368م لمحاصرة عرب حصين بحصن تيطري أو أشير،وماأن تخاذلت رياح وانسحبت عائدة إلى أوطانها،حتى وقعت الهزيمة بأبي حمو الثاني بعد عودة حلفائه الذواودة إلى بلادهم.

(1)د.عبد الحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص123

(2)ينظر إلى العبر:ج6-ص53-د.مصطفى أبوضيف:المرجع السابق-ص160

(3)العبر:ج7-ص131-:بغية الرواد-ج2-ص 202-206-208-223-د.عبد الحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص123

(4)العبر:ج7-ص131-بغية الرواد-ج2-ص223-د.مصطفى أبوضيف :القبائل العربية-ص161

أصبح أبو حمو الثاني في موقف يدعو إلى القلق،وكاد أن يقتل لولا أنصاره من عرب أولاد عسكر بن معرف من بني عامر الذين حموه حتى عاد إلى تلمسان فأحسن إليهم،وأطلق سراح المعتقلين من زعماء عرب زغبة،من جديد أبي زيان في الزحف إلى تلمسان،وضعف السلطان الزياني وتراجع جيشه الذي كان يضم في صفوف بني عامر وحميان يطارده أبو زيان وحلفائه،وتوغلوا في البلاد إلى أن بلغوا سيرات قبلة مستغانم(1)،بينما ذكر عبدالرحمان بن خلدون أن انحازت كافة عرب زغبة إلى الأمير أبي زيان الذي اتبع آثار المنهزمين ونزل بسيرات،خرج السلطان أبو حمو الثاني في قومه ومن بقي معه من بني عامر،وتقدم خالد بن عامر على مصادمته ففله السلطان وأجفل القوم من ورائه(2.ويلاحظ أن أبي حمو الثاني استخدم حنكته السياسية بعد أن فشل عسكريا،حيث أدرك أهمية محالفيه من عرب بني عامر وغيرهم من العرب،فهادن خالد ابن عامر زعيم عرب بني عامر وأبا بكر بن عريف من عرب سويد،فعمل على إبعاد الأتباع عن أبي زيان وبذل لهما الأموال الكثيرة وتلطف في استئلاف خالد بن عامر للعودة لخدمته مقابل مبلغ كبير من المال حتى يتمكن من مقاومة أنصار أبي زيان(3).وبادر خالد بن عامر بالانفصال عن أبي زيان،وانحاز إلى أبي حمو الثاني،وتفرقت كثير من القبائل الأخرى عن أبي زيان،فعاد إلى معتصمه بالمنطقة الشرقية في ذي الحجة769هـ-1368م(4).وفد محمد بن عريف من عرب سويد على أبي حمو الثاني فعافا عنه،وبعث معه الوزير عمران بن موسى للحاق بأبي بكربن عريف لاستقصاء الشرط الذي التزم في أبي زيان.يبدو من خلال الأحداث السابقة أنه بمجرد التحاق خالد بن عامر بأبي حمو الثاني

(1)العبر:ج7-ص274-بغية الرواد:ج2-ص207

(2) يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص.ص207_208

(3)العبر:ج7-ص274-يحي بن خلدون:ج2-ص.ص22-223

(4) نفسه:ص274-بغية الرواد-ج2-ص223

حتى تلاشى حلف أبي زيان وانضمت جموع عرب زغبة إلى أبي حمو مما يبين وزن خالد وقومه من بني عامر بن حميد وشافع وحميان في المعادلة السياسية والعسكرية في المغرب الأوسط،والغالب على الظن أن فريقا من بني عامر وحميان بقي محالفا لأبي حمو الثاني لأن هناك جماعة من بني عامر لم تنضم إلى خالد بن عامر وبقيت شيعا لأبي حمو الثاني.إن تجدد الصراع بين أبي حمو الثاني وابن عمه أبي زيان في ذي القعدة 770هـ-1369م،وتمادي الكثير من عرب المنطقة الشرقية،وربما من بينهم عرب بني يزيد والثعالبة وحصين وغيرهم في مد يد المساعدة لمنافسه أبي زيان وخاصة أبوبكر بن عريف(1)،خشي أبو حمو الثاني مرة أخرى أن يستفحل الأمر فنهض إلى الشرق بجميع ماكان لديه من الجيوش التي كانت تتكون من بني عامر وحميان،وقرر إتباع سياسة الشدة والحزم إزاء سويد وأحلافهم(2) بعد أن أخفقت سياسة اللين والمداهنة،وحثه على اتخاذ هذا الموقف خالد بن عامر عدو سويد اللذوذ(3).ويلاحظ أن أبا حمو الثاني أخذ برأي خالد بن عامر فكلف وزيره عمران بن موسى وأجازه إلى الأندلس وأمر بسجن محمد بن عريف وسعد بن العباس في ذي الحجة 770هـ-1369م(4)،ظنا منه أن محمد بن عريف أفسد علاقة سويد وبني يعقوب والديالم والعطاف بالإمارة الزيانية،مماجعل أبو حمو الثاني يلقي القبض على محمد بن عريف رئيس سويد اعتقادا منه أن محمد بن عريف حرض عرب زغبة على الابتعاد عن أبي حمو ومن خلال هذه الأحداث يخلص عبد الحميد حاجيات إلى نتيجة وهي أن أبا حمو الثاني ارتكب خطأ عندما أخذ برأي خالد بن عامر الذي كان يقضي بالفتك بعرب سويد. حيث قال:"...وهذا الإجراء إن دل على شيء فإنما يدل على

---

(1) ينظرإلى أبي حمو موسى الزياني-ص124-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:المرجع السابق-ص169

(2)نفسه:ص126

(3)العبر:ج7-ص.ص274-275

(4) د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص124

الدور الهام الذي أصبح يلعبه بنوعامر في الدولة الزيانية،وعلى ما قد ينجم عن ذلك من العواقب الوخيمة على العرش الزياني،وذلك أن تحالف أبي حمو مع بني عامر يفرض على أبي حمو الثاني معاداة عرب سويد،ولاشك أن هذه الوضعية أفقدت أبا حمو سلطته المطلقة وهيمنته على سائر قبائل المغرب الأوسط،فأصبح سلطان فئة،وخصم فئة أخرى ناصبته عداءها وأبت إلا مناصرة منافسه أبي زيان..."(1).ويبدو أن بني عامر بن حميد التي كانت موالية لخالد بن عامر هي التي راجعت نفسها وأعلنت طاعتها لأبي حمو،بينما سويد أعلنت عدائها له فكيف يمكن لأبي حمو أن يوفق بين طرفي نقيض من جهة،وأن أبا حمو هو الذي استقطب خالد بن عامر وقومه،فهو الذي أعاد مكانة بني عامر في بلاط بني زيان من جهة أخرى.ويبدو أن عبدالحميد حاجيات قد أجاب على ذلك في قوله"...وقد سبق لنا أن ذكرنا دور بني عامر بعد معركة البطحاء ومغادرتهم صفوف أنصار أبي زيان بعد أن آزروه وأيدوه مما أدى إلى تراجع جموعه وانقضاضهم من حوله..."(2).ويقال أن سويد في هذه المواقف أصعب انقيادا من بني عامر وأشد حذرا منهم،وهذا ما يبين صدق نية بني عامر تجاه بني عبدالواد،ففي الوقت الذي أعلن محمد بن عريف طاعته لأبي حمو الثاني،كان أخوه أبوبكر متماديا في عصيانه(3)،والظاهر أن أبا بكر بن عريف لم يثق بأبي حمو الثاني بسبب وجود خالد بن عامر إلى جانب السلطان،وأن هذا الأخير أصبح يأخذ برأي خالد بن عامر،بل يستشيره ولا يرد له طلبا،وقد نجم عن موقف أبي بكر أن غضب

(1)العبر:ج7ص131 – عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني–س126

(2)العبر:ج7– ص200 –ابن عودة المزاري:المصدر السابق–ص181

(3)د.عبدالحميد حاجيات:نفسه–ص126–د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية–ص189

أبو حمو على قومه سويد وأغراه خالد بن عامر عليهم،فأغار السلطان على أراضي سويد في770هـ-1369م وزحف بهم لمهاجمة حلفاء أبي زيان من العرب فدمر أوطان عرب الحرث وأولاد عريف،ودمر في أوائل صفر771هـ-1370م قلعة بني سلامة وكانت مقرا لهم (1).وحطم زرعها ونهب مخازنها،وعاد إلى تلمسان بعد أن انتقم من أولاد عريف أعدائه وأعداء بني عامر التقليديين(2).وكانت نتيجة ذلك أن غادرت سويد المغرب الأوسط،واتجهت إلى المغرب الأقصى حيث عملت على توتر العلاقات بين بني زيان وبني مرين، فكان ذلك من أهم العوامل التي أدت إلى حركة السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن المريني إلى تلمسان واستيلائه عليها في أوائل 772هـ-1371م(3).ويذهب عبدالحميد حاجيات إلى القول أن هذه المرحلة من عهد أبي حمو الثاني والتي دامت ست سنوات،تميزت بتضعضع نفوذ قبيلة بني زيان،وسيطرة عناصر قبيلة زغبة على الموقف سواء في شرق المغرب الأوسط أو في غربه،وأصبح الصراع القديم بين بني عامر وسويد يحتل المكانة الأولى في الحياة السياسية أما المنافسة بين أبي زيان بن السلطان أبي سعيد وأبي حمو الثاني،فإنها لم تستمر إلا باستمرار الصراع بين بني عامر وسويد(4).وقد استغل السلطان عبد العزيز المريني فرصة الصراع بين أبي حمو الثاني وقبيلة سويد لينتقم من أبي حمو الثاني الذي استطاع أن يستقطب المعقل الخارجين عن طاعة بني مرين،وقد سبق لعبدالعزيز المريني أن بعث إليه مرارا في شأنهم فلم يلب طلبه.لقد أثر تدمير قلعة بني سلامة على سويد،فأرادت أن تثأر لنفسها من أبي حمو الثاني وأتباعه فالتحق أبوبكر بن

(1)العبر:ج7-ص131-بغية الرواد-ج2-ص.ص202-203-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص126-د.مصطفى أبوضيف:القبائل العربية-ص161

(2)العبر:ج7-ص131-د.مصطفى أبوضيف:القبائل العربية-ص161

(3)نفسه:ص131-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص126

(4)ينظرإلى أبي حمو موسى-ص127

عريف مع قومه وأحلافهم من الديالم والعطاف بالمغرب الأقصى حتى احتل بسائط ملوية من تخوم المغرب الأقصى،وسار إلى أخيه الأكبر ونزمار بمقره من قصر مراده الذي اختطه بإرجاع وادي ملوية في ظل دولة بني مرين وتحت جوارهم لما كان ملاك أمرهم بيده(1)،وبقيت علاقة الصداقة قائمة بين أمراء بني مرين وشيوخ قبيلة سويد منذ جدهم عريف بن يحي مع أبي سعيد وابنه أبي الحسن وابنه أبي عنان مستغيثا بالسلطان عبدالعزيز المريني،وكان أخوه ونزمار بن عريف يحتل مكانة هامة في بلاط بني مرين،فبذل كل جهده في إقناع السطان عبدالعزيز ورغبه في الاستيلاء على تلمسان والمغرب الأوسط،الأمر الذي يرفع من شأنه وشأن الدولة المرينية(2).وبعد مدة من التفاوض حصل ونزمار وأخوه أبوبكر بن عريف على موافقة عبدالعزيز المريني فأمر السلطان المريني بحشد الجيوش وبعد قضاء عيد الأضحى لسنة771هـ-1770م وألقى زمامه بيد ونزمار بن عريف وعسكر بساحة فاس وبعث الحاشرين في الثغور والنواحي من المغرب الأقصى،فتوافدت الحشود ببابه(3).وعندما بلغ أبو حمو الثاني خبر ارتحال السلطان المريني،كان حينها معسكرا بالبطحاء،فأغذ السير إلى تلمسان بجيشه وذخائره واستشار مقربيه،فاستقررأيهم على مغادرة عاصمته،والتوجه نحو الجنوب الشرقي من المغرب الأوسط،فبعث أبو حمو الثاني إلى أتباعه من عبيدالله والأحلاف من عرب المعقل،فلم يلبوا طلبه بل تحيزوا إلى ملك المغرب الأقصى.فأجمع رأيه على التحيز إلى بني عامر(4),وفي محرم 772هـ-1771م خرج أبو حمو الثاني من تلمسان مشرقا. والتحق ببني عامربن حميد

(1) ابن عودة المزاري:المصدر السابق-ص181د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-:ص127-د.مصطفى أبوضيف:القبائل العربية-189

(2) السلاوي:الاستقصاج4-ص57 -ابن الأحمر:تاريخ الدولة الزيانية-ص31 - ابن عودة المزاري:نفسه-ص181

(3)د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص127-د.مصطفى أبو ضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص161

(4)نفسه:ص127-د.مصطفى أبوضيف: نفسه-ص161

وشافع وحميان وأخذ يترقب أخبار بني مرين،بينما استولى السلطان عبدالعزيزالمريني على تلمسان في 10محرم 772هـ-1371م(1)،وسرح وزيره أبا بكر في أثر أبي حمو وأتباعه وقد بلغ البطحاء،وفي تلك الأثناء التحق ونزمار بن عريف مع قومه وأحلافهم بابن الكاس وساروا جميعا لمطاردة أبي حمو وبني عامر وكان أبو حمو وبنو عامربن حميد وشافع وحميان قد اتجهوا نحو الزاب وإلى أن حلوا ظاهر قرية الدوسن قريبا من هرشدي أو جدي(2)،فحاول أبو حمو استمالة أولاد محمد من رياح إلى جانبه،عندئذ فاجأهم الجيش المريني ففر بنوعامر أمام العدو،فانهزم أبو حمو الثاني ومن بقي معه هزيمة كبرى،وترك معسكره وأمواله وذخائره للعدو وانسحب عن ساحة الحرب في اتجاه الجنوب يبغي النجاة أوائل ربيع الأول 772هـ_1371م(3).وجاء في رواية عبدالرحمان بن خلدون بقول:"...وكانوا قد أبعدوا وكان يقصد السلطان أبا حمو وبني عامر المذهب،ونزلوا على الدواودة وسرحني إليهم يومئذ السلطان عبدالعزيز يحملهم على طاعته،والعدول بهم عن صحابة بني عامر وسلطانهم،وسرح فرج بن عيسى بن عريف إلى حصين لاقتضاء طاعتهم واستدعاء أبي زيان إلى حضرته أو نبذهم عهده وانتهينا جميعا إلى بني زيان،ففارقه أولياؤه ولحق بأولاد يحي بن علي بن سباع من الدواودة،وانتهيت أنا إليهم فحفظت عليهم الشأن،كما كانت مرضاة السلطان،وحذرتهم شأن أبي حمو وبني عامر،فأوفدت مشيختهم على ونزمار والوزير أبي بكر بن الكاس فدلوهما على طريقه وأغذوا السير وبيتوهم بمنزلهم على الدوسن..."(4). آخر عمل الزاب من جانب المغرب، ففضوا جموعهم

(1) العبر:ج7-ص277-يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص239-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص128

(2)د.عبد الحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص129-د.مصطفى أبوضيف:القبائل العربية-ص162

(3) بغية الرواد-ج2-ص239-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص128

(4) ينظر إلى العبر:ج7-ص277

وانتهبوا جميع معسكر السلطان أبي حمو بأمواله وأمتعته وظهره ولحق فلهم بمصاب(1).يبدو من رواية عبد الرحمان بن خلدون أنه كان بنفسه رسولا للسلطان عبدالعزيز المريني رفقة فرج بن عيسى بن عريف،ويبين أن أبي حمو ورفاقه من بني عامر قد التجأوا إلى منطقة الزاب والتحقوا بالذواودة،ويقول عبدالرحمن بن خلدون أن السلطان عبد العزيز المريني كلفه بقضية أبي حمو الثاني ورفاقه قصد العدول عن موقفه،ويعلن طاعته للسلطان عبدالعزيز،وأن يبتعد عن بني عامر.ولكن لم يشير ابن خلدون إلى الأسباب التي دفعت بالسلطان المريني أن يطلب من السلطان أبي حمو الثاني أن يتخلى عن بني عامر،ربما كان غرضه الاستفراد ببني عامر والانتقام منهم بتحريض من عرب سويد من جهة،والحد من سلطة بني عامر على عرش بني زيان،لأن ابن خلدون استخدم كلمة وسلطانهم من جهة أخرى،وإضعاف قوة أبي حمو وبالتالي الانتقام منه،ويضيف ابن خلدون أن فرج بن عيسى ابن عريف كلف من طرف السلطان عبدالعزيز المريني كرسول إلى قبيلة حصين لإعلان طاعتها،وفي نفس الوقت أن يعترف أبو زيان ابن عم أبي حمو الذي كان يقيم عند قبيلة حصين بسلطان عبدالعزيز المريني،وإلا تتخلى عنه قبيلة حصين،وحينما علم أبوزيان بخبر ابن خلدون وما أسفرت اتصالاته بقبيلة حصين ونتائجها،حتى لجأ إلى قبيلة الذواودة مما جعل ابن خلدون يتصل بأولاد يحي بن علي بن سباع،ويخبرهم برسالة السلطان المريني بشأن أبي زيان الزياني،ويضيف ابن خلدون في هذه الرواية أن السلطان عبدالعزيز قد حذر قبيلة حصين من أبي حمو وأتباعه من بني عامر،وربما كان هدف السلطان المريني هو إبعاد قبيلة حصين عن محالفة أبي حمو وبني عامر حتى لايقوى على جيش بني مرين وأنصاره عرب سويد،خاصة وان المنطقة التي تتمركز فيها قبيلة حصين تساعد أبو حمو. وبنوعامر على شن هجومات

---

(1)العبر: ج7–ص82 –السلاوي:الاستقصاج4ص57 د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية في المغرب–ص160

على عرب سويد وقوات بني مرين،إلا أن الرواية تبين أن مشيخة قبيلة حصين أعلنت طاعتها للسلطان المريني عبدالعزير،حيث وفدت على ونزمار ووزير السلطان المريني أبي بكربن الكاس ودلتهما على طريق أبي حمو ورفاقه،الذين كانوا لاجئين بالدوسن،حيث غدرهم الجيش المريني،وفضوا جموعهم وفر بعضهم إلى مصاب،ورجعت قوات السلطان عبدالعزيز من الزاب،فسلكت على قصور بني عامر بالصحراء قبلة جبل راشد التي منها أربا وبوسمغون وما إليها أي قصر الشلالة وعسلة وتيوت وغيرها من القصور الأخرى،فنتهبوها وخربوها وعاثوا فيها وانكفوا راجعين إلى تلمسان(1).انتقاما لما وقع لسويد من طرف بني عامر في قلعة بني سلامة.يستخلص من رواية ابن خلدون أن بني عامر بن حميد وشافع وحميان لم يتخلو عن أبي حمو الثاني،بل ذاقوا محنة اللجوء إلى الصحراء رفقة أبي حمو الثاني،وعانوا في تلك المناطق الواسعة،وفي هذا الموضوع يقول عبدالرحمن بن خلدون "...**وجنود بني مرين تتعقب السلطان الزياني وأهله وأتباعه،وفر بنوعامر وأبوحمو إلى الصحراء وطال ترددهم فيها**(2).غيرأن أبا حمو الثاني وبني عامر المحالفين له استطاعوا أن يتقوا شربني مرين وسويد رغم إصرار هؤلاء من جهود لمطاردهم.وفي رواية السلاوي "...**واتصل خبره بأبي حمو فجمع الجموع وهم باللقاء،ثم اختلفت كلمة أصحابه،وتفرق عنه العرب من بني معقل،فأجفل وأشياعه من بني عامر بن زغبة فدخلوا القفر...**"(3).ويظهر من رواية السلاوي أن بني عامر قد رافقوا أبي حموالثاني في منفاه بالصحراء،وتقاسم بنوعامر محنة المنفى عكس ماذكره ابن عودة. المزاري أن بني عامرغدرت بأبي حمو واهمهم بالخيانة للسلطان الزياني

(1)د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص128-د.مصطفى أبو ضيف:نفسه-ص160

(2)العبر:ج6-ص53-ابن عودة المزاري طلوع سعد السعود-ج1-ص182-رابح بونار:المغرب العربي-ص297

(3)السلاوي:ج4-ص58-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص128

بقوله"...وخرج أبو حمو وتوجه إلى المغرب،فدوخه وبعد الواقعة سقير بن عامر،فحمله بجنازة الملوك ودفنه بالعباد،وكان في موته راحة له،لأنه خادعه غفلة،وأراد غدره لميله لبني مرين فأراحه الله منه،وتلك عادة بني عامر بكبيرهم وصغيرهم..."(1)عندئذ قرر أبو حمو وأتباعه من بني عامر بن حميد وشافع وحميان الإغارة على ناحية تلمسان،فتوجهوا نحو الشمال قاصدين التل،وقد سلك الطريق نحو الغرب محاذيا الطرف الصحراوي جنوب الأطلس،(2)حيث مر بالمزاب ومتليلي وتماسين،ثم الجزء الجنوبي عبر وادي درمل ووادي فجيج وثم اتجه نحو غدير البقر المعروف بالأبيض ربما الأبيض سيدي الشيخ،وأقام في أربا قبل مواصلة مسيرته(3).وقد ذكر يحي بن خلدون أن أبا حمو الثاني الذي كان ينظم المقاومة ضد المرينيين بقوله:"...وارتحل أمير المسلمين إلى قصر أربا...ثم رحل إلى مسيف ثم إلى جبل بين تاجرنا والمناقيب،فخربة عنتر...ونزل أبيض عنتر وذلك في فيفري1371م،ويشير يحي بن خلدون أيضا أن الأمير أبا حمو الثاني بقي بالجنوب الغربي الجزائري منذ نهاية 1371م وبداية 1372م حيث جاء في قوله فخيم في الصفيصفة...ثم في تاجرانا والمناقيب،ثم توقف في شمال تيوت إلى درم فجيج...وصرف منه العير بأثقاله كلها للثطون بقصر أبي سمغون من بلاد بني عامر..."(4)،ويبدو من نص يحي بن خلدون أن أبي حمو الثاني كان يقيم عند بني عامر وحميان كلما تعرض للمضايقة من طرف بني مرين.

---

*وهي البيوض الحالية التي تقع شمال المشرية

(1)ينظر إلى:طلوع سعدالسعود-ج1-ص182

(2)خليفه بن عمارة:تاريخ البوبكرية-2004-ص71

(3) نفسه:ص71

(4)ينظر إلى:بغية الرواد-ج2-ص208-العبر:ج7-ص131

وكان بنوعامر بن حميد وشافع وحميان تضمن له الحماية من أعدائه.وقد حدث فتورا في العلاقات بين خالد وأبي حموالثاني،بعد أن داخل بنو مرين خالد بن عامر في شأن الالتحاق بهم والانفصال عن أبي حمو الثاني،واستطاع عبدالله بن عسكر بن معرف بن يعقوب ومعرف هو أخو إبراهيم بن يعقوب،وكان عبدالله بطانة السلطان أبي حمو وجاسوسه(1)أن يفرق بين خالد بن عامر والسلطان أبي حمو الثاني،مماجعل خالدبن عامر يتخلى عن أبي حموالثاني وتبعهم الوزير عمران بن موسى وغيره من وزراء أبي حمو منحازين إلى بني مرين،وينضموا إلى السلطان عبدالعزيز المريني،وجاءت بخالد عساكر بني مرين،وألحق أضرارا بأبي حمو ومن معه من العرب(2)،وعندما حدث تخاذلا في صفوف رجال أبي حمو تراجع عن محاولته،بل تابع سيره نحو تلمسان قاصدا عدوه،ومواجها ماكان في المنطقة في تلك المنطقة من القوات المرينية فلقيها بأوماكرا،ولكنه انهزم شر هزيمة واستولى العدو على ظعنه بما اشتمل من مال وذخيرة وأهل وولد،وأفلت أبوحمو الثاني مع ابنه أبي تاشفين وقليل من الأقرباء والأتباع في 25شوال773هـ-1372م(3).ثم عاد أبو حمو الثاني إلى تجواله في القفر،فذاق مرارة عدم الاستقرار في عاصمته،وصعب عليه الخلاص من خصومه،فاضطر إلى مفارقة أبنائه مدة ثم اجتمع بهم في قصر أبي سمغون الواقع في أراضي بني عامر الجنوبية في أواخرذي القعدة773هـ-1372م(4)،وقصد بهم الصحراء فرارا من العدو،واستقر بتيكورارين في جنوب الصحراء مما يتاخم بلاد السودان بعد أن ترك أبناءه في أحياء بني عامر آخر 773هـ-1372م(5).

---

(1) العبر:ج6-ص53-بغية الرواد-ج2-ص208 -د.مصطفى أبو ضيف أحمد عمر:القبائل العربية في المغرب-ص161

(2)نفسه :ج6-ص53-د.مصطفى أبو ضيف أحمد عمر:القبائل العربية في المغرب-ص161

(3)نفسه:ج7-ص.ص278-279و288-يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص256

(4)نفسه:ج7-ص279-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص129

(5)نفسه:ج6-ص54-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص162

ويلاحظ أن موطن بني عامر بن حميد وشافع وحميان كان ملجأ لأبي حمو وأهله وقد كثر تردده على موطن بني عامروحميان كلما واجهته مصاعب،مما يبين مدى ارتباط بني عامر ابن حميد وشافع وحميان بإمارة بني زيان،خاصة في وقت الشدة،ومرض السلطان عبدالعزيزالمريني سنة774هـ وعاد إلى المغرب برفقة عبدالله بن أخي صغير،ولحق بهم ساسي بن سليم بن داود شيخ بني يعقوب،بسبب مقتل أبناء محمد بن عريف على أيدي قومه بني يعقوب خلال الفتنة التي حدث بينهم(1)،فلحق ساسي بخالد يريد منه الدعم وبلاط بني مرين،ولكنهم عادوا إلى أوطانهم،وبعد أن توفي السلطان المريني عبدالعزير في 22ربيع الثاني بداء خطير وانحسار الغزو المريني عن المغرب الأوسط،بلغ خبر وفاته إلى أبي حموالثاني عاد من المنفي بالصحراء إلى تلمسان مع أنصاره من عرب يغمور بن عبدالله من أولاد خراج برياسة عبدالله بن صغير أحد زعماء عرب بني عامر(2)في 24جمادي الأولى774هـ-1373م بعد غيبة دامت سنتين(3).وكان ونزمار بن عريف قد نصح أخويه أبا بكر ومحمد بالتحالف مع أبي حمو الثاني،واغتنام فرصة خديعة خالدبن عامر لإحلال سويد محل بني عامر في مخزن دولة بني زيان،ووافق ذلك حنق أبي حمو على خالد ابن عامر وقومه،فعمد إلى تغيير سياسته تجاه قبائل زغبة(4).وأصبح يعهد إلى سويد مهمة الدفاع على كيان دولته.يلاحظ أن أبي حمو دخل في صراع مع بني عامر،بعد العداء الذي وقع بينه وبين خالدبن عامر،فعندما بدأ أبو حمو يوجه جيوشه بقيادة عطية بن موسى إلى ناحية شلف في أواخر جمادي الأولى 774هـ-1373م(5).

(1) العبر:ج7-ص281 يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص.ص270-274

(2) نفسه:ص.ص270-274-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص162

(3) نفسه:ص281-يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص.ص270-274

(4)د.عبد الحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص131

(5)العبر:ج7-ص131-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص161

وعجز علي بن هارون على مقاومة هجوم عطية بن موسى،تحالف مع خالد بن عامر وقومه وقبيلة توجين وغيرهم في رجب 774هـ-1373م،هاجم بعض هؤلاء الأحلاف ومن بينهم بني عامر جيش عطية بن موسى فحاصروه بها،بينما اتجه خالدبن عامر وأتباعه صوب تلمسان قصد الاستيلاء عليها(1)،وكان ردفعل أبي حمو الثاني أن بعث جيشا معززا بأحلافه الجدد من سويد بقيادة ابنه الأمير أبي تاشفين لصد خالد بن عامر فانهزم هذا الأخير وانصرف بقومه إلى الصحراء في شوال 774هـ-1373م وفي أول 775هـ-1374م توجه الأمير أبو تاشفين بالجيش والأحلاف من سويد وغيرهم صوب الجنوب لرد عادية خالدبن عامر وقومه(2).فأقام بالسرسو ثم عاد إلى ناحية شلف لغزو علي بن هارون وقبيلته مع قبيلته مغراوة.لم يرض بنوعامر بجلائهم عن أراضيهم في المغرب الأوسط لفائدة سويد وانتهاء نفوذهم في الإمارة الزيانية التي أحيوها بعد الاستيلاء المريني،ودافعوا على كيانها مدة طويلة(3)،ولم تفلح مساعيهم في الحصول على مساعدة بني مرين فلما يئسوا من ذلك قررعبدالله بن صغير أو سقير وقومه العودة إلى أوطانهم والدفاع عنها بالقوة وانتهزوا فرصة غضب أبي بكر بن عريف عندما عزل أبوحمو الثاني صديقه يوسف ين عامر بن عثمان عن إمارة وانشريس فاستمالوه إليهم،وبايعوه جميعا الأمير أبا زيان وأوفدوا رجالاتهم عليه بمكانه من مجالات رياح،فوصل ونصبوه للأمر(4).إلا أن أتباع أبي حمو من سويد ومحمد بن عريف توجهوا في أول سنة777هـ-1376م صوب المخالفين،وزحف عبدالله بن سقير وأبوبكربن عريف وأتباعهما. إلى مازونة،قصد مفاجأة

(1)العبر:ج7-ص.ص134-137-بغية الرواد:ج2-ص309و270و308

(2)بغية الرواد-ج2-ص298-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى:146-د.مصطفى أبوضيف:القبائل العربية في المغرب-ص162

(3)العبر:ج7-ص284-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص134

(4) يحي بن خلدون:بغية الرواد-ج2-ص329-د.عبد الحميد حاجيات:نفسه-ص134

القائد عطية بن موسى ولكن محاولتهم لم تنجح وانهزموا شـــر هزيمـــة في4ربيـــع الأول 777هــ،فأوسعهم قتلا وأسرا وسلب طبل أبي زيان وأعلامه(1).وعندما اجتمع جيش أبي حمو بجيش عطية وأبي تاشفين وانفض أتباع أبي زيان من حوله وعاد عبدالله بن سقير إلى المغرب الأقصى وأصحر أبوبكر بن عريف،ثم عرض عليه أبو حمو الثاني ما أرضاه مـــن المال والاقطاعات،أما أبوزيان فإنه رجع إلى بلاد الذواودة،وقد خاب أمله وذلك في ربيع الثاني 777هــ(2).وعندما فشل خالدبن عامر في استمالة بني مرين عزم بنوعـــامر علـــى الرجـــوع إلى أراضـــيهم،ومناجزة الحـــرب لـــسويد خـــصومهم،وغادروا المغـــرب الأقصى،متجهين نحو المغرب الأوسط،وعلمت سويد بنواياهم فأعدت لهم ما استطاعت من عدة،واستنفرت حلفاءها العطاف والسلطان أبا حمو فأمر ابنه أباتاشـــفبن المـــستقر آنذاك بجبل هوارة بالاستعداد لصرختهم(3)،ولما وصل بنوعامر إلى أعالي وادي مينا توجه إليهم أبو تاشفين وضم جيشه إلى سويد والتقوا ببني عامر في تلك الناحية في 2ذي الحجة 777هــ-1376م(4)،وخرج لهم جيش السلطان أبي حمو مع ابنه تاشفين،وزحف معه سويد والديالم والعطاف،فأقعوا بهم على وادي مينا بغليزان،وقتل عبدالله بن صغير وأخوه ملوك وبعض أقربائهم،إن تحالف بني عبدالواد وأولاد عريف قد أثارخالد بن عامر وابن أخيـــه عبدالله بن صغير وإخوانهم من سائر بنوعامر،وعملوا على فشل هذا التحالف والقـــضاء عليه،وتصارع بنوعامر وسويد،فأغار عبدالله بن صغير وقومه على جبل راشـــد وطـــن العمور وأحلاف سويد ودارت بينهم المعارك انتصر فيها عرب سويد وأحلافهم،فيعـــود بنوعامر وبنويعقوب من زغبة للإغارة على البلاد،فتعترضهم عرب سويد وتدور بينـــهم

(1)د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص144

(2) العبر:ج7-ص302-د.عبدالحميد حاجيات:نفسه-ص150

(3)نفسه:ص303-د.عبدالحميد حاجيات:نفسه-ص152

(4)د.عبدالحميد حاجيات:أو حمو موسى الزياني-ص152

المعارك طوال النهار والليل مشعلين النيران مخافة البيات،وفي الصباح نشبت الحرب بين الفريقين وحمى الوطيس إلى بعد الظهيرة،فالهزم بنوعامروقتل كثير من أبطالهم كعبدالله بن سقير وأخيه ملوك والعباس بن موسى بن عامر وغيرهم* في 3ذي الحجة777هـ،ففر بقية من كان مع خالد إلى الصحراء،واتصل خالد بالديالم والعطاف فاتفقوا على الخلاف(1)،وبعثوا إلى الأمير أبي زيان الذي كان يقيم بوطن بني رياح،فجاءهم وبايعوه وأقاموا له الدعوة بالجزائر ثم وفدوا على سالم بن إبراهيم رئيس الثعالبة وصاحب وطن متيجة،وكان متخوفا من أبي حمو(2)وأمكنه سالم من الجزائر،ثم توجهوا إلى مليانة وحاصروها،فامتنعت عليهم وعادوا إلى الجزائر وفي تلك الأثناء مرض خالد بن عامر وتوفي بها بعد أيام قليلة من مبايعة أبي زيان(3).ولكن تولى أمربني عامر بعد خالد مسعود من بعده ابن أخيه صغير،فزحف إليهم أبوحمو رفقة سويد وأتباعه من بني عامر،واستخدم سالم وخرج أبوزيان إلى مكانه من وطن رياح ولحق مسعود وقومه بالصحراء(4)،وانتهى الحلف القديم بينهم وبين أبي حموالثاني(5).ولحق ساسي بن سليم بيعقوب بن علي وقومه من الذواودة،وبعد ذلك عاد بنوعامرجميعهم إلى أبي حمو فأمنهم وقدموا عليه وأظهروا البر والرحب بالمسعود وساسي،وطوى لهم على السوء،ولكن أبوحمومكربهم(6).

*وانجلت المعركة الضاربة بين القبائل العربية في المغرب الأوسط عن مقتل عبدالله بن صغير وأخيه ملوك والعباس ابن عمه ومحمد بن زيان وبموت خالد متأثرا بجراحه

(1)العبر:ج7-ص284-بغية الرواد-ج2-ص.ص328-330-د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو الزياني-ص136

(2)د.عبدالحميد حاجيات:أبو حمو موسى-ص-136

(3)العبر:ج7-ص.ص289-290-بغية الرواد-ج2-ص.ص328-330

(4)نفسه:ج7-ص291

(5)نفسه:ص291

(6) بغية الرواد-ج2-ص330

وكلف ابنه أبا تاشفين للقبض على المسعود وعشرة من إخوانه بني عامربن إبراهيم،وقام أبو تاشفين ومن معه من العرب إلى أحياء بني يعقوب،وكانوا بسيرات منطقة مستغانم وكانت سويد تترصد لهم بوادي مينا بغليزان،ففاجأوا بني عامر بمكانهم،مماجعل بقية بني عامر(1)شريدا إلى الصحراء ولكن أبوتاشفين اعترضهم بجبل العمور،وقضى على من بقي من بني عامر،ونجاساسي بن سليم إلى الصحراء في جماعة قليلة من قومه(2)،ونزل على النضربن عروة.وتولى رئاسة بني عامر سليمان بن إبراهيم بن يعقوب عم صغير وكان رديفه عبدالله بن عسكر،فبعث لهم صاحب المغرب السلطان أبو العباس أحمد بن الولي أبا سالم بالشفاعة في المسعود وإخوانه بمساعدة ونزماربن عريف(3),والذي كان أيضا سببا في نكبة أبي حمو وإخوانه،وعاد بنوعامر إلى الخلاف،وخرجوا على الصحراء.واجتمع لهم الكثير من أولاد إبراهيم بن يعقوب.وانضم أيضا من بقي من بني يعقوب من مواطنهم إلى شيخهم ساسي ابن سليم،ونزلوا جميعا مع عروة،وأوفد ساسي إخوانه إلى السلطان أبي العباس صاحب إفريقية،فرحب بهم ولكن أبوحمو بعث من اغتاله(4).ووفد بعدها على السلطان أبي العباس صاحب إفريقية علي بن عمربن إبراهيم وهو ابن عم خالد بن محمد،وكبيرالنفرالمخالفين من بني عامر لأبي حمو،ووفد معه سليمان بن شعيب بن عامر فوفدوا عليه بتونس،يطلبون حمايته،فقبل منهم وأكرمهم ورجعوا إلى قومهم،وبعد ذلك عاد علي بن عمر إلى خدمة أبي حمو.وقدمه على بني عامر وأدال به سليمان بن إبراهيم الذين بالصحراء،ونزلوا مع بني يعقوب بإحياء أبي بكر بن عريف(5).

---

(1)العبر: ج7-ص303و755-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص152

(2)د.عبدالحميد حاجيات:نفسه-ص152

(3))العبر: ج7-ص756-د.عبدالحميد حاجيات:نفسه-ص153

(4)نفسه:ص303-د.عبدالحميد حاجيات:نفسه-ص153

(5)نفسه:ص303-بغية الرواد-ج2-ص330

يبدو أن بني عامر ومن معهم من حميان بقوا مخلصين لأبي حمو الثاني رغم أنه أخطأ في حقهم،إلا أنهم ضحوا من أجله،بل قتل الكثير منهم في معركة الغيران(1)،وكان عددهم أقل من عدد أعدائهم،ومع ذلك بقوا صامدين من أجل نجاة السلطان.اتبع أبي حمو السلطان خطة جديدة تعتمد على مصادقة سويد واستعمال نفوذهم هؤلاء في المغرب الأوسط،ونفوذهم في المغرب الأقصى لإقامة السلم مع بني مرين.وبعد هذا الانتصار الذي حققه أبوحمو وابنه أبوتاشفين وحلفائه من عرب سويد،انتفض شيخ الثعالبة سالم بن إبراهيم على أبي حموالثاني في أول سنة778هـ-1377م(2).ويبدو أن الصراع في البيت الزياني عاد إلى الواجهة بين أبي الثاني وابنه أبي تاشفين وتزامن مع صراع السلطان أبي العباس المريني وابن عمه عبد الرحمان بن أبي يفلوسن،وتجاوز حدود الإمارتين الزيانية والمرينية،ووظفت قبيلة بني عامر وحميان في هذا الصراع،حيث ذكر عبدالحميد حاجيات"...أن تخريب قصرمرادة يدعو إلى التساؤل عن العوامل التي جعلت أبا حمو يقدم على تدمير قصر مرادة،بالرغم من أن العلاقات بينه وسويد كانت ودية بعد وفاة السلطان المريني عبدالعزيز،وما تلا ذلك من نكبة بني عامر وهزيمتهم..."(3).ويظهر أن منافسة أبناء أبي حمو الثاني على الحكم وما امتازت به من عنف قد جعلت أبا تاشفين يعتمد على سويد في دفاعه على حقوقه مما دفع بأبي حمو إلى البحث عن مؤدين لعرشه،وقد يكون قد رجع آنذاك إلى التحالف مع بني عامر،الأمر الذي يبين ما حدث لقصر مراده من تخريب.وربما يعود سبب هذا التخريب إلى العداء بين بني عامر وسويد(4)، وقد يكون أبوحمو طاوع بني عامر على تخريب القصر كرد فعل

(1)العبر:ج7-ص756-السلاوي:الاستقصا-ج4-ص76

(2) العبر:ج7-ص756 الحسن الوزاني:وصف إفريقية-ص56

(3)ينظر إلى أبي حمو موسى الزياني-ص153

(4) ينظر إلى بمجة الناظر-ص25

على ما أصاب قصور بني عامر في عهد السلطان عبدالعزيزالمريني والنكبة التي لحقت بهم في معركة وادي ميناولكسب تأييدهم ضد ابنه أبي تاشفين وأنصاره سويد في الصراع الذي قام بينهما(1).ويبدو جليا من خلال هذه الأحداث مدى تأثر بني عامر وسويد بالصراع الطويل القائم بين بني زيان وبني مرين وانعكاس ذلك على العلاقات بين قبائل بني زغبة،بسبب انتشار الفتن في المغرب الأوسط والتنافس على الحكم بين أمراء الدولة الزيانية(2)،إن إقدام أبي حمو الثاني وبني عامر على تخريب قصر مرادة كان خطأ فادحا،تمخضت عنه حوادث خطيرة أدى إلى تدهور الأوضاع السياسية في المغرب الأوسط(3).كما أن تخريب قلعة بني سلامة سنة771هـ كان له عواقب وخيمة،مما أدى إلى استيلاء السلطان عبدالعزيز المريني على المغرب الأوسط مدة سنتين بتحريض من سويد(4).ويبدو أن بني عامر عند دخولها رفقة أبي حمو الثاني إلى المغرب الأقصى استغلت الفرصة للانتقام من سويد؛ لأن سويد قد سبق وأن خربت قصور بني عامر مستغلة الوجود المريني في المغرب الأوسط،أما بالنسبة لقلعة بني سلامة وما أصابها من تخريب فقد حدث ذلك على يد أبي حمو الثاني،ومايمكن قوله أن الصراع في بلاد المغرب كله،كان قائما بين قبائل زناتة،وأُقحمت القبائل العرب فيه،بل شجعت الظروف السياسية في تغذية هذا الصراع،ويبدو من الأحداث أن بني عامر بقيت على ولائها لأبي حمو الثاني وشاركت في التراع القائم بين السلطان وإبنه أبي تاشفين،وأصبحت الدولة الزيانية تعيش حربا أهلية،حيث أدى التهافت على السلطة إلى صراع بين أبي حمو الثاني وإبنه أبي تاشفين،وانحاز إلى جانب أبي حمو الثاني أقوام من عرب ناحية متيجة وشلف. ومن بني

(1) العبر:ج7-ص757-بغية الرواد-ج2-ص330

(2) نفسه:ص757-د.عبد الحميد حاجيات:أبو حمو موسى الزياني-ص153

(3)بغية الرواد-ج2-ص331-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحموموسى الزياني-ص154

(4)د.عبدالحميد حاجيات:ابو حمو موسى الزياني-ص154

عامر، بينما كان أبو تاشفين مؤيدا من طرف سويد وقبيلة بني عبدالواد.اتبع أبو حمو الثاني رفقة بني عامر طريق الجنوب متجهين نحو المنطقة الغربية إلى أن بلغوا قرية تامة الواقعة غربي تلمسان(1)،بغية الإطاحة بابنه أبي تاشفين،ولكن ابنه اتبع خطة عسكرية محكمة،حيث عزم على توجيه ضرباته إلى الجهتين الشرقية والغربية،للقضاء على إخوته وأبيه،فأرسل جيشا إلى شلف بقيادة ابنه أبي زيان ووزيره محمد بن عبدالله بن مسلم وسار هو بجيش آخر نحو أبيه(2).فكانت النتيجة أن قتل ابن أبي تاشفين،وتوجه أبو حمو إلى زا،واستنجد بالأحلاف من قبيلة المعقل،لبوا طلبه وعاد إلى قرية تامة فنازلها(3)،وأقبل أبو تاشفين بجيشه المدعم بعرب سويد،فعسكر قبالته،وبقي الفريقان على تلك الحال إلى أن بلغ أبا تاشفين خبر هزيمة ابنه ومقتله،فتأثر كثيرا لذلك النبأ،وقرر الانسحاب إلى تلمسان،فعاد إليها وأبو حمو في أثره،وحاول أبو تاشفين إغراء أتباع أبي حمو بالأموال،لكسب أنصار جدد،لكن محاولته باءت بالفشل،ولما وصل خبر إلقاء القبض على مولاه سعادة(4).وعندئذ لم يجد أبو حمو أية صعوبة في الاستيلاء على تلمسان في رجب 790هـ،فاستعاد عرشه واستدعى إليه أبناءه من المنطقة الشرقية فأتوه(5).ويلاحظ أن عرب سويد قد غدرت بأبي حمو الثاني في أواخر أيامه،وممايبين ذلك أن شيخهم محمد ابن عريف ساهم في تحريض ابن السلطان الزياني أبا تاشفين ضد أبيه أبي حمو الثاني،بل أكثر رافق أبا تاشفين إلى المغرب الأقصى لتحريض بني مرين ضد أبي حمو.لما اتصل أبوحمو الثاني بخبر زحفهم إلى تلمسان،غادرها مع أتباعه بني عامر والخراج، وقصدوا جبل ورنيد

(1)العبر: ج7-ص757-بغية الرواد-ج2-ص331-د.عبدالحميد حاجيات:ابو حمو موسى الزياني-ص154

(2)نفسه:ص757-السلاوي:الاستقصا-ج4-ص76

(3)بغية الرواد-ج2-ص331

(4)د.عبد الحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص155

(5)العبر: ج7-ص758-بغية الرواد-ج2-ص331

الواقع جنوب مدينة تلمسان والمطل عليها،وأقام بمكان من ورائه يدعى الغيران.وفي تلك الأثناء ورد موسى بن يخلف إلى تلمسان،واستولى عليها مقيما بها دعوة الأمير أبي تاشفين،فأرسل إليه أبو حمو ابنه عمير،فأسره بعد أن أسلمه سكان المدينة وحمله إلى أبيه(1).فأمر بتعذيبه وقتله ثم تمكن حلفاء أبي تاشفين من معرفة مقر أبي حمو فقصدوه،وباغتوه في الغيران والتحم القتال بين الفريقين،فلم يلبث أنصار أبي حمو أمام الجيش المريني الذي كان يفوقهم عددا وعدة(2).وكب بأبي حمو فرسه،فسقط على الأرض،وأدركه بعض أصحاب أبي تاشفين فقتلوه قعصا بالرماح،وجاءوا برأسه إلى ابنه أبي تاشفين والوزير ابن علال في أول ذي الحجة791هـ(3).وذكر عبدالقادر المشرفي بقوله:"...وبقي بنوعامروحميان بالقفر إلى أن ملك أبوحمو موسى بن يوسف الزياني الثاني وذلك في حدود نيف وستين من القرن الثامن الهجري الموافق لنيف وستين من القرن الرابع عشر الميلادي،وكان من أعياص ملوك بني زيان،وقد فتك أبوعنان المريني بالدولة الزيانية وكاد أن يستأصلهم،ونقلهم من ضواحي تلمسان واتصلت مجالاتهم بها إلى جبل هيدور،وهو جبل مطل على وهران،وتارقة وملاتة وطاء وجبالا،فبقوا بها إلى أن نقلهم من ملاتة بوطائها وجبالها مع الدوائر والزمالة في أعوام الستين ومائة وألف1747م-1748م وفي ولاية عصمان أوعثمان باي سكنوها فهم بها إلى الآن..."(4).ومسكن هؤلاء ويقصد حميان من ملاتة بأرض الحفرة وما والاها،فأكثرهم بقي بالقفر إلى الآن.وهؤلاء أتوا أي الجزء الآخر من حميان مع بني عامر،وانتقلوا بانتقالهم إلى ضواحي تلمسان.

(1)العبر:ج7-ص758-بغية الرواد-ج2-ص331

(2) بغية الرواد-ج2-ص332-د؟عبدالحميد حاجيات:ابو حمو موسى الزياني-ص155

(3)العبر:ج7-ص758- السلاوي:الاستقصا-ج4-ص76

(4)بغية الرواد-ج2-ص332-د.عبدالحميد حاجيات:ابوحمو موسى الزياني-ص155

ثم إلى المحل الذين هم فيه الآن(1). وذكر المشرفي ويقصد بني عامر وحميان وأنزلهم ببلاد تاسالة،ولكن لم يوضح في روايته من الذي أنزل بني عامر وحميان بتاسالة هل السلطان أبو عنان المريني،أم السلطان الزياني أبو حمو الثاني،والراجح السلطان الزياني أبوحمو الثاني وأشار رابح بونار أن قبيلة بني عامر كانت تستقر بموطنها بصحراء تلمسان إلى غاية تولي أبو حمو الثاني الحكم في الدولة الزيانية مابين760هـ-791هـ(2).بينما انقسمت حميان إلى قسمين فانتقل قسم منها إلى تاسالة،والباقي استقر بصحراء تلمسان ،حيث قال"...ودامت هذه القبيلة ويقصد حميان في موطنها إلى عهد أبي حمو الثاني فانتقل بعض أفخاذها إلى تسالة،والباقي إلى الصحراء..."(3).ينظر إلى الخريطةرقم4ص443)خلاصة القول يستخلص أن بني عامر خاصة بني عامر بن حميد وشافع وحميان رافقوا أبي حمو موسى الثاني الزياني منذ خروجه من إفريقية إلى غاية وافته،ويبدو أن قبيلة بني عامر ومن جملتهم حميان قامت بدور بارز في إحياء الإمارةالزيانية إحيائها،إذا كانت العلاقات بين بني عامر وبني زيان تتغير من حين لآخر من الود إلى العداء،وانعكست هذه العلاقات سلبيا على بني عامر حيث أصبحت أحياءها تتقاتل فيما بينها من أجل الظفر بمكانة في بلاط بني زيان، واستمر عرب بني عامر كحلفاء مخلصين لدولة بني عبدالواديساهمون بستة آلاف فارس على الأقل مجهزين بخيولهم وآلاتهم في جيش سلطان تلمسان ضد بني مرين(4) لم يتوقف دوربنوعامروحميان على العمل السياسي والعسكري في إمارة بني زيان بل ساهموا أيضا في نشاطها الاقتصادي والثقافي.

---

(1)عبدالقادر المشرفي: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب بني عامر-ص27

(2)Noél:op.cit.p151

(3) ينظر إلى:المغرب العربي-ص293

(4)عبدالقادر المشرفي:بهجة الناظر-ص27

الفصل السادس:

دوربنوعامر وحميان الاقتصادي والثقافي في المغرب الأوسط

المبحث الأول: دور بنوعامر حميان الاقتصادي

1- التجارة(تجارة القوافل)

2- تنمية الثروة الحيوانية

المبحث الثاني: دوربنوعامروحميان الثقافي

1- نشراللغة العربية

2- الموروث الشعبي الهلالي

1- دوربنوعامروحميان الاقتصادي:

لا يخلو أي مجتمع من المجتمعات من النظم الاقتصادية مهما كانت درجة تخلفه وبدائيته ولاشك أن الظاهرة الاقتصادية هي نتاج التفاعل المستمر والاحتكاك الدائم القائم بين عنصري الطبيعة أوالبيئة والإنسان (1)،فالسلوك الاقتصادي هوسلوك إنساني وهو سلوك مكتسب ينتقل بالتعليم والتربية والإعداد للحياة،حيث أن ظواهر الاقتصاد لاتظهرفجأة،وهي ليست شيئا فطريا أوإفرازا طبيعيا أوإنتاجاغريزيا،وإنما ينبغي النظر إلى الظواهر الاقتصادية على أنها أشياء اجتماعية يتوصل إليها الإنسان بفضل كفاحه الدائم وصراعه العنيد مع بيئة فيزيقية صارمة(2)،وباستخدام طاقاته العقلية وقوته الفكرية،والنظم الاقتصادية ليست موجودات معزولة بذاتها،بل تتداخل تداخلا قويا مع بقية النظم الاجتماعية،لذلك ينبغي عند التعرض لأي مظهر من مظاهر النظام الاقتصادي أن تدرس علاقته بالبناء الاجتماعي للعلاقات الاقتصادية تأثير على الأفراد منذالقدم سواء في العمل أو خارجه(3)،وهي طريقة لتوثيق العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وتقوية أواصر المحبة،وتتضح صور العلاقات الاقتصادية في المناسبات الكبرى مثل الزواج أو مترل جديد(4).إن العلاقات الاقتصادية منتشرة في جميع المجتمعات سواء كانت مجتمعات بدائية أوحديثة.لقد تميزت المجتمعات البدائية بالبساطة وعدم التعقيد في حياتها الاقتصادية ولاشك أن للنظام الاقتصادي في المجتمعات البدوية كما في غيره من المجتمعات الحضرية والريفية دورا بارزا أوهاما في حياة الأفراد والجماعات(5)، وأن الاختلاف يعود إلى

(1)د.محمود عودة:أسس علم الاجتماع -دارالنهضة العربية-1967-206-ص د.عبدالحميد لطفي:علم الاجتماع-دار النهضة العربية-بيروت-1981-ص78

(2)د.أحمد الخشاب:التفكير الاجتماعي-ص238

(3)د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع-نظريات وتطبيقات-دارالنهضة العرية-1984-ص113

(4)د.ة سهيرعبدالعزيز محمد يوسف:الاستمرار والتغير الاجتماعي-ص35

عدم وجود أساس الاقتصاد الحديث في المجتمعات البدوية.وقد تنوعت الأنشطة في المجتمعات البسيطة ومنها الزراعة والرعي والجمع والالتقاط ومرحلة القنص ومرحلة صيد السمك والنشاط التجاري،وكون حميان وبني عامرقبيلةبدوية هلالية كانت تعيش ولاتزال على حرفة الرعي والنشاط التجاري.فالعوامل الرئيسية المحددة لملامح اقتصاديات المجتمعات البدوية هي الحيوان والتجارة والآبار والعيون(1).

1-2-<u>دوربنوعامر وحميان التجاري</u>: لقد ذكر المؤرخون أن القبائل العربية وهي عرب زغبة بما فيهم بنوعامروحميان وسعوا نطاق هذه التجارة بين التل والصحراء،واحتكروا تموين بعض المدن الإفريقية مقابل توزيعهم لمنتجاتهم(2)كما سيطرت القبائل العربية على طرق التجارة الداخلية بعد أن توقفت حركة البربر،فلا يجتازها غيرهم إلا بخفارة،وقد قامت بالمبادلات التجارية أحسن قيام(3).ومن بين هذه القبائل العربية التي ساهمت في الحركة التجارية خاصة تجارة القوافل قبيلة بنو عامروحميان وذلك منذ هجرتها إلى صحراء تلمسان في عهد الإمارة الزيانية سنة1236م،هذه التجارة التي يصنفها الاجتماعيون كخاصية من خصائص النشاط الاقتصادي في المجتمع التقليدي(4).وذكر أحد الباحثين أن نشاط تجارة القوافل يعود إلى العرب البدو الذين أسسوا مسالك وراوبط سهلة،وأكثرها متبعة عبر الواحات(5).إن التنقلات الظرفية الموسمية للرحل وقد أسسوا علاقات تجاريةوسهلوا مبادلات السلع(6)

(1)د.عبدالمجيد مزيان:النظريات الاقتصادية-ص240

(2)Jacquot Félix :op.cit.p265

(3)د.محي الدين صابر.د.مليكة لويس كامل:البدو والبداوة-سرس الليان-1966-ص10

(4) د.عبدالفتاح الغنيمي:موسوعة المغرب العربي المجلد الثالث-ص153م مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق ج2ص188

(5)مبارك بن محمد الميلي:نفسه:ص18- أحمد توفيق المدني:كتاب الجزائر-ص138

(6)Jacquot Félix:op.cit.p265

وهؤلاء البدو قد زودوا سكان القصور الصحراوية بالقمح المستورد من التل ومن أسواق الشمال،ويقومون ببيع التمر والإنتاج الحيواني.لقد سيطر بنوعامروحميان إلى جانب ذوي عبيدالله على الطريق التجاري المار عبر قصور الصحراء مثل تمنطيت وتيكرارين،وهي كثيرة موارد الماء،الذي يعتبر الفرع الثاني الممتد من سجلماسة ثم درع إلى أود فشت ثم النيجر(1)،فيقول ابن خلدون "... **وكلها ممشاة للعرب ومختصة بعبيدالله من المعقل،وربما شاركهم حميان من جموع بني عامر بن زغبة خلال ناجعتهم حتى تيكرارين...**"(2).ويبدو أن بني عامر وحميان لم يتجاوزوا في تجارهم قصور توات حسب رواية ابن خلدون،وأما عبيدالله فيزيدون إلى قصور توات وبلد تمنطيت،ترافقهم قوافل إلى بلاد السودان،وربما كانت هذه القوافل تعتمد على حماية بعض فرسان عبيدالله في الجزء الأخير من الطريق،نظرا لطوله من ناحية وكبر حجم القوافل من ناحية أخرى(3).لقد كان بنو عامر وحميان يشكلون قبيلة تابعة سياسيا وإدرايا واقتصاديا إلى دولة بني زيان ،فالغالب على الظن أنها كانت تزود أسواق تلمسان بما تحتاجه من منتجات غذائية حيوانية كالسمن واللبن المجفف،والماشية والصوف والوبر،وكل ما يتعلق بالإنتاج الحيواني(ينظرإلى الخريطة رقم 5ص444)

(1) د.محمد السويدي:بدو الطوارق بين الثبات والتغير-دراسة سوسيو-أنثروبولوجية في التغير الاجتماعي-المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر-1986-ص34

(2)(D.Atallah Dhina:les états de l'occident musulman Au13et14et15siècles; institutionsgouvermentaleset administratives; opu.Alger; 1984; p357
El-Ayyashi:voyages dans le sud de l'algerie; trad Berbrugger; paris; 1846; p.p45.46

(3)ينظر إلى العبر:ج7- ص.ص 56- 57-د.مصطفى أبوضيف:القبائل العربية-ص324-د.الحبيب الجنحاني:المغرب الإسلامي-الحياة الاقتصادية والاجتماعية(3-4هـ) (9-10م)-الدار التونسية للنشر -الشركة للوطنية للنشر والتوزيع1978_ص179

وربما كانت قوافل بني عامروحميان تستورد من تلمسان الأغطية والبرانس والقمح والشعير وغيرها.ولم يقتصر نشاط بنوعامروحميان التجاري على المناطق الداخلية،بل ساهمت في ربط قصور الصحراء بقصور بني عامر بحيث كانت قوافل بني عامر وحميان التجارية تقوم بتصدير المنتجات الغذائية الحيوانية كالسمن واللبن المجفف ورؤوس الماشية والصوف والوبر،والشاي والقباعات المزخرفة بريش النعام ونسيج الصوف والأقمشة وفليج الخيام والبرانس والأغطية والحبوب التي كانت تستوردها قبيلة بني عامروحميان من المنطقة التلية(1)،وكانت قوافل بني عامروحميان تستورد من قصور الصحراء التمر والملح، ومن أهم أسواق الصحراء التي تعود عليها بنوعامروحميان هي فقيق وتيميمون وقورارة وتمنطيت،وبودة ومدن مصاب كغرداية وقرارة وعين صالح وأسواق قصور بني عامركبوسمغون ومغرار والشلالة وتيوت والعين الصفراء(2)،أما أسواق المنطقة فكان بنو عامر وحميان يتعاملون تجاريا مع بني عامر وحميان الذين يسكنون منطقة وهران وسيدي بلعباس،ويذكر أحد الضباط الفرنسيين أن نشاط بني عامر وحميان التجاري امتد إلى أسواق تافيلات،ربما كان بنوعامر وحميان يسلكون الطريق التجاري ذهابا وإيابا الذي يبدأ من تلمسان في اتجاه الجنوب الغربي إلى تافيلات أو إلى سجلماسة سابقا(3)،حيث تمر القوافل بقلعة ابن الجاهل وهي قلعة منيعة كثيرة الثمار والأنهار،ويتصل بها جبل تاربي وهو مايليه جبال معمورة(4)،والغالب على الظن أن جبال الأطلس الصحراوي الغربي التي بها قصور متجاورة لمدينة تيزيل وهي أول الصحراء،ومنها يسافر إلى تافيلات

(1)- Jacquot Félix :op.cit.p266

(2)العبر:ج7-:ص 57.-Jacquot Félix:op.cit.P266-26 د.الحبيب الجنماني:المغرب الإسلامي-الحياة الاقتصادية والاجتماعية (ق3-4هـ)- ص179

(3)د.الحبيب الجنماني:المغرب الإسلامي-ص180

(4) نفسه:ص180

أوربما كان يسلك بنوعامروحميان الطريق التجاري المارعبر قصور بني عامر،ومنها فقيق إلى تافيلات،وكان بنوعامروحميان يقومون بتخزين حبوبهم في قصوربني عامر.

1-3-**دوربنوعامروحميان في تنمية الثروة الحيوانية**:لقد ساهمت بنوعامر وحميان من جملة عرب بني هلال في المجال الاقتصادي عند دخولهم إلى المغرب الإسلامي،ولم يكن دورهم سلبيا فقط كما يروج بعض المؤرخين والباحثين، بل كان دورهم إيجابيا فقد نقلوا خبرتهم الطويلة إلى المغرب الأوسط في تنمية الثروة الحيوانية،وقد تأثرت القبائل الزناتية بخبرة القبائل العربية الهلالية في هذا المضمار،فأخذوا عنهم تربية الخيول وتحسين أنسابها(1)،وكان من الطبيعي أن يهتم بنوعامر وحميان بأنعامها فهي لاتستطيع أن تستغنى عنها،وارتبط بنوعامر وحميان بهذه الأنعام التي رسمت لهم الانتجاع الموسمي،وقد طبقوا على حيواناتهم ماألفوه في مجتمعهم من العصبية الأبوية وأفادوا من القواعد البيولوجية في الاحتفاظ على سلامة أنسابها وسلالاتها،وبخاصة فيما يتصل بالإبل والخيول(2)وتعتبر الخيول أهم عند حميان وبني عامر من الإبل؛لأنهم كانوا يدافعون بها عن غيرها مما يملكون ويحمون بها حريمهم وأعانتهم على الإغارة والنجاة، وتصحبهم حيثما يكونون حتى أصبحت هذه العلاقة الحيوية بين الفرسان والخيول يضرب المثل في التعاطف والتآلف(3).ويبدو أن صلة بني عامر وحميان بالخيول العربية الأصيلة قديمة،فمن أشهر خيول أسلافهم بني هلال بن عامر الأعوج وذوي العقال(4).وفي بداية الدولة الموحدية كانت تعتمد في تجهيز جيوشها من الخيول(5)

(1)عبد الحميد يونس:الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي-القاهرة1056هـ -ص.ص.88-89

(2)علي بن عبد الرحمن:حلية الفرسان وشعار الشجعان-نشر محمد عبد الغني حسن- القاهرة -1949-ص43

(3) ابن صاحب الصلاة:المن بالإمامة-ص 215و418

(4)ابن عذارى:البيان-ج4 -ص77

(5) ينظر إلى بغية الرواد:ج1-ص19-محمود بوعياد:المرجع السابق-ص33

على إفريقية، أمرعبد المؤمن بن علي باستجلاب الخيل له من جميع طاعاته بالعدوة وافريقية،وفي عهد المنصور الموحدي أمدته تلمسان في 580هـ-1184م بثمانمائة فرس معولة لأهل الأندلس كانوا برفقة من أنضاف إليهم من عرب زغبة(1)وربما كانت إمارة بني عبدا لواد تعتمد على خيول حميان وبني عامر،كما اعتمدت على خيول عرب سويد،ولم يتوقف دور حميان وبني عامر على تربية الخيول،واختيار الأصيلة منها،بل ساهمت أيضا في تربية المواشي وفي اختيار السلالات منها،كذلك في تنميتها وزيادة عددها حتى أضحت المنطقة غنية بثروهما الحيوانية خاصة الأغنام(2).وذكر يحي بن خلدون أن أهل الأرياف في المغرب الأوسط قد اعتنوا بالزراعة ورعي الأغنام،وعن أهل تلمسان أن غالب تكسيبهم الفلاحة وحوط الصوف لصنع الثياب الرقيقة،ورعي الأغنام(3).لقد فرضت البيئة الجغرافية والمناخية على قبيلة بني عامر وحميان أن تقوم بتربية الأغنام بالدرجة الأولى؛ لأنها عبارة عن مراعي طبيعية تتوفر على مختلف النباتات والأعشاب التي تعد علفا طبيعيا للأغنام،ويذكر فليكس جاكو أن قطيع أهل الصحراء خاصة المنطقة التي نصفها ويقصد منطقة بني عامر وحميان يتكون تقريبا من الأغنام،وقليل من الأبقار،وعددا لابأس به من الماعز،أما الجمل فليس وسيلة للنقل فحسب بل يمكن استهلاك لحمه،وشرب حليب الناقة،واستغلال وبرها.وكان الفرد العامري والحمياني الواحد يملك حوالي ألفين جمل،وأربع مرات من الأغنام،وهذا القطيع الهام والذي فاق الحد لا يمكن رعيه بارتياح وبدون عناية،فقد اهتدى العامري والحمياني إلى طريقة وهي تقسيم قطيعه من الأغنام إلى أربع مجموعات وتتكون كل مجموعة من مائة رأس(4).

(1) محمود بوعياد:المرجع السابق-ص33

(2)نفسه:ص33

(3)ينظرغلى بغية الرواد-ج1-ص140

(4)ينظرإلى: Expédition du général Cavignacp.267

تسمى المجموعة الواحدة بالعصا،وقسمت الإبل كذلك إلى مجموعات وكل مجموعة تتألف من مائة رأس تسمى بالإبل(1).وكانت حميان وبنوعامر تستأجر أحيانا جمالها للقوافل فالبنسبة للحميان تعتبر مصدر كسب المنفعة،ولكل مجموعة راعي(2).إن تفاعل قبيلة بني عامروحميان مع البيئة الطبيعية والمناخية من جهة وتفاعلها مع القبائل الأخرى العربية والزناتية من جهة أخرى،جعلها تكتسب ثقافة بدوية،بالإضافة إلى موروثها الشعبي الهلالي الذي يختزن كثيرا من تجارب السلف،وبقائها محافظة على هذه الأشكال التقليدية،استطاعت قبيلة بنوعامر وحميان من خلال هذه الثقافة أن تعرف سن الشاة وتصنيفها حسب اللون،وأن تعطى أسماء لكل شاة،حيث تسمى الشاة التي لا تتعدى سنة واحدة بالخروفة أو الخروف،وهو الصغير الذي لم تتعدى سنه السنة الأولى من ولادته،واستطاع الحمياني والعامري أن يصنف الخرفان إلى شتوي،وهو الذي ولد في فصل الشتاء وربيعي الذي ولد في فصل الربيع،والحولي والحولية،وهي الخروفة التي بلغت السنة،وجاءت التسمية من الحول أي السنة،وهي التي يمكن جزها وهي المفضلة عند الحمياني،سواء تربيتها أو أكل لحمها وبيعها،أما النعجة وهي التي سبق لها وأن ولدت،وهي كذلك مصنفة إلى السدسة والقارح الشارف وأما الحولي فإذا بلغ سنا معينة يصبح كبشا،ولمعرفة عمر النعجة أو الكبش أو غيره من أصناف الأغنام،فهناك طريقة وهي فتح فاه النعجة،وتسمي في ثقافة العامري والحمياني بفر النعجة،ولم يقتصر على معرفة السن بل كذلك اللون بحيث صنفها إلى الدغمة،وهي المفضلة عند الحمياني؛لأنها تعد من سلالة المنطقة والشقرة(ينظرإلى الصورة رقم 01رقم 445).

(1) ينظر إلى: Expédition du Général cavignac-p.p.275-276

(2) Ibid:p276.

2-دوربنو عامر وحميان الثقافي:انتشر العرب خلال الفتوحات الإسلامية المتتابعة والتي تميزت بظاهرة المد والجزر خلال القرن الأول الهجري،وأثرت هذه الفتوحـات في بلاد المغرب،وبعد أن انتقلت إدارة بلاد المغرب المفتوحة إلى الأمويين،ظهرت خلافـات القبائل العربية والعصبية القبلية(1)،واستقرت في القرن الثاني الهجري،وظهر الأدارسة في المغرب الأقصى،وبنوصالح الحميريون في الريف المغربي،وبنوالأغلب في إفريقية وشيعتهم من بني تميم،وفي النصف الأول من القرن الرابع الهجري.ورث بنوعبيد بـالمغرب هـذه الممالك المستقلة،ومناصريهم من بني حمدون الجذاميين بالمسيلة والزاب،إلى أن جـاءت القبائل العربية الهلالية في منتصف القرن الخامس الهجري (2).نجحت القبائـل العربيـة الهلالية في نشر اللغة العربية والإسلام في جميع أنحاء المغرب،لإتفـاق أسـاليب حيـاتهم وتجانسها مع الحياة البربرية في السهول والجبال،فقد كان العرب قبائل بدوية رعويـة أو شبه رعوية تمتطي ظهور الإبل والخيل،مما سهل امتزاج العنصرين حيث تكـون جـنس خليط واستعرب البربر،وتوغلت اللغة العربية بين البدو البربر،بعـد أن كانـت قليلـة الانتشار (3).إذا كان بنوعامروحميان ينتسبون إلى بني هلال،فإن بني هلال كـان لهـم الفضل في نشر اللغة العربية وتعريب قبائل زناتة وصنهاجة في المغـرب الإسـلامي،فإذا كانت الفتوحات الإسلامية الأولى نجحت في نشر الإسلام واللغة العربيـة،فإن الهجـرة الهلالية أتت لتضيف الدم العربي،وتعدل التكوين الجنسي والعنصري لسكان المغـرب، حتى أصبح العنصر البربري القديم لا يلتمس إلا في معاقـل الجبـال(4). ذات الطبيعـة

(1)د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية–س277

(2)عبدالعزيز بن عبدالله:معطيات الحضارة المغربية–المغرب–1957–ص60

(3)د.عبدالحميد يونس:الهلالية–ص76–الميلي:تاريخ الجزائر–ج3–ص154–دائرة المعارف الإسلامية–مـادة بربـر–ج3–ص508

(4) نفسه:ص508–د.مصطفى ابوضيف أحمد عمر:القبائل العربية–ص259

الوعرة،ولايميز إلا ببعض الظواهر اللغوية،وقيل أن الزحف العربي الأول أعطى للبربر العقيدة الإسلامية،فإن الزحف العربي الثاني أعطاهم اللغة العربية(1).كما أدخلت الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب النمط المعيشي البدوي،والعادات الشرقية والموروث الشعبي الهلالي من شعر بدوي وحكايات وأمثال شعبية وغيرها من أشكال الحياة البدوية(2).وقد ذكر المؤرخون المستشرقون أن بني هلال لعبوا دورا بارزا في نشر اللغة العربية بشمال إفريقية،فإذا كانت غزوات بني هلال قد أتت لهذه البلاد بالخراب والفوضى في البداية،فإنها أعطت سكانها عنصرا عربيا انصهر شيئا فشيئا في الشعب البربري،وكانت نتيجة هذا الاتصال المستمر منذ الحادي عشر الميلادي(3).والواقع أن مساهمة بني هلال في تاريخ المغرب الإسلامي بقطع النظر عن وجهها السياسي،فقد أفادت المنطقة ودعمت وجودها العربي بالمفهوم الحضاري(4).وكانت الهجرة الهلالية تضم مجموعات من القبائل العدنانية والقحطانية التي استقرت في الشمال الإفريقي واندمجت معها البرابرة التي تعربت هي أيضا حتى تداخلت الأنساب واندمجت مع القبائل العربية فيما بينها ومع البربر(5).هذا المزيج بين عرب بني هلال وسليم من ناحية أخرى كانت من الناحية اللغوية هي تعريب وانتشار اللغة العربية في الأرياف،وذكر ألفرد بل "...إن العرب **الذين حكموا الشمال الإفريقي من القرن الثامن الميلادي إلى القرن الحادي عشر الميلادي لم يعربوا سوى المدن وبعض ضواحيها،فإنه ابتداء من القرن الحادي عشر حدث تعريب الأرياف بفضل نفوذ العرب البدو مع الغزوة الهلالية...**"(3).وكان عبد المؤمن أول من عمل على جلب العرب الهلالية من إفريقية

(1)د.أبو القاسم سعدالله:آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر–ص59

(2)عدد من المؤلفين:الوطن العربي–النواة الأولى والامتدادات عبر التاريخ–ط1–مركز دراسات الوحدة العربية–بيروت–2003–ص08

(3)ينظر إلى:الرق الإسلامية في الشمال الإفريقي–ص213

إلى المغرب واتبع ولده أبويعقوب يوسف وحذى حذوهم يعقوب المنصور الذي عمل على نقل بطون بني هلال إلى المغرب الأوسط والأقصى وإذا كان ابن صاحب الصلاة ذكر أن المهم أن نعرف أن هناك فرق بين تصرف عبد المؤمن وولده من جهة،وتصرف الحفيد من جهة أخرى فالأولان كان جلبهما الزاب وريغ وراكلا وما وراء من القفار للعرب الهلالية تقربا وتألفا،بينما كان عمل الثالث بدافع تغريبهم وعقابهم بسبب تأييدهم لبني غانية(1).ورغم أنه منذ القرن الخامس الهجري إلى القرن العاشر الهجري قد تداولت على بلاد المغرب ست دول كبرى بنوحماد والمرابطون والموحدون والحفصيون وبنو مرين،وبنوزيان وسمي عصرهم بالعصر البربري،فإن مبارك بن محمد ذكر أنه شاء الله أن يكون للعرب وجود جنسي في العصر البربر السياسي،مؤثرون في البربر في العربي سياسيا ودينيا،وفي العصر البربري اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا أيضا(2).وسيطرت مختلف القبائل العربية بالمغرب على الطريق الثاني الخاص بواحات الصحراء،ففي الجزء الأول منه سيطر الذواودة من رياح على مجالات ،أما بالنسبة للجزء الثاني منه فقد ورث عرب المعقل قصور زناتة بالصحراء،بعد أن طردوها إلى الساحل وفرضوا عليها الأتاوات، وهذه القصور مثل توات وبودة وتمنطيت وتيكورارين(3).وكانت طبيعة القبائل العربية واتفاقها مع إخوانهم البربر،طبيعة الأرض التي انتشر فيها الإسلام وتسربت إليها جموع البدو من القبائل العربية،فقد كانت هذه البلاد تحيط بالصحراء الكبرى شمالا(4) في المنطقة الممتدة

(1)ينظر إلى:المن بالإمامةص173و259-ابن أبي زرع:القرطاس-ص164-السلاوي:الاستقصا-ج2ص.ص150-15

(2)ينظر إلى:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص168-د.حسن إبراهيم حسن:انتشار الإسلام في القارة الإفريقية-القاهرة-1964-ص.ص09-10د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص279

(3) العبر:ج6-ص33-57-59-61

(4)عبدالرحمان زكي:تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقية الغربية-القاهرة-1961ص-50-د.حسن إبراهيم حسن:انتشار الإسلام في القارة الإفريقية-ص11

من حدود مصر الغربية حتى المحيط الأطلسي(1).وجنوبا في النطاق الرعوي الذي يحيط بهذه الصحراء من الجنوب من مصب نهر السينغال حتى السودان(2).ويلاحظ أن القبائل العربية قد تسربت إلى غربي القارة الإفريقية عن طريقين هما الأول:الطريق الساحلي عبر حوض السنيغال وهو الطريق سبق وأن سلكه المرابطون والثاني طريق التجارة الذي يبدأ من إفريقية الشمالية متجها صوب الجنوب عبر واحات الصحراء إلى المدن الكبرى في السودان،فقد سيطرت عرب ذوي حسان على الطريق الأول بعد أن غزوا قبيلة كزولة،وتمكن الشبانات منهم من فرض إرادتهم على زكز ولخس من قبيلة لمطة.وصيروهم تابعين لهم وفرضوا الضرائب عليهم(3)،فعندما نزح بنوعامروحميان إلى صحراء تلمسان في عهد الإمارة الزيانية سنة1236م احتكوا ببني عبدالواد وبني مرين،وسكان قصور الأطلس الصحراوي والتي تعرف بمنطقة القصور مثل بوسمغون والشلالة القبلية والظهرانية وتيوت ومغرارالفوقاني والتحتاني وأربا الفوقاني والتحتاني وعبن سفيسفة،وهم كذلك عناصر زناتية التي كانت ولاتزال تتكلم اللغة الزناتية أوالشلحة،يطلق على سكانها بالشلوح.تمكن بنوعامر وحميان من التأثير على قبائل المنطقة لغويا،بحيث استطاعوا أن يفرضوا اللغة العربية والعادات والتقاليد الهلالية على هذه القبائل،كتربية الخيول واختيار السلالات منها،والكرم ونصرة المظلوم وإخفار ذمة اللاجيء الطالب للحماية(4)،والشعر البدوي وبالتالي يصعب اليوم التمييز بين قصرتسكنه زناتة وقصر تسكنه العرب الهلالية؛لأن كلاهما يستخدم اللغتين العربية والزناتية في حديثه العادي،خلال فترة الإمارة الزيانية.

---

(1)العبر:ج6ص58-67-70-274

(2)العبر ج7ص.123و302-السلاوي:الاستقصا-ج2-ص103

(3)مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائرفي القديم والحديث-ج2-ص.ص189-190

(4)العبر:ج6-ص274-الميلي:نفسه-ص.ص189-190-د.مصطفى ابوضيف احمد عمر:المرجع السابق-ص225

ويلاحظ أن بني عامروحميان لايزالون محافظين على مفردات اللغة العربية الفصيحة في كلامهم وفي أشعارهم،وفي الوقت نفسه تأثر بنوعامر وحميان بلغة زناتة،مما أدى إلى ظهور لغة مستعجمة وهي اللغة الدارجة التي هي عبارة عن خليط بين العربية الفصحى واللغة الزناتية ونتيجة الاختلاط والتفاعل الاجتماعي بين بني عامر وحميان والقبائل الزناتية،وكذلك نتيجة عملية التأثير والتأثر،وفي هذا الشأن يقول مبارك بن محمد الميلي"...**فعن بني هلال إنما فسد لسانهم بالجزائر لاختلاطهم بالبربر,ومع هذا فالهلاليون أثروا من حيث اللغة في البربر أكثر مما تأثروا بهم...**"(1).وربما قد اشترك بنوعامر وحميان والذواودة من رياح على مجالات الزاب وريغ ووركلا لقطعهم الطريق الرملي،ونزولهم قليعة عندما كانوا بالقفر،أيام وقد تجاور بربر زناتة مع عرب بني عامر وحميان،وفي عصر الموحدين تسرب الهلاليون إلى الصحراء حيث نمت اللغة العربية وازدهرت وبعد ذلك بقرون تبعتهم قبائل بني سليم في هذه الأقاليم ومن هذه القبائل بني هلال أولاد سيدي الشيخ وأولاد جرير(2).واختلطوا وتصاهروا وسادت اللغة العربية عكس ماروج له ضباط مكاتب الشؤون العربية بأن العلاقة التي تجمع بربر قصوربني عامر بعرب بني عامروحميان كانت علاقة اقتصادية منفعية سرعان ماتزول وتنتهي.وقد ذكر شارل أندري جوليان بقوله"...**وقد غلبوا على زناتة في معظم نواحي المغرب الأوسط،والغالب هنا ثقافي أكثر مما هو سياسي أوعسكري،فإن الزناتيين ظلوا دائما أقوياء،ولكن الذين استقروا منهم تحولوا إلى حضر وزراع وهؤلاء يتغلب عليهم العرب البدو...**"(3).

(1)ينظر إلى تاريخ الجزائر في القديم-ج2-ص.ص189-190-أحمد توفيق المدني:كتاب الجزائر-ص138-عبد الرحمن الجيلالي:تاريخ الجزائر العام-ج1-ص162

(2)عبد الرحمان زكي:حركة الاصلاح الديني في غرب إفريقية-مدريد-1966-ص139

(3)ينظر إلى ابن الأحمر:تاريخ الدولة الزيانية-ص34

الباب الثاني:

الدراسة الثقافية

الموروث الشعبي عند حميان وبني عامر

الفصل الأول:

الفنون التقليدية والأدب الشعبي عند بني عامر وحميان

المبحث الأول: الفنون التقليدية:

أ- فن صناعة فليج الخيمة

ب- فن صناعة الأفرشة والملابس

ج- فن صناعة العطوش والراحلة

د- فن صناعة أدوات الخيمة

المبحث الثاني: الأدب الشعبي:

1- الألغاز الشعبية

2- الأمثال الشعبية

3- الرقص والغناء

4- الشعر الشعبي أو الملحون

5- الحكاية الشعبية

1-<u>تعريف الموروث الشعبي</u>: يعتبر الموروث الشعبي لكل مجتمع الجذر والذاكرة،التي تحتوي على مكونات وعيه التاريخي من علوم وآداب وفنون وغيرها،وهو بذلك يصيغ شخصيته ووجدانه وهويته وخصوصياته،ومثلما لايمكن لإي فرد أن يتنكر لماضيه ولمكوناته الأولى،البيئية والوراثية كذلك لا يمكن لمجتمع أن يتنكر لماضيه،ويتجاوز تركيبته الروحية والفكرية.قد تتفاوت نظرة الباحثين والدارسين للتراث الشعبي،نظرا لتباين خلفياتهم الجغرافية والحضارية والثقافية،إلا أن ثمة اتفاق على تعريف الموروث الشعبي بأنه مجموعة العادات والتقاليد والآداب والفنون والحرف والصناعات ومختلف المهارات والمعارف الشعبية التي أبدعها المجتمع بفئاته كافة،وساغها على مرالزمن،وهذا يعني أن لكل مجتمع تراثه الفكري والعلمي والاجتماعي،مما يعكس صورة حية عن واقعه في مرحلة ما في إطار الزمان والمكان.ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشرحين أخذت القوميات الحديثة في أوروبا بالظهور والتشكل،أصبح الموروث الشعبي يواكب هذه المرحلة الجديدة،وهذه الروح القومية،معلنا ولادة علم جديد اصطلح عليه بعلم الفولكلور(1)،وأصبحت المأثورات الشعبية تفرض حضورها كمادة من مواد العلوم الإنسانية،تستوجب الدراسة والبحث في إطار الدراسات التي تتناول خصائص وميزات ثقافية قومية(2)،على أن هذه الخصائص من أهم العوامل المساعدة في دعم العلاقات الإنسانية بين الشعوب.وقد اختلفت الدراسات وتنوعت الاتجاهات في طرائق تناول هذا العلم نتيجة للظروف التاريخية التي مربها هذا الفولكلور(3).

(1)إسماعيل الحسين:موروثنا الشعبي-الهوية الضائعة- مقالة-صحيفة يومية تصدر عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر-ط1-العدد1057سمبتر2001-ص01 من موقع أنترنيت:
temp/098L09bw.htm.p01sur 4pages

(2) حسن حسني عبدالوهاب:ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية-تونس-بدون تاريخ-ص173

(3)محمود أبوعياد:جوانب من الحياة في المغرب الأوسط-ص58-إسماعيل الحسين:موروثنا الشعبي-ص02

مع التأكيد على أهمية دراسته،انطلاقا من جملة اعتبارات،منها الاستناد إلى الثرات ونتائج أسلاف مجتمع ما يعد ضمانة لاستمرارية وجود هذا المجتمع بهويته وخصوصياته المميزة،ويحقق التوازن في المعادلة بين الماضي والحاضر والمستقبل(1)،كما يعد الموروث الشعبي أحد العناصر الأساسية لمقومات أي مجتمع لاحتوائه خلاصة تجاربه وخبرته التراكمية،وأن الانتهال من تجارب الأسلاف يعني تجددا لأفكار الملهمة للأجيال القادمة وأن الاتصال والتواصل بماضي المجتمع،وروحه المتجلي في نتاجه يعزز الاندفاع الايجابي الذي تتطلبه الحياة المعاصرة،ويضمن في الوقت نفسه التوازن لتفاعل عطاء وفكر مجتمع مع العطاء والفكر العالمي.فلا اقتباس إلى حد الذوبان،ولا انغلاق إلى حد الوقوع في الذاتية(2).فما مكانة الموروث الشعبي في قبيلة حميان وبني عامر؟تنتسب قبيلة حميان وبنو عامر أو المجتمع الحمياني والعامري إلى بني هلال،وكما جاء عن مبارك بن محمد الميلي نقلا عن ابن خلدون فالهلاليون بداة ظواعن،يسكنون بيوتا خفيفة الحمل يوم ترحالهم(3)وإذاكان ابن خلدون قد ذكر أن بني عامر وحميان من بطون بني يزيد كانوا بطونا وناجعة ولم يكونوا حلولا(4)،أي أنهم كانوا بدوارحلا ولم يكونوا مستقرين،وإذاكان بنوعامروحميان يملكون موروثا شعبيا هو جزء من الموروث الشعبي الهلالي.فماطبيعة الموروث الشعبي العامري الحمياني الهلالي؟يتمثل الموروث الشعبي العامري الحمياني في الفنون التقليدية،ويقال أن الفنون التقليدية لم توجد من فراغ بل وجدت نتيجة التفاعل بين الأفراد والجماعات والبيئة المحيطة خلال الزمان والأحقاب الماضية.

(1) إسماعيل الحسين:المرجع السابق–ص02

(2) ينظر إلى تاريخ الجزائر في القديم والحديث–ج2–ص 187

(3) العبر:ج6– ص41–د–مصطفى أحمد أبوضيف:المرجع السابق–ص156– أحمد توفيق المدني: الرجع السابق–ص138–مبارك بن محمد الميلي:نفسه–ص20

(4)العبر:ج6–ص41–مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق–ج2–ص178

وبحكم عوامل الارتباط الحسي والوجداني والمعنوي بين أبناء المنطقة الواحدة المشتركة في العادات والتقاليد واللغة والعقيدة والآمال الواحدة،إن الفنون تمارس بشكل دائم وبتكرار تلقائي خلال أجيال متعاقبة،تبعا للمناسبات الخاصة بكل فن من الفنون التقليدية.إن إمعان النظر في فنون الشعوب البدائية يثبت بجلاء أن الإحساس الجمالي غريزي لدى معظم الناس بغض النظر عن وضعهم الذهني،وفكرة إنتاج أشياء نافعة للإنسان في استعمالاته اليومية،فكرة قديمة قدم الإنسان(1)،فقد كان الإنسان البدائي يجمل الحراب التي يستعملها في الصيد إما بزخارف هندسية محفورة قوامها الخطوط المتوازية والمتقاطعة أو المثلثات،أو برسم أشكال الحيوانات عليها،ومع بدء الحضارة الزراعية وما تقتضيه من استقرار بدأت تظهر أنواع أخرى من الفنون الشعبية التطبيقية التي تغطي حاجات الإنسان التي تزايدت مع تزايد الوعي الحضاري نتيجة التجارة،وكان ميدان الفنون الشعبية واسعا وثريا في الفنون اليومية مثل الأثاث والحلي وأوعية المأكل والمشرب وأدوات الزينة(2)،وكلما مارس الفنان الشعبي هذا الإبداع اليومي تميزت هذه الأشياء بجمال أشكالها ومناسبتها لوظيفتها،والفن الشعبي هو خليط من الفنون النفعية التي يحتاجها إليها الإنسان في حياته اليومية،وجميع القيم الجمالية التي تميز العمل الفني الإبداعي.وقد كان الفن الشعبي طوال العصور يسير جنبا إلى جنب مع الفن الرسمي والتراث العربي غني بالفنون الشعبية في الأدب والغناء والموسيقى والفنون التشكيلية والزخرفة(3)،هذه الفنون تكشف عن قدرات ومهارات الفنان الشعبي الذي ينفذها في يسر وبساطة.

---

(1)هيام السيد:الفن الشعبي–من موقع أنترنيت:Islam online.Net ص01من 03صفحات

(2)نفسه:ص01–محمود أبوعياد:المرجع السابق–ص58–أندري بريتان وآخرون:الجزائر بين الماضي والحاضر–ص209–Jacquot Félix:op.Cit.p283-مونكرمي وات:البدو–ص128

(3)هيام السيد:الفنون الشعبية–ص02–د.غوستاف لوبون:حضارة العرب–نقله إلى العربية عادل زعيتر–(د.ت)–ص344

وكان الفنان الشعبي هو التيار الصحي الذي تحتفظ الجماهير العريضة من خلاله بضميرها الفني وحسها الجمالي(1).وبخاصة عندما تضعف الدولة وتنحسرعنها قدراتها الإبداعية في فنون الحاكمين،وفي هذه الفترات تقل سطوة التقاليد الفنية الرسمية،وتزداد طلاقة الفنون التي تقترب من الفنون الشعبية.ودائما يلاحظ أن الفن الشعبي يتجه إلى الإعتزاز بالبطولة وتمجيدها،واعتبار أبطال القصص الشعبي هم المثل العليا،وكانت قصص أبوزيد الهلالي وعنترة بن شداد تمثل دائما كل منهما فارسا يمتطي جواده وقد سل سيفه البتار.كل ذلك من الفنون المتوارثة المنحدرة من آلاف السنين،وهي تعكس أشكالا وموضوعات مستمدة من التراث أو من الأسطورة(2)،أو من ذكريات غامضة تسللت عبر سنوات طويلة منحدرة من جيل إلى جيل يعرفها،وقد لا يعرفها مدلولها،وكثيرا ما ترمز الأشكال المختلفة في الفن الشعبي إلى أسطورة أو معتقد فطري،كما تشير الألوان المستعملة إلى معان خاصة رمزية متصلة بالفطرة الإنسانية،تستمد الفنون الشعبية باستخدام الخامات المحلية والوحدات التي تسمد من البيئة،ومن خلال دراسة الفن يمكن تتبع الكثير من جذور الفنون الأصلية التي يبدو أن بني عامر وحميان فقدوا الكثير منها بعد أن دخل على حياتها الكثير من التغيرات التي تفصل بين حاضر فنوهم وماضيها،والفن الشعبي هو فن جمالي لا يعرف الفردية لأنه فن الجماهير العريضة،والفنان الشعبي لا يتناول سوى الموضوعات التي يعرفها معرفة متوارثة وتتجاوب مع احتياجات المجتمع الذي يعيش فيه،فالرسم عند الفنان الشعبي يمثل واقعا أكثر مما يمثل واقعا بصرياكذلك فإن الرسم تعريف للأمور بواسطة الرسم كبديل للكلام وهو يوضح في صورة واحدة مجموعة مشاهد كأنما يحكي قصة،كما أنه يرسم الأشياء المرئية مادام غير المرئي معروفا.

(1)هيام السيد:الفن الشعبي:ص02-إسماعيل الحسين:المرجع السابق-ص03

(2) نفسه:ص02-Jacquot Félix:op.cit.p284 -إسماعيل الحسين:موروثنا الشعبي-ص03

كما أن الفن الشعبي لا يعترف بقواعد المنظور.يعتمد الفنان الشعبي في زخرفة منتجاته على عنصرين الأول الوحدات الهندسية البسيطة.ويغلب استعمالها في المنتجات التي تفرض صناعتها والخامة المستعملة فيها هذه الوحدات أي الزخارف الهندسية في أغلب الأمر وليدة طريقة الصناعة نفسها(1)،والعنصر الآخر الزخارف العضوية البسيطة التي تعتمد على خطوط منحنية لينة أيضا كفرع صغير أو أزهار بسيطة التركيب أو حركة أمواج المياه ورجرجرتها،وبالطبع فإن الميل إلى التزيين طبيعة كامنة في الإنسان،وكان دائما المطلوب من وحدات الزينة الشعبية في مختلف الأماكن ومختلف الشعوب أن تلفت النظر سواء بسبب اللون أم الشكل أم الصوت(2)،وكل العناصر محققة في الحلي الشعبية،وأغلب زخارف الحلي هندسية قوامها الخطوط والمثلثات،ويغلب أن تكون مشغولة بخيوط رفيعة من المعدن ذهب أو فضة والتصوير الحائطي كان من أهمل أساليب لذلك الفن،كما كانت تتعدد أشكاله واستخداماته من أعمال الكليم والحصير والسلاسل وأواني الفخار والأباريق المزخرفة بالأشكال الهندسية وأعمال التطريز على الملابس والحلي وغيرها تبعا للبيئة الخاصة التي يعيش فيها الفنان الشعبي والخامات المتاحة له في هذه البيئة(3)،فالبيئة الزراعية مثلاكانت تفرض على الفن الشعبي وفنانيه ونوعا خاصا من الفنون مثل صناعة الفخار،حيث تتوفر الطينات الصالحة له في أماكن كثيرة(4)،كذلك درج الكثير من الفلاحين على غزل الصوف والقطن بمغازل يدوية لتتميز هذه المنسوجات ألوانها الطبيعية،وزخارفها الكثيرة ذات الخطوط العريضة بألوان طبيعية داكنة،أما البيئة الصحراوية أو البدوية فإن صناعات الجريد تأخذ المقام الأول حيث يكون النخيل مصدرا هاما من مصادر الخامات الأولية اللازمة للحرف الشعبية

(1) السلاوي:الاستقصا–ج2–ص164

(2) د.مصطفى أحمد أبوضيف:المرجع السابق –ص257–د.غوستاف لوبون:المرجع السابق–ص344

(3)هيام السيد:الفن الشعبي–ص02

(4)إسماعيل الحسين:موروثنا الشعبي–ص03

فيصنع من الجريد الأقفاص والكراسي والأسرة والموائد الصغيرة بتصميمات جميلة.أما الأماكن الرعوية التي تقوم الحياة فيها على رعاية الأغنام والماعز.فإن الصناعة الشعبية التي تفرض نفسها هي نفسها هي صناعة السجاد والأكلمة ذات الزخارف الهندسية بألوان وغزل الصوف المأخوذ من صوف الغنم(1).وبسبب صدق وأصالة الفن الشعبي،فإن المثقفين كانوا ولا يزالون يسعون إلى استلهامه ثقة من أصوله مضمونة الجذور نابعة من الأرض والتقاليد والتراث ومن حاجة الإنسان العادي للحياة،والأدب الشعبي بكل أشكاله والعادات والتقاليد(2)،وقد تم اختيار نماذج من هذا الموروث الشعبي،كاالحكاية الشعبية والحكاية الخرافية والشعر الشعبي والأمثال الشعبية والألغاز الشعبية الأكثر تداولا في مجتمع حميان وبني عامر.وقبل إبراز الموروث الشعبي عند بني عامروحميان يلاحظ أن القصص الشعبية المتداولة في المجتمع العامري والحمياني لها بعدها التاريخي والثقافي،فقصة بنت الخص والشيخ ذياب،تظهر مدى ارتباط بني عامر وحميان بأسلافهم بني هلال،وإذا كانت القصص تختلف من راوي إلى آخر،إلا أنها لاتزال تتناول شخصيات من بني هلال،لقد مر استقرار العرب بالمغرب الإسلامي بمرحلتين أساسيتين:من بداية سنوات الفتح وتأسيس المدن الإسلامية والدويلات الإسلامية ببلاد المغرب وحتى أواسط منتصف القرن الخامس الهجري(3)،والثانية من أوسط القرن الخامس الهجري وانتقال القبائل العربية من هلال وسليم والمعقل إلى بلاد المغرب،وانتقالها وامتزاجها مع العناصر المستقرة من بربر(4).

(1)هيام السيد:المرجع السابق–ص02

(2)نفسه:ص02

(3)د.مصطفى أحمد أبوضيف:المرجع السابق– ص257

(4)نفسه:ص257

وإذا كانت المرحلة الأولى قد امتازت باستقرار المجاهدين المسلمين الأوائل(1)فكانوا يستوطنون الأمصار والمدن،فإن المرحلة الثانية كانت تتميز بأن المستقرين كانوا من بدو العرب وهم عرب بنوهلال وسليم،الذين انتقلوا بأحيائهم وحللهم وخيامهم،وجاوروا أهل البلاد من البربر الذين يسكن جمهورهم المداشر وكهوف الجبال لانعدام وجود الخيام ببلاد المغرب إلا في القليل النادر(2)وكانت خيام العرب من الوبر والصوف،يسهل فكها عند سفرهم لغزواتهم وحروبهم بظعونهم وسائر حللهم وأحيائهم من الأهل والولد(3).قبل إبراز فن صناعة فليج الخيمة،ينبغي توضيح مكونات مسكن بني عامر وحميان،وسكناهم الخيام وشظف العيش وذلك راجع إلى تحمل مشاق المناخ الصحراوي والقاري الشديد الحروالبرد.إن البادية ليس بها مسكنا ثابتا،بل هناك بيوت شعر،ترحل مع البدوي أينما حل،ويُعد البدوي مسكنه بنفسه(4)،وبيت البدوي مصنوع من صوف الغنم ،وتقوم المرأة بغزلها ونسجها على شكل قطع تخيط ما بينها حتى تشكل بيتا كاملا،وتتعدد أشكال البيوت في البادية،وتتسع وتضيق كل حسب مقدرته وحاجاته،فالفقير بالبادية يسكن ما يسمى بالعشة،وقد يكون أعمدته قليلة،قد تكون ثلاثة أو أربعة او خمسة أو ستة،والغني في خيمة واسعة يتجاوز أعمدها أعمدة بيت الفقير(5)،فالخيمة كمظهر من مظاهرالموروث الشعبي،من أين يتكون بيت البدوي المترحل ؟وأين يتم وضعه؟أي ماهو المترل* الذي يختاره العامري والحمياني لوضع خيمته؟

(1)د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية–ص257

*المترل:هو المكان الجديد الذي يتم اختياره لتوضع فيه الخيمة،وعادة ما تتجنب الأسرة البدوية العامرية والحميانية الترول في مكان سبق وأن استقرت فيه أسرة أخرى،وتعرف ذلك من خلال بقايا الرماد أو بقايا الحيوانات.

(2)د.مصطفى ابوضيف أحمد عمر:القبائل العربية–ص257

(3)د.مصطفى أبوضيف عمر أحمد:القبائل العربية–ص258

(4)دة:سهيرعبدالعزيز محمد:الإستمرار والتغير في البناء الاجتماعي–ص177

(5)نفسه:ص177

ولماذا اختار العامري والحمياني الخيمة كمسكن له؟وهل الخيمة تعكس الحياة الاجتماعية لمجتمع البدو الرحل؟وماهو شكل الخيمة؟ تختلف خيمة بنوعامروحميان عن خيمة الطوراق فخيمة بنوعامروحميان تصنع من صوف الغنم وشعر المعز في حين خيمة الطوارق من وبر الإبل وشعر،وتصنع من الجلد المدبوغ الذي تخاط عدة قطع منه إلى بعضها ويصنع من الجلد خصيصا لهذا الغرض،ويكون ذا لون أحمر غامق بحيث يتناسب ولون جبال الهقار(1).يلاحظ أن أدوات الخيمة في المجتمع العامري والحمياني سواء التي تستخدم في الطبخ؛أو في مجالات أخرى تم صنعها بتكنولوجية بسيطة،وتتميز بالخفة ومادتها الأولى الجلد والحلفاء،وربما يعود سبب إلى طبيعة الترحال التي تتطلب أدوات خفيفة سهلة الحمل.عادة ما يلاحظ شكل الخيمة كروي أوبيضوي،حيث ذكر حمدان خوجة "...**لقد سبق أن قلنا أن الخيمة تصنع من الوبر وهو قماش مضلع بالأحمر،أوبالألوان الأخرى،وتأخذ هذه الخيام شكل المكوروالمثبت بأودات من الخشب...**"(2).،وسبب اختيار الشكل الكروي يعود إلى العامل الإيكولوجي؛لأن الشكل الكروي يسمح بتسرب مياه الأمطار على جوانب الخيمة،ولا يسمح لها بالترسب فوق سطح الخيمة،وكذلك يسمح بتوزيع أشعة الشمس،ولا يجعلها عمودية على سطح الخيمة،وقد راعى بنوعامر وحميان الظروف المناخية في تحديد شكل الخيمة،وبالتالي يستخلص أنه كانت لهؤلاء تصورات مسبقة حول شكل الخيمة،والشكل الكروي دفع ببني عامر وحميان كبدورحل أن يختاروا مقاييس الأعمدة المناسبة لهذا الشكل،التي غالبا ماتكون متدرجة،فالأعمدة الوسطى التي تسمى بأعمدة القنطاس أو الركيزة،وهي أعمدة خشبية

(1)د. محمد السويدي:بدو الطوارق بين الثبات والتغير–ص217

(2) ينظر إلى المرآة تقديم وتعريب وتحقيق د.محمد العربي الزبيري–ط2– الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر– 1982– ص71

غير منحوتة بطريقة فنية،وإنما عبارة عن جذوع أشجار يبلغ طولها مابين1.7م و2م،بينما يتراوح طول أعمدة الأطراف أوالجوانب مابين5. 1م و1م.تختلف مساحة الفضاء الداخلي للخيمة من أسرة إلى أخرى في قبيلة بني عامر وحميان ويتوقف ذلك على الإمكانيات الاقتصادية والمالية،وعدد أفراد الأسرة،فالأسرة الغنية والثرية غالبا ماتكون مساحة الخيمة واسعة،وتقاس ثروة المالك باتساع الخيمة وبعدد أوتادها التي تشدها(1).ويحيط بها عدد من الخيام صغيرة الحجم تسمى بالعشة،فالعشة التي تقع على يسار الخيمة الرئيسية فهي مخصصة للأبناء المتزوجين وتستخدم للنوم والراحة فقط(2)وكذلك توجد خيم الرعاة الذين يتم توظيفهم،عند صاحب الخيمة لغرض رعي الغنم واختيار موقع عشة* الأبناء المتزوجين على اليسار وكذلك الرعاة لا تسمح لصاحب الخيمة أن يرى زوجات أبنائه ورعاته والعشة التي تقع على يمين الخيمة الرئيسية عادة ماتكون مخصصة للضيوف الأجانب(3).الذين ليست لهم علاقة قرابية بأسرة صاحب الخيمة وغالبا ماتكون مسافة خيمة الضيوف بعيدة بحوالي 70م أوأكثر لأسباب قيمية وأخلاقية منها الحياء والحشمة والوقار،واختيار الموقع لم يكن من باب الصدفة،وإنما موقع عشة الضيوف على يمين الخيمة الرئيسية،بحيث لا يسمح للضيف أن يرى الحريم عند دخوله وخروجه من الخيمة أثناء القيام بالعمل المنزلي،ولا ينبغي أن يسمع صوت النسوة أثناء حديثهن أوبكاء الأطفال أو صوت أواني الطبخ،تنقسم الخيمة إلى قسمين(4).

---

(1)د.محمد السويدي:المرجع السابق-ص217

(2)عبدالجبار الراوي:البادية- ط2- مطبعة العاني-بغداد-1949-ص227-دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص45

*العشة:هي شكل من أشكال الخيم ،ولكنها صغيرة الحجم،وفضائها الداخلي ضيق مقارنة بالخيمة العادية،وغالبا ما تصنع من بقايا قطع فليج الخيمة الرئيسية،وتخصص للنوم بالنسبة للذكور المتزوجين،أو لاستقبال الضيوف عند فقراء بدو حميان وبني عامر،هذه المعطيات استخلصتها من خلال المقابلة التي أجريتها مع كبار السن والشيوخ الذين عاشوا حياة البدو من حميان.

(3) د.محمد السويدي:بدوالطوراق-ص217-د.غوستاف لوبون-المرجع السابق-ص345

(4) نفسه:ص345-عبدالجبار الراوي:المرجع السابق-ص257-دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص45

القسم الأيمن منها يخصص للرجال أو للزوج،وأحيانا للضيوف،ولصغارالأغنام لتحميها من بردالشتاء،وتسمى بالمَربع،ويستخدم كذلك لنوم الزوج والزوجة،والقسم الأيسر للنساء أوالحريم ويسمى بالمحرم والطعام(1)ويمكن للمرأة أن تستقبل في هذا القسم ضيفاتها من النساء،وتخزن فيه حاجاتها وحاجات البيت من حبوب وأغذية(2)،ويفصل بينهما حاجزا يسمى بالرحل يستعمل القسم الأيمن للطبخ ونوم الأطفال غير المتزوجين،والقسم الأيمن ولايحق لزوجة الابن أن تدخل هذاالقسم الأيمن عند وحودشيخها،وهذا يعود إلى ارتباط المجتمع العربي البدوي المترحل بالقيم الاجتماعية الصارمة المتعارف عليها.وذكر حمدان خوجة في وصفه للخيمة وتقسيماتها"...**تحاط الخيمة بحجارة توضع عليها الأواني والذخائر اليومية،ويخصص جزء منها للطبخ وفيه توجد الطناجر والقدور وهي من الطين,لكن الصحون والمعلاق خشبية، كذلك الأوعية التي تحفظ السمن،وغثاء الخرفان.وفي المطبخ تربى الدواجن،ويستعمل الجزء الآخر من الخيمة لاستقبال الضيوف وللاجتماعات الودية،ومن داخل الخيمة يقول كنت أسمع حركة وخوار العجول**(3).عكس ماذكره حمدان خوجة لا تربي الدواجن في المطبخ،بل يبني للدواجن كوخا صغيرا،ويوضع بجوارالخيمة مجموعة أحجار توضع عليها قرب الماء وأواني اللبن والسمن،أو تعلق في أعمدة الخيمة بالداخل،وكذلك تعلق أدوات الإنارة سراج(4)،وهذا ما يبين مدى خضوع تشكيل البيت للظروف الايكولوجية،أي ظروف البيئة الطبيعية والاجتماعية التي يعيشها العامري والحمياني البدوي،فقد كيَّف العامري والحمياني بيته مع جو صحراء تلمسان الحارصيفا والباردشتاء.

---

(1)د.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص177

(2)نفسه:ص177

(3) ينظر إلى: المرآة -ص71-د.غوستاف لوبون:نفسه-ص345

(4)د.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص177

وتربط الخيول عن يمين الخيمة.وتوضع زريبة الغنم أمام الخيمة،وقبل ذلك كانت الغنم تحرس من طرف صاحبها أو من طرف الراعي،بحيث ينام في وسطها،بوضع حبل في عنق أو في رجل الشاه ويربط الحبل كذلك في يديه،ففي حالة أي خطر فإن الشاه تدفع بالحارس إلى اليقظة.إن بيت البدوي المترحل كبدو بني عامروحميان خفيف الحمل يسهل نقله من مكان لاخر حيث الترحال والتنقل الدائم سعيا وراء الكلأ والماء،وعندما يصل الظعن إلى المكان تنوخ البعير(1)،وتهم النساء بإنزال القش كما يسمى في لغة بني عامر وحميان،والإسراع في بناء الخيمةتتكون الخيمة من ستارين:

ا-السـتار الأمامي أوالقبلي:الذي غالبا مايكون في اتجاه القبلة لاعتبارات دينية وعقائدية بالدرجة الأولى،وهو تحديد اتجاه القبلة لغرض أداء الصلاة،ولأسباب صحية دخول أشعة الشمس إلى الفضاء الداخلي للخيمة.وفي كثير من الأحيان يكون مفتوحا بهدف دخول وخروج أفراد الأسرة والضيوف الذين لهم علاقة قرابية بتلك الأسرة،

ب-الستار الخلفي أوالظهراني:ففي غالب الأحيان مغلق،عكس خيمة الطوارق التي يكون فيها الستار الخلفي مفتوحا على الدوام(2)،ويستخدم لخروج النساء الأجنبيات أو نساء الأسرة إذا كان هناك ضيوف أجانب،وكذلك يستعمل لغرض التهوية في فصل الصيف،تقوم خيمة بنوعامروحميان على أربعة وعشرين عمودا،وتشد على بعضها بواسطة حبال مصنوعة من الصوف الممزوج بشعر الماعز،أما أطراف الخيمة فتشد إلى الأرض بواسطة أوتاد صغيرة كانت تصنع سابقا من الخشب(3) ثم أصبحت تستعمل الأوتاد الحديدية،بعدما توفر الحديد في المنطقة،وبدات الصناعة اليدوية في القصور(4)،

---

(1)حمدان خوجه:المراة-ص71-عبدالجبار الراوي:البادية-ص257-دة.سهير عبدالعزيز:المرجع السابق-ص45

(2) د.محمد السويدي:المرجع السابق- ص 218- حمدان خوجه:المرآة- ص71

(3)حمدان خوجة:المرآة-ص71-د.غوستاف لوبون:المرجع السابق-ص344-مونكرمي وات:البدو-ص16

(4)نفسه:ص71-دة.سهيرعبدالعزيز محمديوسف:الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي-ص45

ج-**المَلطمة**:وهي عبارة عن فتحة.دائرية الشكل تعلو سطح الخيمة*،وتقع عادة في القسم الأيسر عكس خيمة أولاد سيدي أحمد المجذوب التي تقع في القسم الأيمن،قطرها يختلف من خيمة إلى أخرى.يترواح قطرها مابين 70سم ومتر تستعمل لخروج دخان النار والتهوية ودخول أشعة الشمس،وفي أسفلها مباشرة يحدد موضع النار لغرض الطهي والطبخ والتدفئة في فصل الشتاء،ويسمى موضع النار بالكنون.وكان القدر يُوضع فوق ثلاث أحجارفي شكل مثلث،وتسمى بالمناصب وربما قد أخذ الحداد هذا الشكل الهندسي في صناعته للمناصب الحديدية من خلال موضع الأحجار،وكانت الأسرة في مجتمع بني عامر وحميان تستعمل وقود الحيوانات الجافة والحطب في الطهي أو التدفئة(2).

د-**الخوالف**:التي تمثل جوانب الخيمة،والتي تنقسم إلى الخالفة اليمنى وتقع في القسم الأيمن من الخيمة،والخالفة اليسرى وتقع في القسم الأيسر،وتتمثل وظيفة الخالفة في التهوية خلال فصل الصيف* وكمخرج عند الضرورة خاصة الخالفة اليسرى،ويتم رفع غطاء الخوالف بأعمدة قصد تلطيف درجة الحرارة داخل الخيمة،ويطلق على ظاهرة رفع غطاء الخوالف أو السواتر إسم التشمير،وفي فصل الشتاء يوضع الغطاء،ويحاط بالحلفاء لغرض التدفئة،والحفاظ على درجة الحرارة داخل الخيمة وتسمى طريقة وضع الغطاء بالدلاس.ويبدو أن الظروف المناخية قد دفعت بالعامري والحمياني لاكتساب هذه الثقافة للتكيف مع مناخ المنطقة،الذي يتميز بارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف

---

*تتسع خيمة البدوي لأهله وضيوفه وصغارالغنم في البرد القارس،خوفا عليها من البرد،وترفع بعمودين فقط،وبعضها مرفوع بثلاثة اعمدة،واربعة وخمسة وستة وسبعة،وقدتزداد،البيوت التي ترفع بثلاثة تسمى مثولثا،وذات أربع أعمدة تسمى مروبع،وذات خمس اعمدة بالمخموس.ينظرإلى:دة سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص45

*توضع الخيمة والخوالف في مكان محدد حيث تكون في اتجاه معاكس للرياح الشرقية ،مراعيا في ذلك اتجاه الرياح،التي تتنوع إلى رياح غربية وتسمى في لغة المنطقة بالبحري،ورياح شرقية التي غالبا ماتكون محملة بالرمال،وتسمى بالريفي وهي حارة.

التي تصل إلى 40درجة مئوية وانخفاضها في فصل الشتاء والتي تصل أحيانا إلى مادون الصفر.وذكر أحد المؤرخين المستشرقين في وصفه للخيمة إن الثقافة المادية للبدو تقوم على التنقل،فالخيمة السوداء المصنوعة من شعر الماعز،ذات نسيج فضفاض يسمح للهواء بأن يتخللها ومع ذلك فإن أليافها تنتفخ عندما تبتل(1)تمنع المطر من اختراق جدران الخيمة،وفي الصيف توفر لمن يقيم بها حمى من الظل المرغوب كثيرا، وتفتح من الجوانب لكي يتخللها النسيم،وفي الشتاء تكون دافئة بسبب إغلاق جانبيها(2).

ج-<u>فن صناعة فليج الخيمة</u>:إن حرفة النسيج قديمة قدم الإنسان،حيث يقال أن الإنسان القديم تعلم النسيج من الألياف الطبيعية النباتية،التي قلد عليها نسيج الحصير الذي ظهر قبل نسيج الصوف والشعر ثم القطن والحرير،ولم يلبس الإنسان الملابس المنسوجة بل المصنوعة من الجلد،وفي الأيام التي تلت يلاحظ أن حرفة النسيج قد بلغت حدا كبيرا من التقدم والرقي،كما حدث ذلك في بلاد الرافدين ومصر والهند والصين،وتختلف المواد المستعملة في النسيج باختلاف نوع الصوف عند الرعاة منذ أقدم العصور،ولكنه كان نادرا في عصر الحضارات النهرية،ففي بلاد مصر أصبح نسيج الكتان أكثرا انتشارا بينما القطن والحرير كانا بعد لم يعرف باتا،وقد عرف الحرير إلا ابتداء من القرن الرابع الميلادي في عصر الإمبراطورية الرومانية وفي جزء من العالم فقط(3)،

ج1-<u>تعريف الفليج</u>:هو نسيج قوي أقوى من الأنسجة الأخرى الخاصة بجوانب الخيمة،وهي مقاطع مستطيلة الشكل يبلغ طولها حوالي 1م،وعرضها أقل بقليل(4).

(1)د.غوستاف لوبون:المرجع السابق-ص344-مونكرمي وات:البدو-ص16-دة سهير عبدالعزيز:المرجع السابق-ص45

(2) نفسه:ص344-مونكرمي وات:نفسه-ص.ص16-17

(3)سعاد أحمد بوبرنوسة:النسيج في التاريخ الليبي -من موقع انترنيت:-http://www.Tawalt.com/letter-display.cfm ?lgp01sur17د.محمد السويدي:المرجع السابق- ص218

(4)دة:سهير عبدالعزيز:المرجع السابق-ص185

ثم تخاط هذه المستطيلات حتى يتكون الحجم الذي يغطي سقف البيت،وفي الخيمة العادية تحتاج إلى خمسة أو ستة أفلاج كي تكسو السقف أو تزيد ،ويستخدم فيها النسيج القوي كي يتحمل الظروف المناخية من شمس ومطر،بينا ارتفاع الخيمة حوالي مترين أويزيد في حالة الخيام الكبيرة الخاصة بالشيخ أو كبار القبيلة من رؤساء الأفخاذ والأغنياء(1).وقد يتم جز صوف الغنم عادة في منتصف فصل الربيع؛ لأن الغنم لاتحتاج إلى الصوف في فصل الصيف؛لأن هذا الفصل ترتفع فيه درجة الحرارة،ولكن يترك صوف الغنم في فصلي الخريف والشتاء بسبب انخفاض درجة الحرارة لقد فرضت الظروف الطبيعية والمناخية. وطبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية البدوية على قبيلة بني عامروحميان التفكير في نسج فليج الخيمة لتجديد غطائها.ويبدو أن المرأة العامرية والحميانية اكتسبت حرفة النسيج من خلال صناعتها لفليج الخيمة وبالتالي فالصوف يقيها من شدة البرودة.وينتج عن عملية الجز مايسمي بالجزة*،ويتم لفها بعد عملية الجز،ويختلف وزنها حسب كثافة الصوف وسن النعجة،ويصنف الصوف حسب اللون والنوع،اللون يترك عادة لصنع الجبة والبرنوس والهدون والخيدوس،فالصوف ذو اللون الأبيض يستعمل لصناعة البرنوس،والصوف ذواللون الأسود يستخدم لصناعة الخيدوس،واللون الرمادي والأحمر والوبر لصناعة الهدون،أما الجبة أو ما تسمى عند بني عامروحميان بالجلابة.وكذلك يصنف الصوف حسب النوعية،فصوف الظهر أفضل كونه يتميز بطول أليافه وجودته،بينما صوف البطن والساقين فهو قصير الألياف ولونه أقل بياضا من صوف الظهر،ويستغل عادة لصنع الوسادة والزرابي والجربي والفراشية.

<u>ج2-طريقة صنع الفليج:</u> كيف يتم تجهيز الصوف وشعر الماعز الخاص بانسجة الفليخ أو الخيمة؟وذلك بقص صوف الغنم وشعر الماعز في الربيع،أما الجمل فيأخذ وبره

(1)د.سهير عبدالعزيز:الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي-ص185

*الجزة:تمثل صوف الشاة بعد عملية الجز.

في السقوط من جسمه في فصل الصيف،فتجمعه النساء ثم يمشط الشعر والصوف،وينشرأو أن يهوى،ويخفف استعدادا لغزله ونادر ان تجد بدوية،وكما يقال بيدها المغزل،وذلك أثناء رعيها لماشيتها أو في أوقات الراحة(1)،ونسيج الخيمة يختلف في جودته ونوعه تبعا لنوع الصوف والشعر الذي يغزل منه،فمنه ما يصنع من الشعر الخالص النقي الخالي من الخليط،ومنه المخلوط،وشعر الماعز أقوى من صوف الغنم الأبيض(2)،وتقام الخيام أو بيوت الشعرحسب نظام لاتدخل فيه الصدفة،فقد يكون البيت أو الخيمة نحو الشرق خاصة في الشتاء ليحصل البدوي على دفء الشمس،وفي باقي الفصول الأخرى يراعي اتجاه الرياح أو قد تفتح البيوت تجاه القبلة،وبيت البدوي له حرمته،فإذاقصده لاجئا أو استجاربه أحد فإن من واجب صاحب البيت أن يحمي ويدافع عن هذا اللاجى(3)،يمزج شعر الماعز وصوف الغنم.يختلف نسيج الفراشية والمخدة*.والزربية أو الفراش، حيث يترك جزء من الألياف وتسمى بالخملة،ويكون سمكها غليظا عن الجربي والحايك والوسادة التي تنسج بشكل دقيق،ويكون سمكها رقيق بحيث لاتترك ألياف الصوف.أما الوبر فلايتم غسله أو تنظيفه،بل يستغل مباشرة خاصة وبرالحيران،إلا أن استغلاله يشكل صعوبة بالنسبة للمستخدمي الوبر،واستعماله مرهق ومتعب،نظرا لميزته كالقطن يتطايرويتقطع، أما وبر الناقة فيوضع فوقه الرمل،فيخرج الشعر الموجودبه وعندئذ يترع هذا الشعر حتى يبقى الوبر صافيا لأن الشعر لا يجوز استعماله في صناعة الملابس أما

(1)د.سهير عبدالعزيز محمد يوسف:الاستمراروالتغيرفي البناء الاجتماعي-ص185

(2) نفسه:ص185

(3) نفسه:ص186

*المخدة:أوالوسادة،وهي توضع أسفل الرأس أثناء النوم وعادة ماتأخذ أشكال هندسية إما دائرية أو مستطيلة،تصنع من الصوف

إذاكان المراد صناعة فليج الخيمة،فإن المرأة العامرية والحميانية تفضل وبر الناقة.لأن شعر الوبر يفيد في هذه الحالةكيف تتم عملية نسج الفليج؟أول خطوة يغسل الصوف بالماء المغلي بطريقة جيدة.لأن الصوف بعد عملية الجز،يكون دسما ويلتصق به التراب مما ينتج عنه ما يسمى بلغة أهل المنطقة بالوذح مما يعطيه متانة،وعندما يقترب الصوف يجف،يضرب بعصا تكون رقيقة لكي يحل ويترك حتى يجف من الماء.وتسمي هذه العملية بالخبط.ويستخدم المشط في تنقية الصوف،وكذلك لتنظيف شعر الماعز،ثم تستعمل آلة أخرى تسمى بالقرداش،لتحويل الصوف وشعر الماعز.ثم تأتي الخطوة الثانية وهي الغزل باستخدام المغزل لتحويل الصوف وشعر الماعز إلى ألياف لتسهيل عملية النسيج.ويتم غزل الصوف وشعر المعز معا بشكل جيد حتى يصبح يتميز بالمتانة،باستخدام ما يسمى بالمبرم،أماالوسائل التي تستعمل في عملية نسج الفليج هي المنشع،المدرة والصوصية*.ثم تأتي مرحلة صبغ الصوف باستعمال مادة الشبوب،وهي قشور الرومان، فيعطي للصوف لونا أصفرا،ويوضع الصوف في مادة تسمى أجاج مما يعطيه لونا أسودا.وإذا لم توضع مادة الشبوب في الصوف كمادة أولى،فإنه لا يمكن أن يعطى لونا أسودا.ويلاحظ أن بني عامر حميان باعتبارها قبيلة بدوية،كانت تقتصر في صناعتها على ماهو ضروري،لأن الصنائع في العمران البدوي تبقى مقتصرة على الصناعة البسيطة التي تحتاج إليها البدوي والخاصة بالوسائل الضرورية،وهي ليست غاية في ذاتها ،وإنما هي وسيلة للعيش،ولهذا لا تكتسب الجودة والاتقان ويكون تقدما بطيئا بخلاف العمران الحضري الذي يزخر بالسكان،فإن الصنائع فيه لاتكون وسيلة لغيرها،وإنما هي غاية في حد ذاتها خاصة بالكماليات(1).

*الصوصية:وهي قطعة خشبية مصفحة تساعد في عملية النسج.

(1) المقدمة-ص720-د:ألبير نصري نادر:من مقدمة ابن خلدون-ص144و146-147-إدريس خيضر:التفكير الاجتماعي-ص129

الشأن ذكر ابن خلدون"**أن العرب أبعد عن الصنائع وذلك لأنهم أعرق في البداوة، وأبعد عن العمران الحضري،وما يدعو إليه من الصنائع**"(1).ويبدو أن ابن خلدون كان يقصد العرب في هذا النص الأعراب البدو الذين هم أعرق في البداوة،وأبعد عن الحضارة،وكل من كان على شاكلتهم ،وهذا الحكم جاء نتيجة للقاعدة التي يقول فيها إن الصنائع لا تكمل إلا بكمال العمران الحضري وكثرة سكانه،لأن البدو همهم الوحيد هو المعاش الضروري من الحنطة وغيرها(2)،وذكر أيضا"...**ثم إن الصنائع منها البسيط ومنها المركب،والبسيط هوالذي يختص بالضروريات،والمركب هوالذي يكون للكماليات،والمتقدم منها في التعليم هو البسيط لبساطته أولا،ولأنه مختص بالضروري،ويكون تعليمه لذلك ناقصا،ولهذا لاتوجد الصنائع غالبا إلا عند الحضر الذي هو متأخر عن البدو...**"(3).يستخلص من نص ابن خلدون أن الصنائع توجد في الحواضر،وضعيفة في الأمصار الصغيرة والبدو؛لأن الصنائع تحتاج إلى تعليم وتدريب وإلى مهارة وذكاء.وهذه الخصائص يكتسبها الفرد من المجتمع في الحواضر،وليس في البدو والبدوي غير مستقربل يعيش حياة الترحال،وهذه الحياة لا تسمح بتعلم الصنائع،ولايمكن له أن يتحكم في تقنياتها،فحياة الترحال والبدواة تفرض عليه العزلة،والصنائع تتطلب الاحتكاك والتفاعل مع الغير لاكتسابها.ويبدو أن ابن خلدون قد لاحظ ذلك من معايشته،ومشاهدته لبدو حميان وسكان قصور بني عامر*.وتنسج أطراف الفليج بالوبر*.

(1)المقدمة:ص720-د.ألبير نصري نادر:عن مقدمة ابن خلدون-ص.ص146-147

(2)نفسه:ص721

(3)نفسه:721

*قصور بني عامر:وهي قصور الأطلس الصحراوي الواقعة جنوب موطن حميان،ويسميها أندري نوشي بقصورحميان.ينظر إلى الجزائر بين الماضي والحاضر-ديوان المطبوعات الجامعية-1982-ص281

*الوبر:هو صوف الإبل،لونه عادة أحمر

وفي حالة عدم توفره يترك غزل أطراف الفليج على لونه الأصفر.وفي هذه الحالة لاتوضع مادة أجاج* في غزل الأطراف.أما في الخطوة الثالثة وهي مرحلة النسيج،حيث يتم نسيج الصوف وشعر الماعز معا،يختلف نسج الفليج عن الزرابي، فالفليج ينسج أفقيا على مستوى الأرض،بينما الزرابي تنسج عموديا على مستوى الأرض،لا يتعدى عرض الفليج 50سم,أما طوله يكون حسب طول الخيمة.لا يختلف نسج الفليج عن الزرابي،ففي مرحلة النسج يوضع عمودان بدل الخشبيتين والنيرة والقصبة وتستعمل ثلاثة ألواح مستطيلة الشكل يبلغ طولها 70سم حسب قياس الخيم،تسمي اللوحة الوسطى بالنيرة،حيث يتم لف الخيوط على اللوحة الوسطى،ثم ربط خيوط النسيج باللوحة الأولى والثالثة،وتسمى هذه الخيوط بالسدو الذي ينسج باستعمال لوحة لضرب ألياف الصوف وشعر الماعز مع خيوط السدو تسمى بالصوصية،وتتكرر عملية ضرب الألياف إلى غاية عملية النسيج،ثم استخدام المنشع الذي يساعد على تمرير الخيط،ثم المدرة التي تستعمل للنسج مكان الخلالة*.كانت طريقة النسيج بسيطة،وهي أن تشد سدى الثوب في وضع أفقي بين ماسكين وأوتاد في الأرض،ولذلك يجلس النساج القرفصاء،ويستخدم خشبيتين تدفعان بين الخيوط،وكانت خيوط اللحمة تنسق وتحكم بخشبة معقوفة،ثم تطورت إلى مشط له دعامتان مثبتان في الأرض(1)،وبعد نسج أربعة من قطع الفليج.يتم ربط هذه القطع مع بعضها البعض باستخدام المخيط.يصبغ الفليج بمادة ترابية تسمى بالحمري*. في مكان الخياطة أي عند التقاء قطع الفليج ويصبح لون الفليج أحمر أو بني وأسود

* أجاج:هي مادة تشبه الطين تستخدم في تلوين الصوف إلى لون أحمر

*الخلالة:هي آلة يدوية معكوفة من الأسفل، أعلاها تصنع من الخشب، وأسفلها من الحديد، لها أسنان مثل أسنان المشط، تستخدم لضم ألياف النسيج، وهي أساسية في عملية النسيج.

(1)سعاد أحمد بوبرنوسة:النسيج في التاريخ الليبي–ص05

*الحمري:مادة طينية لونها أحمر

يتميزلون الفليج بخليط من اللون الأسود والأحمر.أما الطريدة* أو الطريقة فإنها تنسج بنفس الطريقة التي ينسج بها الفليج،ولكنها تختلف عنه من حيث العرض،حيث يبلغ عرضها 20سم،أما طولها يساوي طول قطعة الفليج وطول الخيمة،وتستخدم الطريدة لحماية الفليج من التمزق،نتيجة اهتراء الخيمة بسبب الرياح أو العواصف،ونفس الشيء بالنسبة للكسر والذارعة.وتوضع عليها الأعمدة المركزية،أثناء رفع الخيمة أو بعبارة أخرى سمك الخيمة وعادة ما تتوسط الطريدة الخيمة،وتوجد غالبا فوق الرحل وتحدد طبيعة الصوف إما غليظا أو رقيقا.فإذا كان الغرض أن يكون الصوف غليظا،في هذه الحالة يتم بتغليظ العميتة*أوالألياف.وإذا كان الهدف هو أن يكون الصوف رقيقا،ترقق العميتة أو الألياف أثناء عملية المشط.أما في مرحلة الغزل،فإذا كان الغرض هو استخدام الخملة،ففي هذه الحالة تتم عملية الحلج أو البرم،أي لف الغزل لفا محكما،أما إذا كان الغرض هونسج المدقوق،تستعمل عملية ما يسمى بالرخف،أي أن يكون لف الغزل لفا ضعيفا،حتى تكون عملية الدق سهلة.

ب-فن صناعة الأفرشة والملابس:أما فيما يتعلق بغزل الوسادة والفراشية أو الزربية الصغيرة والمخدة والجربي والحايك،فيستعمل المغزل اليدوي العادي،أما في غزل الملابس كالهدون* والبرنوس والخيدوس تستخدم المغيزلة*،وهي تشبه المغزل ولكنها اصغر منه طولا وحجما.ويغزل بها على الساق.أما الزربية أو الفراش،فيستعمل في غزلها المبرم*. ويغزل الصوف كذلك على الساق وينبغي أن يكون هناك خيطان أثناء عملية

---

*الطريدة:وهي عبارة عن قطعة من الصوف تنسج مثل الفليج،طولها يساوي طول الخيمة،وعرضها لايتعدى 20سم،تستخدم للفصل بين الأعمدة وقطع الفليج حتى لاتتعرض إلى التمزق. *العميتة:هي لف الصوف بعد عملية المشط. *المغيزلة:وهي أداة يدوية لها نفس شكل المغزل،ولكنها أصغر منه*الهدون:يشبه الخيدوس والبرنوس،ولكنه يختلف عنهما من حيث اللون، فلونه أحمر في غالب الأحيان.يوضع فوق الملابس الداخلية،ويدل لباسه على الأبهة والترف والغنى والجاه.* المبرم: وهو مغزل تعلوه صنارة حديدية معقوفة

الغزل. مثل الهدون والخيدوس والبرنوس،قبل عملية غزل خيوط الملابس فإنها تمر بمرحلة المشط،وتسمى في عرف أهل المنطقة بالتبداد*.وبعد التبداد تأتي عمليـة التحويل،فبعـد استعمال القرادش يعمت الصوف،أي يلف لتوحيد اللون،وبعد مرحلة الغزل تأتي مرحلة أخرى وهي السدوة*.كيف تتم عملية السدوة أو النسيج؟يوضع وتدان بقـدر طـول النسيج،فإذا كان على سبيل المثـال الجبـة،يكون طـول النـسج 3م و50سـم,أو 3م للنسيج،و50سم للقص؛أي يبقى كما يسمى بالقيام.وهذا القياس يستعمل للنوع الغـربي داخل الخيط، يحدد عرض اللباس الذي يسمى المحثي.وعند مايتم الانتهاء من المحثـي.أي عندما يتم العرض،ينشر القيام المسري على خشبتين وتبدأ عملية الخياط،أمـا إذا أرادت المرأة صناعة جبة من الحجم العريض الواسع،فإنها تـضطر إلى اسـتخدام القيـاس 2م و50سم.يمرر القيام بين وتدين بنفس الوتيرة،ويسمى اللوح ويوضع كل خيط ثم يطـوى وتتطلب هذه العملية مهارة؛ لأن أي خلل فيها يؤدي إلى خلل في عملية النسج ومـن وسائل النسج الخشبيتين والطاوي والنيرة والقصبة والخلالة والعضاضة ومجموعـة مـن الحبال تختلف في النوع والطول.بعدعملية الطي تعلق الخشبتان،وتبدأ عملية النيرة وهي مخالفة القيام،فما هو أمامي يصبح وراء القصبة،وماهو خلفي يشد إلى الأمام بخيط علـى عمود يسمى النيرة،وتبدأ عملية النسج وهي إدخال الخيط ودقه بالخلالة بالتناوب تـارة وترفع القصبة،وتوضع تارة أخرى وعندما يعلو طول النسيج تبدأ عملية القلب.يلف ما نسج على الخشبة السفلى،وتحل الطية العلوية لمواصلة عملية النسج،وبنفس النشاط حتى يتم الانتهاء من نسيج الجبة أو الجلابة،وتعطى الجبة للخياط أو البيداي*فالخياط هو الذي يستعمل المكنة في عملية الخياطة، ،وعمله أكثر إتقانا كيف يتم نسج الهدون والخيدوس

---

*التبداد:معناه استخدام آلة القرادش،أوقردشة الصوف دون تعميته أو بشمه مرة أخرى

*السدوة:أي بداية مراحل النسيج*البيداي هو الذي يستخدم يداه في الخياطة

والبرنوس؟يتم بنفس الطريقة الفنية التي صنعت بها الجبة،ولكن الهدون أو الخيدوس أو البرنوس يختلف عن الجبة في القياس وكذلك في أي أسلوب النسج،حيث ينسج في المنتصف وتبدأ عملية الزيادة إلى غاية الوصول إلى طرف المنسج ويقدر قياس هذه العملية ب1م،وتسمى بعملية التزرميم*.ثم ينسج بطريقة عادية ويقدر طول هذه العملية 50سم،ثم ينسج غطاء الرأس أو مايسمى بالقلمونة بمفردها مثل الجبة،وتعلق محاذية للنسيج.ثم تنسج وتدمج في المنسج أي إلصاقها نسجا وليس خياطة ويقدر طول غطاء الرأس 1م،ثم يواصل النسيج بحوالي 50سم،وتبدأ عملية التزرميم. أي النقصان إلى غاية المنتصف من المنسج،وتشكل هذه العملية مرحلة صنع أجنحة الهدون أو البرنوس أو الخيدوس ويلاحظ في هذه المرحلة أن طول الهدون أو الخيدوس أو البرنوس يقدر ب4م؛أي بزيادة مترين عن الجبة،ثم يقدم للخياطة.كيف تتم صناعة الزربية الصغيرة أو الفراشية والوسادة؟كيف تنسج الخملة؟كصناعة الزربية أو الفراشية والوسادة،تحضر سدوة الزربية والوسادة مثل بقية أنواع النسيج الأخرى،ولكن ها تختلف في نسيجها عن الجبة والبرنوس وغيرهم،حيث يتم قطع ونسج خيوط النسيج ولكن الزربية تختلف عن الوسادة في طريقة قطع ونسج الخيوط،والوسادة تدجح عندما يقترب فرقة النسيج تنتهي من إنجازها؛ أي تخاط يدويا باستخدام مايسمى الإشفة أو الإبرة* ذات حجم غليظ،ويختار لونان مختلفان وتبدأ عملية التضراب،أي إدخالهما في بعضهما.وتخيطهما في الوسادة فيزيدها جمالا ورونقا،وهذا العمل هو شكل من أشكال الزخرفة التي تضيفي جمالا على صناعة الزربية أو الوسادة،أما الرسومات والألوان يتركان لصاحبة النسيج،وتختلف الرسومات والألوان حسب ذوق كل إمرأة تحترف هذه الصناعة

*التزرميم:وهي عملية تحضير للنسيج أرضا

*الإبرة:تأخذ شكل الإبرة، ولكنها غليظة،وأعلاها مغلف بقطعة خشبية

في المجتمع العامري والحمياني فهناك من تختاررسومات نباتية،وأخرى رسومات حيوانية أولها بعدها التاريخي والديني أما الجربي*فينسج مثل الجبة،باستخدام رسومات وألوان مختلفة،ويكون مصبوغا كالوسادة،ويفضل أن يخصص للعروسة،أما الحايك فينسج مثل الجربي ولكنه خالي من الرسومات ويستخدم فيه غالبا لونين مختلفين.يختار اللون الطبيعي في غالب الأحيان حتى لا يتعرض لونه للتلف أثناء عملية الغسيل.أما الزربية فتتميز بالطول الذي يقدرب9و10م.وعرضها حوالي 2م50سم،وتصنع مثل الوسادة والفراشية وهي من نوع الخلة،حيث يستعمل في قطع خيوط النسيج المخصصة لصناعة الزربية آلة حادة كالسكين،ولا يتستخدم المقص لترك الخيوط أو الخملة عشوائية،وينبغي أتن تكون ذات سمك،وتستهلك الزربية كمية كبيرة من الغزل بسبب طولها وعرضها،ويكون لونها عادة أبيض لتحديد الرسومات،ولا يظهر مع الخملة أي قصير جدا والأسود والأحمر ويكون مزدوج الخيوط للقطعة أي الخملة وكذلك لون أحمر ذات خيط واحد فقط للنسيج أي وضع بين الخملة* والخملة.أما القيام يصنع من الصوف والشعر وذلك للمتانة،وتقطع الخملة ثم تنسج ثلاث أو أربع خيوط ثم تقطع وهكذا التناوب،أما أطرافها تنسج مثل الجربي وتسمى بالحاشية،وتداخل الخيوط يشكل رسومات وتسمى التازرة وهي المقياس الرئيسي لجودة أوردائتها،ويمكن صناعة الحقائب الصوفية والمخدة الدائرية باستخدام الصوف.ويبدو أن هذا الفن قد اكتسبته الأسرة الغامرية والحميانية عن طريق التقليد والمحاكاة وبالتالي فإن فن صناعة الفليج يشكل تراثا شعبيا،توارثته الأجيال الهلالية البدوية جيلا عن جيل ويلاحظ كذلك أن الأسرة العامرية والحميانية البدوية.

*الجربي:هو نوع من الأغطية الحايك،ولكنه خالي من الخملة أي من بقايا القطع الصوفية

*الخملة:هي بقايا الألياف الصوفية التي تبقى خارج الزربية

(1) أندري برنيان وأندري نوشي وإيف لاكوست:الجزائر بين الماضي والحاضر-ديوان المطبوعات الجامعية-1982ص196و209

قد اعتمدت على الإنتاج المحلي على صوف الغنم وشعر الماعز.ويقول أندري برنيان وآخرون "...فكانت الأسر العربية تصنع المنسوجات من الفليج والخيام والحايك واللحاف،فصناعة الخيمة من الصوف عبارة عن مسكن للبدو،وكذلك لعدد كبير من سكان الأرياف والرعاة،والخيمة أصبحت ذات سعر مرتفع تتطلب عملا طويلا مقابل عدة مئات من الفرنكات،وفي موضع آخر يقول فكانت قبائل المخزن والبدو يسكنون الخيام المركبة من الفليج،وهي قطع صوف تقوم النساء بنسجها من إنتاج الحيوان وتغطي مساحات كبرى..."(1).خلاصة القول أن فليج يعتبر في حد ذاته الخيمة،وبالتالي فالأسرة العامرية والحميانية البدوية كانت تعطي الأولوية لصناعة الفليج وكانت تخصص قسطا من الصوف لهذا الغرض.وكانت المرأة العامرية والحميانية حريصة في صناعته،حتى لا تتعرض الخيمة إلى القدم،وبالتالي تصبح الأسرة العامرية والحميانية مهددة بقساوة الطبيعة والعواصف،خاصة عند سقوط الأمطار،وتمكنت المرأة العامرية والحميانية أن تكتسب خبرة فائقة في نسجه،لأنه يعد من الضروريات في حياهم البدوية،ولا شك أن ثقافة صنع الفليج انتقلت من جيل إلى جيل أوتوارثها الأجيال أوأنها اكتسبت من خلال الممارسة والتقليد.

ج-<u>فن صناعة العطوش والراحلة</u>:وإذا عزمت القبيلة على الرحيل،ركبت نساؤها الهوادج اثنتين اثنتين،والهوادج نوع من السلال التي توضع على ظهور الجمال،وتصنع من أغصان الدفلى،ويبطن أسفلها بجلد الضأن ويستر أعلاها بنسيج للوقاية من تقلب

(1)ينظرإلى:الجزائرفي الماضي والحاضر-ص280

*لقد اسقيت هذه المعلومات من خلال المقابلة التي أجريتها مع العجائز،والنساء اللائي يحترفن صناعة النسيج والغالب على الظن أن المرأة الحميانية قد اكتسبت هذه الحرفة من خلال احتكاكها بالمرأة الزناتية؛ لأن مصادر الضباط الفرنسيين تشير إلى أن بني عامروحميان كانت تصدر الصوف والجزة إلى قصور بني عامر،وكان بنوعامر وحميان يستوردون منها الزرابي والبرنوس من هذه القصور.ينظر إلى:Jacquot Félix:op.cit.p284

الريح ووهج الشمس ويأخذ الأعرابيات بعد أن يجثمن في الهوادج في طعن البُر بمطاحنهن اليدوية الصغيرة ويهيئن العجين،ثم يخبزن الخبز في أول موقف على الملة*؛أوعلى موقد صغير أو على الرضف* ويستعملن بعر الجمال وقودا(1).يصنع العطوش من أعمدة الخشب،ويضعون الصوف بالنواش* من الخملة مثل سرج الخيول،يخصص للعائلة الثرية الغنية ويوضع فوق الجمل.ويستخدم خاصة أثناء الزفاف،حيث تنقل العروس رفقة أمها بداخله إلى بيت الزوجية،وأيضا يستعمل العطوش أثناء عملية الترحال،ويعتبر بمثابة ستار وحاجب،ووسيلة وقار وحشمة بالنسبة للزوجة والحريم بصفة عامة أثناء الارتحال،ولا يستخدم للطحين والعجين كما ذكر غوستاف لوبون.أما الراحلةوتشبه العطوش ولكنها تختلف عنه من حيث الحجم والشكل،تصنع من أعمدة الخشب،فهي أصغر حجما من العطوش،وهي مخصصة لفرد واحد وغالبا ما يستخدمها شيخ القبيلة أوالأسرة أثناء قيامه بعملية الصيد.

ج-أدوات الطبخ ووسائل التخزين:تحتم حياة الترحال الدائم أن تكون الجماعة البدوية خفيفة الحركة لكي تتمكن من مواجهة كافة الظروف الصعبة والمتغيرة التي تواجهها أثناء ترحالها،وخفة الحركة هذه تستدعي أن تكون الجماعة البدوية بسيطة في مسكنها وملبسها ومعداتها(2).

---

*النواش كثير الألوان للتزيين العطوش

*الجمر الرماد الحار

*الحجارة المحماة

(1)د.غوستاف لوبون:حضارة العرب– ص344

(2) د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي–ص367د.محمد السويدي:المرجع السابق– ص33

يرى ك.بلونجرنون(C.Blanguernon)"...أن أثاث البدو يتميز بالخفة والليونة،ذلك لأن هذا الأثاث يتحتم على البدوي أن يحمله على ظهر حيوان لمسافات طويلة،ولهذا يصبح الوزن الثقيل العدو الرئيسي للبدوي، فلا غرابة إذن أن يراعي البدوي عند دبغ جلود الأكياس خفيفة ومرنة في ذات الوقت..."(1) وبالتالي فقد اعتمدت المرأة في مجتمع بني عامروحميان البدوي في صناعتها لأدوات الطبخ،ووسائل التخزين على تنكولوجية بسيطة،حيث كانت تستغل المواد الأولية المتوفرة في البيئة الطبيعية كالحلفاء والسونغا،وعلى جلود الشاه والمعز.فهناك أدوات تصنع من جلد الماعز وأخرى من جلد الشاة الكبيرة،وبعض الأدوات من جلد الخروف،وأخرى من الحلفا والسونغا،وكل أداة توظف في مجال معين وتتمثل أدوات الطبخ في الكسكاس الطبق ووسائل التخزين كالعكة والشكوة والقربة والقنينة والمحقن والقراوش والحلاب والمخفية والشداد والظفيرة،كيف يتم صنع هذه الأودات والوسائل؟وهل لكل صناعة أداة أووسيلة من هذه الوسائل فن خاص بها؟ تتميز كل أداة أو سيلة بفن خاص في صناعتها وبمادة أولية خاصة بها،بحيث لايمكن تحويل جلد الماعز إلى شكوة لغرض استخدامه في وضع الحليب،ويلاحظ أن للظروف الطبيعية،ونمط المعيشة دور في اختيار مادة الجلد والحلفاء لصناعة الأدوات الضروية التي تتناغم مع حياة البدو في صحراء تلمسان،فالمنطقة فقيرة من حيث المواد الأولية كالحديد والنحاس والطين،فحلت الحلفاء والجلد محل المواد الأولية الأخرى،ولذا لاتوجد أواني فخارية وإذا وجدت فهي مستوردة.وتعد هذه الصناعة اليدوية من اختصاص المرأة وليست من اختصاص الرجل،ومن أدوات الطهي التي تصنع من الحلفاء*.

Blanguernon claude:le Hoggar;paris;édition arthard;1965;p98(1)

*لقد استخلصت هذه المعطيات من خلال مقابلتي لكبار السن والشيوخ من قبيلة حميان الذين عاشوا حياة البدو

ج_1الكسكاس:يصنع الكسكاس من الحلفاء،حيث تقوم المرأة بطريقة فنية تتمثل في لف ألياف الحلفاء باستعمال الإشفة أو عود الدفلةبعد نحته بطريقة فنية وتقنية حتى يصبح رقيقا مثل الإشفة أو الإبرة،حيث توضع مجموعة من ألياف الحلفاء أو السونغا،ثم تدخل باستعمال الإشفة ألياف أخرى أسفل الألياف الأولى وتتكرر هذه العملية،عدة مرات حتى تتشكل دائرة في الأسفل قطرها حوالي 6سم،وهي عبارة عن فتحة تسمح بدخول بخار إلى الطعام أو الكسكسي من الأسفل،كلما اتسع حجم الكسكاس،ويزداد قطره حتى يصل إلى 30سم ويبلغ ارتفاعه حوالي 40سم تتوقف المرأة عن عملية اللف،ويأخذ الكسكاس عادة شكلا مخروطيا،في هذه الحالة يمكن استخدامه في عملية الطهي،ويلاحظ أن الحلفاء تستخدم لعدة وظائف، بالإضافة إلى صناعة أدوات الطبخ ومستلزمات الخيمة،تستعمل كذلك في التدفئة وكوقود في الطبخ

ج1-1القنينة:تصنع من الحلفاء وبنفس الطريقة التي يصنع بها الكسكاس،إلا أن الاختلاف بينهما في الشكل،فالقنينة قطر قاعدتها أوسع من الكسكاس،حيث يبلغ حوالي 40سم وارتفاعها أقل من ارتفاع الكسكاس حيث يبلغ حوالي 30سم،وعندما يصل الارتفاع إلى حدود ماذكر سابقا،تتوقف المرأة عن لف ألياف الحلفاء.تستخدم القنينة أثناء عملية حلب الأغنام أوالمعز،وكذلك لوضع الحليب أو اللبن.

ج1-2الطبق:يصنع من الحلفاء وطريقة صنعه لا تختلف عن الكسكاس أو القنينة،وإنما يختلف عنهما في الشكل،فقاعدة الطبق أوسع من الكسكاس والقنينة،حيث يصل قطرها حوالي 50سم أوأكثرأو أقل وارتفاع الطبق أقل من الكسكاس والقنينة بحيث لا يتعدى 10سم،ويتميز الطبق بتنوع الأحجام،فهناك صغير الحجم وكبير الحجم،يستخدم لوضع الكسكسي أو أثناء تناول الوجبات الغذائية ووضع الدقيق أو السميد قبل أن تحل

*لقد استخلصت هذه المعلومات من خلال المقابلة التي أجريتها مع الشيوخ والنساء من قبيلة بني عامروحميان

الطاولة محله ولايزال يستعمل إلى اليوم في تحضير الكسكسي بل في تنـــاول الوجبـــات الغذائية خاصة في الخيام.

ج1-3المحقن:ويصنع أيضا من الحلفاء،وبنفس الطريقة الفنية البسيطة،التي يصنع بهـــا الكسكاس والقنينة والطبق،إلا أنه يختلف عن هذه الأدوات في الـــشكل،بحيث يأخـــذ شكلا مخروطيا،يحتوي على فتحة صغيرة ضيقة قطرها لا يتعدى 3سم،توجد على مستوى قاعدته،ويزداد في الاتساع كلما زاد ارتفاعه وقطره حتى يبلغ حوالي 40سم يـــستعمل في عملية تفريغ الحليب واللبن داخل الشكوة أو الماء داخل القربة*.

ج1-5القراوش:يصنع من مادة الحلفاء،ويأخذ شكلا دائريا،يبلغ قطره حـــوالي 40ســـم وارتفاعه حوالي 40ســـم، يشبه في شكله القفة الصغيرة،يستخدم لوضـــع المعلاق،يعلـــوه مقبضا مصنوع من الخشب أو الحديد أومعلاق،ويعلق القراوش في سطح الخيمـــة مـــن الداخل.وحسب أهل البدو كانت الأوتاد والمهراس تصنع من الخشب،بينما كانت أواني الأكل تصنع من الحديد.أما نماذج الأدوات التي تصنع من الطين والخشب،وربما كانـــت هذه الأدوات تستورد من خارج المنطقة لأن صحراء تلمسان لم تكن تتوفر على المـــادة الأولية خاصة مادة الطين والخشب.

ج1-6الحلاب:يصنع من الطين شكله أسطواني،ارتفاعه حوالي 20سم،وقطره 10سم تعلوه فتحة ضيقة،يستعمل لشرب الماء أو الحليب أو اللبن.

ج1-7المخفية:تصنع من الخشب،وهي عبارة عن قصعة صغيرة،تأخذ شكلا دائريا يبلغ ارتفاعها حوالي 10سم وقطرها حوالي 50ســـم،تستخدم في وضع الكسكسي. وفي تنـــاول الوجبات الغذائية،وهي خاصة بالأسرة ذات العدد المحدودويلاحظ أن البدوي العـــامري

---

*الشبوب:أوالشب هو عبارة عن قشور الرومان،ويستعمل في دبغ عندا يصبح يابسا.

*تعلق القربة على ثلاثة أعمدة متساوية الطول بحبل يشد في أعلى الأعمدة،وتسمى بالحمَارة

والحمياني كان مرتبطا وملتصقا بالطبيعة،فكان لباسه وأدواته كلها من الطبيعة ومن الحيوان،وهذا مايسمى بالعلاقة الايكولوجية أو العلاقة بين الإنسان والطبيعية(1)وبالتالي يمكن إسقاط نظرية العمران البدوي على مثل هذه المجتمعات.

ج1-8**القربة**:تصنع من جلد الماعز وتحتفظ المرأة بالشعر، وعلى سلامة الجلد وشكله الطبيعي تتم صناعة القربة بطريقة فنية تتمثل في دبغ جلد الماعز بمادة الشبوب*أو العرعار*لإزالة الرائحة الكريهة،بالإضافة إلى الملح لمقاومة المكيروبات والجراثيم التي توجد في الجلد،بربط الجلد من الأمام،ويترك مفتوحا في مؤخرته،حتى يسمح للمرأة بدبغ الجلد وعملية الدبغ تتجلى في حك الشبوب على الجلد،ويترك لمدة شهر كامل حتى يؤدي الشبوب مفعوله،أويدبغ بواسطة العرعار،وعندما تزول رائحة الجلد،تفتح مقدمة الجلد وتغلق مؤخرته،وتوضع مادة القطران* ليعطي رائحة طيبة وتساعد على عذوبة الماء وبرودته في فصل الصيف،تربط القربة بحبل من المقدمة والمؤخرة، ثم تعلق في أعلى سطح الخيمة من الداخل في مكان به ظل وبارد،وفي اتجاه الهواء البارد الغربي الذي يساعد على برودة الماء،إن فكرة استخدام جلد الماعز والمواد النباتية المستعلمة فيه لتبريد الماء،ربما اكتسبتها قبيلة بنوعامروحميان من تجارب أسلافهم،وحتمية الظروف المناخية التي كانت تتميز بشدة الحرارة وارتفاعها في فصل الصيف(2).

ج1-9**الشكوة**:تصنع من جلد الشاة الكبيرة،وطريقة صنعها لا تختلف كثيرا عن القربة ويكمن الاختلاف في مواد الدبغ،بحيث يستعمل في دبغ جلد الشاة لكي تصبح شكوة العرعار والملح ومادة التايدةوتدوم فترة الدبغ إحدى وعشرين يوما.وعندما يمتص الجلد

(1)د.محمد السويدي:بدوالطوارق-ص77

(2)دة.سهير:الاستمراروالتغير في البناء الاجتمعي-ص186

*القطران:هو عبارة عن بسائل لونه أسود،يستخلص من شجيرة العرعار،يستعمل داخل القربة لأعطاء رائحة طيبة للماء

*العرعار:هونبات طبيعي لون أوراق خضراء،ينمو في جبل عنتر بالمشرية،يستخدم في دبغ الجلود وكذلك لأغراض صحي

مادة التايدة* يصبح لونه أحمر،وبالتالي يمكن استعمال هذا الجلد لوضع الحليب.

ج1-10**المزود**:يصنع من جلد الماعز الصغير،ويتم دبغه بالملح والشبوب،وطريقة صنعه لا تختلف عن الشكوة والقربة،بل يحتفظ الجلد بلونه الأبيض يستعمل لتخزين الدقيق .

ج1-11**العكة**:تصنع من جلد الخروف،أومن جلد الماعز الصغير وبنفس الطريقة التي تصنع بها القربة والشكوة ويتم دبغ الجلد بمادة العرعاروالتمروالملح وتستعمل لتخزين الزبدة أو السمن ،وغالبا ما يضاف إليه عصير التمر،الذي يسمى بالرُب ويصبح لون السمن أحمر وتتناول الأسرة عادة هذا النوع من السمن في الفطور(1).

ج1-12**الضبية**:تصنع من جلد الخروف الصغير،ولا تختلف في طريقة صنعها عن الشكوة والقربة والعكة،وإنما يوجد الفرق في مواد الدبغ،حيث يستعمل الشبوب والملح والفرينة،ويتم حك الجلد وبعد ذلك يصبغ بمادة الصباغة،مع اختيار لون الصباغة وتستعمل الضبية لوضع أدوات الزينة مثل الحنة والمسواك،والكحل*،والبخور وغيرها

ج1-13**الشداد**:يصنع من صوف الشاة حيث يتم تحويل صوف الشاة بعد غسله إلى الألياف،وهذه الألياف تظفر وعادة ما يكون الشداد طويلا يتراوح طوله مابين 3م و4م،يستعمل لربط الخيول والحمير وأغنام الحلوب،ويسمى بلغة أهل المنطقة بالدراس*.

ج1-14**الصماط**:كان يصنع من الصوف المصبوغ،لونه يشبه لون العمارة،وطريقة نسجه لا تختلف عن الزرابي والأفرشة،وينقسم إلى قسمين ويشد كل قسم بالأخر بواسطة حبل

---

*التايدة:هي عبارة عن مادة ذات لون أحمر توجد داخل جذع الشجرة

(1)دة.سهير:المرجع السابق–ص187

*الكحل:هو عبارة مسحوق أسوديوضع على جوانب العينين غالبا ما يستعمل كمادة طبيعية للتجميل عند المرأة.

*الدراس: معناه أداة تستخدم لربط الغنم الحلوب،أو التي يتم جلبها إلى السوق، في شكل صفين متقابلين ومتعاكسين،أي أن تكون رؤوس الأغنام في اتجاه معاكس,حتى تسهل عملية حلب الأغنام أو يتم عدها في السوق

يستعمل الصماط أثناء الذهاب للسوق وتوضع بداخله السلع.

ج1-15**العمارة**:تصنع كذلك من الصوف،وهي على شكل مستطيل،أودائري طولها حوالي 40سم وعرضها حوالي 20سم يعلوها حبل مشدودتستخدم لعلف الحصان أوالفرس

2-الأدب الشعبي:

كانت الأشكال التعبيرية للأدب الشعبي في مجتمع بني عامر وحميان تستخدم خاصة في أوقات الفراغ أو الترويح*،وإذا كان الترويح يتطلب تحرر الإنسان من وظائفه الاجتماعية ومن جميع أنشطته الأخرى خارج عمله(1)،فقد عرفه جوفر دومازوديه(Joffre Dumazedier) بأنه"**يتمثل في مجموعة من المشاغل التي يولع بها الإنسان،سواء ليتسلى بها،أو لينمي معلوماته وتكوينه الشخصي،أويشارك بها في الأنشطة الاجتماعية التطوعية،بعد أن يكون قد تخلص من واجباته المهنية والعائلية والاجتماعية**"(2).إن البيئة الريفية والبدوية في القارة الإفريقية،تتمتع بطبيعة متنوعة،في الوقت الذي تتحدد فيه حاجات سكانها في أنها محدودة وسهلة الإشباع،ولهذا كانت فكرة الترويح غير مميزة كوحدة أو منظمة مستقلة بذاتها عن بقية المناشط الأخرى(3).لأن العمل والراحة والترويح،مظاهر متناغمة ومتكاملة في حياة المواطن الإفريقي،بعكس الحال في المدينة حيث ينفصل وقت العمل عن وقت الفراغ(4).فالترويح في القطاعات البدوية والريفية في المجتمع الإفريقي(5) يمثل فرصة

*ينظر إل Cornic Michel:Sociologie des Loisirs;in "la sociologie;Paris.Cepl; 1970p.p276-293

(1)ينظر إلى-vers ma civilisation du Loizir;Paris;Editions du seuil;1962p22

(2)Joffre Dumazedier :op.cit.p.p22-28

(3)cornicMichel :op.cit.p.p276-293

(4)-Ibid.P.p276-293د.محمد السويدي:بدوالطوارق-ص233

(5)Joffre Dumazedier :op.cit.p22

لتنمية بعض المظاهر الفنية كالشعر والقصص والأغاني والرقص،أولاكتساب نمو جسماني أو للقيام ببعض الأنشطة كالسباق والمبارزة أو لإحياء حفلات عائلية أو ثقافية أو حفلات الزواج،يلاحظ أن الترويح في المجتمع البدوي العامري والحمياني كان يتميز بنوعين:نوع تقوم به النساء كالغناء والقص والحكايات الشعبية والرقص وتنظيم الحفلات،ونوع ثان يقوم به الرجال ويتمثل في صيد الحيوانات البرية والسباق على الخيول،والقيام ببعض الألعاب في حدود حياتهم البدوية(1)إن الترويح بالبادية قد يكون تقائيا أو مقصودا ومخططا له،وهو متعدد الأشكال والأهداف جماعيا أوفرديا،كما أن الترويح قد يكون مجرد حرفة تمتهنها فئات أوجماعات خاصة كحرفة لا حبا في الترويح،وللترويح بالبادية أهداف جماعية حيث يؤدي إلى زيادة أواصر الود والألفة بين ممارسيه(2)،وللترويح البدوي أشكال مختلفة،فنهاك الفنون الشعبية البدوية،وهي ترتبط ارتباطا وثيقا بمختلف صور الحياة البيئية والاجتماعية والدينية والفكرية السائدة،وتعتبر الأساطير البدوية من الفلكلور الذي لا يخلو منه مجتمع بدوي(3)،ومن هذه الأساطير ما يتصل بنشأة هذه المجتمعات او الخوارق التي أتاها ابطال هذه المجتمعات الشعبيون،ومنها مايتصل بالعالم الاخر كالملائكة أو الشياطين أو مايتصل بالجن،ولهذه الأساطيررواة يجيدون فن الإلقاء حتى يمر معهم الليل دون ملل(4).وتمثل الأمثال الشعبية والسير الشعبية البدوية حصيلة خبرة في الحياة وتعكس تجاربا للأجيال الجديدة،وتقال الأمثال الشعبية كحمة مستخلصة أو يروى المثل وأصله.والغناء البدوي شيء يكاد يكون فطريا،والبدوي العربي يحتفل بكل مناسباته السعيدة بالغناء، كما يغني أيضا في المناسبات

(1)Cornic Michel:op.cit.p293

(2)دة.سهير عبدالعزيزمحمد يوسف:الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي-ص52

(3)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص.ص280-285

(4)دة.سهير عبدالعزيز:المرجع السابق-ص52

غير السارة(1)،فهو يغني في المناسبات الدينية والأعياد والمواسم،وفي حفلات العرس والولادة،وأيضا أثناء العمل مثل رعي الماشية.أو أثناءالحرب،وعند وفاة عزيز أيضا نائحا أو باكيا،ومن الغناء ما يؤدى منفردا أي يؤديه فرد واحد،والباقي يستمعون،ويسمى بالسامر،ومنه مايؤدى أثناء سيرالجماعة البدوية ويسمى بالحداء،وهو يصاحب رحلة البدوي الطويلة طلبا للرعي(2).

1-<u>الألغاز الشعبية</u>:تعددت وتنوعت أشكال التعبير الشعبي عند بني عامروحميان، ومن أهم هذه الأشكال التعبيرية الألغاز الشعبية،ولكن أمام غياب التدوين والكتابة والاهتمام أصبحت هذه الألغاز عرضة للنسيان والضياع،ورغم أن منطقة بني عامر وحميان كانت غنية بهذا النوع من أشكال التعبير الشعبي،إلا أنه أصبح في العقود الأخيرة قليلا،بسبب عدم الاهتمام من جهة وموت معظم الذين كانوا يتداولون الألغاز من كبار السن من الشيوخ والعجائز من جهة أخرى،أوكما يقال أن موت شيخ هو ترجمة لضياع مكتبة أو إحراقها(3).ويبدو من خلال مقابلتي لبعض الشيوخ،استخلصت أن الموروث الشعبي بصفة عامة خاصة النظري منه،هو في طريق الزوال والاندثار،حيث يجيبك الشيخ بعبارة واحدة **ما بقات الدنيا،وراحوا مواليها وماباقت محاجية ولامعاني،وراني نسيت لي كنا نقولوه بكري،اليوم رانا في دنيا أخرى**.وبالفعل لقد جمعت بعض الألغاز الشعبية بصعوبة كبيرة فهي قليلة بسبب ما أصاب كبار السن من النسيان من جهة، وانقراضهم من جهة أخرى،وعدم التداول المستمر جعلها عرضة للزوال.

(1)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص.ص284-285

(2)نفسه:ص.ص284-285-د.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص52

(3) د. محمد سعيدي:مقدمة في اللغز الشعبي-مقالة- مجلة التراث الشعبي تصدر عن قسم الثقافة الشعبية - جامعة تلمسان العدد الأول 1994- ص12

1-مفهوم اللغزلغة:لقد تناول اللغويون في معاجمهم معنى اللغز،ففي لسان ابن منظور لغز:ألغز الكلام،وألغز فيه بفتح الغاء ومعناه عمى مراده بتشديد الميم.وأضمره على خلاف ما أظهره،واللغزما ألغز من كلام،أوالكلام الملبس وقد ألغز في كلام،يلغز إلغازا إذا ورى فيه وعرض ليخفى والجمع ألغاز مثل رطب وأرطاب،واللغز واللغيز واللغز واللغيزي والإلغاز وكله حفرة يحفرها اليربوع في حجره تحت الأرض(1).وقيل هو حجرالفأر واليربوع بين القاصعاء والنافقاء،سمي بذلك لأن هذه الحيوانات تحفره مستقيما إلى الأسفل،ثم تعدل عن يمينه وشماله عروضا تعترضها،تعميه ليخفى مكانه بذلك الإلغاز والجمع ألغاز،وهوالأصل في اللغز،واللغيزى واللغيزاء والألغوزة:كاللغز لغز اللغز واللغز لغة:ما ألغزت العرب من كلام فشبهت معناه واللغز بضم اللام وتشديده والألغاز:حفرة يلغزها اليربوع في حجره يمنة ويسرة يلوذ بها(2).

1-1مفهوم اللغز اصطلاحا: يتكون من جملة أو أكثر تحمل دلالات واستعارات يطرح صاحبها سؤالا يريد من خلاله الإجابة عنه، ويكون الذي يطرح عالما بالجواب.كما يتطلب السؤال الإشارة إلى ملامح الجواب بطريقة واضحة وخفية تارة أخرى(3)،وهوعبارة عن خطاب لغوي، يتطلب حل مشكلة فكرة،تذكر صفاته البعيدة والقريبة،ومن تلك الصفات يستطيع المسؤول بأعمال شيء من الفكر الاهتداء إلى موضوع السؤال والألغاز نوعان:نوع خفيف يختص بالمجالس والمفاكهات(4).

---

(1)د.عبد المالك مرتاض:الألغاز العشبية الجزائرية في الغرب الجزائري-ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر1982ص95- د.نبيلة إبراهيم:أشكال التعبير في الأدب الشعبي- ط 3دارالمعارف -1981ص215-ص98د.محمدسعيدي:مقدمة في اللغز الشعبي-ص 12

(2)د.عبدالمالك مرتاض:الألغاز الشعبية-ص98-د.محمد سعيدي:مقدمة في اللغز الشعبي- ص12

(3)د.نبيلة إبراهيم:أشكال التعبير-ص215-محمد المرزوقي:المرجع السابق- ص.ص42-43

(4) محمدالمرزوقي:المرجع السابق-ص43

يقتصر فيه غالبا على ذكر الصفات القريبة للشيء المسؤول عنه،ويستطيع الاهتداء للحل كل ذي نباهة وذكاء،ونوع معقد تذكر فيه صفات المسؤول عنه البعيدة فيصعب حله إلا على من كان يمتلك ذكاء خاصا وتمرينا على حل هذا النوع غالبا بألغاز الرباط التي تلقى في الأعراس من طرف الشعراء متظاهرين بالمقدرة والبراعة(1).

1-1-2 مميزاته:يمتاز بالغموض والالتباس والأشكال والالتواء في بنيته اللغوية الشكلية وأي شيء نعت باللغز فهو غامض وغير واضح،ولغز المرء في حديثه أي كساء بمسحة من الغموض واللبس ولم يبنه(2)،ولم يفصح عن مقصوده،وبالتالي يصعب تفكيكه وفهمه من الوهلة الأولى،أوليس فهمه في متناول كل الناس،ويتطلب مستوى من المعرفة والتفكير والبداهة والذكاء، قد يكون نص اللغز في قالب شعري أو نثري، يتميز بالسجع والجناس والموسيقى والإيقاع الداخلي الخفيف والسريع (3).

1-1-3 نشأته:إن اللغز قديم قدم الإنسان فهو قديم قدم الأسطورة والحكاية(4).لقد اقترن ظهور اللغز منذ أن بدأ الإنسان يتساءل عن الكون.فالكون كان لغزا بالنسبة في حد ذاته بالنسبة للإنسان الأول أو البدائي وكذلك عن الطبيعة والحيوان.فاللغز يشير إلى غموض الحياة وهو في نفس الوقت يمثل إدراك العقل البكر(5).وارتبط اللغز بالإنسان منذ أن نطق لأول مرة بالألفاظ التساؤلية الأولى حول الظواهر التي حيرته وبقيت مجهولة بالنسبة إليه هي لماذا؟وكيف؟وأين؟ومتى؟(6).

(1) د.عبد المالك مرتاض:المرجع السابق-ص215د.محمد سعيدي:الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق-ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر-1998-ص98-

(2)د.عبدالمالك مرتاض::الألغاز الشعبية-ص98-د.نبيلة إبراهيم:أشكال التعبير -ص215

(3)نفسه ص95

(4) د.محمد سعيدي:الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق-ص99

(5)محمدالمرزوقي:المرجع السابق-ص.ص42-43

(6)د.محمد سعيدي:الأدب الشعبي-ص95

1-1-4-وظيفته:إن اللغز كجنس أدبي يقوم بعدة وظائف نفسية واجتماعية وتاريخية ثقافية،فهو وسيلة أساسية للتربية ذلك لأن الأطفال والكبار معا كيف ينظرون إلى المشكلة من كل جوانبها،ثم يحتفظون بعد الكدوالتفكير بحس فكاهي،وتتمثل هذه الوظائف في الترفيه واختبار الذكاء.فاللغز في حقيقة كنهه هو وصف شيء معين بأوصاف شيء آخر فالألغاز عبارة عن عملية شحذ الذهن والعقل وقد يكون شبيها على مستوى المظهر فهو لا يهدف إلى ذكر الأشياء بمسمياتها الكلية المصطلح عليها(1)،وهي إجمالا مواقف عقلية على ذهن حي متفتح وعقلية تعيد الأشياء إلى أصلها، أما الغاية من طرح هذه الألغاز فهي للترفيه واختبار الذكاء(2).فماهي أهم الألغاز الشعبية المتداولة عند بني عامر وحميان ؟

1-1-5 نماذج من الألغاز الشعبية عند بني عامروحميان:

شمر الستار يبانو الخرفان:معناه عندما يفتح الفم تظهر الأسنان.

طيها طي كتاب ولونها لون غراب:الخيمة

أنا نجري وابى يجري والبيض يطيح من حجري:الغربال

عندي ثلاثة جمال:واحد ياكل ما يشبع:النار،**واحد يسرح ما يروح**:الدخان.

واحد يبركماينوض:الرماد.

عندي مطمورة في ذاك الدير،ماعرفتها قمح والا شعير:المرأة الحامل الذي يجهل ما في بطنها هل ذكرأم أنثى.

نعجتي يالبرقية كتفتك كتاف ايدي،وخبطت الشرق وخبطت الغرب لقيتك كيما هي:المطمورة.

---

(1)محمد المرزوقي:المرجع السابق-ص43

(2) د.نبيلة إبراهيم:المرجع السابق-ص216 -د.محمد سعيدي:الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق-:ص102

ثلاث وقوف:الحمارة،واحد منسوف:الشكوة،واحد يضرب ويشوف:المرأة التي تمخض الشكوة.ظهره عايب وشعره شايب يضري ضربة المصايب:السيف.

طق هنا وطق ليهه وطق شق البحر منهيه:البرق.راه راه والعلام وراه:اليربوع.

عند عبيد مقعور*من ساقه:المخيط.امي بركانة لابسة عباية والركبة عريانة:الدجاجة.مهراز واس واس،حكمها جن بوركاز:المكحلة،أي البندقية.

بغلتي واقفة وكرشها* تكتك:عندما يكون عدد كبير من الأفراد داخل الخيمة.

حجيرتي صمصم* ويفتحها غير العظم:حبة الرمان.

باها بنت باها ماتعرف وجهها من قفاها:البيضة.

حاجيتك ما جيتك ماخلق من بيضة،ماخلق من رحام،ياكل التشيشة والكسرة* ويلحق الطعام:أدم عليه السلام.

حاجيتك ما جيتك بالطلبة ياعارف ياشادين بالعمايم،حاجة طالعة مع الكاف* ماعندها لاراس ولا قوايم*:الغيم.

حاجيتك ما جيتك في السما تبقس* وفي لرض تحوس وعندها قايمة واربع روس:المدرة.بوه بوه دون من امه وعتى من بوه:البغل

لياتشق السما واش يلاقيه،وليا نشف البحرواش يمليه،وليا شر السلطان واش يغنيه:السما مايتشق والملايكة فيه،البحر ماينشف والوديان صابة فيه والسلطان ما يشر ورعيته دايره به،يعرف لوقات ومايصليش:الديك.

---

*مقعور:معناه به فتحة

*صمصم:الحجر الذي يتميز بشدة الصلابة*الكرش:معناها البطن*قوايم:الساقين

*الكسرة:هي نوع من الخبز يتم تحضيره على مطبخ عادي أو الكنون.

*الكاف:المكان الوعر،أو الكهف*القوايم السيقان*تبقس:تلمع

6-1-1 دراسة الألغاز الشعبية في مجتمع بني عامر وحميان:

يلاحظ أن الألغاز الشعبية المتداولة في مجتمع بني عامر وحميان استخدمت فيها الألفاظ والمفردات المحلية الدالة على طبيعة لغة الدارجة وعلى البيئة الاجتماعية والطبيعية المحيطة بمجتمع بني عامروحميان،والتي تفسر كذلك نمط الحياة الاجتماعية السائدة،وتبرز مدى التفاعل بين البدوي العامري والحمياني مع بيئته الطبيعية،وعملية التأثيروالتأثر.تتكون الألغاز الشعبية من حيث الشكل من جملتين إلى ثمانية جمل،منها ماهي سجعية مثل طيهاَ طي كتاب ولونها لون غراب،أمي بركانة لابسة عباية والركبة عريانة.يبدو أن كلمات اللغز تم انتقاؤها من ثقافة بني عامر وحميان المادية واللامادية،مثل الستار الخرفان،الجمل النعجة ،أما الإجابة عن اللّغز يظهر أنها تدور حول ما يحيط بمجتمع بني عامر وحميان البدوي،وتبين أيضا الخصائص البدوية،والوسائل المستخدمة في المجتمع البدوي مثل الخيمة،المطمورة،الشكوة،الدجاجة،اليربوع الحمّارة،ما تبين الألغاز طبيعة التفاعل الاجتماعي،وتفاعل حميان مع البيئة الايكولوجية التي يعيشون فيها،وتدل هذه الألغاز على المستوى الثقافي ومحدودية التفكير الذي اقتصر على المحيط البدوي الضيق،وتكشف هذه الألغاز عن ذهنية البدوي التي تبقى متشبثة بواقعها الاجتماعي،أما عن الهدف من وراء هذه الألغاز الشعبية التي كانت تتداول بين أفراد مجتمع بني عامر وحميان،ربما كان للترفيه واختبارذكاء الفرد العامري والحمياني،وربما كانت الألغاز وسيلة أساسية من وسائل التربية والتعليم.إن حياة البداوة التي تتميز بشظف العيش والعزلة،وانعدام وسائل الترفيه والتسلية،والتعب والارهاق الجسماني الذي كان ينال من الفرد العامري والحمياني في النهار،هو الذي دفعه إلى استعمال الألغاز ليريح عن نفسه من جهة،ويحافظ على تماسك الأسرة،وتمتين العلاقات الاجتماعية الأسرية.

2-الأمثال الشعبية:إن التعبير المثلي شكل قديم من أشكال التعبير الشفهي في حقل التواصل الاجتماعي، وتبادل الثقافة بين الناس، يظهر في كل عصر ومكان(1)،ويتردد يوميا على ألسنة الناس ويكاد يكون مفهومه عاما لجميع الأمثال عند جميع الشعوب،ومن الأمور التي تستدعي الانتباه أن الناس سرعان ماتميز المثل عن غيره،من أساليب الكلام المعتاد، ذلك لأن المثل قول سائر يجمع في بنيته عناصر تكوينية وفنية محددة،تساعد على الذيوع وسرعة الانتشار(2).من هذا المنطلق ينبغي طرح السؤال عن معنى المثل لغة واصطلاحا وعن خصائصه العامة التي يتميز بها،وسر شعبيته وديمومته وإمكان انتقاله من عصر إلى آخر،وكذلك التعرف على أغراضه ووظائفه وشكله البنائي والأنماط والصيغ التي يرد فيها المثل،وتمثل الأمثال الشعبية دورا هاما في إنتاج المعنى،وفي تفهم سيكولوجية الشعب(3).قبل التطرق إلى ذكر الأمثال الشعبية الأكثر تداولا وشيوعا في قبيلة بني عامر وحميان.ما تعريف المثل لغة؟

2-1 تعريف المثل لغة:المثل معنى التشابه فالتمثيل هو قبل كل شيء التشبيه، ويرى المبرد أن المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر شبه به حال الثاني بالأول، والأصل في التشبيه وحقيقة المثل ماجعل كالعلم للتشبه بحال الأول(4).ويقول أبو هلال العسكري أن أصل المثل التماثل بين الشيئين في الكلام(5)ويرى علماء اللغة أن معنى المثل بالعربية يتصف بالسمو والعلو، فالأمثل هو الأفضل ولذا كثيرا مايوصف المثل الأعلى(6).

(1)د.زاهي ناضر:أمثالنا العامية مدخل إلى دراسة الذهنية الشعبية دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت1996ص23

(2)ورد هذا التعريف للمثل في مجمع الأمثال للميداني-تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد-القاهرة-1955-ص5

(3)عبدالرحمن عفيف:الأمثال العربية القديمة-المجلة العربية للعلوم الإنسانية-العدد10-1983-ص8

(4)صدقي جورج:معاني المثل ومشتقاته-مجلة المعرفة السنة السابعة-العدد202-1978-ص.ص.10-11

(5)عبدالرحمن عفيف:الأمثال العربية القديمة-ص19

(6) د.زاهي ناصر:أمثالنا العامية- ص23

فيقال المثل بالأعلى أي الأسمى والأكثر قربا من الحق وبكلمة أخرى أشبه بالحق(1). هناك عدة معان تدور حولها لفظة مثل منها الشبه والصفة والعبرة،والقول السائر بين الناس المشهور بين عامتهم وخاصتهم(2)وهذه اللفظة تناولتها المعاجم اللغوية العربية،يقول ابن فارس "**الميم والثاء واللام أصل صحيح على مناظرة للشيء فالمثل بفتح الميم والمثل بكسر الميم والمثيل كالشبه بفتح الشين والشبه والشبيه لفظا ومعنى،والجمع أمثال وقد يستعمل الشبه بكسر الميم عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من هذه المعاني،أي معنى كان**"(3)،وفي لسان العرب عند ابن منظور"**وكل شيء ساوى شيئا حتى يكون مثله،فهو مكافأ بضم الميم والمكافأة بين الناس،من هذا يقال كافأت الرجل،أي فعلت به مثل ما فعل بي ومنه الكفء من الرجال للمرأة،تقول إنه مثلها في حسبها**"(4).

2-1-2 <u>تعريف المثل اصطلاحا</u>:تعددت مفاهيمه عند الأدباء،فهناك من يقول بأنه قول محكى سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي مثله لأجله بأن يشبه مضربه بمورده،ويطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن والصفة الغريبة(5)،ويقول تايلور"**...إن المثل جملة مصقولة محكمة البناء تشيع في مأثورات الناس باعتبارها قولا حكيما،وأنه يشير عادة إلى وجهة الحدث،أو يلقي حكما على موقف ما،وهو أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية...**"(6).

---

(1)د.محمد بكر إسماعيل:الأمثال القرآنية –دراسة تحليلية–ط1–دار المنار–2000–ص09

(2) نفسه:ص.ص09–10

(3)د.أحمدبن نعمان:سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجية النفسية–المؤسسة الوطنية للكتاب–الجزائر–1988–ص336

(4)نفسه:ص336

(5)نفسه:ص337

(6)عبدالرحمن عفيف:المرجع السابق–ص19

والمثل هو عبارات متداولة بين النـــاس تتـــصف بالتكامـــل ويغلـــب عليهـــا الطـــابع التعليمي،وتبدو في قالب فني أكثر اتقانا من أسلوب الحديث العادي(1).فالمثـــل الـــشعبي عبارة قصيرة تلخص حدثا ماضيا أو تجربة منتهية وموقف الإنسان من هـــذا الحـــدث أوالتجربة في أسلوب غير شخصي وأنه تعبير شعبي يأخذ شكل الحكمة التي تبنى علـــى التجربة أوخبرة مشتركة(2)ومن معاني المثل أيضا الوجود الحسي الظاهر أي ما ينطبـــق على المشاهدة والرواية،وعلى هذا الأساس يتخذ المثل نهج المحاكاة،لكن المحاكاة لا تعـــني بالضرورة أخذ الواقع على علاته،وإنما إجراء اختيار فيه يستند إلى قواعـــد واضـــحة، ومعايير محددة(3) هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن المثل ارتبط منذ زمن بعيد حـــتى اليوم بمفهوم الحكمة والقول المأثور،ودخـــل في الروايـــة والمـــشافهة وفي موروثـــات الشعوب،ومن هذا المنطلق أصبحت دراسته من بين أهم المصادر الـــتي تـــساعد علـــى اكتشاف التمثل الاجتماعي للحكمة.ومما لا ريب فيه أن معاني المثل المتنوعة تبرز قيمته – الحقيقية والوظيفة التي يؤديها، ولماذا اختاره الناس وسيلة للتعبير؟(4).

2-1-3خصائص وصفات المثل الشعبي:يتميز المثل بخصائص وصـــفات متعـــددة تتوزع بين صفات أدبية ولغوية وفنية،وتكوَن شرطا أساسيا له وتسهم في تحديده وتـــبين على نحو واضح سر ذيوعه وانتشاره وديمومته،ويأتي في مقدمة هذه الصفات إيجاز اللفظ فالمثل صـــيغة لغويـــة تميـــل مـــن غـــير إخـــلال بـــالمعنى إلى الإيجـــاز والقـــصر(5).

(1)التلي بن الشيخ:منطلقات التفكير في الأدب الشعبي–المؤسسة الوطنية للكتاب–الجزائر–1990–ص366

(2)نفـــسه:ص366– Salah Mohamed ouinissi:proverbes et devinéttés chaoius e1-enag-Alger-2002-p1

(3)التلي بن الشيخ:منطلقات التفكير الشعبي –ص366–فوزية لرادي:صورة من القصبة–مراجعة وتنقيح نفيسة الأحـــرش– ط1–المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية–الجزائر–2002–ص09

(4)د.زاهي ناصر:أمثالنا العامية–ص24

(5) نفسه:ص24

وأنه زبدة اختبار طويل مفرغة في قالب صغير،ويمكن القول بطريقة أخرى أن المثل اقتصاد لغوي.ولهذا دلالته عند الألسنيين،ويبدو أن المقصود هو التعبير عن الفكرة في أضيق حيز ممكن،باعتبار أن خير الكلام ماقل ودل(1)،ويبلغ الاختصار الشعبية حدا جعل المثل الواحد يكاد نصه يقتصر على كلمة أو كلمتين أو ثلاث كلمات،وهذا النوع من الأمثال يتصف بالبلاغة؛لأن الإيجاز كما هو معروف سمة أساسية من سمات البلاغة،ووسيلة من وسائل الإيضاح في الحديث وبلوغ القصد من الكلام،وبقدر مايكون المثل بليغا بقدر مايسهل حفظه وتناقله بين الناس،ويحدث أثرا في ذهن السامع(2).والخاصية الثانية الواجب توافرها في المثل إصابة المعنى،وهي شرط من شروط بقاء المثل وتناقله بين الناس،ولاتتم إصابة المعنى إلا باللجوء إلى صيغ أدبية ولغوية تحقق تلك الغاية،لذلك ذهب بعض مؤلفي العرب على القول أن أصل معنى المثل الاشتقاقي هو العرض قي صورة حسية(3).فالصورة تخاطب الحواس والانفعالات والخيال أكثر مما تخاطب العقل والمنطق(4)

2-1-4طبيعة الأمثال الشعبية:ركزت بعض تعاريف المثل الشعبي على المضمون وبعضها على الشكل،والبعض الآخر على الوظيفة يلاحظ أن المثل الشعبي يتجنب أسلوب الوعظ والتوجيه،وينصب على المعنى بدون محاولة التحذير من العواقب،والنتائج التي يتوخاها القصاص الشعبي،ذلك أنه يطرح قضايا اجتماعية قد تختلف في واقعيتها أو عدم واقعيتها،ولكنها تأخذ صورة القضايا الاجتماعية ولوشكليا.ومن خلال القراءات المتعددة للمثل الشعبي أنه يركز على السلوك عندما يواجه موقفا ما.

(1) د.زاهي ناصر:المرجع السابق- ص24

(2)زلهايم رودلف:الأمثال العربية القديمة -ترجمة رمضان عبدالتواب -مؤسسة الرسالة -بيروت-1971ص.ص26

(3)د.زاهي ناصر:أمثالنا العامية-ص24

(4)زلهايم رودلف:الأمثال العربية القديمة-ص22

يتنوع المثل الشعبي في التعبير، وبالتالي يبدو من شكل بعض الأمثال أنها متعارضة أو يناقض بعضها البعض(1).بالإضافة إلى ذلك فالمثل الشعبي أقوى تأثيرا في العلاقات الاجتماعية،وألصق بحياة الناس حتى الآن،ومرد هذه الظاهرة أن المثل الشعبي لا يعالج قضية اجتماعية مرتبطة بظروف محلية معينة مثل القصة الشعبية،وإنما يركز على السلوك الإنساني في ظروف وحالات متغيرة سواء كان السلوك فرديا أو جماعيا،وارتباط المثل بالسلوك يعني الاهتمام بالفروق الفردية بين الأشخاص والجماعة(2)،ذلك أن ميول الناس ورغباتهم باقية ومستمرة،وإن تكيفت مع الظروف الاجتماعية.أوتعدلت حسب المواقف التي يوجد فيها الفرد والجماعة،والفرق واضح بين في القصص والشعر معا،فالقصيدة الغزلية على سبيل المثال قد تحتفظ بتأثير مدة أطول من شعرالحماسة أوشعر الرثاء لارتباط موضوع الغزل بعاطفة أقوى وأبقى،بينما لاتحافظ على قصيدة الحماس على نفس التأثير،لهذا قيل المثل الشعبي أهم من الشعر والقصة،وأقرب إلى الصدق في التعبير عن الظواهر الاجتماعية؛ لأنه لا يهتم بالظاهرة في حد ذاتها،وإنما يهتم بالسلوك الكامن وراء الظاهرة،لهذا يلاحظ أن المثل الشعبي يستخدم صيغة الفرد بكثرة وخصوصا اسم موصول اللي،ولا يستخدم صيغة الجمع إلا قليلا،وتعليل هذه الظاهرة واضح إذ ليس هناك قضية اجتماعية في طرح المثل،وإنما هناك دوافع سلوكية تطبق على الجماعة كأفراد لا كمجاعة(3).ويقول بعض الباحثين أن المثل الشعبي هو كنز أدبي واجتماعي في بنك الذاكرة لكل الأمم تدخره لأجيالها اللاحقة،وهو تجربة في مختبرات الأدب الشعبي تتذكره الأجيال وتستعين به للتغلب على صعاب الحياة(4).

(1)التلي بن الشيخ:منطلقات التفكير في الأدب الشعبي–ص107

(2)نفسه:ص107

(3)نفسه:ص107

(4) فوزية لرادي:المرجع السابق–ص09

وتتخذه معلما ونبراسا تهتدي به،وتستفيد منه عند كل امتحان يستشهد به الخطباء في كل محفل،ويرصع به الأدباء والشعراء قصصهم وأشعارهم،وهو إلى جانب القصة الشعبية والشعر الشعبي،وألوان أخرى يكون الخزان الذي لايفنى والمعين الذي لا ينضب والذي يرجع إليه الرواة والمثل الشعبي يظهر أول ما يظهر إثر حادثة أو موقف لأحد الأفراد، فيقوم باختصاره في جملة أو جملتين، أو في بيت شعري ومتى توافق جرس اللغة واستساغته الجماعة تبنته ثم ينتقل إلى الجمهور العريض الذي ليس له حق اختراع(1).والأمثال الشعبية عادة ماتكون نتائج لقصة شعبية،أو حكاية شعبية.

5-1-2 الأنماط والصيغ التي يرد فيها المثل:

الأنماط اللغوية:تكتسب الأنماط اللغوية أهمية خاصة؛ لأنها تكشف عن جوانب هامة من مكونات الذهنية الشعبية،ويلاحظ فيها الإنسان العامي ينبض بوجدانه وبعواطفه،ويعبر عن قناعاته ومعاييره ومثله التي تشكل نظرته إلى الحياة(2)،وهي تركز في قسم كبير منها على علاقات التباين أو اللقاء أو التجاوز بين الواقع والمثل الأعلى،وأول مايلفت أن الأمثال تتجه باستمرار إلى مقاربة الأشياء بمثالها الأعلى،وقديكون هذا الاتجاه دليلا على نزوع العقلية الشعبية إلى المثالية أو إلى ربط الواقع بالمثل الأعلى(3)،والمثل الأعلى بالنسبة للنص لا ينزل من السماء،وهو يعني بكل بساطة أي شيء يكون قائما أمام الذهن،ويشكل موضوعا للتمثل،وينطبق على الواقع.فالمثل الأعلى هو إذن من صميم الحياة نفسها،ونموذج واقعي ممكن التحقيق.إذ أحيانا يتكون من التجربة والعمل، أي من اتصال الإنسان بالأشياء وسلوكه تجاهها(4)

(1)فوزية لرادي:المرجع السابق–ص09–هذه مجموعة أمثال شعبية دونتها عن كبار السن وشيوخ قبيلة حميان

(2)د.زاهي ناصر:أمثالنا العامية–ص31

(3)نفسه:ص32

(4)نفسه:ص33

ولهذا يتوجب الكلام على منشأ واقعي تجريبي للمثال،أي أن التجربة هي مادة المثل الشعبي وموضوع له.والمثال في تجاوب مستمر مع الواقع والممكن،وهذا التجاوب لا يعني أخذ الواقع على علاته(1)،وإنما إجراء اختبار على أسس محددة،وانطلاقا من الوضعية الشعبية،وتظهر واقعية المثال من ارتباطه بظاهرات طبيعية أو حيثيات مجتمعية وإنسانية محددة،ويفصح النص عن هذا الارتباط باللجوء إلى الإحالات التاريخية والجغرافية والأسرية والفردية،وإلى الظواهر التي تحدث في الواقع المعاش،ومن بين الأنماط اللغوية:النمط القائم على المبالغة والمفاضلة،وعلى التشبيه وهو أكثر الأنماط اللغوية المستخدمة في الأمثال الشعبية،والمناظرات الكلامية أو النمط المشهدي الفكاهي(2).

2-1-6 **الصيغ اللغوية**:إن الصيغ اللغوية هي ملامح أصيلة في اللغة الإنسانية وهي بصفة عامة تعمل تحت مستوى الوعي ،وتمثل دورا دلاليا هاما في انتاج المعنى والتأثير الجمالي،وفي التعبير عن المواقف الوجدانية ،وقد يتنوع بعض الأمثال في صيغه لكن يظل المضمون بدلالته وغايته واضحا في بنية المثل(3)،وهذه فيما يلي أبرز الصيغ التي توجد بكثرة وغزارة في الأمثال الشعبية مع التركيز على دلالتها من وجهة النظر السيكولوجية.صيغة افعل التفضيل التي كانت شائعة في الأمثال الشعبية القديمة وتستخدم في الجملة المثلية للمبالغة في التشبيه أو للإشارة إلى الحالات التي يرقى فيها الواقع فيتجاوز المثال أو النموذج أو الحد المألوف ويعتمد عليها أحيانا للمقابلة أو المفاضلة بين أمرين أو ووضعيتين(4).بالاضافة إلى صيغة التفضيل هناك صيغ أخرى كصيغة الأمر والنهي وصيغة الاخبار العادي،ثم الاستخبار والاستفهام والدعاء والتمني.

(1)د.زاهي ناضر:المرجع السابق–ص34

(2)نفسه:ص34

(3)نفسه:ص35

(4)نفسه:ص36

2-1-6 نماذج من الأمثال الشعبية:

الدخن ولا طافية:معناه الشيء القليل،أفضل من عدمه.

ضربة بالفاس ولا عشرة بالقدوم:يجب حمل كمية كبيرة من شيء ما مرة واحدة أحسن من حملها عدة مرات.

دجاج الرحلة يبات مكتف:ومعناه الشخص الذي يريد أن يسافر إلى مكان ما يجب أن يهيأ نفسه ليلة السفر،ولا يترك ذلك إلى الصباح،وجاء هذا المثل نتيجة حدث وقع للبدو الرحل الذين كانوا يتنقلون باستمرار مثل قبيلة بني عامروحميان،فكانت تقوم المرأة البدوية العامرية والحميانية عندما يحين وقت الرحيل،تقوم بربط الدجاج ليلا قبل فترة الرحيل،حتى لايضيع الدجاج الوقت للرحل،وحتى لاتتم مطاردته والجري من ورائه.

راح يجيب السكة طاح في لقمار:ويطلق هذا المثل على الشخص ثقيل الحركة وجاء هذا المثل في شكل حكاية شعبية واقعية عن شخص أرسلته جماعة أن يأتي بسكة المحراث اليدوي،فقد تباطأ وعند عودته وبيده السكة،وجد جماعته تقوم بعملية الحصاد

امراة بلا ولاد كي الخيمة بلاوتاد:ويدل هذا المثل على المرأة التي لم تلد،وتعاني من العقم،وشبه صاحب المثل التي لاتلد كالخيمة التي تنعدم فيها الأوتاد،وبالتالي لا يمكن بناء الخيمة بدون أوتاد.

لاتضرب حتى تقرب ولا تصحب حتى تجرب:ويدل هذا المثل على أنه لا يقبل شخص ما على شيء،حتى تعرف حقيقته.

امشي مع الطريق اذا دارت،وادي بنت عمك اذا بارت:يدل هذا المثل على تفضيل الزواج من بنت العم،خاصة إذا دخلت مرحلة العنوسة

أنا نقول له داري خالية وهو يقول لي شحال اولادك:ينطبق هذا المثل على الشخص الغبي البليد.

الخاليها الطاويها الراقد فوقها:ويدل هذا المثل على الشخص الكسول والخامل، الذي لايعمل ولايكد، والذي لايريد أن يجهد نفسه

لي حوس على حمار خالته إذا لقاه يغني وإذا ما لقاهش يغني:وينطبق هذا المثل على **أنا نقوله داري خالية وهو يقول لي شحال اولادك**:ينطبق هذا المثل على الشخص الغبي البليد.الشخص المهمل غير المبالي.

جايحت خيمتها حاذقت الدوار:وينطبق هذا المثل على المرأة التي تتكاسل وتتقاعس في خدمة بيتها،ولكنها نشيطة وحازمة في خدمة بيوت الآخرين.

اللي حرثه الجمل دكه:وينطبق هذا المثل على الشخص الذي لا يتقن عمله،ويضطر إلى إعادته،و تضمن المثل اسم حيوان وهو الجمل،والجمل لايستخدم في عملية الحرث،وإذا ما استعمل في الحرث،فإن قدم الجمل من الأسفل ملساء،فكلما قام بعملية الحرث،إلا وقدمه تمحو خط الحرث،وهذا المثل كثيرالتداول بين أفراد قبيلة حميان،وعادة ما يوجه هذا المثل إلى الأبناء وكل من لايتقن عمله.

اضرب الحديد مادامه حامي:استخدمت في هذالمثل صيغة الأمر،ويدل على ضرورة استغلال الفرصة عندما تكون مواتية،وفي حينها ولا تترك الفرصة تضيع.

اللي دارته المعفونة ياكلوه اولادها:وينطبق على المرأة غير النظيفة،فالذي يأكل طعامها سوى أبنائها وزوجها،وينفر الآخرين من طعامها إذا علموا بقذارتها.

اللي تلفته أجريه:ويدل هذا المثل على عدم تضييع الوقت،خاصة إذا كان مكلف بمهمة بالإضافة إلى السرعة والتنفيذ في انجاز عمل ما.

الهدرة والمغزل:فالشخص إذا كان يتكلم ويعمل عليه أن يقرن العمل بالكلام.

الفم المبلع ماتدخله ذبانة:وهذا المثل له دلالة تربوية وأخلاقية،فالشخص الذي يكون جالسا بين جماعة،ولا يعرف أفراد هذه الجماعة،فعليه بالسكوت أفضل من أن

يكثر من الكلام إلى حد الثرثرة،التي ماتؤدي إلى القذف في أعراض الناس،وتدفع بالشخص إلى الغيبة،أو ربما تؤدي إلى إيذاء شخص بين الجماعة عن غير قصد،وقد شبه صاحب المثل الفم المغلق لا تدخله الذبابة بالسكوت والصمت.

مايحس بالجمرة غير المكوي بها:الجمرة هي بقايا النار والنار حارة،فلا يشعر بحرارة الجمرة إلا الذي اكتوى بهذه الجمرة،ويدل هذا المثل على الشخص الذي يعاني من مشكلة أو قضية ما تكون صعبة الحل،فلا يشعر بثقلها إلا الذي يشكو منها،ولا يشعربها غيره*.

الكبش ما يعيا بقرونه:ويدل هذاالمثل على الشخص الذي يريد السفر في فصل الشتاء إلى مكان بعيد،ولا يرتدي ملابس الشتاء التي تقيه برد وقساوة الشتاء كالمعطف أوالجلابة فعليه بحملها حتى لو لم يرتديها،وشبه صاحب المثل الشخص الذي يرتدي ملابس الشتاء التي غالبا ماتكون ثقيلة الوزن،بالكبش الذي يتحمل ثقل قرونه الملتوية.

كثير لصاحب يبقى بلا صاحب*:ويدل هذا المثل على أن الإنسان يجب أن يختار رفيقا واحدا الذي يقف معه في السراء والضراء، ويتجنب تعدد الأصدقاء؛ لأن الكثرة لا فائدة منها،وقد جاء هذا المثل من حكاية شعبية قيل أنها واقعية.

الشركة هلكة*:ويدل هذا المثل على المساهمة مع الغير في مشروع ما،وما يترتب عنه بعدذلك من خسارة،التي ماتؤدي في غالب الأحيان إلى حد الصراع بين الشريكين.

2-1-7دراسة الأمثال الشعبية عند قبيلة بني عامر وحميان:لقد اخترت حوالي إحدى وعشرين مثلا شعبيا الأكثر تداولا بين أفراد قبيلة بني عامر وحميان،التي استخدمت فيها مفردات وألفاظ محلية،ذات دلالة تتعلق بالبيئة الاجتماعية التي يتفاعل فيها العامري والحمياني،تتكون هذه الأمثال الشعبية المختارة من حيث الشكل من كلمتين إلى ثماني كلمات،وإذا كانت بعض الأمثال سجعية،فإن الأمثال الشعبية المختارة ليست كلها سجعية،منها السجعية وعددها ثمانية مثل اللي تلفته أجريه،اللي حرثها الجمل دكه،أما من حيث الصيغ اللغوية،فهي متنوعة،منها الصيغ الدالة على الأمر والنهي مثل أضر الحديد مادمه حامي،أمشي مع الطريق اذا دارت،وادي بنت عمك اذا بارت وهذه الصيغة اللغوية التي وردت في المثل اضرب الحديد مادامه حامي هي بقصد النصح،وفي الجملة الثالثة بقصد الارشاد،وهناك جمل جاءت في صيغة الاخبار العادي مثل أنا نقول له داري خالية وهو يقول لي شحال أولادك،اللي حوس على حمار خالته،اذا لقاه يغني واذا ملقاهش يغني،وقد جمعت هذه الجمل بين المألوف والمعروف والمتعارف عليه،وتشغل صيغة الاخبار العادي عادة وظيفة تعليمية مثل الهدرة والمغزل.

- تتناول الأمثال الشعبية المتداولة عند بني عامر وحميان قضية المعاملة الاقتصادية كالشركة هلكة،حيث يقدم هذا المثل صورة سلبية عن كل ما يتعلق بنتائج المشاركة الجماعية في عمليات استثمار الممتلكات واستغلال الأموال،ويشكك في الجهد الجماعي والعمل التعاوني،ويكشف عن مواقف تتميز باللامبالاة ،وبالمقابل فإنه يدافع بشكل واضح وصريح عن الملكية الشخصية،وعن التفرد بالمصلحة،ويدعو هذا المثل إلى الاستقلالية في العمل والتدبير،والواقع أن العمل المشترك يفرق ولا يجمع والشراكة تؤدي عاجلا أم آجلا على تضارب المصالح،ومن ثم إلى المنازعات والاخفاق.

وعلى ما يظهر من المثل أن العمل المشترك يضر أكثر مما ينفع،ففي الشراكة يلقى كل تبعات الأمور على صاحبه الأمر الذي يؤدي إلى فساد الأشياء.

- أما الأمثال الشعبية التي تعالج قضية الزواج الداخلي القرابي مثل امشي مع الطريق اذا دارت،وادي بنت عمك اذا بارت يحمل هذا المثل موقفا من الزواج الداخلي القرابي،وهو موقف يسند الزواج الداخلي ويبرره،ويعتبره الأفضل ،لأنه يصون وحدة العائلة،ويحفظ تجانسها،ويتبدى هذا الاعتبار في هذا المثل الذي يدعو إلى تقديم الفتاة من الأقارب مهما تكن وضعيتها الاجتماعية عن الفتاة الغريبة.
- أما الأمثال الشعبية التي تعلق بالإنجاب،ويحدد هذا المثل بوضوح كل مايرتبط بهذه الأمور من أعراف اجتماعية،ومقولات تعترف بأحكام القيم ،كما يكشف المثل في الوقت نفسه عن جوانب هامة من مكونات الثقافة الشعبية،إن مفهوم العائلة كما يبدو من خلال هذا المثل يتصل بتعظيم قدر السلالة،ويرتكز على علاقة التلازم بين الزواج والإنجاب،والواقع أن المجتمع لم يكن يتقبل زواجا بدون إنجاب أو ذرية،ويفضل العامة الانجاب المبكر،وكان يمقت المراة التي لا تنجب،وشببهها بالخيمة بدون أوتاد،بحيث لا يمكن أن تنصب الخيمة بدون أوتاد.
- أما الأمثال الشعبية التي عالجت موضوع اختيار الصديق في العلاقات الاجتماعية،فإن المثل لاتضرب حتى تقرب،ولا تصحب حتى تجرب،يتفق هذا المثل مع وجوب التأني في اختيار الصديق،ومن المستحسن أن يحصل هذا الاختيار على أساس بعض المعايير والاعتبارات مثل التوافق والتجانس،وبعد العشرة والاختبار،ومن المألوف أن يحصل التوافق أو التجانس على أساس التماثل والتناظر،أي عندما يكون الطرف الآخر نظيرا.

2-1-8الحكاية الشعبية التي لها علاقة بالمثل الشعبي:كثير لصحاب يبقى بلا صاحب أو حول الشخص الذي يتميز بتعدد الأصدقاء.قال لك واحد كان عند شحال* من صاح،فيهم السلطان واحد النهار بغى* يجربه اباه،قال له يا ولدي راني ذبحت واحد وراني مكفنها ومغطيه وراه في الخالفة،روح* لصاحبك وقول ليهم راه ابا قتل واحد ورواحوا عاونوه،الصاحب للي يمشي له يقوله انا خاطيني*اباك قاتل ومجرم وحنا بغيتنا نعاونه،جا الولد مولي لاباه وقال له صاحبي ما بغاوش يجو يعاونوك في ازمتك،قال له اباه روح عند فلان وهو صاحب اباه،وقول له ابا راه قاتل واحد كي وصله وقال له جا صاحب اباه يجري،كي وصل قاله انا ماقتلت حتى واحد،وقلع الغطى على الكبش وشواه هو وصاحبه وكلاوه اب ذلك الولد كان متزوج بنت عمه وامراة اخرى برانية عليه،المراة بنت عمه كي سمعت ولد عمها قتل قعدت تبكي وحايره على ولد عمها والمراة الأجنبية قالت له كي يجي السلطان نخبرها،كي سمع السلطان خبر القتل جا ومعاه صاحب الحكم،كي رقبو* وصلوا خرجت المراة البرانية وقالت للسلطان يا سيدي راجلي* قتل واحد،وبغى القاتل يهرب فوق عودها*،حرن* به العود لخطرش ولد عودة شارف،حتى لحقوا عليه السلطان وقبضوه،وراهم بلي ماهوش مقتول حقيقي ولكن كبش ذبحتها كي ولى السلطان،قال لولده كثير لصاحب يبقى بلا صاحب والمراة البرانية لا تامن فيها والعود ولد الشارف لا تكسبه؛ لأنه يعجز عن الجري وعكس الحصان ولد الفرس صغيرة السن.

---

*شحال:معناه عدد كثير من الأصدقاء*رقبو:عندما ظهروا

راجلي:معناه زوجي

*حرن: معناها عجز عن الهروب والجري

*بغى:أراد*روح:اذهب*رواحوا:معناها أقدموا على مساعدته

*خاطيني:معناها لست مسؤولا على ما ارتكبه أبوك من جريمة قتل،ولن أكون شاهدا على هذه الجريمة.

2-1-9الحكاية الشعبية التي لها علاقة بالمثل الشعبي:اخدم الشاقي للباقي:قال لك واحد الخطرة*كان واحد يخدم الليل مع النهار،ومكانش يريح وكان داير مطمورة في خيمته،كان يدس فيها الدراهم لي يقبضهم،وكان حارم مراته واولاده من الماكلة والكسوة،وكان واحد السيد*يشوف كيكان* ذات الرجل يخدم،وماهوش متهلي في روحه.وكان يدي مراته خطرة في العام لدار اباها.واحد خطرة مات ذاك الرجل،ومشى ذاك السيد لكان يتبع فيه ويشوف فيه،يخطب مراة ذاك الرجل لي مات اعطها له اباها ومن بعد خمسطاعش انيوم من زواجه بذيك المراة،دها لدار اباها،وكان خطرة يخدم خطرة مايخدمش،ولي يقبضها ياكله مع ذيك المراة واولا ليتامى،وكان يكسيها ومتهلي فيها مع ذوك اولاد،واحد نهار قد ذاك السيد يسول في روحه،قال بحالك ذاك الرجل مخلاش الدراهم وين كان يديرهم،واحد الخطرة ادها لخمية اباهاوجى مولّي وقعد يفتش حتى لقى المطمورة في الخيمة عامرة دراهم،ادامن* ذوك الدراهم،واشرى لمراة الكسوة واولادها،وعمر قفة نتاع مصروف،ومشى خيمة نسيبه،فرحت به مراته،وانسابه وقالوا هذا الرجل كريم،خير من لاول اللي كان بخيل،وبعدما جات المراة لخميتها وقعدت ايامات،قالت لرجلها الزاوج* يافلان انت تخدم إي خطرة في الشهر. وتريح شحال من شهر وراك متهلي* وفي اولادي،انت خير من راجلي لاول كان بخيل ماهوش متهلي حتى في روحه،ومن كثرت عليه تسوال،قال ليها اروحي نوريك وراها المطمورة عامرة دراهم وقعد عايش فيها مع مراته والاودها لاخدمة لا والو.وقال ليها اخدم الشاقي للباقي

---

* الخطرة:معناها ذات مرة،أو في يوم من الأيام، وفي بعض الأحيان يستخدم الراوي في بداية القصة، واحد النهار ويلاحظ أن القصيدة الشعبية أو الحكاية الشعبية مجهولة الزمن والمكان.

*السيد:معناه الرجل،وليس السيد الذي يقصدبه الرئيس أو المشتق من السؤدد،ويستعمل الراوي تارة بني ادم،وبنو نادم.*ادامن:معناها أخذ قسطا من الدراه* الزاوج:معناه الرجل الثاني *متهلي:معناه الاهتمام بشخص ما

وعيش يا مستراح.ويلاحظ أن المثل الشعبي نسجت حوله حكاية شعبية،أو أن المثل قد استخلص من هذه الحكاية الشعبية.ويبدو من خلال نص الحكاية أن هذه الأحداث قد سبق وأن حدثت في الواقع،ولاتزال تحدث ولكن الراوي نقل هذه الوقائع متجاهلا عامل الزمن والمكان لأن وقائع هذه الحكاية يمكن أن تقع في أي مكان وفي أي زمن.تبدأ الحكاية بقال لك،بفعل ماضي قال وبقول شخص مجهول لك الذي ذكر يوما غير معلوم ومحدد من أيام السنة،واستخدم الراوي فعل كان فعل ماضي ناقص،واستعمل كلمة واحد معناه شخص.واحد وهو مجهول في الحكاية،الذي كان يعمل ولكن لم يحدد الراوي طبيعة ومجال عمل هذا الشخص المجهول،ولم يحددسنه هل هو كهل أو شاب،ولم يذكر نوع العمل أوالخدمة التي كان يقوم بها في النهار وفي الليل.بالإضافة إلى الأمثال الشعبية،فإن قبيلة بني عامر وحميان التي تنتسب إلى عرب بني هلال كانت تزخر كذلك بفنون شعبية أخرى كالرقص والغناء والموسيقى للترويح عن النفس في المناسبات والحفلات عند بني عامروحميان إلا أن المحكي منه من حكم وأمثال تظهر صورها معتمة غير واضحة،تتأرجح بين العطف والحنان والمدح والتحقير والتهميش أحيانا،خاصة إذا كان الكائن غير مصنف ضمن الهرم الاجتماعي البدوي ضمن منظور برغماتي الذي لا يعترف إلا بالعنصر المنتج(1).

3-**الرقص والغناء**:تؤدى الرقصات الشعبية الخاصة بالرجال والنساء في المناسبات مثل مناسبات الزواج والأعياد،ورقصات النساء اقل تنوعا من رقصات الرجال،فللرجال رقصات متنوعة منها الرقصة الحربية،وتؤدي في الاحتفالات كالزواج،وهي مقترنة بالحرب في مجتمع الدراسة،فهي تقام عند الاستعداد لحرب(2).كماكانت تقام عند الانتصار

(1)د.زاهي ناضر:المرجع السابق-ص34

(2)دةزسهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص236

في الحرب*وعودة المحاربين،وأيضا تقام في الأفراح والأعياد(1).الرقص هو فن وملكة طبيعية يمتاز بها الإنسان عن غيره من الكائنات الحية،فكل إحساس مجسد في حركات يتحرك التعبير فيها من خلال استلاهامات واندفاعات الجسد،فيبرز نظام حركي يتحول في دائرة إحساسات ذات شكل إيقاعي(2)،وفي القديم كانت للشعوب البدائية صلة وثيقة بحياة الحيوانات،حيث كانت تصطاد الوحشي منها،وبالتالي نشأت رقصات يقلد الصيادون فيها رقصات الحيوانات،وهم مختفون وراء أقنعة يمكنهم من الاقتراب من الحيوان(3)،وعرف هذا الشكل من التعبير رواجا وانتشارا في الحضارات القديمة وفي القرون الوسطى،وشيئا فشيئا استطاع الإنسان أن يسيطر على هذه الهبة من الطبيعة محولا ومطورا إياها إلى صناعة فنية ذات شكل مدروس.ويعتبر الرقص أقدم الفنون إلى جانب الموسيقى والغناء،ومن خلال الصور والرسومات الصخرية يتضح أن الرقص كان يمارس(4)،تمتاز كل رقصة بميزاتها الخاصة حسب كل منطقة ولكن يلاحظ أن هناك تجانسا في الأنواع بين المناطق ويعود سبب ذلك إلى الترحال بالنسبة للبدو.فماهي أنواع الرقصات والغناء عند بني عامر وحميان؟يجهل أنواع الرقصات الشعبية عند بني عامر وحميان في القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي،وحتى المصادر التاريخية لم تشير إلى نوع الرقص عند العرب سواء بالنسبة للرجال أو النساء،بينما الغناء عند عرب بني هلال التي انتقلت واستقرت بالمغرب الإسلامي في القرن الخامس(5).

*كانت الحرب دائما على اماكن الرعي والماء،وارض القبيلة إذا تم الاعتداء عليها من قبيل اخر.

(1)دة.سهير عبدالعزيز:المرجع السابق-ص236

(2) إبراهيم بهلول:فن الرقص الشعبي في الجزائر-ترجمة أسماء سيفاوي ج1-ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرد.ت.د ص32

(3) نفسه:ص32- عاشور سرقمة:الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات-دار الغرب للنشر والتوزيع-204-ص20

(4)د.عبدالله ركيبي:الشعرالديني الجزائري-ط1-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع -الجزائر-1981-ص35

(5)ابن أبي زرع:الأنيس المطرب-ص248-السلاوي:الاستقصا-ج3-ص54-

الهجري ومن بينهم بني عامروحميان أهل المدرفأشعارهم موروثة عن أعراب الحجاز منذ أحقاب(1)وأجيال خلت.وقد تمسكوا بالمحافظة على سلامتها.ويبدو أن بربر إفريقية اقتبسوا منهم طرائق الغناء والإنشاد،ومن عادتهم أنهم إذا صاغوا قصيدة من أي نوع كان كان،فإنهم يتنكفون من الانتساب إلى قول الشعر،ويتحاشون من الإنشاد بأنفسهم وينشده لهم بعض عبيدهم ذوي الخناجر الشجية في محافل الأعراس ومواكب الأفراح مصحوبين بعازفي الشبابات ودقاقي الطبول وبزعم حسن حسني عبدالوهاب أن هذا من التقاليد العربية في الجاهلية والعصر المخضرم في الإسلام(2).وبجانب ذلك يسمر العرب بنوع غريب من العزف الرمزي يعرف عندهم بطرق الصيد ويشبهه البعض بالمسفونيات في العصر الحديث،وكانوا يستخدمونه عند صيدهم للأسود(3)وكثيرا ما كانت تتحول الوقائع المادية بين القبائل العربية وغيرهم من الجماعات المعادية إلى مايسمى في العرف الحديث بالحرب الباردة وينهض بها غالبا القادرون على التفنن في القول(4).فالرقصة التي كانت تمارس هي رقصة العلاوي التي تتميز بطابعها الحربي،إذ كانت تعبيرا عن مختلف مراحل القتال يتسلون بها بعد كل عودة من معركة ظافرة.فيتعاطى هؤلاء الجنود حاملين سيوفهم وبنادقهم إلى عروض متفنة ومنسقة،واثبين مرة على خط مستقيم،وأخرى على شكل دائرة يضربون الأرض ضربات متتالية بالرجل اليمنى،متبوعة باليسرى،يتوقفون تارة،ثم ينطلقون إلى الأمام ثم إلى الخلف في حركة اهتزازية مستمرة للكتفين أي سلسلة حركات تسيرها إشارة الرئيس المزعوم للفرقة،وترافق هذه الرقصة موسيقى على الآلات

(1)حسن حسني عبدالوهاب:ورقات عن الحضارة العربية ص 254د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:المرجع السابق ص252

(2)ابن أبي زرع:الأنيس المطرب-ص248-السلاوي:الاستقصا-ج3-ص64-حسن حسني عبدالوهاب:ورقات عن الحضارة-ص.ص253-254

(3)ينظر إلى ورقات من الحضارة-ص254

(4) عبد الحميد يونس:الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي-ص.ص90-91

النفخية مثل القصبة أو الغايطة،بينما يمسك البندير والقلال الإيقاع(1).ويبقى الاختلاف في الأسلوب بين مناطق غرب الجزائر،ويلاحظ هذا في الأداء السريع أو البطيء الذي يمكن ترجمته في المصطلح العسكري بالهجوم أو الدفاع،بحيث تمكن خاصية الحركة من تجديد الطريقة المتبعة في الرقصة.وتخضع هذه الحركات والخطوات إلى تسميات مثل قدرية ونصرية والبونيط(2).يبلغها الرئيس إلى الفرقة بأصوات كالمواء لا يفهمها إلا المؤدون،فيغيرون الصور والأشكال الحركية وهناك نوع آخر مشتق من العلاوي،إلا أنه لا يعتبرمن نفس الصنف لما اكتساه من صبغة دينية وهو المدح تؤديها فرقة،وترافق هذه الرقصة مدائح في حمد الله تعالى والصلاة على رسوله،تمتاز باستعمال الآلات الإيقاع التي توزع على جميع الراقصين(3)،وكما تختلف الآلات المكونة للجوق يختلف اللباس أيضا من منطقة إلى أخرى في غرب الجزائر ففي منطقة النعامة والبيض وسعيدة وسبدو يفضلون العمامة البيضاء والعباءة الفضفاضة المكممة،بينما في منطقة عين تموشنت وسيدي بلعباس فيتميز لباسهم بالعمامة الصفراء الضيقة الكور،ويرتدون عباءة زرقاء اللون مشدودة على الخصر،تخترقها فتحتين جانبتين أسفلها ولا أكمام لها.بالإضافة إلى رقصة العلاوي التي يمارسها خصوصا أهل البدو من بني عامر وحميان في المناسبات والاحتفالات،فإن هناك رقصة أخرى وهي رقصة القرقابو التي أدخلها سكان توات المهاجرين إلى منطقة النعامة خاصة من السود(4)،نتيجة العلاقات التجارية الوطيدة التي كانت تربط بين منطقة توات والنعامة.وتوظيف أهل توات في الزراعة بالقصور،وارتباط بعض من فروع بني عامر وحميان بالطرق الصوفية المنتشرة في الصحراء مثل الكرزازية

(1)إبراهيم بهلول:فن الرقص الشعبي–ص33–عاشور سرقمة:الرقصات والأغاني الشعبية–ص18

(2)نفسه:ص33

(3)عاشور سرقمة:الرقصات والأغاني الشعبية –ص 19

(4) نفسه:ص19

والزيانية،ولا شك أن بني عامروحميان قدتأثروا بهذا الفن الشعبي بسبب التفاعل بينهم وأهل توات ويطلق على هذه الرقصة في منطقة تيديكلت اسم داراني وتعود أصول هذه الرقصة الشعبية إلى عهد الرسول(صلع).ومن بين الآلات التي تستعمل في هذه الرقصة الشعبية هي الدندون(1)وكذلك القلال والقراقيب*،وربما يرجع اشتقاق تسمية هذه الرقصة من صوت تلك الصفائح الحديدية التي تحدث قرقبة.ويبدو أن الذين يؤدون هذه الرقصة في منطقة النعامة هم من السود والحراطين،ويسمون بأولاد العبيد(2)،وهم يتوارثونها أبا عن جد،وهم يسمون كذلك بأولاد سيدي بلال.أما الأغاني التي تتردد فيها فإنها عبارة عن ذكر الله والرسول والصحابة والأولياء وغيرها بطريقة تتماشى مع الإيقاع، وهي تتجلى في الريثم البطيء، أما الريتم السريع فتتردد فيه بعض الأبيات مثل:**يالساهلة يابوقمه أبرينكال العيون**(3).وهي كلها أسماء مناطق، وهناك موسم محدد تتجول فيه هذه الفرقة، لتدخل البيوت الموجودة في القرية أو المدينة، وفي كل بيت تؤدي مجموعة من الأغاني،ومن الطقوس الغريبة التي تمارسها الفرقة، هي أنه إذا كان لدي العائلة التي يزورها ابن أو بينت مريضة، فإنها تضعها وسط الحلقة، ويدور أعضاء الفرقة حولها أو حوله، وهم يؤدون أغانيهم، ثم بعد ذلك يطلقون على الولد أوالبنت ببنت سيدي بلال،وهي كلها تدل على أن هذا الولد أو البنت أصبح واحدا منهم، ويعتقدون أنه سيشفى بتلك الأذكار الدينية،وتقوم هذه الفرقة في تجوالها بجمع القمح

(1)الدندون:آلة تقليدية دائرية الشكل وضع عليها الجلد من جهتين،ويضرب عليها بعصا خاصة،

*القراقيب:هي عبارة عن صفائح نحاسية،ذات شكل خاص يتم العزف بها بضرب بعضها على بعض

(2) عاشور سرقمة:الرقصات الشعبية– ص33

(3) نفسه:ص47

4-الشعر الشعبي أو الملحون*:يطلق بعض الناس على الشعر الملحون اسم الأدب الشعبي أو الشعر الشعبي وكل الإطلاقين خطأ، يجب تصحيحه عند علماء هذا الفن، وإذا كان اسم الأدب الشعبي لا يصلح أن يطلق على الشعر الملحون بمقتضى هذا التعريف لأن وصف الشعر الشعبي يحدد الموضوع ويقصره على هذا الشعر المجهول المؤلف الذي توارثته الأجيال بالرواية الشفوية؛ أي الذي تغنى به الناس طويلا، وتناولته الرويات بالتبديل والتغير والتهذيب بما يناسب روح الشعب وفن الشعب، ويدخل في هذا الباب هذه الأغاني التي تسمع أحيانا ويرددها الناس،مثل الأغاني التي ترددها الأمهات لأطفالهن، ومثل بعض تعليلات الأعراس والختان(1).أما الشعر الملحون فهو أعم من الشعر الشعبي إذ يشمل كل شعر منظوم بالعامية سواء كان معروف المؤلف أو مجهول، وسواء روي أو من الكتب أو مشافهة،وسواء دخل في حياة الشعب، فأصبح ملكا للشعب،أو كان من شعر الخواص،وعليه فوصف الشعربالملحون أولى من وصفه بالعامي بسبب أنه قيل بلغة الدارجة،.أما وصفه بالعامي فقد ينصرف معنى هذه الكلمة إلى عامية لغته،وقد ينصرف إلى نسبته للعامية فقد كان وصفه بالملحون مبعدا له من هذه الاحتمالات(2).اختلف الأدباء والنقاد حول مفهوم الشعر الشعبي والملحون فهناك من يفضل تسمية الشعر الملحون عن الشعر الشعبي لعدة اعتبارات منها أنه غير مجهول

* الملحون:لهذه الكلمة دلالتين:الدلالة الأولى من فعل لحن بتشديد الحاء،يلحن ومعناه قيل لكي يغنى،ولحن يلحن بفتح الحاء ومعناه فقد قواعد الإعراب أي أنه نطق بكلام عامي أو بلغة عامية غير معربة،وتستعمل كلمة ملحون للدلالة على الشعر الذي لا يلتزم بقواعد اللغة الفصحى.ينظر إلى العربي دحو:الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى-ج1-المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر1989-ص25

(1) محمد المرزوقي:الأدب الشعبي في تونس -الدار التونسية -1967- ص51 -العربي دحو:الشعر الشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى-ج1-المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1989-ص25

(2) محمد المرزوقي:المرجع السابق -ص51- العربي دحو:المرجع نفسه -ص25- محمد كامل القدسي:أضواء على التراث الغنائي البدوي في الوطن العربي مقالة-مجلة الثقافة- العدد116الجزائر-1998-122

المؤلف والشعر الشعبي قد يكون مجهول المؤلف،بالإضافة إلى ذلك فالبيئة الأدبية بالمغرب تتماشى أكثر مع مصطلح الملحون من مصطلحي الشعبي أو العامي(1).وتستعمل كلمة ملحون للدلالة على الشعر الذي لا يلتزم بقواعد اللغة الفصحى، ويقال أن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين منذ عهد الرسول(صلع)(2).والمتأمل في مصطلح الملحون يعتقد أنه الشعر الذي ذكرفيه حياة الشعب،ولغة هذا الشعر ومشافهته،والخالي من القواعد الصرفية والنحوية،أو على عدم احترامها في أثناء الإلقاء والتلاوة أو عند كتابته،وهذا لا يمس القواعد النحوية والصرفية فحسب بل يمس اللغة بشكل عام،وهذا يعني أنه لوكانت المسألة هكذا لا نفي الاسم عن هذا الشعر،ويكون الشعراء المدرسيون في عداد الشعراء الشعبين،وهذا يؤدي إلى الخلط بين الشعبي والمدرسي(3)كذلك فإن قواعد اللغة الفصحى التي تؤدي إلى معان كثيرة منها النحوية والصرفية ورسم الكلمة ومنها تركيب الجملة تركيبا سليما في الشعر الفصيح فإنها منعدمة في الشعر الملحون.ويقول أحد الأدباء أن الشعر الملحون لا يحقق كل عناصر الشعبية المتوفرة في القصيدة الشعرية،كما أنه يطرح سؤالا من أين جاءت كلمة ملحون وما أصلها؟هل المقصود بها من فعل لحن بتشديد الحاء الذي أطلقه ابن خلدون يلحن ويغنى(4).أما مصطلح الشعبي فهو يختلف عن الملحون،فهناك من الأدباء من ينسبه إلى الشعب أي أن هذا اللون من الشعر هو ملك الشعب،ويرى هؤلاء الأدباء أن الذين تناولوا هذا الموضوع على التسميات التي أطلقوها على الشعر محاولين إبعاد صفة الشعبية عنه،ويذهب هؤلاء الأدباء في تصورهم أن اختلاف الدارسين يمكن إرجاعه إلى عدم تحديد مفهوم الشعبية في الأدب.

---

(1)د.عبدالله ركيبي:الشعر الديني الجزائري الحديث ط1الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر-1981-ص363

(2) نفسه:ص363

(3)العربي دحو:المرجع السابق — ص.ص25-26-محمد كامل القدسي:أضواء على الغناء البدوي-ص122

(4)نفسه:ص.ص26-27

ويقول عبد الحميد يونس "...إن الثقافة الجماهيرية بسفح الهرم،وعند القمة يوجد الأدب الرسمي،وعند القاعدة يوجد الأدب العامي،أما الأدب الشعبي فهو ذلك الذي يستطيع أن يتخلص من القمة هابطا ليملأ السفح كله،أو ذلك الذي يستطيع أن يرتقي من القاعدة صاعدا ومنتشرا على السفح بأكمله..."(1). ويبدو من قول عبدالحميد يونس أن صفة الشعبية معناها الشمولية في الشعر الشعبي أكثر من العامية،ومعنى هذا أن الأدب الشعبي هو في حقيقته فضائل من الأدب الرسمي أو الأدب العامي استطاع أن يحوز على صفات خاصة في ظروف بيئة معينة(2).إن قصائد الشعر الملحون أو الشعبي،كما يسميه البعض تجمع بداخلها بين قيم الشعب المتوارثة في سذاجتها،وأسلوب معايشته للحاضر وتطلعاته نحو المستقبل،وهي في نفس الوقت تعبر عن عادات وتقاليد المجتمع، بما تحتويه من آراء أخلاقية وفلسفية(3).وهذه القصائد والأغاني كما يسميها بعض الدارسين تتألف من كلام منظوم ومن لحن وموسيقى وإيقاع شعبي خاص،وهي تتشكل حسب ظروف ممارسته وحسب إيقاع الكف أو صوت آلات المصاحبة للأداء ولظروفه ومناسباته،وهي كثيرا ماتكون من نتاج جماعي لا يعرف قائله،وقد تكون لشاعر شعبي معين،يعبر عن نفسه أوعن روح شعبه.وفي ذلك يقول هردز**"إنني أرى أن الشعر عامة هو إنتاج شعبي يتطلب آذانا كثيرة لتسمع،وحناجر كثيرة لتردد،ولقد ظل الشعر يعيش في آذان الشعب وعلى شفاهة يحفظ الأحداث والأسرار والمعجزات والآيات..."**(4).

---

(1)ينظر إلى الهلالية–ص95

(2)العربي دحو:الشعر الشعبي ودوره في ثورة التحرير–ص25

(3)رابح بونار:المغرب العربي–ص249

(4) نفسه:ص249

4-1نشأة الشعر الشعبي أو الملحون:يعود تاريخ نشأة الشعر الشعبي إلى تاريخ ظهور الموشحات بالأندلس،وإلى تاريخ انتشار قصائد الشعر الشعبي في منتصف القرن الرابع الهجري.تسرب الشعر الشعبي إلى المغرب الأوسط(1).عبر شعراء بني هلال الذين رافقوا الحملات العسكرية التي زحفت على القيروان سنة442هـ،وإلى المغرب الأوسط سنة460هـ(2).ويقال أن التاريخ لم يترك أي أثر لشعر منظوم باللغة الدارجة أو نوع من الشعر الشعبي قبل منتصف القرن الخامس للهجرة أي قبل الزحفة الهلالية سنة 442هـ، وبالرغم من الاعتقاد أن لغة التخاطب في ذلك الوقت،قددخل عليها شيء من التحريف في الإعراب،واختلطت ببعض الألفاظ الدخيلة من البربرية، فإن الشعر العربي كانت نظمه مقصورة على الفصحى، وأن الأساليب والصور لم تتخط ماهو مستعمل في بغداد، واستمر ذلك حتى الزحفة الهلالية، وشعر بنوهلال لايختلف في الواقع عن الشعر الفصيح،فلغته عربية فصيحة اختلطت بشيء قليل من اللهجة الدارجة التي لا تعدو التحريف الجزئي للكلمة الفصيحة في النطق وفي الإعراب، أما موازين الشعر فبقيت هي نفسها الموازين المعروفة(3).وعندما ازداد عدد بنوهلال وتغلبوا على إفريقية،وانتشروا في أقاليمها عربوا سكانها،وذاب العنصر البربري الأصيل أو كاد في العنصر العربي، فسادت لغتهم وانتشر شعرهم، ولم يبق بعد نحو قرن من استقرارهم بإفريقية والمغرب الإسلامي،فانحصر الشعر الفصيح في الحواضر،حيث توجد الثقافة ودواليب الحكومة،وليس معنى هذا أن أولئك الأعراب كانوا لاينظمون الشعر الفصيح أو لا يفهمونه،بل المقصود أنهم ينظمون الشعر على طريقتهم المعروفة في أحيائهم(4).

(1) د.عبدالله الركيبي:المرجع السابق-ص363

(2)نفسه-ص363

(3) محمد المرزوقي:المرجع السابق-ص54

(4) نفسه:ص54

كما يجنح بعض شيوخهم إلى النظم باللغة الفصحى،عندما يضطر لمخاطبة رجال الحكومة أو المثقفين.والشعر الشعبي أو الملحون البدوي فهو غني بالصور الشعرية الرائعة؛ لأن المقصود من نظمه هو تلك الصور المعينة والموازين المنغمة فيه أمر ثانوي عند الشاعر، ويمتاز الشعر البدوي خصوصا في الجهات التي يسكنها أحفاد هلال وسليم بمحافظته على الصور الشعرية المعروفة في الشعر العربي القديم خاصة الشعر الجاهلي، حيث لايمكن التمييز بين صور شعر بني هلال،والشعر الجاهلي في وصف الفرس والجمل والمطر،وبين ماجاء به أمرؤ القيس في هذه المواضيع بالذات(1).ويظهر أن لتوافق المناخ الذي عاش فيه القدماء والمحدثون واستمرار الحفاظ على العادات والتقاليد دخلا كبيرا في هذه الظاهرة الشعرية،فمناخ الجنوب مثلا يقارب مناخ الجزيرة العربية والطبيعة والأشجار متماثلة، والعادات والتقاليد(2).لم يهتم بالشعر الهلالي أحد من المتقدمين سوى عبد الرحمن ابن خلدون الذي تحدث عن بني هلال وأهمية أدبهم، وقد عنى بالحديث عن شعرهم حيث جاء في قوله أن عرب بني هلال الذين عاصروه في القرن الثامن الهجري،والذين يسميهم بالمستعجمين عن لغة سلفهم من مضر"...كانوا يقرضون الشعر في عهده، وكان شعرهم يتميز بجميع العروض مثل ما كان عليه أسلافهم المستعربون ويأتون بالقصائد الطويلة التي تشتمل على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء، ويستطردون في الخروج من فن إلى فن في الكلام.وربما هجموا على المقصود لأول كلامهم وكان يبدأون في قصائدهم باسم الشاعر،وكان أهل مدن المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالأصمعيات نسبة إلى الأصمعي رواية العرب في أشعارهم..." (3).

(1) محمد المرزوقي:المرجع السابق ـــ ص 59

(2) نفسه:ص59

(3)ينظرإلى:العبر–ج6–ص51–رابح بونار:المغرب العربي–ص249

4-1-1موازين الشعر الشعبي أو الملحون:لم تختلف موازين شعربني هلال عن الشعر القديم، وهو في الواقع الحلقة التي تصل بين الشعر الفصيح والشعر الشعبي الحديث لا في لغته وصوره فقط، بل حتى في ميزانه أحيانا، وشعربنو هلال يقارب ميزانه ميزان نوع من القسيم المثنى المتركب من غصين الموجود في الشعر اليوم(1).ومن أمثلة القسيم المثنى عند بني هلال الأوائل، قول خالد بن حمزة الكعوب من أولاد أبي الليل في القرن الثامن الهجري يقول(2):

وذا قول المصاب الـذي نشا قوارع قيعان يعاني صعابها
يريح بها حادي المصاب إذا انتقى فنونا من انشاء القواني عرابها

والتغير الذي أدخله بنوهلال على الشعر في ألفاظه وإعرابه استمر متدرجا مع العصور، ومع تقادم العهد بالعربية الأولى،واختلاط اللهجات وانتشار الجهل والأمية وتقلص الثقافة،إلى أن وصل إلى ما هو معروف اليوم من تغيير كامل في موازينه وألفاظه، حتى بعُدتماما في موازينه بإبعاد اللهجة الحديثة عن اللهجة العربية الفصيحة وهنا أقول اللهجة، ولا أقول الألفاظ؛ لأن أغلبها عربي باق على أصله،ولولا أنه غير معرب،ويظهر أن تطور الموازين كان بطيئا، فمن القسيم البسيط المأخوذ من موازين الإعراب الأول، تفرعت أنواع جديدة من القسيم كلٌّ نوع له ميزان خاص، ثم ازداد التطور فدخلت الملزومة، وهذه تفرعت إلى موازين مختلفة والظاهر أن الملزومة والمسدس والسوقة التي تشبه في هياكلها الموشحات والأزجال الأندلسية من طوالع وأدوار ومكبات ترجع إلى الموشحات والأزجال التي جلبها الأندلسيون(3).

(1)رابح بونار:المغرب العربي-ص249
(2) محمد المرزوقي:المرجع السابق – ص 57
(3) نفسه:ص57

4-3الشعر الشعبي أو الملحون عند بني عامروحميان:إذا كان بنوعامر وحميان ينتسبون إلى بني هلال*،فقد اكتفيت بما أورده ابن خلدون عن بني هلال من قصائد ومقطوعات قليلة يعود تاريخ بعضها إلى منتصف ق5هـ و8هـ كالأبيات الثلاثة التي وصف فيها الشاعر الهلالي انتصارات بني هلال على المعز بن باديس سنة449هـ وهي(1):

لقد زار وهنا من أميم خيال وأيدي المطايا بالزميل عجال

وأن ابن باديس لأفضل مالك لعمري ولكن مالديه رجال

ثلاثون ألفا قد هزمتهم ثلاثة آلاف وذال ضلال

يبدو أن الشاعر في هذه الأبيات يفتخر بقومه بني هلال الذين حققوا انتصارا عسكريا على المعز بن باديس وجيشه الذي كان يفوق جيش بني هلال عددا وعدة، وتبدو أفكار النص واضحة ميسورة الفهم فلا تعقيد ولا غموض فيها،ويلاحظ أن أفكار النص شديدة الترابط،أما من حيث العمق فالأفكار عميقة لتشخيصها الحالة النفسية لهذا الشاعر الذي يعيش في مجتمع معجب به ومفتخربه.يلاحظ أن العاطفة في القصيدة عبارة عن افتخار واعتزاز برجال بني هلال،والقارئ يتجاوب مع الشاعر في افتخاره،فالعاطفة إذن قوية وصادقة؛ لأن الشاعر استطاع أن ينقل إلى المتلقي تجربة حياته مع قبائل بني هلال،وسبيله إلى ذلك التعبير البسيط والصورة الجمالية أما أسلوب الشاعر ذو تعابير وألفاظ بسيطة حيث يلاحظ أنه انتقى ألفاظا موجبة عن العامة.فالشاعر كان واقعيا في نقل الصورة

*تتنوع قصائد الشعر الشعبي عند بني عامر وحميان منها القصائد الدينية كمدح الرسول(صلع)، والغزل والرثاء وغيرها وكان بنوعامروحميان يقرضون الشعر الملحون،مثل مصطفى بن إبراهيم الذي ينتسب إلى بني عامر الذي نظم قصيدة بفاس وكان عنوانها ماشين خبر ادركني.وقُسمت القصيدة إلى هدة وفراش،وربما يعود التقسيم إلى طبيعة موازين الشعر الملحون. أمارمضان بن عاشور،الذي ينتسب إلى حميان الذي نظم قصيدتين عنوانها عكاضية النعامة وأخرى عن حميان(ينظر الملاحق ص)

(1)ينظر إلى العبر:ج6-ص14

الاجتماعية لقبيلته ويبدو أن الشاعر في هذه الأبيات يرسم لوحة فنية عن قـــوة قومـــه. بالإضافة إلى الزخرف اللفظي،أما الأسلوب الخبري فهو الغالب على النص يلائم السرد وغرضه البلاغي إبداء الفخر والعزة.أما الأسلوب الإنشائي فورد في الأبيات وغرضـــه الإعجاب بالقوم،ويبدو أن الشاعر لم يهتم بالقافية ولم يتقيد بها وهذا كثيرا ما يوجـــد في الشعر الملحون،يلاحظ كذلك أن الشاعر حر التفكير متأملا فيما حولـــه مـــن قبيلتـــه، وتظهر في النص قيم اجتماعية،والرمز بها إلى العناية بالفكرة أكثر من العناية بالأسلوب.

ومن قصائد العتاب،ماجاء عن شبل يعاتب إخوانه على موالاة شيخ ابن تافراكين القرن الثامن الهجري بقوله(1):

يقول بلا جهل فتى الجود خالد		مقالة قوال وقال صـــــواب

مقالة حيران بذهني ولم يكـــن		هريجا ولا فيما يقول ذهاب

فإن نظم الشعر الشعبي أو الملحون وصوره الشاعرية لم تخرج عن شعر بني عامر وحميان الذي ورثوه عن أجدادهم بني هلال،خاصة وأن حميان كانوا أكثر بطـــون بـــني زغبـــة ناجعة،ولم يكونوا حلولا كما أشار إلى ذلك ابن خلدون(1)،وبقوا محافظين على تقاليـــد وعادات أسلافهم.وحتى البيئة الطبيعية والمناخية التي كان يعيش فيها بنوعامروبنوحميـــان في القرن الثامن الهجري هي نفس البيئة الطبيعية والمناخية التي عاشها أسلافهم في شـــبه الجزيرة العربية وقال أحد شعراء وهو من رؤساء بني عامر وهو علي بن عمربن إبراهيم المعاصرين لابن خلدون في القرن الثامن الهجري

ا-قصيدة في الغزل:

معبرة كالدر في يـــــــــد صانع		إذا كان في سلك الحرير نظام

أباحها منها فيه أسباب ما مضى		وشاء تبارك والظعون تســـام

(1)العبر:ج6-ص41-رابح بونار:المغرب العربي-ص134

غدا منه لام الحي حيين وانشطت | عصاها ولا صبنا عليه حكام
ولكن ضميري يوم بان بهم لنا | تبرم على شوك القتاد برام
وإلا كأبراص التهامي قوادم | وعين عواج الكانفات ضرام
وإلا لكان القلب في يد قابض | أتاهم بمنشار القطيع غشام
لما قلت سما من شقا البين زارني | إذ كـان ينـادي بـالفراق
وخاملا ياربوع كان بالأمس عامرا | بيحيى وحله والقطين لمام
وغيد تداني للخطر في ملاعب | دجى الليل منهم ساهرا ونيام
ونعم بشوق الناظرين التحامها | لنا مابدا من مهرق وكظام
واليوم مافيها سوى البوم حولها | ينوم على أطلالها ونيام
وقفنا بها طورا نسائلها | بعين سخنا والدموع سجام(1)

ب-تحليل قصيدة علي بن عمر بن إبراهيم من رؤساء بني عامر

القصيدة شكل شعري عالي التركيزوالإيحاء،بلورته العبقرية،إنها تجسد نفاذا مباشرا وحدسيا في الطبيعة والحياة مدهشا بسيطا ومعقدا في ان واحد؛لأنها تعبير عن معاناة الإنسان في طبيعته وميله،في انتمائه وشعوره إنه حقيقة يحياها في كيانه،الام دفينة وحرقة عميقة يعيش الشاعر نارها أُوارُ حين ينطلق في التغزل والانغماس في الاخر،ليصورمكابدته الحسية حين يرسم شكل محبوبته بإزميل فنان عبقري،كأنها قطعة ماس من الدر في يد صانع،أحس رسم ونسج تقاسيمها خيوط حريرية محكمة.كالدرفي يد صانع إذا كان في سلك الحرير نظام.كل الظنون فيها لا تطاق؛لأن الذي هوت نفسه لايقوى إلاَ على ارتضاء الاخر نفسا زكية عالية الهمة وراح يلوم كل من ظلم بشطط وظلم حسنها الفتان لم يعترف بالصبابة والاحتكام إلى اللوم عسى يكسب مودة

(1)ينظر إلى العبر:ج6-ط بيروت-1959-ص51-رابح بونار:المغرب العربي-ص134

الحبيب "غدا منه لام الحي حيين وانشطت"فالحياة في الحبيب حياتين للرضى والأخرى للغضب الذي يمثل البين والفراق ليحل الترجي والحنين بين نفسين،إذا الفراق بين الطرفين نار والفراق شوك يخرج الفؤاد"لكن ضميري يوم بان بهم لنا" فتغدو النفس سقيمة ومريضة من اللوعة والإشتياق،تبرم على شوك القناد برام،لينجلي القلب منقبضا تقطعا من شدة الوجد والهيام.

"أتاهم بمنشار القطيع غشام" وقدشقي من عاش الفراق بينه وبين من ألفت روحه وقد عاش العربي منذ جاهليته الأولى ومن أكبرالفحول معاناة الهوى،وويل الجوى،فيروح كل يبكي ليلاه على سبيل المستيمز،فما مناجاة ونداء الفراق إلا سبيل اخر يريده الشاعر للاجتماع بمحبوته ويقال:بأضدادها تتمايز الأشياء.

"قلت لما شقا البيبن زارني" إذا كان ينادي بالفراق وخام،والفراق زيادة للشوق بين زوجين فيهما عفة الوقار وقداسة الأشجان التي تجعل الربع والمكان خالي،وإن كان مملوءا بالناس والحبيب غائب والحبيب كل الناس.

"ألا يربوع كان بالأسيس عامرا"فالمشتاق الذي فتت أكباده الجوى يرى كل موطن خال من الحبيب خواء،وإن بدا عامرا بالناس،وإن كانت الحياة فيها متوفرة بأشكال دانية "بيحي وحلة والقطن لمام"وتسمو الروح بتباريح الغرام في شطحات العسق الأبدي حين تنادي المرأة وهي الكتمة غير المعلنة بمكونات نفسها فإن اقتربت ودنت من الذي فارق النوم أجفان عيونه كانت لبدنه علاجا ولقلبه دواء،فأذهبت عنه الاسقام والعلل ودواته واستطب من كل العلل.

وغيد تداني للخطر في ملاعب دجى الليل منهم ساهرا ونيام

يسعد ويفرح الملهوف إذا لقي الاستجابة بالشوق بعد النأي والفراق كطالب الماء في الصحراء أوشك الظمأ ان يهلكه،وفجأة يظهرله الماء دان وعلى مقربة منه.

"ونعم بشوق للناظرين التحامها"فالنجاة بعد أن كان الهلاك على وشك دعوة للتفاؤل والرضى والسؤدد،وما أطيب العيش بفسحة الأمل،وما أضيق العيش حين لا يلفى المحب إستجابة.**"لنا مابدا من مهرق وكظام"**فيستحدي كل السبيل ويطلب كل المساعي،وحين لا يقوى يستكين إلى الصبر والسلوى ودفع النفس إلى الرضى والقناعة بالحال التي يجدها واقعيا،فلا الأحلام تجدي ولا الأوهام تداوي إنما مواجهة الواقع،وتحمل المصاعب والفراق بكل أناة وإن خلت الديار من الأحبة ولم يبق إلا البوم دليل التشاؤم.

واليوم مافيها سوى البوم حولها   ينوم على أطلالها ونيام

لعل الديار والاثار تشفع للمحب بالتذكر والخوف،واحتباس الأنفاس عند الذكريات عمرثان يعيشها المشتاق حين يتذكر الأيام الخوالي والسنون التوالي فلايجد لنفسه غيرالدموع أنيسا والصبر رفيقا واللوعة صاحبا.

"وقفنا بها طورا نسائلها"والوقوف على الأطلال هو إحياء وتجديد للذكريات يعيشها الشاعر في صفاء،وطهر ليذكر الحبيبة بالمكان الذي كان في الماضي عامرا وصار خلوا منها،فيذرف لها دموعا مغزار ويتشقق القلب علة وتسقما،ويصير المكان موحشا مخيفا ويفرغ الشاعر من لحظة الذكريات ليواجهه واقعه المر،هناك يدرك أن كان يعيش طفولته المنقضية وأزمته الغابرة،فلا يمضي إلا على أشجان تحرق النفوس الزكية التي تقبل المعاناة والألم من أجل الحبيب،ويشقى الشاعر من لحظة الدفق الشعري حين يدرك أنه كان يعيش الوهم،وكان حبه سرابا سرعان ما تلاشى.وتعكس هذه القصيدة الشعرية وهي من نوع الغزل الواقع الذي كان يعيشه العامري والحمياني ويلاحظ أن هذه القصيدة الشعرية في ألفاظها وقوة أسلوبها هي أقرب إلى الشعرالفصيح منها إلى الشعر الشعبي.

4-**الحكاية الشعبية**:مصطلح الحكاية الشعبية جديد لا بالقياس إلى الأدب العربي وحده،ولكن بالقياس إلى الآداب العالمية أيضا،ذلك لأن السرد القصصي بالشعبية إنما كان استجابة مباشرة للإحساس بالحاجة إلى ضرب من التمييز بين إطار قصصي أدبي وآخر يتسم بالحرية والمرونة ومسايرة العقول والأمزجة والمواقف(1)،والحكاية بهذا المفهوم تستوعب أنماطا وأنواعا متفاوتة،وتستهدف وظائف متنوعة،وهي عبارة يغلب عليها الشمول وتعوزها باعتراف العلماء المتخصصين في المأثورات الشعبية الدقة والتحديد،هكذا يكون اصطلاح الحكاية الشعبية فضفاضا يستوعب ذلك الحشد الهائل من السرد القصصي الذي تراكم عبر الأجيال(2)،والذي حقق بوساطته الإنسان كثيرا من مواقفه ورسب الجانب الكبير من معارفه،وليس وقفا على جماعة دون أخرى،ولا يغلب على عصر دون عصر آخر.ولقد اثر العلماء هذا المصطلح لشموله واتساعه ومرونته وبخاصة لأن الإبداع الشعبي قلما يخضع للأحكام في الشكل والحرفية والاتجاه،ومن الخير تبعا لذلك أن يتم التمييز بين الحكاية الشعبية من غيرها.

4-1**تعريفها لغة**:الحكاية من فعل حكى يحاكي ومنها المحاكاة والتقليد ومجاراة الواقع،والنسج على منواله فضاءا خياليا يقتنع البعض بوقوعه وحدوثه(3).

4-2**تعريفها إصطلاحا:** الحكاية هي محاولة استرجاع أحداث بطريقة خاصة ممزوجا بعناصر كالخيال والخوارق والعجائب ذات طابع جمالي،يؤثر نفسيا واجتماعيا وثقافيا فالحكاية الشعبية هي وصف لواقعة خيالية أو شبه واقعية أو واقعية أبدعها الشعب(4).

---

(1)عبدالرحمن عبدالخالق:الحكاية الشعبية في اليمن بين التوثيق والدراسة-من موقع أنترنيت:http://www.Yemenitta.com/conte.htm p01.من 06صفحات.

(2) نفسه:ص01

(3)د.محمد سعيدي:أشكال التعبير في الأدب الشعبي-ص133

(4)نفسه:ص133

في ظروف حياته،ثم سجلها في ذاكرته،ورواها أفراده لبعضهم البعض بمرور الأيام وتوارثوها فيما بينهم عن طريق المشافهة من أجل المتعة والتسلية(1).أو هي تلك الحكاية التي تناقلها الناس عن طريق الرواية الشفوية منذ القدم،ويلعب الخيال الشعبي دورا كبيرا في صياغتها،وفي تأطير بعض الأحداث التاريخية والشخصيات بالمبالغة والغرائبية،وتقف الحكاية الشعبية عند حدود الحياة اليومية والأمور الدنيوية العادية،ذلك كمكر النساء ومكائد زوجات الرجل الواحد،وقسوة زوجة الأب على الطفلة المسكينة التي تتدخل العناية الإلهية لإنقاذها وتتداخل الحدود بين الخرافة والحكاية الشعبية(2).وقد عرفت نبيلة إبراهيم "...**الحكاية الشعبية بأنها الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر، وهي إبداع حر للخيال الشعبي ينتجه حول حوادث مهمة وشخوص ومواقع تاريخية...أو هي حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة،وهي تتطور مع العصر،وتتداول شفاها كما أنها قد تحضى بالحوادث التاريخية أوالعرف،أو الأبطال الذين يصنعون التاريخ...**"(3).

4-3تعريف الحكاية الخرافية: فالخرافة هي في حد ذاتها حكاية،ومصطلح الخرافة فهي من أصل خرف أي فساد العقل من الكبر،وقد خرف الرجل بالكسر ويخرف خرفا فمعناه فسد عقله من الكبر،وهو الحديث المستلمح من الكذب(4)،ويقوم هيكل الحكاية الخرافية الدلالي والشكلي على عنصر الخوارق،وعالمها سحري وعجيب،أبطالها في صراع دائم مع الغول والجن(5)،إن الحكاية الخرافية هي تجربة وقعت لبطل.

(1)د.محمد سعيدي:الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق -ص60

(2)نفسه:ص63

(3)نفسه:ص.ص56-58

(4) عبدالرحمن عبدالخالق:المرجع السابق-ص01من 06صفحات

(5)د.محمد سعيدي:الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق-ص63

وبعد سلسلة من المغامرات والمخاطر أن تلعب فيها الخوارق دورا بارزا وتترجم هذا الدور من خلال حركة الجن والغول والمغامرات والوديان والحيوان المفترس منه إن فضاء الحكاية الخرافية فضاء عجيب وغريب(1).

4-خصائصها:الحكاية الشعبية عريقة أي أنها ليست من ابتكار لحظة معروفة أو موقف معروف،أنها تنتقل من شخص إلى آخر بحرية ولايزعم أحد أن الفضل يعود إليه وحده في أصالتها،ويكون هذا الانتقال في الغالب الأعم عن طريق الرواية الشفاهية، فهي تسمع وتردد بقدر ما تسعف ذاكرة الراوي،وربما يحكيها كما سمعها،كما أنها تتسم بالمرونة التي تجعلها قابلة للتطور،بحيث يضاف إليها أو يحذف منها أو يعدل عباراتها ومضامينها وعلاقتها على لسان الراوي الجديد تبعا لمزاجه أوموقفه أو ظروف بيئته الاجتماعية،والمعول في جميع الأحوال إنما يرتكز على وظيفة الحكاية الشعبية فهي الأساس الذي يتحكم في الثبات أو الصيرورة أو الحذف أو الإضافة أو التعديل(2).وقد يكون الانتقال أدبيا خالصا،وذلك إذا كان الأصل في الحكاية التدوين من ناحية وتحقيق عبقرية مفردة لأديب معروف من ناحية أخرى(3).وكثيرا ما يوجد في دواوين الأدب الجامعة لذخائره وأعلاقه يكررها مؤلف عن مؤلف سابق عليه ويحكم عليها مع ذلك بأنها شعبية، والعلماء يتفقون أو يكادون على أن نسبة الحكاية إلى هذا المؤلف أو ذاك لا تعني شيئا بالنسبة لشعبيتها، لأن الفيصل في ذلك إنما يقوم على استقبال الطبقات الشعبية لها وترديدها إياها،وبذلك تخرج من جمود التدوين ومن طابع العبقرية الذاتية إلى التنقل الحر المتسم بالمرونة،وقد تحتفظ بمحورها الرئيسي وبملامح شخوصها(4).

(1)د.محمدسعيدي:الأدب الشعبي-ص63

(2) د.نبيلة إبراهيم:قصصنا الشعبية من الرومانسية إلى الواقعية-ط1-دارالعودة-بيروت-1974

(3)عبدالرحمن عبدالخالق:المرجع السابق-ص2

(4)نفسه:ص2

ولكنها مع ذلك تكتسب معظم الخصائص التي تسلكها مع قرينالها الشعبيات،وعلى الرغم من الانتباه إلى هذه الخصائص التي تميز الحكاية الشعبية،فإنه يلاحظ أن مجالها قديم وشامل(1).فقد دلت جميع الدراسات المتخصصة في الجماعات البدائية على كثرتها وتنوعها،على أن الناس في كل مكان، مهما تنوعت أنماط ثقافاتهم يسردون الحكايات، وإن تفاوتت هذه الحكايات كما ونوعا بين مختلف الجماعات الإنسانية(2).والواقع أن الأشكال الرئيسية للحكايات الشعبية عالمية،ومن الميسور أن يلاحظ الدارسون التشابة القوي بين المحاور الرئيسية وبين الشخوص وبين الوظائف في حكايات مختلف الثقافات من الإنسان البدائي الذي كان يجمع الطعام أو الذي كان يعيش على فنن الأشجار إلى الفلاح المستقر(3).تتقاطع الحكاية الشعبية مع أشكال التعبير الأدبي الشعبي الأخرى مع المثل الشعبي والغز والنكتة،ولذا تتنوع الحكاية الشعبية إلى الحكاية المثلية وتتميز بنهاية نصوصها بمثل أو عبرة أساسية أراد المبدع الشعبي نشرها بين الناس،أما الحكاية اللغزية فهي الحكاية التي تقوم مضامينها على قاعدة لغزية تساؤلية تبتدئ بطرح لغز على البطل ويطلب منه البحث عن الحل والجواب الصحيح(4)كل شيء فيه حي يتحرك فضاء العلاقات المستحيلة والمتناقضة أحيانا والمنسجمة أحيانا أخرى بين البشر فيما بينهم وبين الحيوان والطبيعة(5).وتأتي الحكاية الخرافية في الإطار نفسه وإن تميزت عن الحكاية الشعبية بأن أبطالها هم من البشر أو الجن(6).

---

(1)د.محمد سعيدي:الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق-ص.ص55-58

(2) ينظر إلى:أشكال التعبير في الأدب الشعبي-ط3-دارالمعارف-القاهرة-1981-ص133

(3)التلي بن الشيخ:المرجع السابق-ص132

(4)د.محمدسعيدي:الأدب الشعبي-ص57

(5)نفسه:ص57

(6)نفسه:58

4-8الحكاية الشعبية عند بني عامروحميان:كان الفتيان والفتيات الصغيرات يلتفون حول الجد أوالجدة ليلا وبعدالانتهاء من العمل الشاق للاستمتاع بالحكاية،وكانت الحكاية قديما من الوسائل الهامة للتسلية في مجتمع الدراسة حين كانت وسائل التسلية والترفيه غيرمعروفة لهم وبعيدة عن إمكانياتهم البدائية البسيطة(1)،وكانت هذه الحكايات ترويها السيدات الكبار للأطفال،أما الرجال في البادية لم تكن أحاديثهم وسمرهم إلا عن بطولات القبيلة وانتصارها،وكم تغلبت على مرالزمان والافتخار بماضيهم أوحاضرهم(2)لقد ذكر ضباط مكاتب الشؤون العربية أن منطقة حميان كانت تزخر بالأدب الشعبي من مرويات خيالية وقصائد شعرية عجيبة،وكان الراوي يتميز بسمعة طيبة.ويملك شهرة بين قبائل المنطقة،وكانت تستقبله بحفاوة بالغة وكانت الحفلة تقام في خيام العشائر،وكان القوال يجلس في حلقات يستمع لرواياته جميع أفراد لأسرة، والتي تبيح للرجال باستخدام الخيال دائما،وذلك من خلال المعجزات المذهلة(1)كانت قبيلة حميان وبني عامر تروي حكايات شعبية،ربما انتقلت جيلا عن جيل عن طريق الرواية الشفاهية،مما جعل هذا التراث يتعرض للنسيان،فماهي أنواع الحكايات الشعبية المتداولة عند حميان وبني عامر؟فالكحايات الشعبية الأكثر ذيوعا وشيوعا،والمتواترة بين أفراد قبيلة حميان وبني عامر حكاية بنت الخص و الشيخ ذياب،وجحا والحكاية الخرافية الغول والغولة،وقصص الحيوانات كقصة الذيب والقنفود،وربما انتقلت نصوص هذه الحكايات عبر التنقل والترحال،وربما عن طريق التفاعل الاجتماعي الذي كان يتم بين أفراد قبيلة بني عامر وحميان والقبائل الأخرى خلال فترة التنقل والترحال.

---

(1)دة.سهير عبدالعزيز:الامرجع السابق-ص252

(2)نفسه:252

(3) E.Daumas:Moeursetcoutumesdel'algérie traductionaDgeghloul.sindbad paris 1988.p193Jaquot Félix:op.cit.p112

وقيل أن المنطقة كانت ثرية بالحكاية الشعبية خاصة وأن الحياة الاجتماعية في البداوة كانت تتطلب ذلك في وقت الفراغ.

4-8قصة بنت الخص:قالت بنت الخص لولدها في البيع والشرى زيد الدراهم،وخلي الدراهم قال ليها ياما:واش هذي* زيد الدراهم،وخلي الدراهم،قالت له:إذا عجبتك حاجة زيد فيها الدراهم واشريها وإذا بغيت* تبيع حاجة،خلي منها الدراهم،وهنى* منها قالت بنت الخص:نوصي ولدي على الصلاة والدين،لخطرش الصلاة عمود الدين وتوصي ولدي كي تتوض الصباح افطر،واذا عرضوك ما تسخف*ولزعكوك* ماتترفش*.لقد استخدم الراوي أسلوبا بسيطا،وتعبيرا سهلا بلغته الدراجة المحلية حتى يفهمه السامع،ويبدوأن القصاص تعمد جهل المكان والزمان،ولكن القصة تناولت اسم امرأة يعتقد صاحبها أنها معروفة.في سيرة بني هلال مما يبين أن قبيلة لاتزال مرتبطة بتراث أجدادهم بني هلال،وحتى ولو أن القصة الشعبية عرفت نوعا من التحريف،إلا أن القصاص يبرز ذكاء المرأة الهلالية،والنصائح التي كانت تقدمها لابنها،عن كيفية تسيير شؤونه خاصة اذا تعلق الأمر بمسألة البيع والشراء،وكذلك التأكيد على التمسك بالدين والعقيدة،وتناولت القصة الشعبية أيضا نصيحة تحثه على كيفية توطيدالعلاقات مع الغير.

4-9 تحليل نص الحكاية الشعبية الأولى بنت الخص:يلاحظ أن الراوي بدأ الحكاية الشعبية في شكل ألغاز وتم حل هذه الألغاز في سياق نص الحكاية، يبدو أن هذه

---

*واش هذي:أي ما معنى عبارة زيد...الخ.

*اذابغيت:إذا أردت

*هنى:استريح.

*زعكوك:طردوك.

*ماتسخف:لاتطمع

*تترفش:معناه تجنب الغضب

الحكاية قصيرة تناولت بعض التجارب التي يجب على الرجل خاصة أن يتفادها في حياته لأن الحكاية تبين أن بنت الخص كإمرأة كانت تتصف ببعض المميزات،أفضل من بعض الذين يزعمون أنهم رجال ومن بين أنصاف الرجال التي تعتبر بنت الخص نفسها أحسن منهم حالا.الرجل الذي يجاور عائلة زوجته ودلالة هذا الكلام أن الرجل الذي يجاور أب زوجته وإخوتها فهو معرض للإهانة والشتم إذا صدر خطأ منه اتجاه زوجته،أوربما تستغله عائلة زوجته لغرض ما أو تحتقره،وتحط من قيمته.وتقول بنت الخص أيضا أنها أفضل من يأتمن في الذي يطلب منه شيئا ما،ولكنها تشبه أي بنت الخص من يعمل الخير،ويجده عند الشدة،وهي أفضل من شخص كسول خامل،لا يعمل والناس من حوله في حيوية ونشاط دؤوب،وأحسن من المريض طريح الفراش،وأحسن من رجل ديوث،وشخص يجرلباسه مع الأرض،وتقول كذلك أنها أفضل من لايفي بالعهد من البخيل،ومن لا يزوج ابنته وهي بالغة سن الزواج،وأفضل من رجل طلبت منه زوجته التطليق ولم يطلق معها حتى أواني البيت ومنها المعلقة التي تأكل بها.ويلاحظ أن القصة انتهت بنصيحة وجهتها بنت الخص لإبنها،تحذرمن السير عندما يكون مع جماعة،أن لا يمشي في مؤخرة الجماعة ولا في مقدمتها؛لأنه يتعرض للمخاطر والهلاك،وعليه أن يطبق مقولة خير الأمور أوسطها.يبدوأن القصة الأولى والثانية عن بنت الخص أنها امرأة تمتاز بالذكاء والحكمة وتشترك القصة الأولى مع الثانية أن شخصيات القصة تتمثل في بنت الخص وابنها وتحتوي كل قصة على نصائح موجهة لابنها بمنطقة بني عامروحميان وكانت تتميز بالحكمة في شكل ألغاز شعبية ومن بين هذه الحكم أي يتأقلم ويتكيف مع كل الظروف لكي يعرف كيف يواجه الحياة الصعبة،يبدو أن قصة بنت الخص من خلال الراوي أنها عبارة عن ألغاز موجهة لابنها،تريد من خلالها اختبار ذكاء ابنها وفي الوقت نفسه تقديم نصائح وتوجيهات لابنها من أجل مواجهة الحياة،ويلاحظ أن القصة الأولى اقتصرت على تقديم توجيهات حول مسألة البيع والشراء.

1-2قصة بنت الخص:تقول بنت الخص أنا خيرمن ثلاثة في ثلاثة،أنا خير من جاور نسيبه،وأنا خير من يتامن في طليبه،ولي يدير الخير ويصيبه،تقول بنت الخص أنا خير من لي راقد والناس قعود،وخير من الممدود* على عمود،وتقول أنا خيرمن مغلوب امراته وجاركساته،وخيرمن يقول كلمة ومن لاوفاهاوخيرمن دار قصعة ولا ملاها وخير من لي كبرت بنتها ولا عطاها،وخيرمن الرجل لي قالت له امراته طلقني وماطلقش المغارف* معها وتقول بنت الخص لولدها لاتجي في الشاو* تتصدع ولا تجي في لعقاب* تتقطع.

1-3 قصة بنت الخص*:تقول بنت الخص ولدي ينحنى وينثنى،جوع وكول العسل خيارالاسم الرسول وخيار اللبسة سهول وخيار الماكلة جوع وكول،ولدي ما يرقد ليلة يخاف ولايرقد ليلة الضياف واصبر نهاروااصبرشهر،وأصبر يوم واصبر الدهر.يبدو أن نص القصة أو الحكاية الشعبية هو عبارة عن مجموعة من الألغاز وبالتالي فهي تصنف من الحكايات الشعبية اللغزية،ويلاحظ أن صاحب هذاالحكاية أراد أن يبين أن بنت الخص كانت أقوالها هي جملة من الألغاز والحكاية اللغزية كثيرا ماتقوم نصوصها على قاعدة لغزية تساؤلية تبتديء بطرح لغز على البطل ويطلب منه البحث عن سؤال، أما الإجابة عن هذه التساؤلات الموجودة في نص قصة بنت الخص.يعتقد صاحب الحكاية الشعبيةأن بنت الخص عاشت في منطقة الشط الشرقي وكانت في نظره تتميز بالحكمة،فالإجابة عن معنى ولدي ينحنى وينثنى، أي يتكيف مع جميع الأوضاع،ولغز جوع وكول بالعسل معناه أن الجوع يجعل الأكل لذيذا ولغز خيار الاسم الرسول وخيار اللبسة سهول،

*المغارف:وهي المعالق التي تستعمل في الأكل, وكانت المعالق تصنع من الخشب

*الشاو:معناها المقدمة.

*لعقاب:معناها المؤخرة،تستخدم هذه الكلمات أثناء رعي الغنم.

*ماتترفش:لا تجوع

*الممدود: الشخص المريض غيرالقادر على الحركة

وخيار الماكلة جوع وكول،ومعناها أي اسم من أسماء الرسل فهو جميل،واللباس سهل يستر العورة ويراعي ما يناسب المناخ،أم الأكل عندما تجوع يصبح لذيذا ولغز ولدي ما يرقد ليلة،فالخوف من الغارات لا يترك الإنسان ينام،ولا يمكن أن ينام لأن للضيوف قيمة،ولغز أصبر نهار إلى آخر اللغز،وعندما رأى ولدها أن نص أخذ شكل القصة،قال لها أرجو تفسيره وتوضيحه فقالت له:صبر نهار ليوم البارود،وأن تثبت في ساحة الوغى،ولا تهرب أو تستسلم واصبر شهر لرفيق السفر؛لأن السفر يجعل صاحبه يقف على حقيقة رفيقه،واصبرعام لراعي الغنم؛لأن الراعي عادة ما يتفق مع صاحب الغنم سنة كاملة،والذي بإمكانه أن يجدد العقد ويواصل العمل أويتوقف،واصبر الدهر معناه أن تصبر لمشاكل العائلة ومتطلباتها اليومية.

<u>1-2 قصة الشيخ ذياب بن غانم</u>:كان الشيخ ذياب شيخ قوم وكان من الصباح لصباح يطل على الخيل واحد المرة شاف الخيل شباع ومرقدة ومن بعد شاف واحد الجدعة نقزت سبع عودات راقدات،وماهيش له نتاع واحد ذمي،واليوم لآخر كي جا في الصباح لقاها راقدة،وشافها تتنفس وتضرب في الزرع تديه وتجيبه،وفي الصباح لآخر قال ليهم الشيخ ذياب بن غانم الرحلة ولا المقام،ومشى اضرب لذيك الجدعة إبرة في الركبة وصبحت حابسة.والمرحول ارحل،الذمي قعد يدبب* في الجدعة مابغتش تمشي له، قال الشيخ ذياب للذمي واش باغي ديرها،قال لها تبيع لي الجدعة وتتهنى منها.

قال الذمي للشيخ ذياب تسومني فيها،قال الذمي* للشيخ ذياب اعطيني فيها ستين ناقة فيها عشرة حمر.

<u>1-3 قصة الشيخ ذياب</u>:النموذج الثاني:قال الشيخ ذياب لمرته روحي لخوتك ضيفة وقولي ليهم هذا اللغزنتاع لكحل مناش،ولبيض مناش ومررمناش وطيب مناش،ولوكان

---

*يدبب:معناه كان يريد الركوب فوقها،لم تنهض بقيت جالسة

مايحلوش هذا اللغز ماتجيش،كي وصلت لدار اباها،قالت لخوتها هـــذا اللغز،مالقـــاوش الحل،وهي جاي وحايره لخميتها،لقات ولدها،قالت له اباك راه باغي يطلقني ولكان مـــا يتحلش اللغز،قال ليها ولدها وشتهو اللغز،كي خبرته باللغز،قال ليها:لكحل مناش مانش كي السم في رووس لحناش،ولبيض مناش كي الجير على لحواش،ومررمناش كي مـــوت الحبيب على لنعاش،وطيب مناش مكانش كي لولاد يلعبوا على الفراش،وثلاثة يـــورث البلادرافقت من ولا وثوب الذلالة،وفرج المرة المسبلة وثلاثة يورث لهبال دخول السوق بلا مال،وليعشق النسى في عنق الرجال وليحب الحرب ومعندوش الرجال،ثلاثة يحبـــو القلب المني والغني ولعب لولاد الحلالي،واحد جاها لي باغي الجنة يقرى كتابهـــا واحـــد صاهالي باغي يقرى حراها والشمس راحت في مغربها،والدنيا فانية وحنى في اعقابها.

<u>1- 4 قصة الذيب والقنفود*</u>:قال لك واحد النهاركان الذيب والقنفود عطـــشانين وكانوا يمشو لقاو حاسي فيه الما،ولقاو في الحاسي زوج دلو،واحد يطلع وواحد يـــترل، قال الذيب للقنفود:نتا هود لول،ومن بعد أنا نهود،نزل القنفود وشرب،ومن بغى يطلع ماقدش،طلب من الذيب باه يعاونه ما بغاش الذيب يعاونه،دبر حيلة باش الذيب يهـــود دار روحه يقسم في اللحم،وقعد يقول أي القنفود الحاضر اعطوه والغايب انسوه كـــي اسمع الذيب كلام القنفود،طل في قاع الحاسي،شاف روحه في ما الحاسي، حسب راهم يقسمو في الحم،ود في الدلو الزاوج،الذيب ثقيل على القنفود القنفود جا طالع والذيب هودكي تلقو في نص الطريق،قال الذيب للقنفود وراك طالع،قال له القنفود:هذه هـــي الدنيا واحد طالع واحد مهود.

* الذمي: هوالشخص المتدين باليهودية

5-1 **قصة الغول والغولة***:قال لك واحد النهار دخلت جنيـة علـى امـرأة في خيمة،لقات الجنية لمراة تمشط في شعرها،بغات الجنية تعاند ذيك المراةبغات المراة تقضي علي الجنية دارت القطران فوق راسها،عاندها الجنيةوالمراة دارت روحها تشعل في نـار علي راسها،عاندها الجنية وكانت النتيجة أن احترقت الجنية وتخلصت منها تلك المراة.

تحليل نص الحكايات الشعبية:يلاحظ أن قبيلة حميان انتشرت بها هذه الحكايـات منها الخرافية وقصة الحيوانات،يبدو أن لهذه الحكايات وظيفة تقوم بهـا،وأن لهـا قـيم إجتماعية وثقافية إن الدافع الأول لهذه الحكايات هو نفس بالدرجة الأولى،مبتغاه المتعـة والتسلية والترويح عن النفس،والتحليق إلى عالم الأمل،والإفصاح عن المكبوتات النفسية والاجتماعية.ويلاحظ أن الأسرة قد وظفت في الحكاية الخرافية الجن كبطـل في نـصها قابله الإنسان،وحاولت إخضاع عالم الغرائب والعجائب إلى الواقع،بينمـا في حكايـة القنفود والذيب أرادت الأسرة الحميانية أن تبين ذكاء القنفود وحيلة الذئب،ولكن يبدو أن ذكاء القنفودتفوق على حيلة الذئب،يظهر من نص الحكاية أن الأسـرة الحميانيـة وظفت الحيوان في حركية النص وأبطاله من الحيوان،خلاصة القول أن الموروث الشعبي خاصة النظري والمعنوي منه في طريق الزوال بسبب انعدام التدوين والكتابة والإهمال في منطقة كانت غنية بهذا التراث الشعبي.

حكاية الشاب الفقير والسلطان:قال لك واحد اليوم كان شاب فقير يدور*حـذا* جنان على طرف واد، وكان ذاك الشاب شخص أمين وصادق، وهو يتمشى لقى حبـة رومان في وسط الواد، قال هذي الحبة نتاع الرومان بلاك* نتـاع صـاحب الجنـان، وماكانش هذا الشاب يعرف بلي هذا الجنان نتاع السلطان، قعد يسول على مول الجنان باش يعطيه الحبة نتاع الرومان، قالوا له الجنان نتاع السلطان، مشى قاصد السلطان.

---

*لقد دونت هذه الحكايات الشعبية من خلال مقابلتي مع والشيوخ والعجائز

وهو خايف يعاقبه،ربما يقول السلطان للشاب راك خوانتها من الجنان، طلب الشاب يدخل على السلطان، قالوا حراس السلطان للسلطان واحد راه باغي* يدخل عليك، قال ليهم السلطان خلوه* يدخل، دخل الشاب على السلطان، وقال للسلطان سيدي راني* لقيت حبة رمان طايحة* في الوادي،وكي قالوا لي بلي* الجنان نتاع سيدي السلطان هذا هو جيت قاصدك، باه نعطيها لك، قال له السلطان نشرط عليك شرط إذا بغيتني* نشد* عليك حبة الرومان، قال الشاب للسلطان سيدي واش* هو الشرط، قال له السلطان عندي بنت عمية عمرها* ماشفت، وزحافة عمرها ما مشات،وطرشة عمرها ما سمعت، إذا تزوجت ندي عليك حبة الرومان،ولا متزوجهاش راني نعاقبك على حق لي مشيت الجنان، قعد الشاب الفقير يخمم، وقال له السلطان عندك نهار تفكر في الأمر، ورد عليّ الخبر، اليوم الآخر جا الشاب الفقير، وقال للسلطان نتزوجها، زوجها له السلطان، وقال له أرواح* في الليل أدي مرتك،وعندما جا في الليل،قالي مرته صحيحة وجميلة،هدر معها هدرت معاه،تشوف وتسمع،اسنغرب الشاب،جاالشاب يوم آخر على السلطان وقال له:سيدي كيفاه قتلي بنتي عمية وطرشة وزحافة،رد عليه السلطان،وقال له:أنت إنسان أمين وصادق،وصريح،بغيت نزوج بنتي لمثلك.

---

*يدور:معناه يتجول،*حذى:بالقرب من ،أو بمحاذاة البستان*بلاك:ربما،باغي:معناه يريد مقابلتك؟،*خلوه:أتركوه يدخل،راني:معناه إنني لقيت.*طايحة:معناها قد سقطت على سطح الأرض،*بلي:أي

بغيتني نشد:إذا أردت أن أخذ حبة الرومان

واش:معناها ماهو*عمرها:لم يسبق لها

*ورد علي:معناه أن يخبرّ السلطان في أقرب وقت ممكن.

الفصل الثاني:

العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي

المبحث الأول: العادات والتقاليد

1- مفهوم العادات والتقاليد والفرق بينهما

2- عادات الطعام وادابه

3- الحمل والوحم والولادة وتسمية المولود

4- لباس وحمل المولود والرضاعة والفطام

5- طقوس الختان

6- طقوس الزفاف

7- طقوس الوفاة

المبحث الثاني: المعتقدات الشعبية

1- الجان والجن

2- السحر

3- الأرواح

1-العادات والتقاليد: يتفق علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع أن المجتمع البدوي التقليدي يتميز بخاصية التعلق بالموروثات الشعبية التي كانت تنتقل من جيل إلى جيل،بل أكثر من هذا فهو يرفض أي شكل من أشكال انتهاك بعاداته،وتقاليده ومعتقداته الشعبية،فهو مجتمع أكثر التصاقا بثقافته التقليدية(1).وقبل إبراز عادات وتقاليد المجتمع العامري والحمياني البدوي التقليدي،لابد من تحديد مفهوم العادات والتقاليد.تمثل العادات والتقاليد شكلا من أشكال الضبط الاجتماعي(2).

1-1مفهوم العادات:هي مجموعة من أنماط السلوك ظهرت في المجتمع أو الجماعة بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر سلوكها وأوضاعها،وهي تمثل ضرورةإجتماعية،وتستمد قوهّا من هذه الضرورة(3).لذلك يصعب على الأفراد الخروج على مقتضياتها والتزاماتها،ويقابل الخارج عليها بمعارضة كبار السن والفئات المحافظة في المجتمع والتي تميل إلى عدم تغيير العادات التي تعودت عليها في الماضي يخضع الأفراد لتلك العادات بصورة شبه آلية والخضوع للعادات مفيد للمجتمع فهي تساعد على تماسكه وقوته وتحقيق التجانس بين تصرفات أفراده.تمتاز العادات بشعبيتها وباتساع نطاق تطبيقها لأنهاراسخة في تراثهم الاجتماعي القديم،ومن هنا يقابل للعادات بالسخرية والاحتقار،وأحيانا تستخدم الوسائل العنيفة لإجبار المخالف على احترام العادات،لشدة تعلق المجتمع بها يجعل تغييرها من الأمور الصعبة(4).

(1)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص317-د.محمد السويدي:بدو الطوارق-ص34

(2)د.إبراهيم العسل:الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع -ط1-المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت1997-ص38-دة سهير عبدالعزيز:المرجع السابق-ص.ص49-50

(3)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص200

(4)د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع-نظريات وتطبيقات-دارالنهضة العربية بيروت-1985-77د.إبراهيم العسل:المرجع السابق-ص50-دصلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص317

1-2 مفهوم التقاليد: فهي مجموعة من قواعد السلوك الخاصة بطبقة معينة أو طائفة أو بيئة محلية محدودة النطاق،وهي تتكون عن طريق الرضى والاتفاق الجمعي على أهميتها،ولذلك فهي تستمد قوتها من قوة الجماعة التي تتمسك بها(1)،وهي ذات قوة إلزامية،ويدافع أفراد الجماعة عن تقاليدهم،وقد يحدث أن يعاقبوا المخالف بالقتل(2).وهذا واضح في جرائم الشرف في بعض القرى العربية،فإنه يتعرض للقتل من قبل أهله لمخالفته تقاليد العائلة أو القرية،كما يلاحظ أن كل طبقة اجتماعية تتميز بمجموعة من التقاليد فيما يتعلق باحتفالاتها وأثاثها وملبسها،ونظم الزواج المتبع(3)

1-3 الفرق بين العادات والتقاليد: يتمثل في أن العادات عامة تنتشر في جميع أعضاء المجتمع بصورة متشابهة،أما التقاليد فهي خاصة بفئة أو طائفة،أو جزء من المجتمع وليس كله،وفي الواقع كثيرا ما يخلط الباحثون بينهما ولا يفرقون بين العادات والتقاليد خاصة وأنهما مرتبطان بالأعمال،من هنا كانت التقاليد من عوامل الضبط الاجتماعي(4)،تتمثل العادات في آداب الطعام لكن هنالك عادات اجتماعية ضارة بالمجتمع،وتمنع تقدمه كمنع البنات من تلقي العلم ومعالجة المرضى بالشعوذة وغيرها.

2-عادات الطعام وادابه: ذكرابن صاحب الصلاة عن بعض المأكولات التي كانت تتناولها القبائل العربية بشيء من الترفيه خلال استعراض الخليفة الموحدي لها بعد وفودها من إفريقية للاشتراك في الحرب بالأندلس واحتفاله بها(5),

---

(1)د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع-نظريات وتطبيقات-ص77-د.إبراهيم العسل:المرجع السابق-ص50

(2)د.قسهير:المرجع السابق-ص200

(3)د.إبراهيم العسل:المرجع السابق-51

(4)نفسه:ص51

(5) ينظرإلى:المن بالامامة-ص55و174و433

فتتهالك على شراب الرب* الممزوج بالماء تشرب وتطرب(1)،كانت عادات الطعام في مجتمع بني عامروحميان البدوي التقليدي يغلب عليها التقشف،وخامات الطعام مما هو متاح لهذه البيئة الطبيعية بمواردها،والاكتفاء بما تنتجه أنعامهم من حليب ولبن ولحوم.كان مجتمع بنوعامر وحميان يتغذى على اللبن والتمروكان إعتمادهم عليه كوجبة أساسية،وعلى حليب الشاة والماعز والإبل ومن منتجات الألبان كالسمن* والزبدة*واللبن والشنين*والكليلة* اللبن المجفف والجبن واللبى*، والرُب وعلى خبز الشعيروالقمح كالملة*والمطلوع* والملوي* والمحرشة والرفيس* والمسمن والتشيشة والزريزي* بعد طحنه بمطحنة حجرية يدوية إذا ماتوفر لديهم من الحبوب،وعلى لحوم الغنم والجمل،وصيدالأرانب وأحيانا على لحم الذئب،وفي ما يخص أكل لحم الذئب كان هناك مثل شعبي يتردد"الذيب حلال الذيب حرام الترك أحسن"،ومن خلال التطور التاريخي،وما يستنتج من نظرية العمران البدوي عند ابن خلدون أن العرب البدو كانوا في غنى عن أهل التل وحبوبه،لتعودهم على حياة التقشف(2)،وربما كان بنوعامروحميان يحصلون على القمح والشعير من خلال تجارة القوافل خلال العهد الزياني،في القرن الثامن الهجري من أسواق الشمال من منطقة وهران وسيدي بلعباس وتلمسان،والتمر من أسواق الجنوب من توات وقورارة،وتافيلالت أثناء رحلة الشتاء والصيف(3)،أوكانوا يكتفون بما تنتجه منطقتهم من حبوب بسبب ممارستهم للزراعة البعلية أوالرعوية.

---

*الرب:الخمير من عصير العنب،وقد كان شربه معهودا أول الأمر بالمغرب لشدة برودة الجبال،لكن الموحدين لم يلبثوا أن انتبهوا إلى أن مفعوله لا يختلف عن مفعول الخمر الحرام،فأصدروا الأوامر بمنعه،وهكذا فبعد أن كان الرب يقدم في الاحتفالات الرسمية،وبعد أن كان يباع بمكان خاص بمدينة مراكش باب الرب حرم في سائر أطراف المملكة سنة580هـ.ينظرإلى ابن صاحب الصلاة:المن بالإمامة-ص433-مؤلف مجهول:الاستبصار-ص211

(1) ابن صاحب الصلاة:المن بالامامة-ص55و174

(2)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص317

ويذهب كستللو بالقول:"... إن اقتصاد المجتمعات البدوية ليس مستقلا،فرغم أن المنتجات الحيوانية هي المصدر الرئيسي لمعيشتهم إلا أن القمح والشعير هو السلعة التي يحتاجونها لذلك يتعين عليهم الحصول عليها عن طريق التبادل مع المنتجات المحلية..."(1)،وهذا عكس ماذكره ابن خلدون أن العرب البدو كانوا في غنى عن غيرهم،وعن حبوب التلول في بقوله:"والسبب في ذلك أنهم أكثر بداوة من سائر الأمم،وأبعد مجالا في القفر،وأغنى عن حاجات التلول وحبوبها لاعتيادهم الشظف وخشونة العيش،فاستغنوا عن غيرهم"(2)ويبدو أن بني عامر وحميان كقبيلة عربية بدوية كانت تتغذى على من الانتاج الحيواني.

3-**الحمل والوحم:**كان الحمل في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي من الأمور السعيدة التي كان ينتظرها الجميع،وبرغم ذلك فعندما تشعر الزوجة بحملها،لا تعلن ذلك لأحد بل تخفيه حتى عن أقرب الناس لها(3)،ففي مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي كانت الزوجة لا تبوح بحملها حتى لزوجها،ويعتبر ذلك من الحياء المطلوب في المرأة،وحتى إذا أرادت ان تكشف عن حملها،فهي لا تتكلم إلا بعد مرور ثلاثة شهور أو أربعة أشهرعلى الأقل،حتى لا تتهم بعدم التعقل أو عدم الحياء(4)،فكثيرا ما يبقى سرالحمل مجهولا حتى يكشفه تضخم البطن أو الوحم،وهو مايصاحب الحمل كالقيءمثلا.والحامل لاتعامل معاملة خاصة من قبل أهلها او زوجها،بل تقوم بالأعمال المطلوبة منها بالكامل دون تذمر ولا تكاسل مهما كان العمل شاقا، وكانت المرأة تحطب

(1)ينظرإلى:علم الاجتماع الحضري-التمدن في الشرق الأوسط-ترجمة د.أبوبكرقادور-د.هاني يحيى نصري-دار القلم-بيروت-1977-ص27

(2)ينظر إلى المقدمة-ص87

(3)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-199

(4)نفسه:ص200

أي تجمع الحطب، وتقوم بكل الأعمال المطلوبة منها حتى يفاجئها المخاض كما كانت لا تتبع نظاما معينا من حيث المأكل أو المشرب طوال فترة الحمل،فهي تأكل مثلها مثل الجميع.أما **الوحم** وهي كلمة تطلق على الحالة الصحية التي تكون فيها المرأة في بداية حملها(1)،وفي مجتمع بني عامروحميان كانت الحامل تشعر بميل نحو أكل أشياء غريبة.

3-ب<u>الولاة وتسمية المولود:</u> كانت الولادة في مجتمع بني عامر وحميان بسيطة للغاية،ولا تحتاج إلى متخصصين،فإذا كانت المرأة أحست بالام الولادة،تطلب إحدى قريباتها خاصة الكبار في السن،فتقوم هذه القريبة بتحضير كمية من الرمال،لتجلس المرأة أثناء وضعا على هذه الرمال وتسلعدها قريباتها على إتمام الولادة بنفسها(2)،وبعد نزول المولود تقوم إحدى السيدات بربط السرة،وقطعها بأي سكين حاد وكما أفادت إحدى العجوزات أن المشي والحركة بالنسبة للحامل قديما كانت تسهل لها الولادة،وتساعدها على عدم حدوث مغص بعد الولادة،فإذا كان المولود ذكرا أظهرت النساء الفرحة،وإذا كانت الولودة فتاة،تبارك النساء بسلامة الواضعة،وقيامها بسلامة وخلاصها من الأوجاع.وبعد الولادة تغتسل الأم(3).

أماتسمية **الطفل**،ويطلق عليها"السما"وإطلاق الاسم في الغالب يكون من حق الأب فهو الذي يختار للمولود إسمه،وأحيانا من الأم وكانت الأسماء التي تطلق على الذكر أسماء الأجداد أوالأنبياء والرسل،وأحيانا أسماء غريبة،أما أسماء الإناث على الجدات أو زوجات الرسل والأنبياء،واحيانا أسماء غريبة،وكان يحتفل بالمولود خاصة الذكر. وعلى

(1)د.محمد السويدي:بدوالطوارق-ص101-دة.سهير عبدالعزيز:الاسنمرارو التغير-ص200

(2)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص200

(3)نفسه:ص200

الأب ذبح التميمة،فهي عادة مرتبطة بالشريعة الاسلامية وهي العقيقة(1)،ويدعى لها الأقارب والجيران،ويكون ذلك يوم السابع،وفي هذا يحضر الأهل لمباركة. ويهنيء الجميع بسلامة الأم إذاكانت المولودة انثى،وإذا كان المولود ذكرا يدعون الجميع للمولود بالبقاء والصحة،فتقال بعض الكلمات التي تعطي هذا المعنى مثل:الله يكبره،ويطول في عمره.وبعد تسمية المولود إذا كان ذكرا يؤذن له في أذنه(2).

4-لباس وحمل المولودوالرضاعة والفطام:

4-ا-لباس المولود::لم يكن هناك لباس محدد،فالمولود يلف بإي خرق أو قماش،ويمهد وهناك اعتقاد ينام ويتوقف عن البكاء(3)،إذا مهد وذلك بربط الطفل بشريط طويل من عند الأكتاف،ويلتف الشريط حول الأذرع ثم الوسط،حتى ينزل على الفخذين فيربطهما معا،ثم عند القدمين من أسفل يربطهما مسويا،والغرض من ذلك سهولة حمل الطفل دون أن يصبه أذى،هذا بالاضافة إلى ضمان استقامة ساقي الطفل وذراعيه،وعموده الفقري.

4-ب-الرضاعة:كانت المرأة في مجتمع بني عامر وحميان تغذي مولودها من ثديها،وكانت تتفادى أن ترضعه إمرأة أخرى كي لا يشترك في الرضاع مع بنت أخرى،فيصبحان محرمين في الزواج،وكذلك خشية من حدوث مشاكل عند الكبر والزواج،وأحيانا كانت المرأة العامرية والحمانية البدوية تعطي لجارتها الطفل لترضعه،وتعرف من أرضعت ولدها،ولا يزوجون من رضعوا مع بعض خاصة وأن الزواج كان يتم غالبا من الأقارب.

4-ج الفطام: ترضع الأم طفلها حولين،ولايفطم قبل ذلك،إلا إذا حملت أمه(4). فإنها

---

(1)دة.سهير عبدالعزيز:الاستمرار والتغير-ص200

(2)نفسه:ص202-الطفولة القروية المغتصبة- مقالة من موقع أنترنيت:file://Documents%20Nouvelles;p1sur3

(3)دة.سهير عبدالعزيز:المرجع السابق- ص205-الطفولة القروية-ص01

(4)نفسه:ص205-الطفولة القروية-ص02

تضطرإلى فطامه،حتى لا يرضع الطفل لبن الحامل،وعند الفطام تأخذ الأمام قطعة من الصبرة وتضعها في الماء وتمسح على ثديها بهذا المر،قبل أن ترضع الطفل،فإذا طلب الطفل الثدي مكنته،فيحس بطعم المرارة فيلفظه ويبكي(1)،وهكذا حتى يكره الثدي،فتعطيه البديل التمر واللبن،وأحيانا كانت تحاول الأم إخافة الطفل من شيء ما كان الغول أو حيوان،كي يبتعد عنه ويرضى بالبديل(2).وكان المولود الذكر وحتى الأنثى الصغيرة في مجتمع بني عامروحميان لا يحلق شعره قبل أن ينهي سنة كاملة وعندما يكمل سنة كاملة،كان يحلق شعر الطفل ذكرا كان أو أنثى أما طريقة الحلاقة أن يترك جزء من شعره في مقدمة الرأس،وجزء من شعره على يمين رأسه،وتسمى بالقطاية.

5- طقوس* الختان:الختان هو سنة من سنن الاسلام،ولذلك كان مجتمع الدراسة يلتزم بختان الذكور،أم الإناث فلا تجرى لهن هذه العملية إطلاقا(3) وتسمى بالطهارة،ويختن الطفل عادة بعد بلوغه السنة الثانية أو الثالثة من عمره،ويقوم به المطهر،وكانت عملية تم عادة في الصباح الباكر،فكان الطفل يتم ختانه بطريقة تقليدية،حيث يجلس في مكان به رمل،ويمسكه والده في العادة حتى لا يتحرك،وتجرى العملية بواسطة موس أو سكين حاد غير معقم،كثيرا ما ألحق ضررا بالطفل(4).

(1)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص207

(2)الطفولة القروية:ص03

*الطقوس:تعبرالرموز غالبا عن القيم والمعتقدات،التي تدعم بين الحين والاخر عن طريق الطقوس،ومثال ذلك أن كل مجتمع يحاول أن ينمي نسق قيمه ومعتقداته عن طريق شعارات متعددة،قديعبر الأدباء والفنانون والمثالون وغيرهم بطرق متعددة من الكلمة المسموعة إلى الكلمة المكتوبة إلى الصورة أو التمثال،وتقام الحفلات والطقوس بين حين واخر لتعميق هذه القيم والمعتقدات في مناسبات متعددة تمجيدا وإقرارا لها في النفوس،ولهذا تعتبر الطقوس والحفلات وسائل هامة للمحافظة على النظام الاجتماعي.ينظرإلى:دعمحمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع-ص77

(3)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص207

(4) الطفولة القروية:ص03-دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص207

وكانوا يشغلون الطفل فيقال له:شوف في السما.ثم كان المختن يقوم بقطع الجزء الزائد في الطفل وعندما ينتهي الخاتن من عملية الختان،كان المختن يأخذ مبلغ يسير من المال حسب الحال،أو أي شيء عيني(1)،تزغرد النساء فرحا بالطفل الذي تجاوز عقبة صعبة في حياته،ثم تبدأ أسرته في تحضير حفلة الختان حيث تتوافد على خيمته أعضاء الأسرة وتقام الوليمة بذبح شاة.

6-**طقوس الزفاف**: لم تكن تقاليد القبيلة تسمح بأن يلتقي الشابة المخطوبة بخطيبها إلا ليلة الزفاف،ولم يسمح لها بالخروج إلا عند الضرورة القصوى،وفي حالة خروجها ينبغي أن يرافقها أحد المحارم(2)؛لأن خروجها من البيت بمفردها هو عار على الأسرة وانتهاك لشرفها ومن ثمة توجه كافة الجهود للحيلولة دون قيام العلاقات الغرامية بين الفتيات والشبان الذين يخضعون في أغلب الحالات لقرارات الكبار الحكيمة(3)،قبل أن تنتقل العروسة في مجتمع بني عاموحميان البدوي كانت أسرة العروس تتأكد من تمسك البنت العروسة بعفتها قبل الزواج حتى نهاية الاتفاق وبعده،وتعتبر أي علاقة اجتماعية تسمح بالاختيار عاملا يؤدي إلى زيادة احتمالات الشك في سلوك العروس(4)،وجلب العار على الأب والإخوة أكثر من الزوج الذي يستطيع أن يطلقها ليلة الزفاف(5)،وإن لم تكن عذراء أو بعد ذلك،إذا استطاعت الإفلات والهروب،والأخذ بالثأر لدرأ العار بالقتل أو بأي شكل من أشكال العقاب لها،وصاحبها يقع على عاتق الأب والإخوة(6).

(1)دةسهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص212

(2) نفسه:ص.212

(3) د.محمود حسن:الأسرة ومشكلاتها- ص.ص134-135

(4) نفسه:ص135-الطفولة القروية:ص03

(5)د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع القروي-ص148

(6)د.محمودحسن:الأسرةو مشكلاتها-ص135

فهي عرضهم وشرفهم وفي بوادي شمال إفريقية ينبغي أن تظل شخصية الفتاة سرا مغلقا بالنسبة للغرباء على حين يختلف الموقف بالنسبة للذكور في سن الزواج وفي الليلة التي تسبق انتقال البنت إلى خيمة أسرة العريس كان يقام حفلا سواء في خيمة العروسة أو العريس.بالنسبة للعروسة كانت جدة العروس أو أمها تدهن قدميها وكفي يديها بالحناء(1)وكذلك كان يدهن قدمي العريس وكفيه وكانت أمه هي التي تقوم بهذه العملية أو جدته،ويحدد الشخص الذي يقوم برعاية الزوج خلال فترة الزفاف(2) ويكون هذا الفرد غالبا من أسرته إما أن يكون ابن عمه أو ابن خاله،ويسمى هذاالفرد بالوزير،ويختار الوزير بناء على اعتبارات منها أن يكون أكثر ثقة وأمانة عند أهل العريس وكذلك من العريس نفسه،وغالبا ما يختار العريس من يرافقه في هذا الزفاف.وفي هذه الليلة تلتقي أسرتا العروسين الهدايا والمساعدات الرمزية(3)،وفي الصباح تستمر الاحتفالات حتى العصر،وعندئذ تحمل النسوة جهاز العروس البسيط،في موكب من النساء والأطفال إلى خيمة أسرة العريس(4).حيث يبدأ موكب العروس من خيمة أسرتها راكبة جملا في هودج أو مايسمى بالعطوش رفقة أمها وجدتها أو خالتها،أو مترجلة إذا كانت الخيام متقاربة.ويسير الموكب حتى يصل إلى خيمة العريس.وفي العشة الزوجية تجتمع بعض النسوة ومعهن الوزيرة،ووظيفتها تهيأ العروس نفسيا لعملية فض البكارة(5)،بل تقدم لها بعض التوجيهات والنصائح خاصة وأن العروسة تجهل هذه العملية بحكم صغر سنها،وعندما يعلن بدخول العريس إلى عشته مرفوقا بالوزير الذي

(1)د.ة سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص 214

(2)محمود حسن:الأسرة ومشكلاتها-ص.ص134-135

(3)د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع القروي-ص148

(4)نفسه:ص148

(5)محمود حسن:المرجع السابق-ص135

بدوره يقدم له نصائح وتوجيهات حول فض البكارة وغالبا مايكون الوزير بكبره سنا،وقد سبق له أن تزوج أو أن يكون متزوجا لأنه يملك الخبرة.وعندما يعلن العريس بالدخول تغلق سواتير الخيمة.ويقوم الوزير بحراسة عشة العريس حراسة مشددة رفقة أشقاء العريس،ودخوله هو إيذانا ببدء عملية فض البكارة،وتبقى النسوة تزغردن وتغنين حتى يعلن الوزير إعلان فض البكارة.وبعد ذلك يخرج العريس فاسحا المجال لأهل العروس بالدخول عند العروسة(1).بعد أن يخطره العريس بذلك،وعند إتمام فض البكارة تفتح سواتير الخيمة،ويخرج العريس ليلتقي بأقرانه،فيمزحون ويطرون رجولته في فض البكارة،لأنه قد يحدث أن يضطرب الشاب في لحظة فض البكارة وتدخل الوزيرة وعادة ماتكون من شقيقات العروسة،وتخرج حاملة منديلا مخضبا بدم البكارة(2)،وتلوح به وتزغردن النسوة فرحا،ويدل هذا المنديل على شرف العروسة وأسرتها(3)،وتقدم التهاني أولا إلى والد العريس وجميع أعضاء الأسرتين خاصة أم العروس وفي حالة العكس تطرد العروسة في اليوم الموالي حفاظا على شرف أسرة العريس(4).وتتأثر الفتاة البدوية في المجتمع الحمياني والعامري بنفس الأنماط،إلاأنها تنفرد بتشعبها بفن التغني بالعروس والعروسة إبان حفلات الزفاف،وفي غياب الوسائل ترقص النساء على إيقاع الدف والصحون الذي ينقر بالكف(5).خلاصة القول فإن مسألة الشرف كانت أساسية في المجتمع بني عامر وحميان العربي البدوي،خاصة فيما يتعلق مسألة العرض التي كانت تتمثل في العذرية رمزية المرأة البكر،كانت القبائل العربية أحيانا تصل إلى حد الاقتتال.

---

(1)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق–ص213–الطفولة القروية–ص03

(2)د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع القروي–ص148

(3)نفسه:ص148–دة سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق–ص213

(4)محمود حسن:المرجع السابق–ص135

(5)د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع القروي–ص148

7-__طقوس الوفاة__:إن العادات المرتبطة بالوفاة في مجتمع بني عامر وحميان كانت تسير وفق الطريقة الشرعية التي أقرها الإسلام،فعندما كانت تحدث الوفاة،تقوم زوجة المتوفي أوأحد أولاده بإعلام أقاربه بالحضور لبيت أهل المتوفي،يقوم بتجهيز الميت أحد الرجال ذوي الخبرة من القبيلة،فيعد تجهيز الميت بغسله وتكفينه بالكفن الشرعي وهو من قماش أبيض عاد،وليس فيه أية مظاهر للرخاء،ولا يرى الميت أثناء تجهيزه سوى أولاده أو المقربون(1)وبعدصلاة الجنازة،ينقل الميت على ظهرالحمار أوالحصان،فهم في حالة الترحال المستمر،ولذلك يحفر للمتوفي حفرة تكون بعيدة إلى حدما عن مناطق الرعي،أو في مقبرة معلومة إذا كان بدوبنوعامر وحميان في موطن القبيلة أوبجوارجبل،وكان الميت يدفن بطريقة اللحد،وهو حفرة لوضع الميت على سكل سلمتين،بحيث يوضع الميت في الجزء السفلي المنخفض،ثم يوضع فوقه قوالب من الطوب أو الحجارة(2)،ثم يبلل بعض التراب بالماء ليسد بها الفتحات التي حول الطوب المرصوص،ولحم بعضه ببعض،وتحته يكون الميت راقدا على جانبه الأيمن في اتجاه القبلة،وبعد أن يتم تلبيس أوسد مابين الطوب أو الحجارة بالتراب نهائيا،يوضع التراب فوق ذلك(3)،وبعد الدفن يعود الأهل إلى خيمة المتوفي ليتقبلوا التعازي،وإذا كان للمتوفي زوجة فعليها الحداد اربعة أشهر وعشرة أيام،وتخلع أدوات الزينة،ولا تغير من ملابسها،ولا تتزين إطلاقا،وتختفي عن الأعين فترة الحداد،ولا تخاطب أحدا(4)،وكان يسمى في لغة بني عامر وحميان الرباط،وكان هناك صراخ ونحيب من أهل الميت،وكذلك البكاء حزنا على المفقود.

(1)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق–ص228

(2)نفسه:ص228

(3)نفسه:ص229

(4)نفسه:ص229

8-الزي واللباس:كانت بنوعامر وحميان مثل بقية عرب بني زغبة سواسية في لبس المخيط(1)،وربما القوا رداء على ظهورهم والتفوا بازار(2)،وهم يتفاوتون في ذلك بتفاوت المراتب الاجتماعية لابتفاوت العشائر والقبائل،وكانت العمائم لبس الرأس المألوف عندهم (3).يستخلص ممارواه القلقشندي عن زي العرب في العصر الموحدي أن الأشياخ والعامة كانوا على زي واحد لا يمتاز بعضهم على بعض إلا بشيء واحد لا يكاد يظهر ولا يبين وهو صغر العمائم وضيق القماش (4)،كما أنهم يلتزمون تحت أذقانهم بأطراف عمائمهم متأثرين في ذلك بزناتة(5).وذكر ابن صاحب الصلاة في وصفه للملابس التي كان يهديها البلاط الموحدي للعرب في المناسبات الخاصة سواء عند قدومهم للمبايعة أو التهنئة أو للاشتراك في الحرب ضد النصارى في الأندلس فينعم عليهم بالكساء التامة من العمائم والغفائر،والبرانس والأكسية **"بأن حصل لكل فارس غفارة* وعمامة وكساء وقبطية* وشقة*وفي موضع آخر يقول:وكسا جميعهم بالقباطي جمع قبطية والقمص والغفائر والعمائم،ويضبف ابن صاحب الصلاة ثم أعطى الكسوات للموحدين والأشياخ من كل قبيلة ولطلبة الحضر والعرب بأن أعطى كل واحد ستة أثواب وغفارة، وقبطية مبطنة،ومقطعة مهدويين وكساء"**(6)

---

(1)د.محمد غيث:علم الاجتماع القروي-ص148

(2) الألوسي:بلوغ الإرب في معرفة أخبار العرب – بدون تاريخ – ص403-عبد الحميد يونس:المرجع السابق-ص97

(3) عبد الحميد يونس:نفسه – ص97

(4)القلقشندي:صبح الأعشى –ج5-القاهرة -1963-ص.ص.142-143

(5)مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر-ج2-ص155

*الغفائر:جمع غفارة:كساء يابس فوق آخر

*قبطية:هي الثوب الأبيض الرقيق من الكتان،ربما هي العباءة اليوم.

*شقة:هي عبارة عما شق من الثياب علة شكل مستطيل،وربما هي التي تسمى عند حميان باللغة الفرنسية الجيلية.

(6)ينظر إلى:المن بالإمامة-ص 291و437و450

يستخلص من النصوص السابقة أن بني عامروحميان من جملة بني يزيد كان زيهـم أيـام الموحدين بالمغرب الأوسط كانت القبطية والقمص والغفـائر والعمـائم(1). بينمـا زي الفرسان منهم يزيد الكساء والشقة بدلا من القمص حتى إذا كان الزي من شـيوخهم يتكون من ست قطع فاخرة وعمامة وغفـارة وقبطيـة مبطنـة ومقطعـين مهـدويين وكساء(2)،أما زي بني عامر وحميان في عهد الإمارة الزيانية فيتكون من عمـائم طويلـة قليلة العرض من كتان يعمل فوقها احرامات يلفونها على أكتافهم(3).ويبدو أن بني عامر وحميان كان لهم زيا خاصا بالمناسبات كالزواج لونه أبيض إذ يذكر الأنـصاري "...أن **أبي العباس أحمد بن هيب...بعد توبته،وكان من فرسان العرب وشجعانها ودفـع مرة واحدة لانكسار العرب وحده وذلك أنه كان في ذلك اليوم عليه ثيـاب بـيض لكونه يدخل على زوجته في الليلة المقبلة...**"(4).يستخلص من النصوص السابقة أن بني عامر وحميان لايزالون محافظين على الزي العربي الهلالي وعلى السمات الثقافية التي تميزها،بحيث لايزال العامري والحمياني يرتدي العمامة الـتي تـسمى في لغـة المنطقـة بالحواق*،وربما يعود اختيار اللون الأبيض لعاملين هما:العامل الأول اللون الأبيض لكي يعكس حرارة الصيف،أما العامل الثاني وهو محاكاة الرجل العامري والحمياني وتقليـده لسلفه بني هلال عندما كانوا يرتدون اللباس الأبيض أيام أفراحهم وأعراسهم ويلفهـا على رأسه،وأحيانا يتلثم بسبب العامل الايكولوجي،وهو حدوث الزوابع الرملية وتقليد بربر زناتة وكان شعارهم لبس المخيط في الغالب ولبس العمائم تيجانا على رؤوسهم(5)

(1) القلقشندي:صبح الأعشى –ص 203–ابن أبي دينار:المؤنس في أخبار إفريقية –ص160

(2) نفسه:ص203–ابن أبي دينار:المؤنس في أخبار إفريقية–ص160

(3)نفسه:203ابن أبي دينار:المؤنس–ص160

(4)ينظر إلى:معالم الإيمان–ج4–ص211–د.مصطفى أبوضيف:القبائل العربية–ص254

(5)مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر–ج2–ص155–مصطفى أبوضيف:نفسه–ص253

فهم قوم يلفون الليث والأخدع قبل لبسها،ثم يتلثمون بها تحت أذقانهم من فضلها،وهم عرب المغرب حاكوا بها عمائم زناتة من أمم البربر قبلهم(1).ويبدو من هذه الرواية أن حميان وبني عامر حاكوا في لباسهم بربرزناتة.وعادة ما يوضع أسفل العمامة ما يسمى بالعراقية بالعين المفتوحة وهي عبارة عن غطاء للرأس تسمى بالشاشية،كما أنه يرتدي الحمياني والعامري سروالا فضافضاوواسعا من الكتان غالبا ما يكون قصيرا لا يصل إلى الرسغ أو القدمين،بالإضافة إلى السروال يرتدي العامري والحمياني لباسا داخليا،ويضع فوقه لباسا فضافضا يسمى بالعباءة وهي كذلك لباس لونه أبيض يصنع من الكتان،ويلبس فوق العباءة الهدون أو البرنوس أو الخيدوس أو الجلابة.ويحمل الحمياني والعامري العصا والسكين أينما حل،ويقول وات"...**ولباس العربي فضفاض ومسترسل لا يعوق الحركة،يوفر للجسم الدفء في الشتاء والرطوبة في الصيف، ويحمي البشرة من البرد والحر على السواء من جفاف الهواء والرمال...**"(1)وتدل هذه السمة الثقافية على الحياء والوقار،ومرد ذلك أن الرجل العامري والحمياني كان يتجنب ارتداء اللباس الضيق الذي يظهر أعضاء الجسم أمام أفراد أسرته وأمام الجماعة.وهو أيضا تقليدا لأسلافهم بني هلال. ويشرح ابن خلدون أثرالعوائد الاجتماعية وشدة وطأها على الناس في حياهم الاجتماعية،فيقول"...**والعوائد منزلة طبيعية أخرى،فإن من أدرك أباه وأكثرأهل بيته يلبسون الحرير والديباج،ويتحلون الذهب في السلاح والمراكب،ويحتجون عن المجالس والصلوات،فلا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك إلى الخشونة في اللباس والزي...**"(3)

---

*هو عبارة عن قماش من الكتان لونه أبيض في الغالب طوله مابين 4م و5م

(1)مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ج2-ص155

(2)ينظرإلى البدو-ص17

(3)ينظرإلى المقدمة-ص294-د.حسن الساعاتي:علم الاجتماع الخلدوني-ص184

والزي والاختلاط بالناس،إذالعوائد حينئذ تمنعه وتقبح عليه مرتكبه،ولوفعله لرمي بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد دفعة،وخشي عليه ذلك وعاقبته في سلطانه(1).كانت المرأة في مجتمع بني عامروحميان متمسكة بنماذج الزي التقليدي الموروث،بل كانت تحاكي اللباس الهلالية،وهو لباس محتشم بسبب صرامة التقاليد.لقد ذكر أحد الضباط الفرنسيين الذين زاروا منطقة بني عامر وحميان،وربما قد شاهد عن قرب اللباس الذي كانت ترتديه المرأة العامرية والحميانية البدوي،حيث جاء في قوله:إن المرأة العامرية والحميانيةكانت ترتدي قماشا ناعما طويل الألياف من الحرير(1)،وكانت تتزين بأسوار الساقين والرسغ التي كانت تعرف بالخلخال*،وكذلك أسوار الذراعين،وكانت تضع في كل أصابعها الخواتم،وكانت في رقبتها العتق والعقد المكون من قطع نقدية مرتبة ومنظمة*،وعرق من اللؤلؤ أو الصدف والسيح،وهو نوع من فحم اللينيت شديد الاشتعال،لونه أسود قاتم ومادة المرجان لونها أحمر ومسامير القرنفل،وأزار من الحديد وحلي ومجوهرات(2).كانت المرأة العامرية والحميانية ترتدي أيضا المقرون خاصة النساء اللائي تجاوزن الستين سنة،وهو عبارة عن لباس رقيق أبيض اللون،وكانت تضع عن التقاء طرفي المقرون ما يسمى بالخلال*.أما المرأة المتزوجة فإنها تضع غطاء أو رداء يسترها كان يسمى بالحولي وهوعبارة عن غطاء يصنع من الصوف،وكسوة الرأس عند المرأة العربية والنقاب تعين على العينين والأنف والأذنيين من أذى التراب(3).

---

*الخلخال:هو شكل من أشكال الحلي،كان يوضع في رسغ المرأة البدوية العربية،على شكل دائري كان يصنع عادة من الفضة.

*الخلال:وهو عبارة عن قطعة من الفضة دائرية الشكل

(1)المقدمة–ص294–د.حسن الساعاتي:المرجع السابق–ص184

(2)ينظر إلى البدو: ص17–Jacquot Félix:op.cit.p283

(3)Ibid.p283

(4) مونكرمي وات:المرجع السابق–ص17

وكانت مدة الحداد والتعازي في مجتمع بني عامر وحميان أسبوعا كاملا،وكان يأتي جميع الأهل والأقارب للعزاء ولمواساة أهل الميت،ويقولون عبارة "الله يعظم الأجر"،فكان أهل الميت يردون"ما طرأ عليك شرا".

ب-المعتقدات الشعبية:ومعناها الاقرار أو التسليم بكل أنتجه الشعب من فولكلور عبر مسيرته التاريخية*.ارتبطت المعتقدات الشعبية بالمجتمعات البدائية والبدوية،فهي تساعد الأفراد على الوصول إلى الوسائل الفعالة من وجهة نظرهم التي تعبينهم على التحكم في البيئة والاستعداد لمواجهة بعض الأحداث الطارئة(1).يذهب علماء الأنثروبوجيا والاجتماع أن من خصائص المجتمع البدوي أنه يعتقد بالسحر،بل يسود لدى أعضائه الاعتقاد القوي في الأشياء الغيبية أوالمقدسة ومنها الخرافات والأساطيروالعادات والتقاليد والأعراف والثقافات الموروثة أو ما يطلق عليها بالموروثات الشعبية(2).فهل كان مجتمع بنوعاموحميان كمجتمع عربي بدوي تقليدي يؤمن بالمعتقدات الشعبية؟لقد جاء عن المؤرخين أن عرب البدو تأثرت بمعتقدات الجاهلية في عاداهم رغم مرور القرون العديدة وبعد المسافة مابين المنبع بلاد الحجازوالمصب حيث الاستقرار ببلاد المغرب.

ج-الجان أو الجن:عندالسؤال عن الجان في مجتمع الدراسة ذكراالجميع على وجود الجن نظرا لذكره في القران،في سورة البقرة والأعراف والحجر والكهف وطه والرحمن والجن الذي يلخص سماهم وطبائعهم،فهم نوع من الخلائق بين الملائكة والشياطين(3)، خلقوا من مارج من نار،لكنهم دون الملائكة لطافة جسم،وذلك لأهم يأكلون ويشربون.

*ينظرإلى د.صلاح مصطفى:علم الاجتماع البدوي-ص321

(1)فوزية دياب:القيم والعادات الاجتماعية-دارالنهضة العربية-بيروت-1983-ص183

(2)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص.ص317-321

(3)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص253

ويتناسلون ويموتون يحاسبون ويثابون وإليهم أرسل الأنبياء كما أرسلوا إلى البشر،وإليهم تحدث القران،وكانوا من أيام النبي يجلسون من السماء حيث يريدون أن يسترقوا السمع إلى آخر تلك السور القرآنية المفصلةويأتي المفسرون فيقولون: بأن الجن كانوا هم سكان الأرض قبل ادم عليه السلام(1)،وكان لهم ملوك كثيرون فأجلاهم إبليس إلى أطراف التخوم،كما يقول ابن قتيبة في كتاب المعارف،وأن طمهورث أحد ملوك الفرس حاربهم وحاصرهم في جبل قاف(2).والاعتقاد عندهم أن لكل إنسان قرين من الجان،وأكدواأن هناك نوعان من الجن:جان مسلم وجان كافر،ومعظم قصصهم كانت على النوع الثاني من الجن وكل ماذكرعن الجان المسلم أنه يدخل في الإنسان،إذا أوذي منه مثل دفق الماء الساخن بدون ذكر إسم الله،وهذا علاجه سهل،ويكون عن طريق أخذبخروجه من الشخص بدون عودة وبدون أذى(3)،أما إذا كان الجان غير مسلم فهو صعب الخروج،ولا ينفع فيه القراءات كالمسلم ولذلك على المعالج أن يقوم بضربه ضربا ضربا مبرحاوبالطبع كل هذه الأمور تنفذ في افنسان المسحور،ويظل المعالج يضيق عليه الخناق حتى يخرج من العضو المراد،ولذلك أكد المبحوثون على أنهم ينصحون أطفالهم بعدم الصراخ في الأماكن المهجورة أو اللعب في الرماد،أن ذلك يؤذيهم حيث يتواجد الجن في هذه الأماكن،أما الكبار فيذكرون دائما البسملة،وأن الجان يتجسد في قط غالبا مايكون أسود اللون،ومن ثم يأتي تحريم إيذاء القطط عامة ليلا والأسود على وجه الخصوص(4)،يؤمن بنوعامر وحميان بمجتمع القوى الخفية والخوارق، ويرتب المعتقد الشعبي الكائنات غير المرئية مثل الأولياء والجن والملائكة ترتيبا تصاعديا.

(1)التيجاني:رحلة التيجاني-ص.ص310-311

(2)أحمد رشدي صالح:الأدب الشعبي-ط3-مكتبة النهضة المصرية-القاهرة-1971-ص151

(3)دة.سهيرعبدالعزيز؛المرجع السابق-ص254

(4)أحمدرشدي صالح:الأدب الشعبي-ص151

ج-الأرواح:كان في اعتقاد مجتمع بني عامروحميان أنها شيء واسع للغاية،فكان يرى أن الموت نهاية الإنسان على هذه الأرض،وأن روح الميت تصعد إلى خالقها.وإنما كان بنوعامر وحميان يعتقدون أن روح الميت تجوس في بيته بعد وفاته وتزورأبنائه وتسمع وترى وتحزن بما يصيب أهل الميت،وفي مكان الميت،ومن المعتقدات الشعبية كذلك التي كانت سائدة هي أن كلما كان موت الإنسان شاذا كالقتل،وكل من قضي عليه في ظروف فاجعة،تظل روحه تسكن المكان أو الشيء الذي مات عنده،وكانت تشع القصص وتنسج الحكايات عن تلك الروح(1)،وهي تتكلم كلمات المقتول الأخيرة خاصة عندما يسقط المطر،وتبلل الأرض وتأتي حركاته وتطلق صرخاته(2)،ويطلق على الظاهرة العجيبة والغريبة في مجتمع بني عامروحميان بزقوقن

د-السحر:ظاهرة اجتماعية موجودة في كثير من المجتمعات،بما في ذلك المجتمعات البدوية،وإن اختلفت طقوسه وممارسوه من مجتمع إلى اخرحسب الظروف الاجتماعية والحضارية التي تسود كل مجتمع على حده،وللسحر ممارسوه الذين يتفرغون له تماما(3)،أوفقد اعتقدوا في شجر العشر وهو شجر ناعم النبات شديد الخضرة يضرب إلى السواد،ينبت صعدا وله أوراق عظيمة ونور مشرق حسن المنظر لاستجلاب المطر إذا احتبس بضروب من السحر والشعوذة(4)،إذ يعمدون إلى ربط بعض أغصان شجر العشر أو السلع في أذناب وعراقيب البقر،ثم يصعدون بها في الجبل الوعر،ويشعلون فيها النار ويزعمون أن ذلك من أسباب نزول المطر(5).

(1)فوزية دياب:القيم والعادات الاجتماعية-ص183-دة سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص254

(2)أحمد رشدي صالح:الأدب الشعبي-ص152

(3)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابقص155

(4)د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص262

(5)التيجاني:رحلته-ص62-د.مصطفى أبوضيف أحمد:المرجع السابق-ص262

وكذلك في التأثير السحري لنجم سهيل*وكانوا يزعمون أن سهيلا والضب كانا رجلين فرضا العشور على الناس والأتاوات،على تجار البر والبحر،فمسخهما الله عقوبة لهما وجعل أحدهما نجما في السماء والآخر حيوانا على الأرض يذكر التيجاني بقوله"...إنما الغريب من أمر سهيل،وهو صحيح مشاهد أن الإبل ساعة طلوعه تستديره فلاتزال مولية بوجهها عنه مادام طالعا،وإن كانت حين طلوعه مستقبله استدرات من الحين فولته أدبارها،وهذا أمر شائع مستفيض لم أر من أهل الإبل إلا مقرا به مصدقا له...وهم يزعمون إن طلوعه سبب موت الإبل ووقوع الوباء،فلأجل ذلك تكرهه وتستديره...وسألت أعراب زماننا أوائل القرن الثامن الهجري عن هذا الذي يذكر من تأثيره في الإبل فقالوا لا نعلم له تأثيرا، إلا أن طلوعه أمان للإبل المغشوشة من الموت فما لم يمت بالغش قبل طلوعه لا يموت بعده..."(1)،ومن المحتمل أن تكون كراهية الإبل لسهيل تعود إلى قيام العرب بفصل الحوار* من أمهاتها،حتى تغنى بذلك ساجعهم بقوله:إذا اطلع سهيل برد الليل وخيف السيل وامتنع القيل وكان لأم الحوار الويل(2).وكما تأثرت القبائل العربية بالمغرب الإسلامي بمعتقدات الجاهلية،وعاداتها الذميمة،فقدتأثرت كذلك بصفاتها الحميدة مثل الكرم والشجاعة(3).

---

*سهيل:نجم كبير ساطع وصهيل هو الاسم الذي أطلقه العرب على عدة نجوم في نصف الكرة الجنوبي،ويستعان به في الاستدلال على جهة الجنوب وهو المعروف عند أهل المغرب(campus)،وقد أطلق المسلمون اسم سهيل على مدينة أندلسية على الساحل الشرقي الإسباني المطل على البحر المتوسط بجوار مربلة؛لأنه من هناك كان يرى هذا النجم فسميت باسمه في العصر الوسيط وقد كتب سنان بن ثابت بن قرة أبوسعيد الفلكي والطبيب العربي رسالة عنه لشهرته.ينظر إلى التيجاني:رحلة التيجاني–ص62–ومادة سهيل في دائرة المعارف الإسلامية.

(1)ينظرإلى رحلة التيجاني–ص.ص62–63

*الحوار:ولد الناقة قبل أن يفصل عنها.ينظر إلى المنجدص155

(2)التيجاني:رحلة التيجاني–ص.ص311–314–القلقشندي:نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب–ص462

(3) د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية–ص262

ومن أشهر كرماء عرب إفريقية شهوان بن عيسى بن جابر بن قائد بن رافع بن رباب.وكان رئيسا في قومه بعيد الصيت مشهور بالكرم لم يذكر في وقته صنوة،وبعد موته دفن بين قصر صياروبئرطشانة بالقرب من قرية تاجورة(1).فصار القبر اسما علما لهذه البقعة.وكان العرب في القرن الثامن الهجري إذا نزلوا هناك ولم يكن لهم زاد قاموا على قبره فنادوا:يا شهوان أكرم ضيوفك إيمانا منهم بكراماته واعتقاد فيه فيذكرون أنهم لم يناموا قط(2)،كانت المرأة تعمل السحر لزوجها السحر لكي يظل طوع أمرها،أو لايتزوج عليها،كما كان البعض يضع السحر عدوانا على الاخرين وككيد بحيث يجعل هذا الإنسان المسحور لا يطيق حياته،ولا يعرف النوم والبعض الاخر كان يستخدم السحر للتفرقة بين الزوج وزوجته لأسباب كيدية(2)يستخدم ولا يزال في علاج الأمراض أو لتحقيق بعض الأغراض كالظفر بقلب الحبيب(3)،أو لإذلال الرجل والسيطرة عليه من طرف المرأة،أولغيرة إمرأة من امرأة أخرى كحسدها من الزواج،أو تفرقة شمل عائلة فوسائله كثيرة ومتعددة.تتنوع العمليات السحرية حسب الغرض المراد تحقيقه،فهناك من يلتجأ إلى المشعوذين،وهناك من يمارس هذه العملية بنفسه باستخدام بعض الأشياء تؤدي إلى الهلوسة، أو فقدان الذاكرة أو الجنون(4)،وكان السحر يوضع ويمارس بطريقة سرية محكمة(1).ويمكن استنباط أسباب ظاهرة السحر في هذه المنطقة أن مردها أن المرأة كانت ذليلة للرجل عبرحقب زمنية فرضتها تقاليد وقيود نظام القبيلة،وبالتالي فهي التي دفعت بالمرأة ولكي تثبت شخصيتها ووجودها في مثل هذه المجتمعات البدوية التي تؤمن بنظام الأبوة وسلطان الذكورة على الأنوثة،فلجوء المرأة إلى استخدام السحر لغرض فرض مكانتها في المجتمع العامري والحمياني.

(2)التيجاني:رحلة التيجاني–ص64

(3)تاجورة:قرية بجوار طرابلس.ينظر إلى د.مصطفى أبو ضيف أحمد عمر:القبائل العربية في المغرب–ص263

هـ-الطب الشعبي:إن الحديث عن الطب الشعبي حديث قد ينطوي على قدر من اللبس والغموض حول معنى الطب الشعبي،فالطب الشعبي جزء من المعارف الشعبية التي تكونت عبرأزمنة طويلة،كانت التجربة والاستنتاج هي أساس تطورها،ولقد استمرت لارتباطها بالطبيعة،وبظروف مجتمعية،فهي تستخدم ماهو موجود في البيئة الطبيعية،ومتوفر من أعشاب ونباتات،حيث كان الانسان والحيوان راحلا من مكان إلى مكان،وأينما يصاب أحد بمرض،فيجد الدواء في أعشاب المروج المجاورة،فيصنع منها الشراب والمراهم(1)*.وهنا قد يأتي الشفاء عن طريق الثقة في قدرة الله،وكما خلق الداء،خلق له الدواء،وعلى الانسان أن يبحث عنه(2).

ج3-1مفهوم الطب الشعبي:هونوع من التداوي الذي يقوم به محترفون لهذه المهنة،أو غيرمحترفين وهم يرثونه أبا عن جد،مكتسبون للخبرة عن الممارسة،مستخدمون للأعشاب وكبد الحيوانات والدهانات،والمبسم القضيب الحديد الذي يتم به كي المرضى،وهذا النوع من الطب قديم،وله خطورته،ولكن مازال يمارس وهو في الدرجة الأولى طب وقائي(3)،وكان الطب الشعبي هو الوسيلة الوحيدة المتاحة في منطقة الدراسة ويعتبرالطب الشعبي عنصرا من عناصر المعتقدات الشعبية،فعن طريق الخبرة لدى كبارالسن والمتاح في الطبيعة من أعشاب ونباتات والكي بالنار كانت وسائل التداوي،ويلاحظ أن ابن خلدون قد بين أن الأمراض كانت قليلة في البادية عن الحاضرة في عهده،نظرا لاختلاف الحياة الاجتماعية ومعيشة الناس وعاداتهم في الحاضرة.

---

(1)دة.سهيرعبدالعزيز:الاستمراروالتغير في البناء الاجتماعي-ص258

*هناك طرق متعددة للعلاج منها الحجامة،ومنها الكي بالنار،ومنها التداوي بالأعشاب عن طريق الشرب،أو من الظاهر كاللبيخة،وهناك طرق لاتدخل في هذا التصنيف.

(2)نورة الطياش:الطب الشعبي-ورقة مقدمة من وكالة الرئاسة لكليات البنات في إحياء التراث الشعبي-1410هـ-ص2

(3)أمين رويحة:الطب الشعبي-ط3-دارالقلم-بيروت-1974-ص28

ويعلل ذلك بأن أهل البادية أكثر حركة ورياضة من أهل الحواضر الذين يتميزون بالسكون بقوله:"...أما أهل البدو فمأكولهم قليل في الغالب،والجوع أغلب لقلة الحبوب،وأما أهويتهم فقليلة العفن لقلة الرطوبات والعفونات إن كانوا ظواعن،ثم إن الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الخيل أو الصيد أو طلب الحاجات لمهنة أنفسهم في حاجاتهم،فيحسن بذلك كله الهضم ويجود،ويفقد إدخال الطعام على الطعام،فتكون أمزجتهم أصلح وأبعد من الأمراض فتقل حاجتهم إلى الطب في البادية بوجه عام وماذلك إلا للاستغناء عنه،إذلو احتيج إليه لوجد لأنه يكون بذلك في البدومعاش يدعوإلى سكنه..."(1).وسوف يتم عرض بعض الأمراض وكيفية علاجه في مجتمع بني عامر وحميان:الحمى وكان يتم تداويها بواسطة نبات يسمى النوخة،أو الضرووالزكام بالزعتر،وكانت الأمراض الصدرية والسعال والروماتيزم يداوى بأزيرالجبل أوالبل وألال وكذلك يستعمل للمرأة الحائض وإذا أصاب المريض الام يداوى بالفيجل،وكان نبات الحرمل يستخدم للأمراض النفسية أي للذي يمسسه جان،العرعارلعلاج مرض المعدة وأيضا ملة الشعير لعلاج بعض الأمراض التي تصيب الجهاز الهضمي، أمراض الرأس كالصداع وفتح الشهية وغيرها من الأمراض التي تصيب الجهاز الهضمي.كما كان علاج الأمراض النفسية وحتى الجسمية عن طريق الشعوذة باستخدام التمائم لوقاية الفرد من العين الشريرة.حيث يقول ابن خلدون"...وتجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب والأدم من أهل القفار أحسن حالا في جسوهم،فألوانهم أصفى وأبدانهم أنقى،وأشكالهم أتم وأحسن وأخلاقهم أبعد عن الانحراف وأذهانهم أثقف في المعارف والادراكات..."(2).

---

(1)ينظرإلى:د.حسن الساعاتي:علم الاجتماع الخلدوني–ص184 استخلصت هذه المعلومات من الواقع المعاش،فلاتزال العائلات في المجتمع الحمياني يستخدمون هذه الأعشاب وهذه النباتات الطبيعية في علاج كثير من الأمراض.

(2)ينظرإلى د.ألبيرنصري:من مقدمة ابن خلدون–ص84

الفصل الثالث:

بنوعامر وحميان (دراسة اجتماعية)

المبحث الأول: النظام السياسي

1- نمط الحياة الإجتماعية(البداوة)

2- النظام القبلي

المبحث الثاني: النظام الإجتماعي

1- المكانة الإجتماعية للمرأة

2- التنشئة الإجتماعية

3- نظام الزواج

4- نظام الأسرة

5- القيم الإجتماعية

المبحث الثالث: النظام الإقتصادي

1- الترحال

2- الرعي

3- الإغارة والسلب



1-نمط الحياة الاجتماعية(البداوة):ذكر ابن خلدون في العمران البدوي أن الأجيال تختلف في حياتها نتيجة الإختلاف في ظروفهم المعيشية وأحوالهم،وأن البدو أقدم من الحضر وأصل التمدن،فخشونة البداوة قبل رقة الحضارة والتمدن هو غاية للبدوي(1).وتمثل البداوة* عند ابن خلدون الجيل الأول في حياة المجتمعات البشرية،وترتكز في رأيه على ركيزتين أساسيتين ،أولاها حاجة الناس إلى التعاون لإشباع احتياجاتهم الضرورية،وثانيهما حاجة الناس إلى الحماية والدفاع عن أنفسهم ضد مخاطر الطبيعة والكائنات الحية الأخرى على حد سواء،ومن هنا كانت أو نشأت القبيلة أول الأشكال الجماعات الاجتماعية التي ضمت بني البشر أو احتوتهم على أساس من العصبية،ووفق تنظيم سياسي واجتماعي صارم(2)،ثم صنف ابن خلدون البدو ووضعهم في مستويات أربعة،فقد صنف بني عامر وحميان ضمن البداوة الجزئية ومن الرحل الذين ليسوا متوحشين بطبيعتهم،وإنما بطبيعة المعاش الذي ينتحلونه.إن البداوة اصطلاح يطلق على فئة من السكان الذين يتميزون بخصائص معينة وسلوك خاص تتحدد ملامحه إلى حد كبير من خلال البيئة المحيطة بهم ولا تسمح تلك البيئة بإقامة حياة سكانية مستقرة(3)،فالبداوة تعني الترحال وعدم الاستقرار في مكان ثابت طوال العام،إذ تضطر بعض الجماعات أو العشائر على أن تغير مناطق إقامتها من آن لآخر أو من فصل لآخر سعيا وراء مصادر الغذاء أو القوت،وسعيا كذلك وراء الرزق(4).

---

(1)د.ألبير نصري نادر:من مقدمة ابن خلدون –ص82

*البداوة هي نمط الحياة القائم على التنقل والترحال الدائم للإنسان في طلب الرزق أو حول مراكز مؤقتة يتوقف مدى الاستقرار عندها أو حولها على كمية الموارد المعيشية المتاحة من ناحية،وعلى كفاية أو كفاءة الوسائل المستعملة في استغلال أو استثمار تلك الموارد من ناحية أخرى وكذلك على مدى كفاية الأمن الاجتماعي

(2)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي–ص336

(3)نفسه:ص257

(4)نفسه:ص.ص337–338

ومنها الرعي أو الزراعة أو التجارة،كما هوالحال في كثير من أقاليم السهول والصحاري(1).إن البداوة مرحلة متميزة من مراحل النمو أوالتطور الحضاري للمجتمعات البشرية،هذا التطور الحضاري الذي يتناول بالتغييرعادة جانبين أساسيين هما:الجانب المادي ويشمل ما يستخدمه الإنسان من أدوات وأجهزة وغيرها من عناصر البيئة التي تحيط به،والجانب اللامادي:ويتناول العادات والتقاليد والعرف والقيم،علاوة على ذلك من الأساليب التي تنظم سير الحياة الاجتماعية بأنظمتها المختلفة(2).البداوة سمة من سمات الحياة الاجتماعية في الصحاري نشأت أي البداوة كرد فعل إيجابي لظروف الحياة فيها،وكذلك هي مرحلة حضارية قديمة كانت تمثل حياة الإنسان كله على سطح الأرض منذ نشأته حتى العصر الحجري الحديث(3)،والبداوة الحالية من الناحية الجغرافية عبارة عن حالة ملاءمة بشرية بين هؤلاء المتخلفين وبين ظروف البيئة الطبيعية.البداوة لا تعني التجوال بغير هدف عبر الصحاري،بل هي تمثل أقصى نوع من التوافق والتكيف للحياة البشرية مع الطبيعة القاسية.وتشكل البداوة الرعوية أكثر أنماط البداوة سعة وانتشارا، إلا أن البداوة الرعوية ليست هي نمط البداوة الوحيد حيث توجد إلى جوارها عدة أنماط أخرى(4).لقد بذلت محاولات كثيرة لوضع تصور مبسط.ومن المحاولات ما قام به د.هاجن (E.hagen) عندما وضع نظريته عن التغير الاجتماعي والتي دعمها بدراسات الحالة فقد حدد مظاهر المجتمع التقليدي(5).

---

(1) مونكرمي وات:المرجع السابق–ص26

(2)محي الدين صابر:عوامل التغير الحضاري في نمط الحياة البدوية–القاهرة –1965–ص316–د.محمد السويدي:المرجع السابق–ص32

(3)د.مصطفى صلاح الفوال:علم الاجتماع البدوي–ص338

(4)د.عبدالمجيد مزيان:النظريات الاقتصادية– وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي –دارسة فلسفية واجتماعية– المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار–الجزائر– 200–ص240–مونكرمي وات:البدو–ص18

(5)د.محمد السويدي:المرجع السابق–ص32

في خمس مظاهر*أومعناها السعي من مكان إلى مكان وراء المرعى،فالبداوة إذن تجوال ليس فيه استقرار ورعي قطيع من الأنعام،فالبداوة بهذا المعنى الضيق بدأت في عصر متأخر عن الزرع وتربية الحيوانات المترلية(1).بينما عرف بعض الاجتماعيين البداوة بأنها نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان في طلب الرزق حول مراكز مؤقتة يتوقف مدى الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة فيها من ناحية وعلى كفاية الوسائل الفنية المستعملة في استغلالها من ناحية ثانية،وعلى مدى الأمن الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافر فيها من ناحية ثالثة(2)،أو هي نمط من الحياة يقوم على الارتحال الدائم بين مناطق زراعية ضئيلة المردود،وهي ديناميكية واستجابة لظروف بيئية خاصة أكثرمن كونها نمطا للحياة يختلف عن أنماط الحياة المستقرة،وكأنها مرحلة وسطى بين مرحلة الجمع والصيد والقنص البدائية ومرحلة الزراعة(3).تسود الجزائر خصوصا هضابها الفسيحة ظاهرة اجتماعية اقتصادية معا ظاهرة البداوة ذلك أن سكان هذه المناطق من القبائل العربية والبربرية لا يستطيعون الاعتماد على موارد الإقليم النازلين به.فيضطرون إلى الترحال انتجاعا للكلأ وطلبا للعيش الميسور الذي يتوفر في جهات أخرى أوفر ثراء(4).

---

*طرق السلوك التي تستمر مع تغير طفيف،وتنتقل من جيل إلى جيل،ثم السلوك المحكوم بالعرف وليس بالقانون والنسق الاجتماعي الذي يؤثر بالتدرج الثابت في العلاقات الاجتماعية الأساسية،وعادة مايكون وضع الفرد في المجتمع موروثا أكثر منه مكتسبا وانخفاض الإنتاجية الاقتصادية.ينظرإلى:بالانديه جورج:علم الاجتماع-ترجمة د.أحمد الخشاب-مقالة- المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية -العدد13-القاهرة-1973- ص73

(1)د.عبد المجيد مزيان:النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون -ص240-مونكرمي وات:البدو-ص18-د- مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية-ص292

(3)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص165

(4) ف.ف.كستللو:المرجع السابق -ص27

وكان ابن خلدون على اتصال ببعض القبائل العربية الساكنة بنجود الصحراء وخصوصا نواحي بسكرة والمشرية والسرسو(1)،وبقيت قبائل الهضاب العليا الغربية الأخرى،وكذلك سكان قصور بني عامر وهي قصور الأطلس الصحراوي الغربي بحكم الظروف السياسية التي سمحت لابن خلدون عندما كان مستشارا للسلطان المريني عبدالعزيز،وأخيه يحي ابن خلدون كان حاجبا في بلاط بني زيان(2)،وربما كان ابن خلدون يلاحظ عن قرب حياة بني عامر وحميان البدوية،وحياة سكان قصور بني عامر حيث قام ابن خلدون بقراءات كثيرة ومتنوعة يمكن من خلالها من معرفة الكثير من الوقائع والأحوال عن بلاد المغرب التي ولد في إحداها وهي تونس،وعاش وتنقل في بعضها،وألف كتابه في التاريخ في دولة أخرى وهي الجزائر(3)وإذا كان مجتمع بنوعامر وحميان مجتمعا بدويا* رعويا حسب ماجاء عن ابن خلدون فإن بني عامروحميان ربما كانوا محل مشاهدة ابن خلدون التي اتخذهم كعينة في دراسته،واستخلص من نمط معيشتهم نظريته المعروفة في العمران البدوي،وكان بنو عامروحميان من أهل الظعن المحدود وكان يعيشون على ماهو ضروري(4).في عهد الدولة الزيانية،حيث كانت المنطقة تشكل إقطاعا الذي منحه سلاطين بنوزيان خاصة في عهد أبي موسى الثاني.

---

(1)د.عبد المجيد مزيان:المرجع السابق –ص240

(2)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي–ص305

*هوذلك المجتمع الذي يضم العشائر والقبائل وغيرها من الوحدات الاجتماعية القبلية الرحل وأشباه الرحل أو يضم أي المجتمع البدوي تلك المجتمعات البدائية المحلية التي تحيا في العصر الحاضر حياة تقليدية غير مستقرة تتميز بالبساطة وعدم التعقيد فضلا عن تشابك العلاقات والنظم الاجتماعية والأدوار وتعدد وظائفها،وتمثل تلك المجتمعات البدائية حالة حضارية اقل تقدما لو قورنت بحالات حضارية أخرى متقدمة،سواء كانت سالفة أم معاصرة هذا فضلا عن أن البداوة بصورها المتعددة وبمحتواها المادي والبشري،وتعتبر هي حجر الزاوية بالنسبة للمجتمعات القبلية أو العشائرية البدوية.ينظر إلى:د.مصطفى صلاح الفوال:علم الاجتماع البدوي–ص305

(3)د.حسن الساعاتي:علم الاجتماع الخلدوني–ص81

(4) د.ألبير نصري نادر:من مقدمة ابن خلدون–ص103

1-**النظام القبلي**:يسود البداوة نظام قبلي خاص،فانحصرت الوحدة في القبيلة* الواحدة،وأحيانا في العشيرة المحجوزة في منطقة معينة واحدة لاتتجاوزها؛إلا مضطرة عندالانتجاع وراءالماء والكلأ إذا فقدا في منطقتها(1)هل يمكن إطلاق تسمية قبيلة على بني عامر وحميان؟ هل كل مجتمع بدوي ناجع يكون بالضرورة مجتمعا قبليا؟يرى الباحثون الإجتماعيون أن المجتمع البدوي هو ذلك المجتمع الذي يضم العشائر والقبائل وغيرها من الوحدات الاجتماعية القبلية الرحل وأشباه الرحل(2) هل يمكن القول أن بطون بني عامر وحميان تنتسب إلى جد واحد؟كانت بطون حميان قبل أن تندمج مع بني عامر تشكل قبيلة تنحدر من جد واحد،حسب ما جاء عن النسابة المؤرخين ولكن بعد أن اندمجوا مع بطون بني عامر،يبدو أنهم فقدوا رابطة القرابة الدموية،وأصبحوا يشكلون قبيلة واحدة مع بني عامر،وأصبحت الرابطة التي تجمع بطون حميان وبطون بني عامرصلة الرحم،كان بنوعامروحميان يعيشون في نظام قبلي،منذ أن كانوا في الحجاز والشام،حيث كان العنصر السائد هو العنصر البدوي،وقد انتظم هؤلاء البدو في قبائل.ماهي أسباب التجمع القبلي؟وماهو أساس النظام القبلي؟

---

* القبيلة:معناها مجموعة بشرية تتكون حول رابطة القرابة،وتنتسب إما حقيقيا أو وهميا لجد واحد،أو معناها تجمع من الناس يقطن إقليما معينا،وتسود بين أفراده ثقافة مشتركة ولغة واحدة،وإحساس قوي بالتضامن والوحدة، ويستند إلى مجموعة من العواطف الأولية،يعرف وايت هيد(White head) القبيلة بأنها"تجمع كبير أو صغير من الناس يشتغلون إقليما معينا،ويتحدثون نفس اللغة وبينهم علاقات اجتماعية خاصة تعبر عن التجانس الثقافي بينهم".ينظر إلى:د.عبد المجيد مزيان:النظريات الإقتصادية عند ابن خلدون-ص263د.إبراهيم العسل:الأسس النظرية والأساليب-ص 38-دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص37

(1)نفسه:ص36

(2)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص165-كلود كاهن:تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية-المجلدالأول-نقله إلى العربية د.بدرالدين القاسم-ط1-دار الحقيقة للطباعة والنشر-بيروت-1972-ص11

تتجمع الجماعات البدوية في تجمع قبلي نظـرا للظـروف الطبيعيـة غـير المـستقرة وغيرالمأمونة،ويرى ابن خلدون أن التجمع القبلي في أماكن معينـة،إنماهوأمر فرضـته الحاجة إلى الاستمرار في الحياة،وان اجتماعهم هذا لم يكن إلا من أجل التعاون لتحصيل القوت والضروري من أجل البقاء،كما أن اعتمادهم على الحيوانات ومنتجاتها هو الذي حدا بهم إلى سكنى البراري والقفر،حيث يسكنون في بيوت شعر يسهل علـيهم نقلـها عندما يحل الجدب في مكان،فيرحلون إلى مكان اخر،كما أن الحياة في ظـروف قاسـية قدوحدت بينهم ودعت إلى نشأة علاقات وصلات قوية فيما بينهم تتمثل في دفع الخطر الذي قديتعرضون له وصدالمعتدي،أو القيام بغارات على مناطق أخرى لتـوفير سـبل العيش(1).إن أساس النظام القبلي هو الأسرة،وغاية البدوي الكبرى أن يكون أبا لأبناء كثيرون،يستطيع أن يقوى بهم ويعتزإذا كبروا،بحيث يصبحون أسرة كبيرة هو ربهـا ثم يتزوجون،وتكبر الأسرة،فيصبح الجد الأكبر رئيسا لها،أو شيخا لعشيرة صغيرة تنتنمـي إليه،وإذا إستطاع بفضل كرمه وغناه وشجاعته في الحرب أن يكسب محبة أسر أخـرى من أقربائه واحترام أفرادها أصبح شيخا لعشيرة أكبر،ومن هنا فـإن النظـام القبلـي عندالبدو هونظامهم السياسي،فهم قبائل والقبائـل تنقـسم إلى عشائر،والعـشيرة إلى بطون،والبطن إلى أفخاذ،والفخذ إلى أسرحتى تصل إلى العائلة الواحدة ورئيسها(2).إذن تتركز جميع روابط البدو الاجتماعية في الأسرة،ومايتفرع عنها من بيوت وشيجة القربى والقبيلة تؤلف عادة مـن عـدة أهـالي قـدتحالفت مـع بعـضها،والبدوي مخلـص لعشيرته(3)،ولكنه يدافع عنها باختياره ورضاه،وهويحترم شـيخ العـشيرة أوالقبيلـة.

(1)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص37

(2)جبرائيل سليمان جبور:البدو والبادية-ص230

(3)مكي الجميل:البداوة والبدو في البلادالعربية-مركزتنمية المجتمع-سرس الليان-1962-ص53

ولكنه لايتحمل الاستبدادمنه كان بنو عامروحميان قبل دخولهم إلى المغرب الإسلامي خاضعين لقبيلة زغبة،وبعد أن ازداد عدد هذه القبيلة عند دخولها إلى بلاد المغرب في منتصف القرن الخامس الهجري.بدأت تتفرع إلى قبائل خاصة بعد دخولها إلى المغرب الأوسط(1).فانبثق عنها قبيلة بني عامر ومالك وحصين وعروة ويزيد،وأصبحت حميان تابعة لقبيلة يزيد كانت رئاسة بني يزيد في أولاد لاحق ثم انتقلت إلى أولاد معافي ثم انتهت في بيت سعد بن مالك بن عبدالقوي بن عبدالله بن سعد بن محمد بن عبدالله بن مهدي بن يزيد بن عيسى بن زغبة(2)،وكانت الرياسة لبني زغلي من سعد،فكانت لزيان ابن زغلي ثم لأخيه ديفل ثم لأخيهما أبي بكر ثم لإبنه ساسي بن أبي بكر ثم لإبنه معتوق ابن أبي بكر ثم لموسى ابن عمهم أبي الفضل بن زغلي،ثم لأخيه أحمد بن أبي الفضل ثم لأخيهما على بن أبي الفضل ثم لأبي الليل بن أبي موسى بن أبي الفضل وهو رئيسهم حتى أواخر القرن الثامن الهجري وخلفه في قومه ابنه يحي(3)،ويطرح أحد الباحثين سؤالا وهو لماذا لم يبين ابن خلدون كيف أن البطن يمارس الرئاسة في بني يزيد التي كانت لأولاد لاحق؟(4)يستخلص من الدراسة التاريخية أن حميان كانت تعيش ضمن تشكيل قبلي يقوده رئيسا يشاركه في ذلك رديفا،لكل قبيلة من قبائل البدو أسرة تتوارث مشيخة القبيلة،وليست هذه المشيخة للأكبرسنا،وإنما لأكبرهم همة،ولابد للشيخ أن يمتاز بصفتين:الشجاعة والكرم،واستخدامه للأسلحة في الحرب إستخداما جيدا(5).كانت حميان ترى في بني يزيد النسب المتواصل القريب جدا ولذا كان يربطها بفروع بني يزيد

(1)العبر:ج6-ص41 -مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص190

(2)نفسه:ص41

(3)نفسه:ص41

(4) Said Dahmani:les Banu-hilal et le pouvoir dans le Maghreb central-p149

(5)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص37

الأخرى الالتحام والاتحاد بينها وبين بني عامر.والسبب في وجود النظام القبلي عند بني عامر حميان يعود إلى صلة الرحم وهي صلة طبيعية في البشر كما يقول ابن خلدون(1)،وتتمثل هذه الصلة في النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام خوفا من يصيبهم ضيم أو هلكة(2)،وبعد انتقال حميان إلى صحراء تلمسان أثناء قيام دولة بني عبدالواد سنة1236م بعد أن تبعت بني عامر أصبحت خاضعة لرئاسة بني عامر،وكان رئيسهم آنذاك دوادبن هلال بن عطاف بن رداد،وعندما تباعد النسب بين حميان وبني عامر حصل بينهما الولاء والحلف،وقد سبق لبني عامر أن ناصرت بني يزيد فحصل بينهما تحالفا،استنجدت قبيلة بني يزيد بهم ضد بني رياح وربما قد استنتج ابن خلدون هذا القانون من خلال مشاهدته لهذه العلاقات الاجتماعية بين القبائل العربية الهلالية في المغرب الأوسط حيث يقول ابن خلدون"...وإذا بعد النسب بعض الشيء،فربما تنوسي بعضها،ويبقى منها شهرة يتوهما في نفسه،فتحمل على النصرة لذوي نسبه بالأمر المشهور منه،فرارا من الغضاضة التي يتوهما في نفسه من ظلم من هو منسوب إليه بوجه ومن هذا الباب الولاء والحلف إذ نصرة كل أحد على أهل ولائه وحلفه للألفة التي تلحق النفس من اهتضام جارها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب،وذلك لأجل اللحمة الحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب أو قريب منها..."(3)وهذا ما تعتقد بعض المجموعات المكونة لما يسمى بحميان والتي تتوهم بأنها تنتسب إلى قبيلة حميان مع أن بعضها لا يمت بصلة لها.وبقيت حميان خاضعة لبني عامر إلى غاية انقسام بني عامر وحميان إلى قسمين:قسم هاجر إلى المنطقة التلية خلال عهد بني زيان وقسم بقي مستقرا بصحراء تلمسان.

---

(1) المقدمة –ص91–د.ألبير نصري نادر:من مقدمة ابن خلدون–ص103

(2)ابن عذارى:البيان–ج4–ص470

(3)ينظر إلى المقدمة–ص91

ويبدو من خلال الدراسة التاريخية أن بني عامر وحميان كانوا يشكلون قبيلة واحدة تخضع لرئيس واحد،بناء على انتخاب من مجلس القبيلة أو الجماعة مع مراعاة لثروته أو لصفاته الحربية،وكان من حق سلطان الذي تتحالف معه القبيلة إقرار هذا الاختيار أو تغييره حسب ما يتراءى له(1).يحكمه في ذلك مدى إخلاص الزعيم وتفانيه في خدمته وإن كانت حريته هذه تقيد في حالة قوة القبيلة(2).وفي النهاية كانت الصفات هي التي تضمن للرئيس الاستمرار في حكم القبيلة وتوجيهها،والتفات قلوب شبابها حوله مفتونين بفروسيته وقوته مستعدين للتضحية بأرواحهم في سبيله،وهذا لا يمنع القبيلة من تغيير زعيمها وشيخها إذا ما أساء التصرف وعرض مصلحتها للخطر(3)،وربما كان لكل قبيلة وكيل يمثل الرئيس وكانت وظيفته تتعلق بجباية الاقطاعات الممنوحة للقبيلة من الدولة أو ماتمكنت القبيلة من وضع يدها عليه،وإن اختيارهم كان بعيدا عن التوفيق،ولكل قبيلة كاتب ومفتي أو فريض القبيلة،فالفريض كناية عن المفتي يستفتي في المشاكل بين الأفراد وبعضهم وتقبل أحكامه لما له من قدرة خطابية،وكذا في المشاكل الدينية،وإن كان يفتقد الإلمام بالشرع والدين(4)،وكذلك لكل قبيلة كاهن،فيصفه ابن خلدون"ارفع هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة لتشتغل به الحواس،ويقوى بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص،فيهجس من قلبه عن تلك الحركة والذي يشيعها من ذلك الأجنبي ما يقذفه على لسانه،فربما يفزع إلى الظنون والتخمينات حرصا على الظفر بالإدراك... "(5). بزعمه،وتمويها على السائلين وأصحاب

(1) البيان: ج4-ص470

(2)اليجاني: رحلة التيجاني-ص189

(3)نفسه: ص197

(4)البيان- ج4-ص470

(5)ينظر إلى المقدمة-ص.ص100- 101

هذا السجع هم المخصوصون باسم الكهان"(1)وكما أن الفرد لا يستطيع أن يحيا منفردا عن القبيلة،كذلك كانت القبيلة نفسها لا تقوى على مواجهة أعدائها،فلابد أن تنطوي تحت لواء حلف أكبر يضم القبائل ذات الأصل الواحد،والتي تدعي الانتساب إلى جد مشترك،وقد تضطر القبائل إلى ذلك وفقا لظروف اقتصادية أوحربية(2).وهو عبارة عن ميثاق يتعاهدون فيه أن يكونوا صفا واحدا متساندا وينفرون إلى القتال معا(3).ويحتملون الديات معا ويأخذون بثارات بعضهم بعضا(4).ومن أمثلة ذلك تحالف عرب الأثبج وزغبة ورياح وبنوقرة لمقاومة استيلاء الموحدين على إفريقية في 547هـ-1152م متناسين مابينهم من ثارات(5).ولكي يكسب العرب هذا الحلف قوة كانوا يصبغونه بصبغة دينية ليجعلوا صفة مقدسة كأن يعقدوا الحلف عند أحد الشيوخ المشهور لهم بالكرامات،كما كان يعقد عرب الجاهلية أحلافهم عند الكعبة،أو يغمسوا أيديهم بالدم أوالطيب،ثم يتصافحوا بعد ذلك دليلا على التمسك بالحلف(6).أويوقدوا نارا ويدعون بالحرمان من خيرها على من ينقض العهد ويحل العقد وكذلك هناك أحلاف صغيرة تقوم بين حيين أو قبيلتين بحكم الجوار هدفها تحقيق الأمن والسلام لكل منهما لا يخالف معه إغارة مغير ولا ضياع كبير من الأشياء ولا صغير كتحالف عرب المحاميد والجواري(7)،وبلغ من أهمية الحلف وقدسيته في حياة العرب القبلية

(1)ينظرإلى المقدمة-ص.ص100-101

(2)G.Marçais:les arabes.p20حسن أحمد حسن:قيام دولة المرابطين-القاهرة-1957-ص26.
د.عبدالحميد يونس:الهلالية-ص86

(3)العبر:ج6-ص20-الميلي:تاريخ الجزائر-ج2-ص.ص257-258

(4)ابن الخطيب:نفاضة الجراب-في علالة الاغتراب-نشره أحمد مختار العبادي-القاهرة-1967-ص.305و323

(5)القلقشندي:سبح الأعشى-ج1-ص409

(6)العبر:ج6-ص57-د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية في المغرب-ص249

(7)ابن خلدون:المقدمة - ص.ص100-101

أن أصبح في بعض الحالات علم على قبيلة المتمسكة به حتى يختلط الأمر على البعض فيطلقون اسم الحلف على الجد المشترك لهذه القبيلة كما حدث في أبي قحافة بين عرب النضر بن عروة وبني عامر وحميان بن زغبة(1)،إذ يزعمون البعض انتسابهم إلى عرب النضر إلى أبي قحافة بينما يقول شيوخهم أنه ليس بأب لهم هو اسم واد كان به حلفهم قديما(2)وإذا كان ابن خلدون اتخذ من حميان وبني عامر كنموذجا لنظريته المعروفة بعلم العمران،فإن صاحب علم العمران كان يرى أن حياة البادية كلها مقتصرة على الضروريات(3)،وأن النظام القبلي هو النظام النموذجي للرحل،ولا تظهر مزاياه المجتمعية إلا عند النموذج الذي شاهده ابن خلدون وهو نموذج بني عامروحميان الذي يعيش على تربية المواشي (4).وتتلخص ميزاته أنه نظام يكون وحدة متماسكة مبنية على القرابة بالانتساب الحقيقي أو الخرافي إلى نفس الجد،وأنه نظام أبوي لأن نفس الجد البعيد الذي تتكون باسمه الوحدة يوجد حتى في الأسرة الحية وتتسع الأسرة إلى الأبناء والأحفاد الذين يعيشون تحت سلطة أب أو جد واحد له هيمنة مادية وروحية على الجميع ويقوم الشيوخ مقام هذا الأب الرئيس(5)،إنه متماسك باسم العصبية في مظهرها الأولي الذي يكاد يكون بيولوجيا،وهي عصبية الدم الواحد من جهة الذكور كالإخوة وأبناءهم والعمومة وأن بعدت وأبناء العمومة.

(1)المقدمة-ص100-101-د.عبد المجيد مزيان:النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون-ص264

(2)د.عبدالمجيد مزيان:المرجع السابق:ص264-د.محمد عاطف غيث:علم الاجتماع القروي-ص130 د.محمد السويدي:بدو الطوارق-ص34

(3)د.حسن الساعاتي:علم الاجتماع الخلدوني-ص165-عبدالمجيد مزيان -ص264

(4)موروبيرجر:العالم العربي-ص56-د.عبدالمجيد مزيان:النظريات الاقتصادية-ص265

(5)د.عبد المجيد مزيان:نفسه-ص265

بينما ترفض دخول الخؤولة في لحمة العصبية(1)،وأنه مجتمع يعتبر فيه الذكور منذ البلوغ حتى الموت محاربين مجندين باستمرار،وهو مجتمع له أرضه الخاصة محـــدودة في منـــاطق جغرافية معينة تسمى أرض القبيلة،وعليها يقع الصراع مع القبائل المجاورة وللقبيلة قيمها الخاصة المتمثلة في النعرة وهي الإسرع للدفاع عن القريب وعـــن حرمـــة القبيلـــة وفي الشجاعة لأنها أساس البقاء في هذا العالم المملوء بالصراعات(2)،وفي الكرم لأنـــه يمثـــل جانبا من التساند والتكافل المجتمعي في الداخل وجانبـــا مـــن الفخـــر والتطـــاول في الخارج،هذا وتنقسم القبيلة في المجموعات الكبيرة إلى أفخاذ وأسر واسعة يحفظ كل منها نسبه وعصبيته ولا يعرف هذا النظام المبني على الرعي نوعا آخر من الملكية الأرضية غير الملكية الجماعية،بينما تملك كل أسرة قطيعها ودوابها وخيامها وأمتعتها(3)،ويبدو أن هذه الميزات كانت تتوفر في النظام القبلي العامري والحمياني،ويلاحظ أن قبيلة بـــني عـــامر وحميان قد اتسعت وتغيرت معالمها في بعض الظروف الـــسياسية إذ اضـــطر أهلـــها إلى التغيير،فليس النموذج المذكور سابقا ساكنا،بل يمكن أن بنياته لا تثبت تمام الثبـــوت،إلا إذا تم تصوره في محيطه العادي وفي ظروفه العادية لحياة الرحيل والتفاعل مـــع القبائـــل الأخرى المماثلة(4).وهل العصبية في النظام القبلي العامري والحمياني أدت إلى تغير هـــذا المجتمع؟فالمجتمع العامري والحمياني بقي قبليا وتسوده العصبية لكنه لم يرق إلى مـــستوى تأسيس الملك،لأنه لم يخرج عن حياة الشظف والبداوة،فليس كل العصبيات القبلية التي

(1) موروبيرجر:العالم العربي-ص55- د.عبدالمجيد مزيان:النظريات الاقتصادية-ص265

(2)نفسه:ص55-د.حسن الساعاتي:علم الاجتماع الخلدوني-ص 170-كلودكاهن:تاريخ والشعوب الإسلامية-ص ص11-د.ألبيرنصري:من مقدمة ابن خلدون-ص103

3)د.ألبيرنصري:من مقدمة ابن خلدون-ص103

(4)ابن خلدون:المقدمة-ص 101-موروبيرجر:المرجع السابق-ص55 -د.ألبير ناصري:من مقدمة ابن خلدوون-ص103

ترمي إلى الملك يبقى محافظا على معاشه وبنياته مدة طويلة من الزمن(1).إن عرب بني عامر وحميان بما لهم من إحساس بالتفرد وإيمان بالمساواة لا يخضعون بسهولة لقيود السلطة،وقد وصف ابن خلدون بأنهم أقل الناس قدرة على الحكم وأقلهم خضوعا له.ويبدو أن البدو لا تسهل قيادتهم لفرط شعورهم بالعزة،وعدم اعترافهم بأي سلطان،اللهم إذا اتبعوا نبيا فالدين وحده يقلل من كبريائهم،وبكبح من غيرتهم وتنافسهم(2).وبالرغم من أنه لا بد من لرؤسائهم أن يكونوا قادرين على استعمال القوة لقمع التمرد،إلا أن عليهم في الوقت نفسه أن يلاطفوهم(3)،ويتجنبوا إظهار القوة الذي قد يسبب تمردا يحطم سلطان الرؤساء ووحدة المجموعة كلها،وبالرغم من المساواة فإن المجتمع البدوي لا يلتفت إلى الفرد بل أنه يلحقه بالأسرة وبالبطن والقبيلة،والفرد لا يجد في خضوعه للقبيلة إكراها،إلا حين تحاول السيطرة عليه قوة خارجية من غير قبيلته،ففي هذه الحالة يبدي مقاومة،والقبيلة هي الوحدة الثانية الأكبر بعد الأسرة،وهي مجموعة من البطون المختلفة وهي أقرب الأشياء إلى الحكومة بين البدو(4)،فهي التي ترسم حدود التجوال والترحال،وتوقع المعاهدات مع القبائل الأخرى،وتمارس درجة من درجات السلطان الاجتماعي،وهذا الشكل من أشكال الحكم يتحقق بواسطة رئيس القبيلة ومجلس الشيوخ من البطون المتعددة وشيخ ليس مستبدا(5)بالرغم أنه يملك مقدارا من السلطة داخل نطاق العرف القبلي،وعليه أن يحقق سلطته وفقا لتفسيرات القبيلة التقليدية لمصالحها؛لأنه ملتزم بالأحداث السابقة التي تعيها الذاكرة،

---

(1)مورو بيرجر:العالم العربي-ص56-د.أحمد شلبي:موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية-ج1-ص96

(2)نفسه:ص56-د.محمد السويدي:بدو الطوارق-ص33

(3)نفسه:ص57- د.غوستاف لوبون:حضارة العرب-ص345

(4)د.أحمد شلبي:موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية-ج1-ص.ص96-97

(5)مورو بيرجر:العالم العربي-ص56

وملتزم برأي القبيلة الذي يصدر عن الشيوخ الذي لا بد له أن يراجعهم قبل اتخاذ أي رأي(1)،وتورث رئاسة القبيلة إلى الابن،وإذا لم يكن مرغوبا فيه،تعطى لشخص آخر من أسرة الشيخ،والخصال المطلوبة في رئيس القبيلة هي الشجاعة التي يحكمها الحذر والحكمة،والثروة ليتمكن من إبراز صفة الكرم والسلوك الأبوي نحو رجاله وأن يكون حازما،غير أنه لا بد أن يكون عادلا ورؤوفا والقبيلة والأسرة هما الوسيلتان اللتان تعلمان الطفل،وتدربان القتية على دورهم الاقتصادي،وتمارسان على الفرد السلطة الاجتماعية واسعة(2)،وقوانين هاتين الوسيلتين فضلا عن ذلك ليست مدونة كما هي الحال في المجتمعات المتطورة،على أن السلطة الاجتماعية معروفة،إن أحد الملامح الرئيسية للمجتمع البدوي هو ادعاء الأسرة والقبيلة مسؤوليتهما عن سلوك أفرادهما(3).فالجرائم والإهانات والأخطاء تضع حملا ثقيلا على كاهل الجماعة التي ينتسب إليها المسيء،والفرد يخضع لإشراف الجماعة المباشر ولنظمها لأن سلوكه يلزم هذه الجماعة تماما،فإذا ماسرق أحدهم شخصا آخر فإنه يخضع جماعته لعقاب المجني عليه والقصاص على الأخطاء تفرضه القبيلة نفسها على أفرادها،والقصاص عقابي ويخضع للمساواة،وهذا يعني أنه يهدف إلى تعرض الجاني لما تعرض له المجني عليه إنه يستهدف تطبيقا حرفيا لما جاء في القران الكريم العين بالعين والسن بالسن،وبالرغم من أن القصاص موضوع لردع جرائم أخرى،إلا أن وظيفته الأساسية قيما يبدو هي تعويض الضحية بإرضاء نزوعها إلى الانتقام،أو دفع الدية لها فيما يتناسب مع الضرر من مال أسرة الجاني أو قبيلته(4).

(1)موروبيرجر:العالم العربي–ص55

(2)الصغيربن عمار:الفكر العلمي عند ابن خلدون–الشركة الوطنية للنشر والتوزيع–1981–ص34

(3)موروبيرجر:العالم العربي–ص56

(4)نفسه:ص56

ويذهب بعض الباحثين أن البدو في الصحراء يعيشون في نظام قبلي والوحدة في البادية هي القبيلة،وهي وحدة يربط بينها الدم والعصبية،والقبيلة العربية تخضع لدستور صارم نظمته التقاليد والعرف،وخلاصة هذا الدستور أن يحس الفرد برابطته القبلية ويلتزم بتأييد مصالحها،والعمل لها بكل ما يملك من قوة،وأفراد القبيلة جميعا متضامون فيما تلقى مسؤولية على سيد العشيرة الذي عليه أن يتحمل التبعة،وله من أجل هذا حق الطاعة على أفراد القبيلة،وسيد القبيلة يختارمن بين من تجمعت فيه صفات الشجاعة والكرم والحلم (1).وذهب فليكس جاكو إلى القول بأن حميان يتجزأون إلى خمسة عشرأو عشرين فرع صغير أو قبيلة أو عرش وكل قبيلة لها شيخ،يخضع للشيخ الأكبر التي تخضع له كل العشيرة.وكل قبيلة بدوية لها رئيسها الذي يدير شيوخ فروع القبيلة،الذي يسمى بكبير الجماعة،وهؤلاء ينفذون أوامر الرئيس،وكذلك تخضع الجماعة لأوامر شيوخ الفروع أوالدوار(2).يستخلص من أن قبيلة بني عامر وحميان كانت مقسمة إلى عشائر في شكل قبائل أو عروش،وكان عددها خمسة عشر فرعا(3)،ولكن لم يذكر العلاقات التي كانت بتجمع بين هذه الفروع،بل ذهب إلى القول أن كل قبيلة أو عشيرة كانت من الوجهة السياسية تشكل دولة أو حكومة مستقلة عن أخرى والذي كان يجمع هذه العشائر سوى الرابطة الروحية التي كانت تتمثل في قبيلة أولاد سيدي الشيخ التي كانت تقوم بدور إجتماعي هوالفصل في النزعات،وإصلاح ذات البين بين القبائل،انصهرت حميان ضمن قبيلة بني عامر،وأصبحت جزء لا يتجزأ منها، ونتج عن هذا الاندماج أن تأسست قبيلة واحدة يصعب التمييز بين بني عامر وحميان.

---

(1)د.مصطفى صلاح الفوال:علم الاجتماع البدوي–ص165

(2) ينظر إلى:l'expédition du Général cavignac.p284

(3)Ibid.p284

3-**المركز الإجتماعي للمرأةالعامريةوالحميانية**:أهم مقاصد البدو من الزواج التناسل والتوالد،وهم يعتنون عناية شديدة بانتقاء زوجاقم من ذوات النسب الشريف البعيد عن كل شائبة،ويفتشون عن سيرة أم الفتاة المخطوبة،ويتخيرون أخوالا لأولادهم من ذوي السيرة الحسنة(1)إذا كانت المرأة العامرية والحميانية تنتسب إلى عرب بني هلال،فإن المرأة العربية الهلالية كانت لها مكانة في المجتمع الإسلامي العربي (2).وبالتالي فمن الطبيعي أن هذا العرف قد حافظ عليه المجتمع العامري والحمياني وبالتالي تحتل المرأة العامرية والحميانية مكانة في مجتمعها،ورغم أنها كانت ولاتزال تابعة للرجل وتقيم في كنفه وتحت حمايته وإمرته(3)،حيث ذكر المؤرخون أن المرأة العربية رغم تبيعتها للرجل إلا أنها كانت بارزة سافرة غير منعزلة،وتشارك في الشؤون العامة للقبيلة،وكانت لها وظائف جماعية كالإستنفاروالقتال والحث على تقريع المتخلف عنه والهارب منه والتوفيق بين القبائل وبعضها لمواجهة خطر طاريء(4).وقد تطورت مكانة المرأة العربية الهلالية في بلاد المغرب في أواخر القرن السادس الهجري بحيث أصبحت سيدة جميع ما يتعلق بالبيت أثاثا ومتاعا ونحوذلك،والرجل بمثابة الضيف(5).ولها أن تفعل في البيت ما شاءت من غير اعتراض عليها ولا مراقبة(6).ويذهب الباحثون الاجتماعيون أن المرأة تختص بمكانات أقل من الرجل في غالبية المجتمعات العربية البدوية،وبالتالي تختص بأدوار أقل أهمية من وجهة نظرالمجتمع،والسبب في ذلك هوالاختلاف البيولوجي بين الذكر والأنثى(7).

(1)عبدالجبار الراوي:البادية-ط2-مطبعة العاني-بغداد-1949-ص227-دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص39

(2) د.مصطفى أبوضيف:نفس المرجع السابق-ص245

(3) نفسه:ص245-د.عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي -ص38

(4) السلاوي: المصدر السابق-ج3-ص153

(5) مونكرمي وات:البدو ترجمة مصطفى ماهر-دار صادربيروت1983ص83عبد الحميد خالدي:الوجود الهلالي ص111

(6)محمد بن ماء العينين:الجأش الربيط-ص.ص37-38

(7) دة.سهير عبدالعزيز:المرجع السابق-ص39

وقد أعطى المؤرخون بعض الأمثلة عن مكانة المرأة العربية الهلالية في بلاد المغرب خلال القرن السادس ودورها فعندما هزم الرشيد الموحدي شيوخ عرب الخلط ومثل بقبائلهم في 634هـ-1237م،وامتلأت أيدي الجنود والناس من أموالهم،وسيقت النساء والذرية إلى مراكش،حيث إمتلأت بهم الأسواق من كل عذراء ماتجاوزت قط خدرها وتساوت الحرة العربية والأمة في العبودة سعى أعداؤهم من عرب سفيان وبني جابر عند الخليفة.لوقف هذه المهزلة،ونقلوهم إلى دار الأشراف،حيث قام عرب سفيان وبنوجابر بستر بنات الخلط والعف عليهن والإحسان إليهن(1).وعندما ثار عرب أولاد أبي الليل على أبي الحسن المريني خلال عزوة إفريقية ركب قتيبة بن حمزة إليهم أي إلى عرب أولاد مهلهل أعدائه ومعه أمه ونساء أولادها(2)،فتطارحوا عليهم ورغبوا إليهم في الاجتماع معهم على الخروج على السلطان ومنابذته،فكان أولاد مهلهل إليها مسرعين،فارتحلوا معهم وتوافدت أحياء سليم بني كعب وبني حكم،فتزامروا وتصافوا وأهدروا الدماء بينهم وتبايعوا على الموت،وصاروا نفسا واحدا على تباين أغراضهم وفساد ذات بينهم (3)والغالب على الظن أن المرأة العامرية والحميانية كانت تحظى بنفس المكانة التي كانت تتمتع بها العربيات الهلاليات الأخريات في القرن السادس الهجري. لأنها كانت تمثل شرف القبيلة،وكون المرأة العامرية والحميانية كانت تعيش في الخيمة بمعزل عن المدر والمصر كانت تخرج سافرة،تشارك الرجل في كثير من الوظائف منها جلب الماء إذا اقتضت الضرورة لذلك وترعى الغنم وتقوم بالشؤون الخاصة بالخيمة وهي المسؤولة الأولى على تربية الأطفال(4).

(1)محمد بن ماء العينين:الجأش الربيط-:ص.ص37-38

(2)ابن عذارى:البيان-ج4-ص.ص154-157

(3)السلاوي:الاستقصا-ج3-ص159

(4): الوجود الهلالي السليمي-ص111

ونساء قبيلة بني هلال يغزلن وينسجن الأقمشة الخشنة،ويقمن بجمع الحطب،وفي بعض الأحيان تقوم المرأة الهلالية بالدفاع والذود عن قبيلتها،والمرأة البدوية تقوم بأعمال البيت كلها وهي التي تجلب الماء وهو عمل شاق وعسير،والمرأة البدوية العربية لها حرمتها،وهي في كثير من الأحيان لا تلبس الحجاب(1).وذكر بعض المؤرخين المستشرقين أن البدويات العربيات هن غالبا سافرات الوجوه،يتزوجن أكثرمن مرة في كثير من الحالات بحرية أكثر مماتتمتع به أخواتهن من أهل المدن والواحات،ومن أهم ماتعتني به الأعرابيات حلب الشاة،وصنع الدقيق بمطحنتين يدويتين صغيرتين،وصنع الخبز والطعام وتربية الأطفال وحوك الثياب الصفيقة والبسط والخيام(2)،والبدوي العربي حارب ورعى جماله تبعا للتقاليد،تاركا لزوجته رعاية الحيوانات الأخرى.والتزود بالماء وإدارة الخيمة بما في ذلك الأطفال والممتلكات المنقولة الأخرى كالعملة والمجوهرات،وقد أعطت الوظيفة البدوية للمرأة في حياتها في الحرية(3).ويذهب الباحثون الاجتماعيون أنه لا يمكن تحليل البناء الاجتماعي لمجتمع ما دون تحليل الدور الذي تقوم به المرأة في إطار البناء الاجتماعي(4)،فالمرأة العامرية والحميانية كانت تشكل الحارس الثاني للخيمة في غياب الزوج،أو في حالة وفاته والركيزة الأساسية لأن سلطة المرأة في المجتمع العامري والحمياني مستمدة من طبيعة المسائل التي تشرف عليها،وهي معتمدة في نهاية الأمر على سلطة الرجل.إن المرأة عامة تابعة للرجل وعلاقتها به تكون على أساس الطاعة،وتكون تربية الأولاد الذكور من اختصاص المرأة في مرحلة الطفولة.

---

(1)مونكرمي وات:البدو-ص83

(2)نفسه:ص83

(3)د.محمد السويدي:بدو الطوارق-ص94

(4)عبدالحميد خالدي:الوجود الهلال السليمي-ص111

4-**التنشئة الاجتماعية في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي**:قبل التطرق إلى طبيعة التنشئة الاجتماعية في مجتمع بني عامر وحميان ،لابد من تحديد المفهوم.

4-1**مفهوم التنشئة الاجتماعية**:هي عملية تلقين وتعليم أفراد المجتمع الواحد منذ الصغر اللغة والعلاقات والنظم والقيم الاجتماعية المتبعة في ذلك المجتمع، تبدأ هذه العملية الاجتماعية منذ ولادة الطفل،حيث تقوم الأسرة بتلقينه نظم المجتمع وقيمه(1)،وفي صباه تلعب جماعات اللعب والمجتمعات المحلية دورها أيضا في تلك العملية الاجتماعيةكما أن عملية التنشئة الاجتماعية تستمر بصورة ضعيفة بعد ذلك وتلازم الشخص حتى آخر أيام حياته،يعرف أحمد زكي بدوي التنشئة الاجتماعية"..**بأنها العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل والطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم المعيشة في مجتمع ذي ثقافة معينة،ويدخل في ذلك ما يلقنه الآباء والمدرسة والمجتمع للأفراد من لغة ودين وتقاليد وقيم ومعلومات ومهارات...**"(2).إن التنشئة الاجتماعية لدى بدو بني عامر وحميان،ربما لاتختلف كثيرا عنها في المجتمعات البدوية العربية الأخرى،إن لرب الأسرة السلطة المطلقة في تربية الصبية،فإذا قام أحدهم بأمرلايليق،فإن والده يوبخه،وقلما يضربه وخاصة حين يصبح فوق العاشرة من العم،أوعندما يكون الأب عجوزا،ويحتاج في اعوامه المقبلة إلى من يعيله أو يساعده في شيخوخته(3).ويتردد الصبية الذكور إلى مجالس الرجال، حيث يستمعون

(1) د.إبراهيم العسل:الأسس النظرية والأساليب –ص60

(2)نفسه:ص60

*وعن صلاح مصطفى الفوال الذي يقول يجب مراعاة أن كثير من المجتمعات البدوية لا توجد بها مدارس على الإطلاق ،بحيث تعتبر عملية التربية والتعليم هي إحدى المسؤوليات المباشرة للأسرة–ينظر إلى:علم الاجتماع البدوي–ص323

(3)جبرائيل سليمان جبور:البدو والبادية في البلاد العربية–مركز تنمية المجتمع–سرس اليان–1962–ص209

إلى أحاديث الرجال،ويكلفون في الوقت نفسه ببعض الأمور المترلية،كالالتفات على الخيل وسقيها(1)،وكان الصبية الذكور يكلفون بالتمرين على الرماية،ومتى بلغ الصبي الرابعة عشر تقريبا،ينتظرمنه أن يختبر الغزو،وبعد السادسة عشرة يساهم مع الكبار في الغزو،إذاكان يرغب في ذلك،أو إذا أظهر مقدرة حين يمتحن في غزوته الأولى(2).والبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها البدوي العامري والحمياني تطبع عليه الخصائص العامة لها،كما يحرص البدوي العامري والحمياني على توجيه أولاده وإرشادهم ونقل ثقافة المجتمع لأولاده،وإدخال عادات وتقاليد الجماعة في نفوس أبنائه،حتى لايتسبب له الأبناء في قول سوء،وحياة البادية صعبة وتحتاج إلى الخشونة والشجاعة والصبروقوة الاحتمال،ولذلك كان الأب يقسوا على الأبناء أثناء تربيتهم،وعلى الأبناء الاحتمال والطاعة(3)،ومن هنا كانت الأسرة تقوم بمجموعة من الوظائف الجوهرية،وهي كلها وظائف اجتماعية،كماأن هناك تداخلا وتفاعلا مع أبنية المجمع،ولكن نظرا لانعدام المؤسسات الرسمية التي تقوم بنقل التراث والثقافة والتعليم في المجتمعات البدائية الصغيرة(4)،فلذلك تقع على الأسرة المسؤولية الكبرى مثل الوظيفة الاقتصادية والحماية ونقل الثقافة،ويختلف أسلوب التنشئة الاجتماعية حسب الجنس،فالأسلوب الذي يتبع مع الفتى منذ الصغر يختلف عن أسلوب تنشئة الفتاة،كما أن تربية الفتى في سنوانه الأولى تكون موكلة إلى الأم،حتى يبلغ سبع سنوات،ثم يتولى الأب تربيته ويربي الفتى منذ طفولته على الخصائص التي يستطيع بها أن يواجه حياة البداوة بكل خشونتهاوصعوبة الحياة فيها، فيربى الطفل الذكرعلى:

(1)جبرائيل سليمان جبور:المرجع السابق–ص233

(2)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق–ص209

(3)جبرائيل سليمان جبور:البدو والبادية–ص233

(4)دة.سهير عبدالعزيز:المرجع السابق–ص210

أ-**الشجاعة** حيث يتلقاها الطفل الذكر عن والده وذلك عن طريق خوض تجارب قد تكون قاسية إلا انها ضرورية لغرس هذه الصفات في الأبناء،كأن يطلب منه الذهاب ليلا لقضاء طلب،وغذا أبدى شعورا بالخوف،فإنه يكون عرضة للسخرية والضرب والشتم والاستهزاء به،وكان الأب يحاول أن يدرب ابنه على المبيت خارج إقامتهم في البر(1)،كما كانت الأم تصطحب ولدها معها عند ذهابها لرعي وعمره ست او سبع سنوات،وتدربه على ذلك،وكان يربى على قوة البأس والخشونة والصلابة،فكلها صفات ضرورية ليواجه البيئة القاسية التي يعيش فيها،فالضعف والجبن والخوف وغظهار العاطفة من الصفات المنبوذة في هذا المجتمع سواء للفتى أوالفتاة،كذلك يدرب الفتى على القتال واستخدام الأسلحة،وكثيرا مايتعمد الأب أن يطلق بندقيته في وجود ابنه،فإذا خاف الطفل وُبخ وعوقب حتى ينزع الخوف من قلبه؛لأن الحياة البدويةتستخدم في أحيان كثيرة للسلب والنهب ممن هم أضعف،والاستيلاء على ما يملك الغير*.

ب-**احترام الكبير**:أول شيء يتعلمه الأبناء من الأم في سنواتهم الست الأولى هو احترام الأكبرمنهم سنا،وخاصة كبارالسن العجوزتقال على المرأة كبيرة السن،والشيباني على الرجل الكبير في مجتمع بني عامر وحميان،وفي حضور الجد يكون اهتمام الجميع نحو هذا الجد،فلا يصح للصبي ان يلتصق بأبيه،أويكلمه أو يرد عليه الأب في حضورالجد،ولابد من تقدير الكبيروالاستحياءمنه.

ج-**الفروسية وحب القتال**:عن ركوب الخيل والجمل والحمار من الأساسيات بمجتمع الدراسة،فهوضروري لتنقلهم في البادية،ولذا يعلمونو الطفل ركوبهم منذالصغر.

(1)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص211-د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص323

*كانت هناك غارات مستمرة من البدو على الحضر،بخلاف الغارات التي كان يشنها بعضهم على بعض،ومازالت الأسوار والأبراج بالقصور باقية،وكانت تستخدم كعناصر للأمن،وكانت تسمى الغارات في مجتمع الدراسة بالطيحة.

بل كانت الفتاة ايضا تركب الجمل،وتتعلم ركوبه من الصغر،ليساعدها على أداء بعض مهامها وخاصة في غياب الرجل،وإذا كان الأب لديه فرس تدرب الطفل على ركوبه،وشجعه والده على ذلك حتى إذا بلغ الثالثة عشريبدأ في اصطحاب ابنه في غزواته ورحلات الصيد(1)،وإذا خاف الطفل الركوب أو السقوط شجع على أن يعيد الكرة،ويحاول الأب أن يطئنه بأنه لن يصاب بمكروه(2)،وكان ركوب الحمار مستحب في مجتمع الدراسة،فهو يستخدم لجلب الماء،وللتنقل كما يتدرب الطفل على أعمال القتال والصيد،ويدرب الأبناء على اقتفاء الأثر،كي يستطيعوا الوصول إلى المكان المراد،وتتبع ماشيته إذا فقدها في البر،ويعرف الدروب ويسلكها دون أن يضل حتى في الليل،وذلك عن طريق النجوم(3).

د-__الصبر__:يتعلم الطفل البدوي في مجتمع الدراسة الصبرعلى العطش وعلى الجوع،إنه لا يأكل قبل الناس،وألا يجلس حتى اخرالناس،وأن يأكل من أمامه،وأن يقلل الوجبة في حالة وجوده عند جماعةغيرجماعته(4)،وأن لايطلب الأكل من أمه أمام أحد،فقد استنتج من خلال الدراسة التاريخية والعادات السائدة في مجتمع بني عامروحميان تأكل النساء أولا،ثم تظل البنات والأطفال صابرون حتى ينتهي الكبارمن الأكل،وذلك لضمان إكرام الضيف،وتقديرا لكبرالسن،ولضيق المكان في بعض الحالات(5).

أما **الفتاة**:فكان يراعى في اسلوب تنشئتها أن تكون زوجة ناجحة وراعية بيت ماهرة،كما كانت تدرب على الأعمال التي سوف تناط بها،فالفتاة يدخل في تقييمها.

(1)دة.سهيرعبدالعزيز:الاستمرار والتغيرفي البناءالاجتماعي-ص211

(2)عبدالجبارالراوي:البادية-ص228

(3)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص211

(4)جبرائيل سليمان جبور:المرجع السابق-ص234

(5)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص212

عندالزواج بجانب الاعتبارات الأساسية القرابةوالأصل وسلوك الأم*وأن تكون راعية بيت ماهرة في أداء أعمالها،فتدربها الأم على الأعمال المترلية وتصاحبها عندالرعي ونقل الماء،وتعلمها الحطب والغزل(1)،وسلوك الحياء والحشمةوكانت تمنع من التعليم تحت شعار خاطئ،أنها خلقت للإنجاب والقيام بشؤون الخيمة(2)

و-التعليم:فالغالب على الظن كان التعليم منعدما*،أو ربما كان موجودا وكان يتم بأسلوب تقليدي وهو مشارطة معلمي القران لتدريس أبناء بني عامر وحميان،وربما كان يسمح للطفل العامري والحمياني بتعليم القران ومبادئ الدين الإسلامي في حدود الاكتفاء.وربما كان وجود التعليم في البوادي خلال القرن الخامس وحتى القرن الثامن الهجري تقليديا.وإنما الذي كان يسهم حسب الباحثون الاجتماعيون في أداء مهمة التربية والتعليم في المجتمع العربي البدوي هي الأسرة عن طريق ماتقدمه من معارف مختلفة في العديد من المجالات التي تحيط بالجماعات التقليدية(3).بل يذهب الباحثون الإجتماعيون أن من خصائص المجتمع البدوي أنه يتميزب:أن العمليات المختلفة للضبط الاجتماعي داخل المجتمعات البدوية غير رسمية أو غير تعاقدية،كما النظام الأخلاقي المتعارف عليه لدى أبناء المجتمع البدوي أو المنتمين إليه وغير المكتوب بشكل النظام الأساسي الذي يربط أو يوحد مابين أفراد المجتمع جميعا،واكتساب المعارف يعتمد على التجربة وحدها،حيث لا توجد أساسيات نظرية للتربية(4) أو للتنشئة الاجتماعية وللعملية التعليمية بالمفهوم الحديث أو المعاصر للعلم.

---

*هناك مثل شعبي أقلب القدرة على فمها تخرج في امها

(1)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص212

(2)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص 323-د.محمد السويدي:بدو الطوارق – ص94

(3)نفسه:ص323

(4)نفسه:ص323

كان الطفل في المجتمع العربي البدوي يخضع لقيم وعادات وتقاليد القبيلة،وأن لايخرج عنها.وكانت تربية الأطفال في البادية مؤسسة على مراحل وهي:في سن السابعة يتم تحول مفاجئ عندما يسمح للأولاد بصحبة الرجال وممارسة عملهم،بينما تساعد الفتاة في خدمة الخيمة وفي الثانية عشر يصبحون مراهقين ويستمر إرشاد الأبوين لهم،بينما يتم إعداد الفتى والفتاة للنضج ويشترك الصبيان عندئذ بمجالس الرجال بصفة دائمة(1)،ويتعلمون كيف يسلكون كرجال وبين السادسة عشر والعشرين يتزاوج الشباب والشابات،ويفضل أن يتم ذلك بين أبناء العمومة ثم يمارسون بعدها مسؤولية الشخص الكامل النضج وفوق ذلك فالعائلة أو الأسرة تستمر في ممارسة طريقة الحياة ودورها التي ورثتها(2).إن معظم العرب يربون أطفالهم تبعا لتصورات ثابتة متراكمة منذ عدة عصور،فمثلهم الأعلى في ذلك هو أن ينشئوا على النسق الذي نشأوا هم عليه،أما ميلاد الطفل في المجتمع العربي مناسبة للاحتفالات المبتهجة،فإذا كان المولود ذكرا،فالذكور مفضلون كمحافظين على تقاليد الأسرة.وذلك تجسيدا للمثل الحضارية،والاحتياجات الاقتصادية في مجتمع رعوي،ويعيش الأطفال في حضن البالغين وأساسا في حضن نساء الخيمة(3).يتأثر الطفل العامري والحمياني في البادية بنمط القبيلة السوسيو–اقتصادي،وينصهر في عوالمه منذ الصرخة الأولى فيخضع لنظام الأسرة التي هي نواة القبيلة(4).فكيف كانت تتم تربية الطفل العامري والحمياني البدوي؟إذا كانت تربية الأطفال تهدف إلى اكتساب الفرد طفلا فمراهقا فراشدا فشيخا سلوكا ومعايير

(1) مورو بيرجر:العالم العربي اليوم–ص56

(2)حامد عبد السلام:علم النفس الاجتماعي– ط3– عالم الكتاب– القاهرة– 1974–ص201و206–د.محمد السويدي:نفس المرجع ا لسابق–ص101

(3) موروبيرجر:المرجع السابق–ص.ص56–57

(4)الطفولة القروية–ص02

واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة،فإذا كان الطفل ذكرا يرفق بزغرودة أحتفالا بالوتد الذي سيشد خيمة السلالة إلى الأرض ويحميها من الوقوع في فخ العرف،،**المرأة بلا ولاد كيف الخيمة بلا أوتاد**(1)،وتبقى الطفلة طالع شؤوم على الأسر العامرية والحماينية البدوية سيما الثرية والغنية،التي تملك ثروة حيوانية كبيرة،فهي عنصر ثانوي لن يستطيع تأمين استمرارية المحافظة على الثروة الحيوانية،بل تعمل على نقل خيرات الأسرة والقبيلة إلى سلالة أخرى،لاعلاقة لها بالأصل.فكانت أغلب النساء في المجتمع البدوي التقليدي العامري والحمياني تولدهن القابلة التي تحسب أربعة أصابع وتقطع الحبل السري بموس قدلاتتوفرفيه شروط التعقيم،فهويشفع للأطفال في التخفيف من هذه الظاهرة.إذ يصعب على الآباء والأمهات تربية أبنائهم بشكل مباشر بناء على سلوكات وعادات سيئة مغلقة بحشومة،جعلت المجتمع البدوي العامري والحمياني التقليدي منغلقا على نفسه،إذيحرم على الابن الزوج أن يمسك ابنه بين يديه أمام والده وتمنع الكنة أو زوجة الابن إرضاع وليدها أونصحه أوالتقريرفي شؤونه،أو الجلوس مع زوجها في حضور شيخها(2)،ويفتخر الجد العامري والحمياني أحيانا بحفيده فيشجعه على ضرب جدته،أومشاكسة الضيوف.وكان الآباء في المجتمع العامري والحمياني يدمجون أطفالهم مبكرا في ممارسة رعي الغنم وجمع الحطب وجلب الماء من الإحساء أوالراوية*.ويعد اللعب سلوكا إراديا ولا إراديا لدى الطفل في البادية،لذا وجب توجيه الطفل لأنواع معينة من اللعب،واختيار لعب تناسب عمره الزمني والعقلي من شأنها مساعدته على

(1) الطفولة القروية المغتصبة–ص01

(2) موروبيرجر:العالم العربي اليوم–ص127

*الراوية:ومعناه جلب الماء من الإحساء أو الآبار،التي عادة ما تكون بعيدة عن الخيمة بنحو ثلاث كلم أوأكثر،وكان الطفل الحمياني،ولايزال يستخدم الحمير والبغال لجلب الماء،وكان عدد الحمير يتجاوز حمارين،يضع على ظهرها البراميل الخشبية وكلمة الراوية مشتقة من المورد

تنمية قدراته الذهنية(1)،إلا أن مرحلة اللعب لدى الطفل البدوي في المجتمع العامري والحمياني لا تنفصل عن حياته العملية التي يلجها مبكرا،حيث كان يلعب وهو يحرس الغنم وهو يجمع الحطب أويسقي الماء،وكذلك على لعب لعباز وهي اللعبة العالمية التي اقتحمت عالم النجومية بأصلها البدوي مثل رياضة المصارعة أو الكاتش ،كما تتقاطع لعبة القولف مع لعبة العصا بالبادية عند بني عاموحميان سواء على مستوى الوسائل أو قوانين اللعبة مع اختلافات بسيطة تقليدية وعصرية(2)،حيث كانت تمارس هذه اللعبة عند بني عامروحميان في البادية باستعمال العصي التقليدية وقطعة من الكتان دائرية مثل الكرة ومع اتساع الحفرفي اللعبة(3)كان بنوعامروحميان يمارسون لعبة أخرى وهي لعبة المعيزة* والسيق*(ينظر إلى الملاحق ص)وكان الطفل يجد نفسه في المجتمع البدوي العامري والحمياني التقليدي مضطرا لتعلم الرماية ولعبة الشارة مستعملا المقلاع أو المطحنة للدفاع على نفسه.وفي هذا الموضوع يرى روث بنديكت **R.Benedict** "**...أن معظم الجماعات التقليدية تحدد المراهقة من الناحية الاجتماعية،وذلك لأن الحفلات التي تقام لهذا الغرض الهدف منها الاعتراف بشكل من الأشكال بأن الطفل قد بلغ مرحلة جديدة تنسب إليه مسؤوليات لم يعهدها،وهي عملية ذات مظاهر متنوعة...لكي نفهمها علينا أن نهتم بتلك الفترة التي تسمى فترة الانتقال...**"(4) .

(1) الطفولة القروية المغتصبة–ص01–وكذلك من خلال المعطيات المستخلصة من الدراسة الميدانية،التي سجلتها عن طريق المبحوثين من العجائز والشيوخ منطقة النعامة وخاصة من قبيلة حميان.

(2)الطفولة القروية المغتصبة–ص02

(3) نفسه::ص02–د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع القروي–ص127 (4))

(4)ينظر إلى:ألوان من ثقافات الشعوب–ترجمة محمد الدسوقي وآخرون–لجنة البيان العربي–القاهرة–د.ت–ص47–د.محمد السويدي:بدو الطوارق بين الثبات والتغير–ص103

5-**الزواج* في مجتمع بني عامروحميان البدوي التقليدي**:يستخلص من الدراسة التاريخية أن الزواج في مجتمع بني عامروحميان خلال فترة الدراسة أي من القرن الخامس الهجري إلى غاية القرن الثامن الهجري كان يتم داخل القبيلة ومن خارجها أيضا

5-**امفهوم الزواج**: هوأساس تكوين الأسرة،يتفق معظم الانثروبولوجيون وعلماء الاجتماع على أن الزواج يستمد أهميته باعتباره مؤسسة اجتماعية،توفر أساسا ثابتا لتكوين الأسرة الزواجية وتنظيمها أما وظائفه الأصلية فتتحدد في سد الحاجات الجنسية للشريكين وإنجاب الأطفال وهي وظيفة ثانوية إذا قيست بالوظيفة الأولى(1)،وعرفه البعض بأنه نظام اجتماعي يحدد العلاقات بين الجنسين،ويعطي الأسرة صفتها الشرعية(2)،بينما عرفه البعض الآخر من الاجتماعيين بأنه العلاقة التي تربط رجلا أوعدة رجال بإمرأة،أو هو نظام اجتماعي يتصف بقدر من الاستمرار،والامتثال للمعايير الاجتماعية،والزواج هو الوسيلة التي تعمد إليها المجتمع للتنظيم المسائل الجنسية(3)،وتحديد مسؤولية صور التزواج الجنسي بين البالغين،كما أن الزواج هو النظام الأوفر جزاء بالنسبة لمعظم الرجال والنساء خلال الجانب الأكبر من حياتهم،وهنالك معايير اجتماعية أخرى مختلفة تفسر معنى الزواج منها المعيار الاجتماعي التقليدي،وهو ينظر إلى الزواج كظاهرة مقدسة أونظام إلهي مقدس خلقه الله،وأكدته الشرائع السماوية والكتب المقدسة كأساس للحياة الإنسانية وهذا يعني أن الإنسان ورغباته الشخصية وتطلعاته تكون في المكانة التالية من حيث الأهمية بعد تحقيق متطلبات الأسرة،وتنفيذ الأوامر الإلهية.

---

(1)د.محمد السويدي:بدوالطوارق-ص 103

(2)د.عبد القادر القصير:الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية-ص.ص121-122

(3)د.سامية حسن الساعاتي:الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي-دار النجاح-بيروت-1977-ص.ص25-26-محمود حسن:الأسرة ومشكلاتها-دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت-1968-ص.ص133-134

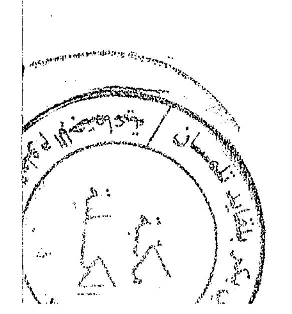
ب-ب <u>**الاختيارفي الزواج**</u>:إن العادات والتقاليد القديمة بمجتمع الدراسة لا تسمح لرجل أن يقوم باختيار زوجته*بنفسه،لايستطيع الرجل من الناحية النظرية أن يختار خطيبته بإرادته الحرة،لم تكن للشابة أو الشاب المقبل على الزواج حرية اختيار المرأة التي يريد الزواج منها سواء من حيث اختيار العمر أو اللون أو الجمال أوالصفة أومن الجماعة القرابية أو البعيدة،كما لايحق للشاب أو الشابة أن ترفض العريس الذي وافقت عليه الأسرة،بل على الشباب الرضوخ لسلطة الأبويناإذ لن تتاح له فرصة لقائها ولم تسمح له بروئيتهاإلا يوم الزفاف(1).من المعروف أن المجتمعات البدوية التقليدية يقع عبء الاختيار الزوجي على الوالدين،وكان يوكل للوالدين عملية اختيار الزوجة الصالحة،وكانت المبادرة من جانب العائلة،ولايصح للشاب أن يطلب ذلك علانية،فهم الذين يقررون ذلك،وبعد موافقة العائلة على زواج الشاب،يبدأ الوالدان في اختيار الفتاة ذات السمعة الطيبة،ولكن تأتي بنات العم في المقام الأول،فغالبا كان يتم الاختيار من داخل العائلة،ونادرا ما تختارالفتاة من خارج العائلة،ولكن بشرط أت تكون في نفس المستوى الاجتماعي أوتشترط كل من الأسرتين وخاصة أسرة الفتاة شرط التكافؤ في المكانة الاجتماعية،حسب الشريعة الإسلامية(2).

---

*تعتبر مرحلة إختيار كل من المتزوجين لقرينه من أهم مراحل تكوين أسس الحياة الزوجية،وأعظمها تأثيرا نظرا لما يترتب عليها من استقرار في الحياة الزوجية،أو عدمه في المستقبل.إن الاختيار للزواج هو الطريقة التي يغير بها الفرد وضعه من أعزب إلى متزوج،وهو ليس عملية اجتماعية حديثة العهد،بل حدث في التاريخ الإنساني كله،وهو سلوك اجتماعي يتضمن فردا ينتقي من بعض عدد من المعروضين،وقد جعلت أعراف المجتمعات وتقاليدها الرجل هو البادئ صراحة في عملية التودد إلى المرأة التي تنتهي بالزواج.لكن هذا لاينفي دور المرأة في تطوير العلاقة،فهي ليست سلبية دائما فيما قد يظن،إن الاختيار للزواج لا يتحدد برغبات الشخص فقط،بل وفق معايير المجتمع أيضا،سواء أكانت هذه المعايير واضحة جلية فيما هو الحال في التحريم والإباحة أوكانت تلك المعايير مستترة فيشكل توقعات أو مرغبات في أن يسير الاختيار للزواج وفق اتجاه معين

(1)دة.سامية حسن الساعاتي:الاختيارللزواج-ص26

(2)د.عبدالقادر القصير:الأسرة المتغيرة-ص122



ومن ذلك يمكن القول أن الزواج بمجتمع بني عامر وحميان هو مايطلق عليه بـالزواج المرتب،وهذا الزواج المرتب هو نمط الزواج السائد قديما،وهو الذي يرتب من قبل العائلة وعائلة الزوجة،ولا دخل للزوجين فيه،ويسمى بذلك نظرا لقيام أهل الزوجين بترتيبه دون تدخل من جانب الزوج أوالزوجة(1)،حيث تراعي فيه مصالح الأسرة وطموحاتها ومفهوماتها حول الجمال والمال والأخلاق مسترشدة التقاليد الموروثة بالإضافة إلى كونه تأسيسا لأسرة جديدة وسيلة(2)،وكذلك يعتبر الحصول على مهر العروس أمرا فوق طاقة الزوج،لأنه لا يملك ثروة مستقلة خاصة به،ويهدف الكبار إلى الاحتفاظ بسلطة اتخاذ القرارات في أيديهم لسببين:الأول هو أن الأسرة العربية من الناحية النظرية كانت تطبق نظام الأسرة المركبة أو الممتدة التي تشمل الزوجين وأبنائهم وبناتهم غير المتزوجات والأبناء المتزوجين وزوجاتهم وأطفالهم. السبب الثاني تبدو من ناحية السلطة السياسية والنفوذ،ويتمثل في علاقة الأسرة بالقبيلة.ولا تعتبر الرابطة بين الزوج والزوجة في أي حلقة من هذه الروابط القرابية الواسعة علاقة أساسية مستقلة،بل رابطة ضعيفة تقضي على أهمية العلاقة بين الزوجين(3)،ويشعر الرجل بالأمن من الناحتين الاقتصادية والاجتماعية في الوحدة الأسرية الممتدة،أما المرأة تأتي وتذهب تنضم إلى شبكة العلاقات الأسرية أو تخرج منها والعلاقات ترتبط عن طريق شبكة القرابة،ولا تنشأ العلاقة بين الزوج والزوجة، وتؤكد طريقة اختيار الزوجة أهمية الأسرة الممتدة فالزواج يوفر وجود الأنثى التي تساهم في إنجاب عدد كبير من أعضاء الأسرة وينبغي عليها أن تتكيف وتتلاءم مع حياة الأسرة الكبرى وأسلوبها في الحياة،وتشارك في إنتاج الثروة للأسرة عن طريق ما تبذله من عمل بالرغم من ذلك فهي لا تجد لنفسها.

(1)د.سامية حسن الساعاتي:الاختيار للزواج-ص.ص26-27

(2)د.سناء الخولي:المدخل إلى علم الاجتماع-ص219

بيتا مستقلا لها وزوجها(1)ومن خلال الدراسة التاريخية يمكن استنباط نظام الاختيار في الزواج في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي في فترة موضوع الدراسة أن العرف القبلي كان صارما اتجاه الأسرة وعلاقاتها الاجتماعية ولم يكن يسمح بالخروج عنه،وإلا يتعرض الفرد من كلا الجنسين إلى عقوبات معنوية وجسدية،ولذا كان الزواج في قبيلة بني عامروحميان يصونه العرف*،وفي الوقت نفسه كان العرف يسمح للرجل بتعدد الزوجات لأبعاد اجتماعية،منها الحفاظ على التماسك.ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الخطبة.

3-ج **الخطبة:** كانت الخطبة في مجتمع بني عامروحميان البدوي التقليدي تعتبر أولى مراحل الزواج والفترة التمهيدية التي تسبق عقد القران،والخطبة موجودة في جميع المجتمعات وإن اختلفت أشكالها،فنادرا ما يحدث الزواج فجأة أو بلا تمهيد،ويتضمن البناء الاجتماعي لمعظم المجتمعات طريقة تعارف المقبلين على الزواج، تؤكد لهم بجدية العلاقة وضرورة حدوث الزواج،وتحظى الخطبة في المجتمعات بأهمية كبيرة خاصة في المجتمعات العربية،لا تقبل أي علاقة رسمية بين الفتى والفتاة المقبلين على الزواج(2)،وهو الأمر الذي تصبح معه الخطبة الوسيلة الوحيدة المقبولة من الأسر والمجتمع لتعارف الفتى والفتاة.وبذلك اعتبرت الخطبة من مقدمات عقد الزواج عند المسلمين.

---

*العرف:هو مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي تنشأ أثناء التفاعل الاجتماعي داخل الجماعة، وتنعكس فيما يزاوله الأفراد من أعمال وما يلجأون إليه في كثير من مظاهر سلوكهم الجمعي، ويضطر الأفراد إلى الخضوع لهذه المعتقدات لأنها تستمد قوتها من فكرة الجماعة وعقائدها، فلا ينحرفون عنها إلا في أضيق الحدود، لذلك يلاحظ أن الجميع يسايرون العرف أي ما تعارف عليه أفراد المجتمع من مبادئ،ومن يحاول التعدي على العرف يقابل من الجماعة بعقوبة تتناسب مع قوة العرف وتمسك الأفراد به، والعرف هو القانون غير المكتوب للشعوب البدائية والشعوب القديمة قبل اختراع الكتابة وتقنين العرف في صورة قوانين.ينظر إلى د.إبراهيم العسل:الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع-ص52

(1) فوزية دياب:القيم والعادات الاجتماعية-بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية في الجمهورية المتحدة-ص253-نقلا عن د.سامية الساعاتي-الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي-ص38

(2)د.سناء الخولي:الأسرة والحياة العائلية-دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية-1977-ص127

ومعناها أن يطلب رجل يد إمرأة تحل له شرعا ليقترن بها(1)،فإذا أجيب بالموافقة تمت الخطبة بينهما،وعند المسلمين وعد بالزواج ويوثق هذا الوعد بقراءة الفاتحة،وهي ليست عقدا تترتب عليه آثار والتزامات قانونية(2)،وإن كانت للخطبة عندهم شروط لابد من توافرها وهذه الشروط هي الآتية:أن تكون المرأة حلا للزواج، بحيث لا تكون المخطوبة محرمة على خاطبها،لا حرمة مؤبدة ولا حرمة مؤقتة،ألا تكون المخطوبة معتدة عن طلاق رجعي،ولابائن بينونة صغرى أو بينونة كبرى،أما المعتدة عدة وفاة،ففي هذه الحالة يجوز للخاطب إظهار رغبته تعريضا لا تصريحا مادامت العدة،فقد أباح الشرع الإسلامي خطبة معتدة الوفاة بالتلميح دون خطبة،سواهن من المعتدات مادامت في العدة،فلا سبيل لعودتها إلى زوجها المتوفي،والسند الشرعي في هذه الإباحة(3) هو قوله تعالى"**ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء**"*.ألا يسبق الخاطب رجل آخر إلى خطبتها، وتجدر الإشارة إلى أن العادة جرت قديما بألا تطول فترة الخطبة وخلالها كان لا يحق للخاطب أن يرى خطيبته ويزورها خصوصا إذا كانت من خارج جماعته القرابية(4)، وذلك حرصا على سمعة الفتاة في حال عدول الخاطب عن الخطبة،علما بأن الشريعة الإسلامية على سبيل المثال قد أباحت تعارف الخطيبين ويتم التعارف(5).بالنظر إلى المخطوبة،وبما أن المرأة المخطوبة تحرم على الخاطب قبل العقد عليها،فلا يجوز أن يخلو بها بلا محرم،وإذا وجد المحرم جازت الرؤية لامتناع وقوع المعصية بحضوره.

---

(1)فوزية دياب:القيم والعادات الإجتماعية–ص225

(2)د.سامية الساعاتي:الاختيار للزواج–ص38

(3)د.مصطفى الرافعي:نظام الأسرة عند المسلمين والمسيحيين فقها وقضاء–الشركة العالمية للكتاب –بيروت–1990–ص.ص23–24

(4)نفسه:ص.ص23–24

*سورة البقرة–الاية235

(5)د.عبدالقادر القصير:الأسرة المتغيرة في المدينة العربية–ص129

وقد روت أحاديث تنهي عن الخلوة بالمرأة منها ماروواه جابر عن النبي(صلع)أنه قال"ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر،فلا يخلو بإمرأة ليسمعها ذو محرم، فإن ثالثهما الشيطان"(1).

3-د**سن الزواج**:عندما كانت تبدأ سمات النضج تظهر على الولد في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي تفكر الأسرة في زواجه وكذلك الحال بالنسبة للبنت،وكان السن المناسب في حالة الولد مابين 16و18سنة،وفي حالة البنت مابين 12و14سنة،وكان الولد صالحا للزواج عندما يخن صوته وتظهر لحيته،وتكون البنت صالحة للزواج بعد أول حيض لها(2)،وكان لهذا الزواج المبكر. القاعدة المرعية،ولم تكن الأسرة في حاجة إلى التفكير في تأخير سن الزواج،ولكن حياة الأسرة الجماعية التي تكفل للفرد أسباب العيش إلى الرغبة في زيادة حجم الأسرة،كانت تؤدي إلى هذا النوع من الزواج المبكر(3).حيث تتم الفاتحة بحضور أب العريس والعروسة بحضور شاهدين عند الطالب،وغالبا ماكان الآباء ينوبون عن أبنائهم أثناء الفاتحة،دون تسجيل تاريخ الزواج عقد القران أو دون عقد كتابي،وكان الطلاق يتم دون الرجوع إلى الطالب بل في حضور الجماعة(4).يتم غالبا بواسطة ماكان يسمى بالجماعة،.وطبيعي أنه لم يخطر ببال أحد من أفراد الأسرة أن الاستمرار في زيادة العدد قد تؤدي إلى حالة تعجز الأسرة في إعالة أفرادها،أو تكون سببا في انخفاض مستو المعيشة،فالأولاد رزقهم على ربي. إذا كان الأمر يتعلق بالغذاء.فقد كان الزواج في قبيلة بني عامر وحميان يخص صاحب السلطة

---

(1)د.محمد عجاج الخطيب وآخرون:نظام الأسرة في الإسلام-ط2-الكويت-1986-ص.ص77-78

(2)د.عبد الحميد لطفي:علم الاجتماع-دار النهضة العربية-القاهرة-1971ص103د.محمد السويدي:بدو الطوارق-96

(3)رالف لنتون:دراسة الإنسان-ترجمة عبدالمالك الناشف-المكتبة العصرية-بيروت-1964-ص231

(4) نفسه:ص231-د.محمد السويدي:المرجع السابق-ص96

في الأسرة بالتشاور مع زوجته(1)،ولم يكن للولد أو البنت حق الشورى في هذه المسائل،أو أن يدري أو يختار،وفي الغالب كانوا يخطبون البنات وهن لازلن أطفالا، وكانت تستخدم عبارة "خلي البنت للولد"،وكانت تتم غالبا مع الجماعة حتى تشهد هذه الجماعة على هذه الخطوبة،وكان يتم الزواج سواء في حضور صاحب السلطة أب البنت أو حتى بعد وفاته،ونفس الشيء يتم مع أب الولد،والعبارة التي تستخدم "راني اعطيته العاهد،وما تخالفش عليه".وكان المظهر الرئيسي للزواج هو الزواج الداخلي في الأسرة الواحدة أو من الأسر داخل النسق القرابي(2)،متبعة في ذلك المثل الشعبي"زيتنا في بيتنا"امشي مع الطريق اذا دارت و ادي بنت عمك اذابارت".لتفادي ظاهرة العنوسة،وكان الهدف من هذا الزواج هو الحفاظ على الثروة داخل الأسرة،وإبقاء علاقات القرابة داخل القبيلة،ويتم الزواج عادة في فصل الصيف،وكان المهر المقدم لأسرة البنت قليلا إذا تم على المستوى الداخلي،وغالبا مايكون رمزيا،أما إذا تم الزواج على المستوى الخارجي أي خارج الأسرة ذات النسق القرابي،فإن المهر ينبغي أن يتناسب مركز الأسرة الاقتصادي والاجتماعي(3).وكان اختيار البنت للولد من طرف صاحب السلطة أي أبيه منطلقا من عرف متفق عليه(4)،وهو نخير لولدي بنت الخيمة أي البنت ذات النسب والجاه،ونفس الشيء بالنسبة لأب البنت،وكانت الأسرة تتجنب تزويج ولدها ببنت العشة،وكذلك كانت الأسرة تراعي أخوال البنت. وعندما تتم الخطبة لابد أن تظهر العروس خجلا عند ذكر الزواج،وعدم الإهتمام عند ذكر زوجها المقبل.

(1)د.محمد السويدي:بدو الطوارق المرجع السابق ص99-د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع -ص145

(2)د.محمد مصطفى الشعبني:علم الاجتماع دار النهضة العربيةالقاهرة1974ص108-د.عبد الحميد لطفي:علم الاجتماع-ص126

(3)د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع القروي-ص146-مورو بيرجر:العالم العربي-ص57

(4)مونكرمي وات:البدو-ص17-د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع القروي-ص146

والعريس لا يبدي مثل هذا الخجل ولكنه يبدي عدم الاهتمام(1).وكان الزوج لا يرى زوجته إلا في ليلة الزفاف،بسبب القيم الصارمة التي كانت مفروضة على الجماعة.أما عن أشكال الزواج في مجتمع بني عامروحميان التقليدي البدوي،قبل معالجة شكل الزواج في مجتمع بني عامر وحميان البدوي،ينبغي طرح السؤال التالي:ماهي أشكال الزواج التي عرفتها المجتمعات الإنسانية؟هناك شبه إجماع بين الدارسين في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا على أن تاريخ الزواج الإنساني قد طرح أشكالا أساسية هي الوحدانية،وتعدد الزوجات وتعدد الأزواج والزواج الجماعي(2).كان الزواج في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي يتم في ظل النظام القرابي بين الأشخاص الذين يشتركون في جد واحد سواء كان الجد قريبا أو بعيدا،والجد المشترك قديكون من ناحية الأب أو الأم،وقد تكون صلة القرابة كبير بين أولاد وبنات العم،وبنات الخال،وأولاد الخالة والعمة وبناهما،وكذلك العمات والخالات وأولاد الأخت،وأولاد الأخ،أما الأقارب الذين يشتركون في جد واحد أبعد من جيلين أو ثلاث أجيال،فتكون درجة القرابة أقل،ويكون تأثيرها ضعيفا،وقد جرى العرف على أن الزواج من ابنة العم والأنسباء هو الزواج المفضل حتى أن ابن العم كان يعتبر ذلك حقا من حقوقه،ويستطيع منع زواج ابنة عمه من غيره(3)،وتعلل ظاهرة تفضيل الزواج من الأقارب،وخاصة بابنة العم لأسباب كثيرة منها على سبيل التمثيل:العلم بأخلاق الفتاة،إن الولد يشعر بدرجة عالية من الاطمئنان وعندما يزوج ابنته بابن أخيه أو ابن أخته

(1)د.عبدالقادر القصير:الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية –دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري–ط1 دار النهضة العربية–بيروت 1999– ص129

(2)نفسه:ص129–أمينة شفيق:زواج الأقارب في الأسرة العربية–مقالة–مجلة العربي–العدد405–وزارة الإعلام بدولة الكويت–أوت–1992–ص163

(3)دة.سناءالخولي:الأسرة والحياة العائلية–ص127–دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق–ص212

لأن ابن العم أو ابن العمة سيحافظ عليها أكثر من الغريب،أنه أكثر ضمانا وتجنبا للطلاق في حالة عدم الانسجام وكثرة المشكلات الزوجية،أو عند إصابة الزوجة بمرض وعدم ولادتها،فالزواج يعتبر أنه مسؤول عنها،القريبة أصبر على ريب الزمن ،وأن ولدها يجيء كريما كما بطبع أهله وأقاربه.إنه الوسيلة للمحافظة على وشائج القربي وبقاء الروابط الدموية(1)،حيث يشعرهم ذلك بالوحدة، وإذا لم يتزوج الرجل بقريبته يبعد من أقاربه في المستقبل، ثم قلة المهر الذي يطلبه أهل الفتاة(2)،وكان الزواج في الأسر العامرية والحميانية يهدف من زواج الأقارب إلى تركيز الثروة وعدم بعثرتها في حالة الأسر الغنية يحقق هذا النوع من الزواج الاحتفاظ بالثروة داخل الأسرة سواء كانت حركة الثروة أموالا إنتاجية(3)،أو مالا سائلا أو مالا تجاريا.كانت الأسرة العامرية والحميانية بشكل عام تعيش في دائرة علاقات ضيقة غير مترامية، حيث لاتتسع فرص التقاء الشباب أو تعرفهم بفتيات في سن الزواج،في هذه الحالات تدور العلاقات في إطار الأسرة الضيقة،ولا تصل إلى حدود المجتمع الكبير،فقديما لم تتح للفتاة في المجتمع العامري والحمياني التقليدي البدوي فرص الاختلاط العام،وكانت تعيش في دائرة شبه مغلقة،وفي إطار هذه الدائرة لم يكن يتوفر لها من فرص الزواج إلا في حدود الأقارب،كذلك لم تسمح العادات والتقاليد والقيم التقليدية الصارمة للأسرة العامرية والحميانية للفتاة بتكوين أو إنشاء علاقات واسعة بين الشباب من الجنسين تلك العلاقات التي تتيح فرص اللقاءات العادية التي يتم فيها الحديث والتفاهم،فالأسرة العامرية والحميانية لاتزال تحتفظ بوجود موانع كثيرة للقاء الشباب.

(1)أمينة شفيق:المرجع السابق–ص163

(2) د.عبدالقادر القصير:المرجع السابق–ص130

(3)د.محمد مصطفى الشعيني:المرجع السابق–ص108

(4)د.محمد الخطيب واخرون:نظام الأسرة في الاسلام–ص.ص77–78

لذا يلاحظ أن الأبناء والبنات لا يتعرفون إلا بأقاربهم الذين تتاح لهم فرص الحديث معهم،والحوار بينهم، ثم اللقاءات في المناسبات،وتستمر هذه اللقاءات وتتكون إلى أن تقود إلى الزواج من الأقارب(1).وتلي ابنة العم في التفضيل القريبات من بنات العمة، لأن السلطة كانت بيد الأب،وبالتالي كان الأب يفضل ابنة الأخ والأخت عن غيرها، ولكن هذا الإجراء لم يكن قاعدة عامة، ثم تأتي في الدرجة الثانية ابنة الخال والخالة، وذلك لأسباب نفسها التي تضمنها الزواج بابنة العم،ويقف الزواج عموما ببنات العم أو بنات العمة عند رغبة الأب، أما الزواج ببنات الأخوال والخالات فمنوط برغبة الأم التي تفضل تزويج ابنها بابنة أخيها أو ابنة أختها، بدلا من ابنة عمه أو عمته(2)والسبب في المجتمع والعامري والحمياني البدوي التقليدي،أن عادة ماتكون العلاقات بين الأم وأخت زوجها علاقة اجتماعية ضعيفة،ويلي الزواج بالقريبات بالفتيات اللواتي يقطن الدوار.ومن خلال الدراسة الميدانية التي قمت بها،وبعد إجراء مقابلة مع كبار السن من الجيل الثالث،توصلت إلى نتائج أن الزواج من ابنة العم كان يفوق60%،ومن ابنة العمة حوالي20%،ومن ابنة الخال10%، ومن ابنة الخالة05%، ومن الدوار03%، ومن خارج الأقارب02%فماهو شكل الزواج في مجتمع حميان وبني عامر؟كان الغرض من الزواج في المجتمع العامري والحمياني البدوي يميل إلى زيادة حجم الأسرة،لأن الزيادة في الحجم كانت لها أهمية اجتماعية واقتصادية في نفس الوقت،وكثرة عدد أعضائها في حد ذاته مثل أعلى بصرف النظر عن مركزه الاقتصادي(3).مع ملاحظة أن النشاط الرعوي والعزلة كانت تتطلب الزيادة في عدد أفراد الأسرة(4).

(1)د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع القروي-ص145

(2)د.عبدالقادرالقصير:المرجع السابق-ص130

(3)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص320

(4)دة.سهيرعبدالعزيز:المرجع السابق-ص212

وهذه الزيادة كانت نتيجة مباشرة لنظام الزواج(1)،ولهذا كان الزواج في مجتمع بني عامر وحميان البدوي هو العامل الوحيد في زيادة عدد أعضاء الأسـرة،وهو نتيجـة لطبيعـة الأسرة التي كانت تقوم على اعتبارات اجتماعية ودينية وأهداف اقتصادية،كان المجتمع العامري والحمياني يتميز بتعدد الزوجات وذلك في حدود الشريعة الإسـلامية،ويلاحظ أن نظام تعدد الزوجات كان أمرا طبيعيا،ويذهب أحد الضباط الفرنسيين الذي عايشوا المجتمع العامري والحمياني البدوي التقليدي أن سبب تعدد الزوجات في المجتمع العامري والحمياني،يعود إلى تعويض النوعية بالكمية(2)،وربما كان يقصد أن العامري والحميـاني كان يريد اختيار الجمال على حساب القيم والأخلاق التي كانت سـائدة في المجتمـع العامري والحمياني البدوي،واحتمالا أن هذا الضابط لم يكن يعرف جيدا أسس البنـاء الاجتماعي في المجتمعات البدوية التقليدية،فالشاب أو الشابة لم تكن لها حرية اختيـار الزوج وأن الزوجة العامرية والحماينية الشابة كانت في كثير من الأحيان ترتبط بـزوج إلا بوعد الذي يقودها على الأقل مرة في حياها(3).إن ظاهرة تعدد الزوجات عند قبيلة بني عامر وحميان كانت خاصية من خصائص المجتمع،بل كانت ظاهرة التعدد تقتصر على الأغنياء والأثرياء،لأنجاب عدد ممكن مـن الأولاد للقيـام بـأمور الخيمة،والنـشاط الرعوي،والحالة التي يعدد فيها الرجل الفقير الزواج هي حالة واحدة إذاكانت المـرأة الأولى عاقما.وخلاصة القول أن الزواج في قبيلة بني عامروحميان يتميزبتعدد الزوجـات مع العلم أن الأسرة البدوية العامرية والحميانيةكانت تتميز بتزويج بناها في إطار النظام القرابي(4)،الذي يعبره عنه المثل الشعبي القائل **خيرنا مانعطوه لغيرنا**.

(1) دة.سناء الخولي:المدخل إلى علم الاجتماع ص214-د.السيد عبدالعاطي السيد:أسس علم الاجتماع -ص304

(2) Jaquot Félix:op.cit.p288

(3) Ibid :p288

(4) د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص320

4-الأسرة في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي:قبل تحديد شكل الأسرة في المجتمع العامري والحمياني البدوي التقليدي،ووظائفها والمركز والدور،تعتبر الأسرة من أهم المؤسسات الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي للمجتمع،ليس لاصطلاح الأسرة تعريف ومعنى واضحان يتفق عليهما العلماء،لهذا تعددت تعريفات الأسرة بتعدد العلماء واتجاهاتهم النظرية والفكرية(1)

4-امفهوم الأسرة:الأسرة في اللغة هي الدرع الحصين وأهل الرجل وعشيرته،ويطلق على الجماعة التي يربطها أمر مشترك وجمعها أسر،وجاء في معجم علم الاجتماع أن الأسرة هي عبارة عن جماعة من الأفراد يرتبطون معا بروابط الزواج والدم والتبني ويتفاعلون معا،وقد يتم هذا التفاعل بين الزوج والزوجة وبين الأب والأم وبين الأب والأم والأبناء،ويتكون منهم جميعا وحدة اجتماعية تتميز بخصائص معينة(2)،أو أن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني،وتقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل الجمعي والقواعد التي تقرها المجتمعات المختلفة(3).وذهب عالم الاجتماع الفرنسي هنري مندراس(Henri Mondras) إلى أن ليس للأسرة معنى واضح في اللغة الفرنسية حيث يشير هذا المصطلح إلى الأشخاص الأب والأم والأبناء المرتبطين معا بروابط الدم،فإنه يعني بكلمة أسرة الأشخاص الذين يعيشون معا في منزل واحد،ويلاحظ أن تعريف هنري للأسرة اقتصر على الأسرة النووية،أو معني كلمة أسرة من الناحية السوسيولوجية معيشة رجل وإمرأة أوأكثر معا على أساس الدخول في علاقات جنسية يقرها المجتمع(4).وما يترتب على ذلك من حقوق وواجبات اجتماعية،

(1)د.سناء الخولي:المدخل إلى علم الاجتماع-ص214-د.

(2)د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع القروي-ص145

(3)د.مصطفى الخشاب:دراسات في الاجتماع العائلي- دارالنهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت- 1985- ص294

(4)د.عبدالقادر القصير:الأسرة المتغيرة-ص133

ورعاية الأطفال الذين يأتون نتيجة لهذه العلاقات،أوالأسرة هي جماعة تقوم على العلاقات الجنسية بشرط أن تكون محدودة ودائمة تكفي لإعالة الأطفال وتربيتهم(1).تختلف الأسرة في البدو عنها في الريف والحضر،وإن كانت أقرب إلى الأسرة الريفية،في طبيعتها وخصائصها ووظائفها،وذلك لاختلاف البيئة والظروف الاقتصادية والثقافية والحضارية،وتتضح هذه الفروق في الاعتبارات التالية:نوع العمل ومحيط العمل والمهارات،فميدان الأسرة الريفية أو البدوية البيت أو الخيمة والرعي(3).ماهوشكل الأسرة الذي كان سائدا في مجتمع بني عامر وحميان البدوي التقليدي؟من خلال الدراسة التاريخية يستنتج أن شكل الأسرة الذي كان سائدا هو الأسرة الممتدة بسبب طبيعة النظام السياسي الذي كان موجودا في فترة موضوع الدراسة،وهو النظام القبلي الذي لم يكن فيه للفرد استقلالية إقتصادية.

4-ب <u>مفهوم الأسرة الممتدة</u>:يعرف علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع الأسرة الممتدة أوالمركبة أو المتصلة،هي الجماعة الاجتماعية التي تتكون من عدد من الأسر المرتبطة سواء كانت النسبة فيها إلى الرجل أو المرأة،ويقيمون في مسكن واحد،وتتميز هذه الأسرة بعلاقات القرابة من الدرجة الأولى(4).ولكن الأشكال التاريخية والمعاصرة للتنظيم الأسري جعلت من المناسب أن يضاف إلى كلمة أسرة صفة تحدد شكلها،فيطلق مصطلح الأسرة الممتدة على الجماعة التي تتكون من عدد من الأسر المرتبطة التي تقيم في مسكن واحد،وهي لا تختلف كثيرا عن الأسرة المركبة أو الأسرة المتصلة.

(1) د.عبدالقادر القصير: الأسرة المتغيرة-ص133-د.محمود عودة:أسس علم الاجتماع-دار النهضة العربية للنشر والتوزيع-بيروت-بدون تاريخ-ص92

(2)نفسه:ص33-د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع القروي-دار المعارف-1967-ص145

(3)د.مصطفى الخشاب:دراسات في الاجتماع العائلي-ص294

(4)د.سناء الخولي:المدخل إلى علم الاجتماع-ص202

ونظرا لأن اللغة العربية أغنى من اللغات الأخرى في مصطلحات القرابة، فإنها تستخدم كلمة أسرة (Famille) لتشير بها إلى الجماعة المكونة من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين الذين يقيمون معا في مسكن واحد(1)أوهي الجماعة التي تتكون من الزوج والزوجة وأولادهما الذكور والإناث غير المتزوجين والمتزوجين وأبنائهم وغيرهم من الأقارب من الدرجة الأولى كالعم والعمة والأرامل والجد والجدة الذين يقيمون في نفس المسكن ويعيشون حياة اجتماعية واقتصادية واحدة تحت إشراف رئس الأسرة(2)،وإذا كانت الأسرة الممتدة هي الوحدة الأساسية في المجتمع البدوي التقليدي(3)، كانت الأسرة الممتدة في مجتمع بني عامر وحميان النسبة فيها من جهة الأب،وكانت حياة الفرد العامري والحمياني تدور في إطار هذه الأسرة.

4-ج <u>وظائف الأسرة</u>: كانت الوظيفةالتي تقوم بها الأسرة في مجتمع بني عامروحميان البدوي القليدي هي إنجاب الأبناء الشرعيين في إطار جو من العلاقات المرتكزة على المحبة والتعاون بين أعضاء تلك الأسرة كما كانت تقوم بدور التدريب الاجتماعي لأفرادها وسلوكهم الاجتماعي،وحياقم الاجتماعية داخلها وخارجها،وفي تنظيمها لشؤون الحياة الاقتصادية التي يكون النشاط فيها للرعي والإنتاج الحيواني قبل انتقالها إلى النشاط الإزدواجي الرعوي والزراعي وأسلوب العمل والمعيشة الجمعيان.

<u>4-دالمركزو الدور</u>: يستخلص من الدراسة التاريخية ومن خلال نظرية العمران عند ابن خلدون أن المجتمع العامري والحمياني البدوي التقليدي كان يتميز بالبساطة

(1)د.محمود عودة:أسس علم الاجتماع-ص92-د.السيد عبدالعاطي السيد:أسس علم الاجتماع-ص304
.ينظر إلى:دراسات في علم الاجتماع القروي- ص130-د.عبدالقادرالقصير:الأسرة المتغيرة-ص133-محمود حسن:الأسرة ومشكلاتها-ص92

(2)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص323

(3) د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع القروي-ص130-د.محمد السويدي:بدو الطوارق-ص33

وعدم التعقيد وبتقسيم المراكزوالأدوار حيث كان ينقسم أعضاء هذا المجتمع وفقا لهـذا المعيار إلى آباء وأمهات وأبناء وبنات وإخوة وأخوات وأعمام وعمات وأخوال وخالات وأجداد وجدات وأحفاد وحفيدات(1)

4-د1مركز ودور الأب: كانت له صفة الشيخ أو الرئيس المستقل ويلاحظ أن السلطة في أسرة بني عامر وحميان ترتبط بالسن،ومن أبرز مهام الأب توجيه الذكور عندما يصبحون كبارا(2).ثم يقوم بتنظيم العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للأسرة مع غيرها من الأسر،كما يتولى فض المنازعات سواء تلك التي تقوم بين الأسرة نفسها أو بينهم وبين الآخرين(3).فالرجل داخل المجتمع العامري والحمياني البدوي التقليدي يشرف على شؤون الأسرة الاجتماعية المتصلة بضبط العلاقات بين مكوناتها المختلفة وبينها والأسر الأخرى،فهو من الناحية النظرية مسؤول عن تدريب الأولاد اجتماعيا ومراقبة سلوكهم الاجتماعي وتقسيم العمل بينهم والعمل على تزويجهم،أما السلطة الاقتصادية فهي في الغالب تدور حول الإنتاج الحيواني والعمليات المتصلة به فالأب هو صاحب الكلمة النهائية،وكانت له الحرية التامة في اختيار نوعية المواشي والخيول والإبل،وعددها وطبيعة امتلاكها،وتكون خبرته في النشاط الرعوي التي ورثها عن الأجداد(4) ذات معول كبير في توجيه العمل، لأن السلطة في المجالين الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع البدوي التقليدي واحدة إلا أن لها مظهران؛

(1)نفسه:ص131-مونكرمي وات:البدو-ص18-د.غوستاف لوبون:حضارة العرب-ص345

(2)د.محمد السويدي:بدو الطوارق-ص34

(3)وعند عبدالحميد لطفي نقلا عن أحمد عيسى يتميز المجتمع البدوي بخمس خصائص هي الاعتماد في المعيشة على الطبيعة إلى أقصى حد ممكن ،والارتباط بنظام معين للقرابة،والاعتقاد بالسحر والجهل أو شيوع الأمية بأنماطها المختلفة ينظر إلى الأنثروبولوجية الاجتماعية-دارالمعارف-القاهرة-1968-ص.ص87-88

(4)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص322

أحدهما عام والآخر خاص، فالمظهر العام يكون من اختصاص الرجل، والمظهر الخاص من اختصاص المرأة،ولايعني ذلك ازدواجا في السلطة داخل الأسرة.(1)وانعدام التخصص لعدم وجود نظام تقسيم العمل حيث يؤدي أفراد المجتمع البدوي الأعمال المنوط بهم،كما يشبعون حاجاتهم ويدافعون عن أنفسهم ضد الغير وضد الطبيعة في تكامل وارتباط وتعاون شبه آلي(2)وكقاعدة تزداد مسؤولية الولد في المجتمع العامري والحمياني كلما تقدمت به السن،وتكون زوجته هي صاحبة السلطة في حدودها أيضا،حتى لو تقدمت بالأب السن فإنه يبقى صاحب السلطة شكليا،ولكنه يشرك معه أكبر أولاده الذي يمارس سلطات والده فعلا،وعند ذلك يتمتع بما يتمتع به والده من طاعة واحترام فإذا توفي الوالد يظل الابن الأكبر صاحب السلطة يشرك والدته عن طريق المشورة(3)،

4-د2<u>تعدد الزوجات</u>:إذا كان الرجل العامري والحمياني متزوجا من أكثر من زوجة فإن زوجته الأولى خصوصا إذا كانت أكثر الزوجات إنجابا تكون لها السلطة على الزوجات الأخريات وعلى زوجات أولادها وزوجات الأولاد الآخرين من الزوجات الأخريات لأن هذه الزوجة هي التي بني عليها القنطاس أوساس الخيمة كما هو معروف في عرف بني عامر وحميان،وتسمى الزوجات الثانية والثالثة بالضرات وفي بعض الأحيان يتعذر على الزوجة الأولى أن تمسك بسلطة الخيمة في يدها،عندما يشتد الخلاف بين الزوجات وهذا نادرا ماكان يحدث الأمر الذي قد يهدد تضامن الأسرة،ولهذا يلجأ الزوج إلى تقسيم الأعمال المنزلية،وإعطاء كل زوجة سلطة في حدود هذا التقسيم،وللسلطة الأسرية عدة نتائج منها احترام السلطة(4)،

---

(1)د.محمد عاطف غيث:المرجع السابق– ص119

(2)نفسه:ص120

(3)نفسه:ص130

(4) ينظرإلى علم الاجتماع القروي–ص130

ماهي طبيعة العلاقات الاجتماعية* داخل الأسرة في مجتمع بني عامر وحميان البدوي؟لم يشير علماء الاجتماع إلى طبيعة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة داخل المجتمع البدوي،وإنما اكتفى هؤلاء بالقول أن السلطة بيد الأب أو الجد أو الرئيس،وأن المرأة تابعة للرجل،وجميع الأفراد تابعون لسلطة الأب أوالجد،دون أن يتم التفصيل في إبراز نوع العلاقات الاجتماعية بين الإخوة فيما بينهم والأبناء والأم فيه فالأصغر يحترم الأكبر،حتى تصل إلى الأب الأكبر صاحب السلطة الذي يتمتع بأكبر قسط من الاحترام(1)،وهذه القاعدة كان معمولا به في مجتمع بني عامروحميان ،فكان الصغار من الأبناء يحترمون الجد والجدة والأب والأم والأخ الأكبر سنا سواء كان متزوجا أو غير متزوج ولايتلفظون أمامه بكلام أو يدخنون أمام الأخ الأكبر سنا،وهذه القاعدة مرعية أيضا عند الإناث فتتمتع الأم الكبرى بطاعة جميع الزوجات والبنات لها خاصة إذا تقدم بها السن،ولا يقتصر احترام السن على الأسرة فقط بل أن يتعلم أن الكبار عامة(2)،بحيث الطفل إذا مر على جماعة أو التقى بشخص أكبر منه سنا يسلم عليه فوق رأسه مستخدما كلمة عمي،وخاصة من الأسر الأخرى في العشيرة التي ينتمي إليها،ويكون الموقف إزاءهم مماثلا للموقف إزاء الكبار في أسرته،فالشاب لا ينبغي له أن يجلس مع من يفوقهم سنا،وإذا حدث وجلس لا يتكلم بل يسمع فقط..

---

*العلاقات الاجتماعية:هي الروابط والآثار المتبادلة بين الأفراد والمجتمع،وهي تنشأ من طبيعة اجتماعهم وتبادل مشاعرهم واحتكاكهم ببعضهم البعض ومن تفاعلهم في بوتقة المجتمع،وتعتبر العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين الأفراد في مجتمع ما نتيجة تفاعلهم مع بعضهم البعض من أهم ضرورات الحياة،وتتنوع إلى العلاقات الاجتماعية الجوارية والأسرية،التي يقصد بها تلك العلاقات التي تقوم بين أدوار الزوج والزوجة والأبناء ويقصد بها أيضا طبيعة الاتصالات والتفاعلات التي تقع بين أعضاء الأسرة ومن ذلك التي تقع بين الزوج والزوجة وبين الأبناء أنفسهم.ينظر إلى:العلاقات الاجتماعية–من موقع أنترنيت http://www.alhadiah.com/page6.htmlp.p2-4

(1)د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع القروي–ص133

(2)د.عبدالحميد لطفي:علم الاجتماع–ص120–د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع القروي–ص13

كما لايحق له أن يعلق على أحاديثهم في وجوده مع رفقائه،ثم احترام المركز في دائرة القرابة أي أن الذين يحتلون في الأسر مركزا متشابها يكون لهم نوع السلطة على من هم أصغر منهم،وإذا حدث أن لفت أحد نظر شاب من غير أسرته إلى شيء معين،ولم يمتثل فإنه يلاقي عقابا من الكبار في أسرته،أو قد يوقع عليه العقاب مباشرة من صاحب هذا المركز دون الرجوع إلى أسرته(1)،ومثل هذا السلوك في دائرة القرابة،ولا يلقي اعتراضا من أحد بل هو من نماذج السلوك المرحب بها،والتي تفهم في حدود الحقوق القرابية.ومن نتائج السلطة الأسرية كذلك سيادة الذكر في المجتمع العامري والحمياني البدوي،فممارسة النشاط الرعوي أو ما تسمى في لغة حميان بالسرحة واختيار المراعي المناسبة،أوإقرار تاريخ الارتحال أو الإشراف على الرعاة المأجورين يقوم به الرجال،وهو عمل شاق الذي لا يقوى عليه غيرهم وبالتالي فإن لهم السيادة،والمرأة تقوم بدور ثانوي،ولهذا تحتل مركزا أدنى ووجودها مستمد من وجود الرجل،ولهذا فإن احترامها وطاعتها حق له وواجب عليها(2).دون أن تقابله واجبات من الرجل نحوها ومثلها الأعلى أن تظل تخدم الرجل وتطيعه وتلتمس رضاه دون أن تتوقع منه شيئا(3).ثم شؤون الأسرة من اختصاص المسؤولين فيها،بحيث لا يحق لإي عضو في الأسرة أن يتدخل لا بالموافقة ولا بالاعتراض على شيء؛ لأن الكبار يعرفون أكثر وهم أقدر على التصرف نتيجة لخبرتهم (4)فالمثل الشعبي السائد في قبيلة حميان عن الولد الذي يريد أن يتحمل

(1)د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع القروي–ص133

(2) Gast Marceau:Matériaux pour une étude de l'organisation sociale chez les Kel-Ahggar-in libyca –Alger centre algérien recherche anthropologiques préhistoriques et ethnographiques-t22-1974-p179

(3)د. محمد السويدي:بدو الطوارق–ص101–د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع القروي–ص134

(4)وجيه الدين أحمد:تنظيم الأسرة في عالم غير منظم –ترجمة د.عباس محمود عوض–بحث في المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية–مركز مطبوعات اليونيسكو–العدد19–السنة الخامسة–القاهرة–1975–ص21

المسؤولية لأول مرة يقول ما يعمرها حتى يخليها سبع مرات.وكذلك نتيجة لمركزهم فإذا كان الأمر يتعلق بخلاف داخلي يجب أن يظل داخليا في حدود الأسرة(1) ولا يحق لأحد أن يتحدث في هذه المسائل مع الغير،أوأن يفشي سر الخلاف الداخلي لغيره،بل عليه بالكتمان ويحرص الجميع على ذلك،وحرصهم دليل على تضامن الأسرة من ناحية وعلى انفراد الكبار بالسلطة فيها من ناحية أخرى(2).وعلى أساس نظام السلطة تتحدد في الأسرة العامرية والحميانية البدوية تتحدد العلاقات الاجتماعية داخلها،ويتعين أيضا اتجاه العلاقات الخارجية،ويلاحظ في قبيلة بني عامر وحميان أن الأطفال يكونون في مراحل حياهم الأولى أكثر حرية في التعبير عن رغباهم في إظهاردوافعهم،وتظل حريتهم تتقيد كلما أصبحوا يكبرون في السن حتى تصبح الرغبات الفردية والتأكيد عليها مظهرا سيئا من مظاهر الشخصية ولهذا كان من أهداف التنشئة الاجتماعية في الوسط الأسري العامري والحمياني خلق الشخصية الإنطوائية،فالفرد كفرد في هذا الوسط لا قيمة له إلا في الأسرة وقيمه التي يقرها المجتمع البدوي هي القيم الأسرية،فهو يعمل من أجل الأسرة،ويتزوج من أجل الأسرة،وينجب من أجل الأسرة،ولهذا كانت شخصية الأسرة هي التي تحدد نماذج سلوكه،وتعين له ماهو مسموح به وماهو ممنوع عليه واستمرار التأكيد على قيم الجماعة*.

(1)د.محمد عاطف غيث:علم الاجتماع القروي –ص134

(2)د.غوستاف لوبون:حضارة العرب–ص180–345 Gast Marceaux:op.cit.p

*لقد ذهب صلاح مصطفى الفوال أن النظام الأخلاقي المتعارف عليه لدى كل أبناء المجتمع البدوي أو المنتمين إليه،وغير المكتوب بشكل النظام الأساسي الذي يربط أو يوحد مابين أفراد المجتمع جميعا،وينشأ الشعور الفردي أو الشعور الجمعي بالصواب أو الخطأ من جذور أو أصول جماعية لا شعورية وكنتيجة للضمير الجمعي أو المسؤولية الجماعية.ينظر إلى علم الاجتماع البدوي–ص320.

فالتعبير الفردي عن السرور أو الحزن يقابل بالسخرية والتهكم،فسرور الفرد أو حزنه هو سرور الأسرة أو حزنها،أي لا معنى للفرح أو الحزن ضمن هذه النماذج والقيم في المجتمع البدوي(1)،وبمعنى آخر يتصف سلوك الفرد دائما بالإحجام،ولهذا ليس من السهل أن تعرف حقيقة ما يجري في ذهن البدوي العامري والحمياني دون معرفة نموذج الأسرة التي ينتمي إليها،وتبدو آثار هذا كله في العلاقات الداخلية بين الزوج والزوجة،وبينهما وبين الأولاد بعضهم مع بعض،وتمتد هذه العلاقات إلى زوجات الأبناء وكل من يقيمون في الخيمة،فهو يتبع سيرة أبيه وجده(2)وكذلك تحدد العلاقة بين الزوج والزوجة على أساس معين،فالزوج لابد أن يظهر البرود والمبالاة والاستخفاف بآرائها وعدم الاستماع إليها(3).أما الزوجة فعليها أن تخدم زوجها وتحترمه وتطيعه ولا ترد الإهانة،أي يجب أن تقبل كل مظهر سلوكه نحوها دون مناقشة أو اعتراض،كما يجب أن يظهر ميلهما أحدهما للآخر علنا حتى لاتأخذ الغيرة بأمه(4)،ومن الأمور التي تعيب الرجل أن يكون لزوجته نفوذ أو تأثير عليه من أي نوع،فمعيشة زوجة شابة مثلا داخل الأسرة وفي وجود الحماة تسبب لها مصاعب كثيرة وغالبا ما تنشأ خلافات متعددة بينهما(5)،تحاول أن تقصها على زوجها أثناء انفرادهما ليلا وكقاعدة يستمع الزوج ولكنه يظهر عدم الاهتمام لأنه لا يملك في وجود السلطة الأبوية(6) أن يعترض على تصرفات

---

(1) د.محمد عاطف غيث:المرجع السابق-ص134-محمود حسن:الأسرة ومشكلاتها-ص موررو بيرجر:العالم العربي-ص56

(2)د.محمد عاطف غيث:المرجع السابق-ص134-موروبيرجر:العالم العربي-ص57

(3)بنديكت روث:ألوان من ثقافات الشعوب-ص47-علي عبدالواحد وافي:الأسرة والمجتمع-القاهرة-1948ص.129و137

(4) علي عبدالواحد وافي:الأسرة والمجتمع-ص129-د.عبدالحميد لطفي:علم الاجتماع-ص119

(5)محمود حسن:الأسرة ومشكلاتها-ص134 -وجبةالدين أحمد:تنظيم الأسرة في عالم غير منتظم-ص21

(6)د.محمد عاطف غيث:علم الاجتماع القروي-ص135

والدته(6)،حتى لو اقتنع بأن زوجته على صواب وفي بعض الأحيان يمنع زوجته من ذكر شيء له ويعاملها بقسوة إن عادت على ذكر،أي شيء يتعلق بوالدته،وفي هذه الحالة تلجأ الزوجة إلى أساليب مختلفة،وأهمها الامتناع عن الاتصال الجنسي أو التمارض أو هجر دار الأسرة إذا كانت من أسرة أخرى(1)،كما أن الأم الكبرى إذا كان لها عدد من الأبناء المتزوجين فإن معاملتها للزوجات تختلف فتحظى زوجة الابن الأكبر في أغلب الأحيان بثقتها وتميزها عن بقية الزوجات،الأمر الذي يؤدي باستمرار إلى مزيد من الخلافات،ولكن القاعدة أن يقل احتكاك الأم الكبرى بزوجات أبنائها بعد مرور عدة سنوات على زواجهن وخصوصا بعد إنجابهن(2)،ويرتفع قدر المرأة في الخيمة كلما أنجبت ذكورا أكثر من الإناث،وقد تلجأ الأم إذا كانت زوجة ابنها صعبة المراس إلى إغرائه بالزواج مرة أخرى،وفي كثير من الأحيان تفلح في هذا وتتولى إقناع الأب بذلك.وطالما أن الأمر يتعلق بمزيد من الأولاد.فإن الأب يرحب دائما وقد لوحظ أن في الأسرة التي يكون للأب فيها أكثر من زوجة تقل مشاكل زوجات الأبناء مع أمهات أزواجهن، ويرجع هذا إلى تعدد السلطة المترلية.في أغلب الأحيان وتحرص الحموات على رضاء زوجات الأبناء ليكن في صفهن في محيط الأسرة.وتظهر الزوجة في أوائل أيام الزواج جهلا بمسائل الجنس.وتقاوم الزوج إذا أراد الاتصال بهاويظل موقفها من زوجها في الاتصال الجنسي يتصف بمظهر الإحجام فترة تطول أو تقصر ثم تتخذ الأمور بينهما مجراها الطبيعي بعد ذلك،ونظرا للمعيشة المشتركة في الأسرة العامرية والحماينية ،يندر أن يتم الاتصال بين الرجل وزوجته أو أي مظهر من مظاهر التودد.

---

(1)Faird:ed-dictionnryof sociology-New-york-1940-p114د.محمد عاطف غيث:اعلم الاجتماع القروي-ص135

(2) نفسه-ص142-مورو بيرجر:العالم العربي-ص57 Gast Marceaux:op.Cit.p181-Maciver and page: society-london-1953-p238

أثناء النهاربل كل هذا يتم ليلا وفي سكون تام(1). وتعرف الأسرة دون أن يعلق أحد أعضائها بهذا الاتصال،إذا تبين أن الزوجين استحما في الصباح(2)،وفي الغالب يستحم الرجل في الخلاء أو في العشة،أما المرأة فإنها تستحم في العشة المخصصة للنوم،ويلاحظ أن المرأة لم تكن تعرف كثيرا عن أمور الجنس،ولم تكن تهتم به إلى الحد الذي يشغلها،بل الكلام في موضوع الجنس كان من بين الممنوعات(3)،وكانت المرأة العامرية والحميانية تعيش حياتها ولا تعرف عن الإشباع الجنسي،ولكن الرجل كان أكثر دراية منها في مسائل الجنس،وبصفة عامة يمكن القول أن التحدث كثيرا في مسائل الجنس بين الرجال والنساء على السواء كان أمرا غير مرغوب فيه(4)كانت تقوم الأسرة في المجتمع العامري والحمياني كإي مجتمع بدوي على التعاون والصراع فكان التعاون هو القاعدة التي تقوم عليها الحياة الأسرية يراقب صاحب السلطة تحقيق التعاون على أكمل الوجه،كما أن التعاون بدوره يقوم على مسؤولية جميع أعضاء الأسرة المشتركين في الإنتاج الحيواني،وهذا المظهر التعاوني للإنتاج يفترض أن يبذل الفرد أقصى مجهود(5)،ويظهر التعاون على مستويين الأول العمل معا ككل في كل عملية من العمليات الرعوية،والثاني تقسيم هذه العمليات دون تخصيص بين الأفراد،وفي الغالب يتولى صاحب السلطة الأسرية تقسيم هذا العمل ويقوم به الأفراد دون مناقشة(6)؛أوقد يعمدون من تلقاء أنفسهم إلى مثل هذا التوزيع،ولايتدخل الأب الأكبر إلا لتحقيق التناسق.

---

(1)د.علي عبدالواحد وافي:الأسرة والمجتمع–ص129–د.محمد عاطف غيث:علم الاجتماع القروي–ص142

(2)د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع (نظريات ودراسات) – دار النهضة العربية– بيروت 1985.ص.189

(3) نفسه ص. 189

(4) د.محمود عودة : أسس علم الاجتماع – دار النهضة العربية– بيروت 1985 ص.ص 207.206

(5)د.علي عبد الواحد وافي : الاسرة والمجتمع .ص. 129

(6)د.محمد الغريب عبدالكريم: ظاهرة التريف – قراءات في علم الاجتماع الريفي 1990 .ص.3

ولكن أحيانا ينشأ اختلاف يتحول إلى صراع على تقسيم العمل أو على طريقته،ولكنه غالبا ما يزول بسرعة،عند تدخل صاحب السلطة،أما الخلاف المترلي خصوصا بين الزوجات والأم الكبرى أوبين الزوجات،وأزواجهن فإنه يتخذ أحيانا مظهرا حادا يطول خصوصا أن صاحب السلطة يترك لزوجته حسم مثل هذه الخلافات(1)،ولذلك فإن إعادة العلاقات في الخيمة تقتضي في كثير من الحالات تدخل الأب الأكبر،ولكن المظهر التعاوني للأسرة العامرية والحميانية يبقى هو المظهر المميز لها،والصراع الذي يحدث يمثل حالات عارضة أو مؤقتة،وعندما تبدأ مرحلة تحمل المسؤوليات تتحدد علاقة أعضاء الأسرة على أساس السن والجنس(2)،أما قبل ذلك فتكون بين كبار السن والأطفال غير محددة على هذا الأساس،بل هي في جوهرها علاقة مزاح متبادلة،أما علاقة السن والجنس فإنها تقوم في المحل الأول على الفصل بين الذكور والإناث،وفي المحل الثاني على بين فئات السن المختلفة في ضوء الفصل الأول،وتكون العلاقة بين فئة السن الواحدة علاقة شخصية أو مباشرة،ولكنها تتخذ طابعا غير شخصي وغير مباشر،كلما تم الصعود من حيث العمر إلى فئات أكبر(3).وعلى أساس فكرة سيادة الذكر في المجتمع العامري والحمياني فإن الإناث بصفة عامة يحترمن ويخدمن الذكور،وهذا ينطبق على الزوجات،فالزوجة لا تخدم زوجها وحده،بل تخدم إخوته المتزوجين وغير المتزوجين أيضا،وفي داخل الجنس الواحد تتدرج السلطة على أساس السن،فالبنت تطيع أختها الكبرى،والولد يطيع أخاه الأكبر وهكذا،ويحدث أحيانا أن يكون للإبن الأكبر سنا من أحد إخوته أو هدد منهم،ويسبب ذلك مضايقات كثيرة(4).

(1) د.صلاح مصطفى الفوال : البداوة العربية والتنمية – ط1 مكتبة القا هرة الحديثة 1967 .ص.64

(2)دة.سهيرعبدالعزيز :الاستمرا ر والتغير في البناء الاجتماعي–ص. 39– د.محمد الغريب عبدالكريم:المرجع السابق ص03

(3)د.محمد عاطف غيث:دراسات في علم الاجتماع–ص189

(4)د.صلاح مصطفى الفوال:البداوة العربية والتنمية–ص64

ومع أن المركز القرابي يراعي في العلاقات العائلية فالعم لابد أن يعامل مثل معاملة الأب،إلا أنه في هذه الحالة يتدرج تحت فئة السن الخاصة به من حيث العلاقات الشخصية والمباشرة المتوازية بي أعضائها(1)،وتقوم السلطة الأسرية بدور المنظم لهذه العلاقات جميعا ومراعاة امتدادها في الحدود التقليدية بها.أما علاقات المزاح،فإنها تدور في النسق القرابي؛ لأن امتدادها خارج العشيرة يسبب مشاكل كثيرة قد تصل في بعض الأحيان إلى درجة التقاتل،ويلاحظ أنها لا توجد إلا بصورة محدودة داخل الأسرة الواحدة بين فئات السن المختلفة ماعدا تلك التي توجد بين الكبار والصغار،ولكنها تظهر بوضوح بين أعضاء الأسر المختلفة(2)،وهي تكون متبادلة بين فئات السن الواحد وغير متبادلة غالبا بين فئات السن المختلفة(3)،فالشبان في المجتمع الحمياني والعامري يتبادلون معا صنوف المزاح خاصة عندما يتم اللقاء في المورد أو في الرعي أو في المناسبات كالأعراس ولكن عند اختلاف فئة السن فإن الأكبر هو الذي يبدأ بالمزاح ويستمر دون أن يرد عليه الأصغر،وإذا كان الأمر يتعلق بالزوجات،فالمزاح معهن على هذا النحو مسموح به طالما ينتمين إلى النسق القرابي للعشيرة(4)،ولكنه ممنوع إذا كن من ينتمين إلى عشيرة أخرى،وعلاقات المزاح لا تشمل صاحب السلطة،بل إن وجوده يوقف مظاهرا لمزاح فورا،ومن ناحية أخرى يندر أن يتدخل أصحاب السلطة في العائلات في علاقات المزاح وكقاعدة يقل المزاح كلما كبر الفرد في السن(5)،ولكن هذا لاينطبق مزاحهم مع الأطفال،أما موضوعات المزاح فقد تتعلق بالمظهر والمهارة. والضيافة والكرم

(1) د.سهير عبدالعزيز محمد يوسف : المرجع السابق –ص.ص. 35.34

(2) د. محمد عاطف غيث : دراسة في علم الاجتماع.ص.198

(3) د. صلاح مصطفى الفوال:البداوة العربية والتنمية ص.165

(4) نفسه ص. 165 – د. محمد الغريب عبدالكريم : ظاهرة التريف– ص.13

(5)د.محمد عاطف عيث:دراسات في علم الاجتماع –ص198

وتعدد الزوجات والإنجاب،وفي هذه الحالة تكون العلاقات المزاحية ذات اتجاه أخوي.ولكنها إذا تناولت مسائل يعتبرها الفرد ماسة بسمعة العائلة أو قيمها أو رجولة الذكر أو أنوثة الأنثى،فإنها تكون ذات اتجاه عدواني،الأمر الذي قد يترتب عليه في حالة تساوي السن الاشتباك في معركة(1)،وفي حالة عدم تساوي السن،يبلغ الأصغر سنا الأسرة بمضمون الاعتداء المزاحي وعلاقات المزاح قد تكون مباشرة وغير مباشرة،ففي الحالة الأولى يكون الطرفان فردين أو جماعتين على مرأى ومسمع كل من الآخر وهذه تكون بين أعضاء النسق الواحد غالبا وفي الحالة الثانية يكون أحد الطرفين موجود ولابد أن تكون جماعة والطرف الآخر غير موجود،ولذلك لا يتعين أن يكون المزاح متعلقا بأعضاء النسق القرابي(2)،فقد يتعداه إلى الأنساق الأخرى.وعلاقة المزاح هذه تكشف في بعض الأحيان في بعض نواحيها عن القيم الأسرية البدوية بصفة عامة،وتؤدي دورا مهما في الضبط الاجتماعي،ذلك لأن موضوعات المزاح إذا نظر إليها ككل تكشف عن نماذج السلوك التقليدي الذي يكون الخروج أو الانحراف عنه منقصة،كما أنها تبرز النقائص بحيث يسرع الفرد إلى مراجعة موقفه العودة إلى نموذج الشخصية المألوفة ومثال ذلك أن انقياد الزوج للزوجة أمر لا تقره التقاليد ويعتبر عيبا في الرجل،وانتقاصا من قدره بين الرجال،ولهذا كانت الإشارة إلى الانقياد في المزاح تنبيها للزوج وسخرية منه في نفس الوقت،الأمر الذي معه المزاح في هذه الحالة نوعا من العقاب الاجتماعي.وخلاصة القول أن العلاقات الاجتماعية في المجتمع العامري والحمياني البدوي كان إلى عهد قريب متمسكا بهذه القيم الاجتماعية.

---

(1)د.محمد عاطف غيث:المرجع السابق-ص143- Radcliff Brown:structure and function in primitive society-london-1956-p70

(2)د.محمد عاطف غيث:المرجع السابق-143-د.محمد السويدي:بدو الطوارق-ص103

(3 نفسه:ص143-مورو ببيرجر:المرجع السابق-ص58

3-القيم الاجتماعية في مجتمع حميان وبني عامر البدوي التقليدي: القيم الاجتماعية هي مجموعة من المبادئ أو العقائد يؤمن بها غالبية أفراد المجتمع،ويعتقدون أنها الأفضل لتحقيق غايات اجتماعية محددة،ويؤمنون كذلك بضرورة احترامها في العلاقات الاجتماعية المختلفة،ويمكن تقسيم القيم الاجتماعية إلى عدة أقسام وفق الأساسين التاليين أساس المنبع وقوة الإلزام، فعلى أساس المنبع الذي تصدر عنه إلى:قيم دينية وهي المبادئ والعقائد التي ينص الدين على ضرورة احترامها في المواقف الاجتماعية المختلفة،وعندما تسيطر القيم الدينية على النظم الاجتماعية في مجتمع ما يطلق عليه اصطلاحا مجتمع متدين أو جماعة متدينة،ومن أهم القيم الدينية المحبة والإخاء والصدق والعبادة والإيثار، وإتقان العمل والإحسان وغيرها.أما القيم الأخلاقية وهي التي تنتمي إلى مبادئ الأخلاق غير مرتبطة بالدين ،وإنما مبادئ أخلاقية عامة،تتميز القيم الأخلاقية بأنها نابعة عن الضمير الجمعي،وليس من دين معين،مثل تعاليم حكماء الصين على سبيل التمثيل كونفوشيوس،ويدخل في القيم الأخلاقية كل القيم الشعبية التي تنص على احترامها العادات والتقاليد والأعراف،الصدق والمساواة والتسامح والعدالة والشجاعة(1).تتمثل القيم في مجتمع بني عامر وحميان البدوي في الجود والشجاعة وعزة النفس وحفظ العهد والاعتراف بالجميل،والتمدح بالغارة وإباية الضيم،وكانت أخلاقهم أخلاق أسلافهم أعراب بني هلال وهي أخلاق الجاهلية بما فيها من حسنات وسيئات،وبغض الصنائع والحرف ومعارفهم هي معارف الجاهلية من عناية بالأنساب،وكل مايتصل بحياتهم البدوية،وقدت تأثروا بالبربر،فنبذ القاطنون بالنواحي الخصبة حياة الغارة والفتن،وحي فيهم الشعور الديني، ولم يعرف عنهمّ إعانة الكافر أو الاستعانة به(2).

(1) د.إبراهيم العسل:المرجع السابق-ص47

(2) مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث- ج2- ص190

حدد المسعودي أسباب البداوة العربية وقيمها ضمن حديثه عن خطيب العرب عند كسرى وهو يعلل اختيار قومه للبداوة،حيث قال المسعودي"وذكر الهيثم بن عدي والشرقي بن النطافي وغيرهما من الإخباريين أنه وفد على كسرى أنو شروان بعض خطباء العرب،فسأله كسرى عن شأن العرب وسكناها البر واختيارها البدو،وعن خلائقهم،قال أنوشروان لكسرى عن أخلاق العرب البدو:العز والشرف والمكارم وقرى الضيف"*(1).وإذمام الجار وإجارة الخائف وأداء الحملات،وبذل المنح في المكرمات،وهم سراة الليل وليوث الغيل،وعمار البر وأنس القفر،ألفوا القناعة وشغفوا الفراعة لهم الأخذ بالثأر والأنفة من العار والحماية للذمار،قال كسرى:لقد وضعت عن هذا الجيل كزما ونبلا،وما أولانا بإنجاح وفادتك فيهم(2)،فتخيرت العرب في البر نزلا منها مشات ومنها مصايف:فمنهم المنجد والتهامي،فالمنجد منهم هم الذين سكنوا أرض نجد،والتهامي هم الذين سكنوا أرض تهامة،ومنهم من سكن أغوار الأرض كغور غزة من أرض الشام من بلاد فلسطين والأردن ومن سكن منهم لخم أو جذام(3).يبدو من خلال اللقاء الذي تم بين كسرى وأنوشروان من خطباء العرب يمكن إدراك أسباب البداوة العربية وخصائصها(4)،بل شكلت شخصية العربي البدوي بكثير من الصفات منها الكرم والشرف وحماية الجار وإجارة الخائف والشجاعة والقناعة وحب القتال والأخذ بالثأر والأنفة من العار وحماية الديار(5).

---

(1)ينظرإلى:مروج الذهب-دارالتحريرللطبع والنشر-القاهرة-1967-ص276-د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص26

*قرى الضيف:إكرام الضيف

(2)المسعودي:مروج الذهب-ص276-د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص26

(3)نفسه:ص276-د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص26

(4)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص28

(5)نفسه:ص28

هذا فضلا عن شغف البدو الواضح بفصيح الشعر وتمامه،وقد علم التجوال العربي البدوي أنه أليق بالأنفة وأولى العزم من الناس،وعلمه النفور من سكنى المدن والأبنية،لأنه يجلب العار للبدوي ويحد من انطلاقته وتفوقه على من سواه(1).وتوصل العربي البدوي من خلال ترحاله وتجواله وتغييره للمكان،أن الأرض تمرضوالانتقال من مكان إلى آخر يمكن للبدوي من اختيار أصلحها،ويتيح أي الانتقال الفرصة للأرض حتى تسترد عافيتها،والأبنية تضر بالصحة العامة لأنها تفسد الهواء والغذاء وتورث العلل والأمراض لكثير من ساكنيها(2).لذلك فضل البدو سكنى البوادي ليكونوا في صحة أحسن وعقل أنضج ولون أنضر.وقرائح أنقى وأمزجة أصفى وفتوة أوضح وشجاعة أصرح.إن العرب يخالطون ولا يختلطون فالعربي صعب الاندماج في غيرة شديد المحافظة إلى درجة قصوى على ذاتيته غيور على عروبته،وماتنطوي عليهما من عوائد وأخلاق وسجايا(3)،فترى القبائل العربية الكبرى في أرض الجزائر اليوم خصوصا المستقرة بعمالة وهران كبني عامر وحميان وبني هاشم وغيرهم تعيش نفس معيشة التي كانت عليها أسلافها تتخلق بعين الأخلاق التي كانت أخلاق السالفين،وبعبارة أخرى فقد حافظت هذه القبائل على جميع الكليات والجزيئات التي كانت لبني هلال،من حيث اللغة والأخلاق والعادات العقلية والنفسية،فالطفل العربي يمثل الطفل النازح مع أبيه وأمه من الحجاز إلى مصر والراعي العربي هونفس الراعي الهلالي،والسيد العربي هو نفس السيد العربي الذي كان يقود القبائل الهلالية نحو بلاد المغرب،والمرأة العربية اليوم هي نفس المرأة التي كانت تمثلها الجازية تونس من شهيرات الهلاليات(4).

---

(1)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي–ص28

(2) أحمد توفيق المدني:كتاب الجزائر– ص141

(3) نفسه:ص141

(4) نفسه:ص142

إلى درجة أنه إذا استقربك المقام في خيمة عامري أوحمياني،أمكنك أن ترى نموذجا حيا من نماذج العرب الهلاليين كأنهم لا يزالون يرعون السائمة بين نجد والحجاز(1).ويذهب أحمد توفيق المدني إلى وصف العربي بقوله"...**العربي ذكي إلى درجة مفرطة،فصيح طلق اللسان،ولوكان أميا كريم إلى أقصى حدود الكرم،شجاع إلى درجة الجرأة،فارس يعشق فرسه ويتغنى بذكر محاسنه شريف النفس إلى حد التضحية بماله وذاته في سبيل الشرف،مسلم متين الإسلام،قوي الشقة بالله متواكل أحيانا إلى درجة التفريط والكسل...**"(2).وانطلاقا من نص أحمد توفيق المدني فإن العامري والحمياني كان يتميز بالكرم،فإذاكان شخصا مارا بالقرب من خيمته فمباشرة يستضيفه ويدخله إلى خيمته خاصة إذا كان الفرد قال:"ضياف ربي" فإنه يكرمه ويقدم له كل مايملك دون تردد(3)،ويحب فرسه،ولايبيعه إلا كرها فهي رأسماله،وهي التي تلد له المهر ويحرص العامري والحمياني على أصالة الخيول التي تنحدر من أصل عربي،وحب ركوب الخيل وضرب الخيام والتجوال والرعي،وذكر ماكس فون ابينهام عن قيم العربي البدوي الهلالي بقوله:"...**وقبيلة بني هلال تتمسك بالإنسانية والشهامة حتى في حالات الحرب فهم في هذه الحالة لا يقتلون،ولا يعتدون على النساء والضعفاء،بل يقدمون لهم الطعام والشراب،ويدلونهم على الطريق إلى أقرب قرية أمنة،وهم يستأجرون العدو إذا استأجرهم،ويقسمون الهدية بينهم،ولبني هلال مناقب كثيرة في الكرم والوفاء والإخلاص والنية والصدق والعطاء والتحدي،وهم متسامحون مع الأديان الأخرى ويمتازون بالذكاء،لايحب الترف،ويقدس العمل...**"(4).

---

(1)أحمد توفيق المدني:كتاب الجزائر–ص142–مونكرمي وات:نفس المرجع السابق, ص.ص 19–20

(2)ينظر إلى كتاب الجزائر–ص142–ماكس فون إبينهام: المرجع السابق, ص84

(3)E.Daumas:Mœurs et coutumes.op.cit.p193

(4)ينظر إلى:البدو–ص84–عبدالحميدخالدي:المرجع السابق ص110

ومن المألوف أن يولم الشيخ البدوي العامري والحمياني الولائم الباذخة في خيمة كبيرة وهي الصفات التقليدية التي يجب أن تتوفر في رئيس القبيلة،وفي هذا الشأن ذكر ابن خلدون أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر وسببه أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى،كانت متهيئة لقبول مايرد عليها،وينطبع فيها من خير وشر(1)

3-النظام الاقتصادي(نمط المعاش): كان النظام الاقتصادي أو نمط المعاش في مجتمع بني عامر وحميان حسب نظرية ابن خلدون في العمران البدوي يعتمد على:

3-1الترحال: لعل التنقل سعيا وراء مصادر القوت يشكل السمة الرئيسية أو الأساسية للحياة في المجتمعات البدوية،فانتقال البدو أو ارتحالهم بقطعانهم من الغنم أو الإبل،هذا الارتحال يعرف كنمط بعملية الرعي المتنقل،وهو أبسط أنواع الرعي على الاطلاق،وممارسوه من البدو الرحل الذين يعتمدون بصفة أساسية ومباشرة على الحيوان باختلاف أنواعه(2)،بحيث لاتصبح عملية الترحال وحدها هي المسخرة لخدمة الحيوان بل يتشكل نمط الحياة السائد كله ليكون في خدمة ذلك الحيوان الراعي،لقاء مايوفره ذلك الحيوان للبدو من إشباع لمعظم احتياجاتهم الضرورية والأساسية،ولا تقتصر هذه الحاجات المشبعة من حيث الكيف على الجوانب الاقتصادية أوالمادية(3)، بل يمتد هذا الإشباع حتى يصل إلى الوضعيات والمكانات والأدوار الاجتماعية والصراعات بل وليضم ذلك الإشباع أيضا الثقل الاجتماعي كله سواء على مستوى الفرد أو الجماعة البدوية، أو كان ذلك على مستوى المجتمع العشائري كله(4).

(1)د.صلاح مصطفى الفوال البداوة العربية والتنمية-ط1-مكتبة القاهرة الحديثة-1967-ص164

(2)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص365

(3) نفسه:ص365-د.عبد الحميد لطفي:المرجع السابق-ص78

(4)نفسه:ص365-دة.سهير عبدالعزيزمحمد يوسف:الاستمرار والتغير-ص35

ولمعرفة المجتمعات البدوية يكفي أن تعرف أهمية الحيوانات عند هذه المجتمعات فعبارة إيفانز بريتشارد التي وجهها كنصيحة لكل من يريد أن يدرس مجتمع النوير حيث قال"فتش عن البقرة"(1).وفي مجتمع بني عامر بن شافع وحميان يمكن القول "فتش عن الشاة"،فالماشية عندهم هي مصدر الغذاء لبنا ولحما ودما وعظما أحيانا،ومنها الكساء غطاء ورداء،ومنها المأوى خيمة أو بيتا وهي المهر المقبوض،ومنها الدية فضلا عن أنها مصدر الثروة،ومبعث كل فخر،لذلك كله كانت الحيوانات الراعية موضع الاهتمام سواء بالتملك أو بالتطلع أو حتى بمجرد الحديث عنها(2).وليس الحيوان هو السمة الرئيسية للبداوة الرعوية،ولكن توجد إلى جوار الحيوان عدة عوامل جغرافية ومناخية ونباتية كثيرة،قد يمتد تأثيرها حتى يشمل وجود ذلك الحيوان من عدمه.فالمنطقة الصحراوية وشبه صحراوية التي هي كانت محل تجوال بني عامروحميان ،بطبيعة مراعيها الفقيرة تستلزم أو تفرض نوعا معينا من الحيوان الراعي يمكنه بحكم طبيعة تكوينه الجسماني أن يكون ذا مقدرة أو قدرة خاصة على الحياة وسط ظروف الصحراء المناخية والبيئية والنباتية الصعبة(3)،وفقر الحياة النباتية للمراعي لا يفرض فقط نوعا معينا من الحيوان،ولكنه أيضا يحتم رحيلا دائما لكل من الحيوان والراعي،وبما يتطلبه هذا التنقل شبه دائم من خفة في الحركة،فالبدو يضربون خيامهم بالقرب من مناطق الرعي حيث تنطلق القطعان بحثا عن العشب حتى ينضب معينه،في هذه الحالة يلزم أن تكون هناك رحلة رعي جديد لكل من الراعي والحيوان(4).وقد يكون المدى المكاني لهذه الرحلة محدودا أو غير محدود،كأن يتم التجوال في نطاق التجوال العادية للجماعة البدوية،

(1)د.صلاح مصطفى الفوال: علم الاجتماع البدوي-ص365دة.سهير عبدالعزيز محمد يوسف:الاستمرار والتغير-ص35
(2) نفسه:ص366-د.محمد الغريب عبدالكريم:ظاهرة التريف-08
(3) د.صلاح مصطفى الفوال:البداوة العربية والتنمية-ص164
(4)نفسه:ص366

أو قد يتم ذلك التجوال بحكم التغيرات المناخية مثلا،في مناطق أخرى لم تكن مطروحة أو معروفة من قبل بالنسبة لهذه الجماعة البدوية الراعية بالذات،ووفقا لقواعد وأعراف مرعية من الجميع وخصوصا إذا كانت مناطق الرعي الجديدة غير مملوكة للجماعية البدوية الراعية أصلا،أو كانت تقع تحت سيطرة جماعات بدوية أخرى(1).عرف بنوعامر وحميان عدة أنواع من الارتحال نتيجة تغييرها للمكان،فكانت تستقر بنوعامر وحميان عند دخولها إلى إفريقية مابين طرابلس وقابس في منتصف القرن الخامس الهجري،وربما كان نمط الترحال في هذه المنطقة كان موسميا في فصل الشتاء والصيف أو كان محدودا،لأن المؤرخين لم يشيروا إلى طبيعة الحياة البدوية الرعوية عند بني هلال عند دخولهم إلى إفريقية،أما عند دخول بني عامر وحميان،فإن بني عامر عند هجرتهم إلى مابين المسيلة وقبلة تلمسان حسب ما أشار إليه ابن خلدون كانت تقوم بارتحال موسمي مابين التل ومنطقتها ففي فصل الصيف كانت ترتحل إلى التل،وفي فصل الشتاء كانت تعود إلى موطنها(2)،بينما حميان كانت تستقر بمنطقة بلاد حمزة والدهوس(3)وهي منطقة كانت غنية بغطائها النباتي،وبزروعها ربما قد فرضت على حميان نمط رعوي متميز جعلها في غنى عن الترحال،ومن المحتمل أنها عادت إلى حياة الترحال عندما هاجرت إلى صحراء تلمسان في القرن السابع الهجري بسبب فقر المنطقة من العشب والكلأ،ويذهب الباحثون الاجتماعيون أن هناك عدة أنماط من الترحال:الترحال العادي الاختياري،وهو ذلك الترحال الذي يتم تحت الظروف العادية(4).التي اعتادتها أو عرفتها العشائر الرعوية وفي نطاقها المكاني المعروف لها والذي سبق أن طرقته في توال زمني،

(1)د.مصطفى صلاح الفوال:المرجع السابق-ص367-د.محمد الغريب عبدالكريم:ظاهرة التريف-ص08

(2) العبر:ج6-ص52-المشرفي:بهجة الناظر-ص26-مبارك بن محمد الميلي:المرجع السابق-ج2-ص178

(3) نفسه:ص42-عبدالقادر المشرفي:المصدر السابق-ص26

(4)د.مصطفى صلاح الفوال:المرجع السابق-ص367

بحسب عشبه وحشائشه على الخضرة والعطاء(1).فالسؤال الذي يمكن طرحه هل بنوعامر وحميان كانوا يقومون بمثل هذا النمط من الترحال في منطقة صحراء تلمسان خلال تلك الفترة؟فالغالب على الظن أن بني عامر وحميان كانوا يمارسون مثل هذا النوع من الترحال المحلي العادي الذي يتم على مستوى منطقتهم،وكان يسمى بالتخلاف،أي أن المجتمع العامري والحمياني كان يقوم بترحال جزئي،حيث كان يترك خميته في مكانه الأصلي المعتاد،ويرحل بخيمة صغيرة بمفرده ويترك من ورائه الأسرة وعادة لا يتجاوز هذا الترحال 30كلم.وأحيانا كان يلجأ إلى الترحال الطارئ أو الاضطراري وذلك عندما تتغير الظروف المناخية أو الطبيعية فجأة(2)،ولا تجد بنوعامروحميان كقبيلة بدوية لنفسها مخرجا سوى أن تنخرط في ارتحال سريع يشبه الهجرة هربا من تلك الظروف الطارئة التي واجهتها،وهددت حياتها وحياة قطعانها بالخطر،ويكون هدف الترحال الاضطراري البعيد بعد انتهاء مهمة الهرب من وطأة الظروف الطارئة الصعبة الجديدة حفاظا على حياة الناس والحيوان يكون ذلك الهدف هو العثور على مراع جديدة يجد بنوعامروحميان الرحالة في كنفها أسباب الحياة لها ولمواشيها.وفي هذه الحالة قد تعود بنوعامروحميان البدوية إلى ديارها القديمة،أو قد لاتعود مثل ماحدث لجماعات من بني عامروحميان التي استقرت بمنطقة تاسالة في القرن الثامن الهجري،ولم تعود إلى صحراء تلمسان،لأن عملية العودة هذه مرهونة بالأسباب التي دفعتها أصلا إلى الهجرة،فلو تغيرت الظروف وعلمت جماعة بنوعامروحميان البدوية المهاجرة أن مراعيها القديمة قد عادت إليها الحياة. وأصبحت في حالة تفوق من حيث الخصب والنما حالة مراعيها

(1) د.مصطفى الفوال:المرجع السابق-ص367-دة.سهيرعبدالعزيز محمد يوسف:المرجع السابق-ص36

(2) العبر:ج6-ص66-:بغية الرواد-ص.ص.263-265-G.Marçais:lesarabes enberbériedu11siècle papis1913 p42حسن أحمد محمود :قيام دولة المرابطين-القاهرة-1957-ص24

الحالية لما يتردد بنوعامرو حميان في العودة إلى ديارهم القديمة(1)،ولا يكون ذلك التصرف بفعل الحرص على القديم والحنين الدائب إلى الماضي وحدهما،وإنما يعود ذلـك أيـضا وبالدرجة الأولى إلى طبيعة جماعة بني عامر وحميان البدوية الراعية نفسها وسعيها الدائم وراء أسباب الحياة التي لا تكون أو لاتوجد إلا حيث يكون الكلأ والماء(2).وقد سـبق لبني هلال أن مارست نوعا آخرا من الترحال،وهو الترحال الموسمي عندما كانت تستقر بشبه الجزيرة العربية في منطقة الطائف ومكة،وهو رحلة الشتاء والصيف التي وردت في القران الكريم عن قريش،بحيث كان عرب مكة يرتحلون صـيفا إلى الـشام،وشتاء إلى اليمن،حتى ألفوا القيام بها بصفة دورية مستمرة نظرا لما تسفر عنه الرحلتان من أمـان نفسي أو اجتماعي أو غذائي.ولاشك أن بني عامر وحميان كانت تمارس هذا النوع مـن الترحال خلال استقرارها بصحراء تلمسان في فصل الشتاء،وهو فصل العودة إلى الموطن الأصلي وفي فصل الصيف كانت الهجرة إلى التل،خاصة وأن هذا النمط من الترحـال مرتبط بفصول السنة أو بفصليها المتمايزين علـى وجـه الخـصوص وهمـا الـشتاء والصيف(3)،وبداية رحلة الشتاء والصيف عند بني عامر وحميان لاتـرتبط بـأي مـن الفصلين ارتباطا آليا،وإنما ترتبط بهما أو بأيهما ارتباطا وظيفيا،بمعنى أن هذه الرحلة تبدأ مع بداية الفصل الذي لا تتهيأ فيه أسباب الحياة للجماعة البدوية في مسارحها الأصلية.

وأما عن أسباب ترحال بدو شمال إفريقية فقد أشار كل من برنار ولاكورا إلا أنها تعود إلى ضرورة المبادلات التجارية من ناحية وحاجة البدو الرحل إلى حبوب التـل وتمـور الصحراء من ناحية أخرى(4).

---

(1)د.مصطفى صلاح الفوال:علم الاجتماع البدوي–ص368

(2) نفسه:ص368

(3)نفسه:ص369

(4) ينظر إلى:Les Diverses catégories des nomades.op.cit.p17

بينما يذهب علماء الاجتماع والانثروبولوجيا أن ظاهرة الترحال في البداوة الرعوية ناتجة عن علاقة البدوي بالطبيعة؛لأن البيئة الطبيعية تحتم عليه التنقل وعدم الاستقرار في مكان واحد لفترات طويلة،وكذلك التجمع القبلي مادامت الطبيعة غير مستقرة أو مأمونة ومادامت أسباب المعيشة غير متوفرة بما فيه الكفاية(1).فلا أقل أن تتوحد الجماعات في تجمع قبلي تشكل الأسرة فيه أصغر وحداته،ويلاحظ أن الترحال الذي تقوم عليه البداوة هو ترحال كمي.وليس تنقلا نوعيا،بينما التنقل الذي تقوم عليه الهجرة هو في الغالب تنقل نوعي ينتقل به المهاجر من نمط حياة إلى نمط آخر،أو من نوع من العلاقات إلى نوع آخر(2)،إذ تفرض الهجرة في أدنى مستوياتها لونا من الاحتكاك الثقافي الاجتماعي بمجموعة أخرى تقوم فيها حالات الأخذ والعطاء والتكيف بينما نمط البداوة كنمط حياة يدور في أفق ثقافي واحد متماثل؛لأن المجتمع بمقوماته المادية من البشر وبمقوماته الاجتماعية من نظم ينتقل ويرتحل(3.وذهب محي الدين صابر إلى القول:"...**بأن التنقل البدوي ليس مقابلا لغويا ولا بديلا اجتماعيا لمعنى عدم الاستقرار،أي يمكن النظر إلى البدو الرحل كمستقرين اجتماعيا؛لأن هذا النمط من الاستقرار يتضمن في حد ذاته معنى الاستقرار**(4).ماهي أسباب الترحال عند قبيلة بني عامروحميان ؟كان بنوعامر وحميان يقومون برحلتين في السنة رحلة الشتاء وهي العودة إلى مواطنهم ورحلة الصيف نحو التل،فإذا أقبل الصيف اشتد الحر في الجهات الهضبية أوشبه صحراوية

(1)Blanguernon claude:le Hoggar-Edition Arthard-Paris-1965-p173-د.محمد السويدي:بدو الطوارق-ص34

(2)Blanguernon:op.cit.p174

(3)د.محي الدين صابر:عوامل التغير الحضاري في نمط الحياة البدوية-بحث في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية-رعاية البدو وتحضيرهم وتوطينهم -القاهرة-1965-ص319

(4)نفسه: ص319

وجف العشب وقل الماء فلا يجد السكان مفرا من شد الرحال صوب الشمال حيث يتوفر المطر ويطيب المرعى وتتيسر الحياة(1)فإذا جاء الخريف وأوشكت الأمطار أن تندى بطاح الهضاب بالمطر المنبت للكلأ عادت جموع المهاجرين مرة أخرى إلى ديارها لقضاء الشتاء(2).وبعد أن نقل يغمراسن عرب بني عامر وحميان إلى ضواحي تلمسان ليكونوا حاجزا بين عرب المعقل استقروا ولكنهم اضطروا للتقلب في قفار صحاري تلمسان جنوبا في الشتاء،واللجوء إلى التل في الربيع والصيف بسبب أنعامهم(3)،وكذلك تعود عرب بنوعبيد من المعقل القيام برحلة الشتاء بناجعتهم إلى قصور توات وبودة،وتمنطيت بالصحراء،وربما شاركهم في بعض الأوقات عرب بني عامر وحميان من بني يزيد الذين يكتفون من التوغل في الصحراء عند تيكورارين لا يزيدون(4).وبلغت رحلتهم من الشهرة حتى تعود التجار الوافدون من الأمصار والتلول أن يرافقوهم إلى مشاتيهم،ثم يزيدون إلى السودان (5).وهذه الحركة المستمرة ويعود سبب الترحال إلى قلة وسائل الإنتاج الزراعي والصناعي التي كانت محدوة في منطقة صحراء تلمسان وتعرض المراعي إلى الجفاف،ولذا أمعن بنوعامر وحميان في طلب الارتحال وساعدهم على ذلك انتشار استخدام الإبل والخيول،ويذهب بعض المؤرخين أن سبب وجود ظاهرة الترحال عند البدو يعود إلى طبيعة تكوين المجتمع البدوي الذي لا يتعلق كثيرا أو يرتبط بالأرض على عكس سكان البيئات السهلية.

---

(1)د.مصطفى صلاح الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص368

(2)البكري:المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب -نشر دوسلان-الجزائر-1911-ص145- حسن أحمد محمود:قيام دولة المرابطين ص24 -د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية ص324

(3)ينظر إلى:lesarabesenbébérie;du11siècle;paris1913;p42

(4) عبد المجيد مزيان:المرجع السابق -ص240 د.إبراهيم مياسي:من تاريخ ثورات أولاد سيدي الشيخ – ص195

(5) العبر:ج6-ص66

وذكر جورج مارسيه في هذا الموضوع أن المجتمع الذي يشتد التناحر فيه بين السكان وتكثر الهجرات وتثور الفتن وتنتشر الإغارات لا يتعلق السكان بالأرض على الصور التي نجدها في البيئات السهلية،ولا يدافع الناس عن وطن معين يترلون فيه بقدر ما يدافعون عن الأسرة والعشيرة والقبيلة،فأصبحت القبيلة محور الحياة في المجتمع(1)،ويبدو أن جورج مارسيه لا يعرف جيدا طبيعة البدو في الجزائر،فالبدوي الجزائري له أرضه وهو متعلق بها ويدافع عنها عكس ما يعتقد،فبنو عامر وحميان يقومون بالرحلتين ويعودون إلى موطنهم،وهذا ما يبين التشبث بالأرض والارتباط بها.حيث يقول عبد المجيد مزيان "...أن مشاهدة ابن خلدون اقتصرت على نوع واحد من الرحل المربين للإبل،وقلما يقتصر هؤلاء الرحل على تربية الإبل وحدها،إذ يجمعون بينها وبين تربية المواشي في غالب الأحيان،وكانت هذه الرحلة لا تتعدى 500كلم عكس بدو الطوارق والرقيبات التي تتعدى رحلتهم 1000كلم ويلاحظ بصورة عامة أنه كلما قل عدد الماشية التي تملكها الجماعات البدوية،كلما زادت المسافات التي يقطعونها في ترحالهم..."(2).وأن حياة الترحال عندهم من الرحيل المحدود في السهول الضيقة والمنظم حسب الفصول،ولايتعدى رحلتين في غالب الأحيان وهو رحيل خاص بالسكان المعتمدين على تربية الشاة(3).

2-<u>**الرعي:**</u> إن الرعي كعملية أو نظام يندرج تحت نمطين رئيسين،والرعي إما أن يكون متنقلا أو رعيا مستقرا،والترحال كعملية بما تحتويه من سعي دائب وراء العشب والماء يشكل الحد الفاصل بين كلا النمطين،بمعنى أن الاختلاف بين كليهما اختلاف كمي(4).

(1)د.مصطفى أبوضيف احمد عمر:القبائل العربية-ص324

(2) ينظر إلى النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون-ص240

(3)د.صلاح مصطفى الفوال:البداوة العربية والتنمية-ص375

(4)نفسه ص375

وليس كيفيا لأن الرعي كهدف موجود ومتوافر لدى النمطين،وحتى ثقافة الرعي وتنظيماته وتأثيراته على الحياة الاجتماعية لكل من النمطين سواء المتنقل منها أو المستقر تكاد أن تكون واحدة بل موحدة بين كليهما(1).فالفرق المميز بينهما يكمن في الدرجة وليس في النوع،حيث تسعى الجماعة البدوية في ظل الرعي المتنقل إلى الماء والكلأ أينما وُجد وهي أي الجماعة البدوية الرعوية في سبيل ذلك تجوب الصحراء باستمرار وترتبط فترة إقامتها بأرض ما بقدرة هذه الأرض على الوفاء باحتياجاتها فضلا عن احتياجات مواشيها من الماء والعشب(2).أما الرعي المستقر فهو يعني أن الجماعة البدوية قد وجدت لها مصرا آمنا للماء والعشب،فاستقرت حوله وفي نطاق مكاني ما،هو حتما ضمن النطاق الصحراوي الأم(3)،ولكن بالنسبة لبني عامر وحميان فهي صحراء تلمسان،التي تختلف من حيث الجانب الطبيعي والمناخي عن الصحراء الكبرى.وغالبا مايكون استقرار بني عامر وحميان حول مصدر من مصادر المياه الثابتة كأن يكون ذلك المصدر بئرا أوعينا أو وادا أومشرعا من الماء،ولو بشكل ضمني على تسمية النطاق المكاني المعين الذي يتمتع بنوع من الاستقرار المائي اتفق على تسميته بعقلة السندان،ولهذا السبب يطلق على الرعي المستقر نسبيا بالرعي الهضبي دلالة على أنه لا يقوم أصلا أو لا ينهض أساسا إلا بين أحضان مكان ما مميز في صحراء تلمسان(4).فما هو نوع الرعي الذي تمارسه قبيلة بنوعامروحميان ؟يقسم الاقتصاديون النشاط الرعوي إلى ثلاث أنواع:الرعي التقليدي المتنقل، والرعي التجاري الحديث.تعتمد قبيلة بنو عامر وحميان على الرعي

(1)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي-ص374-إدريس خيضر:التفكير الاجتماعي عند ابن خلدون وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية-ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر-1992-ص120

(2)د.صلاح مصطفى الفوال:علم الاجتماع البدوي ص374-إدريس خيضر:التفكير الاجتماعي-ص120

(3)نفسه:ص375

(4)نفسه:ص375

التقليدي المتنقل بسبب وجودها في إقليم فقيرفي أعشابه،ويصعب قيام الزراعة فيه لنقص الأمطار وقصر فصل النمو الناتج عن شدة البرودة،يتميز مجتمع حميان وبنوعامر بالرعي وبتنقله المستمر مع قطعانه سعيا وراء الكلأ(1)،وإنتاجه لايدخل ضمن النشاط الاقتصادي الشامل،إلا في صورة محدودة مثل إنتاج الصوف أو الجلود أو الألبان ويشير الاقتصاديون أن الرعي التقليدي يقتصر على العالم القديم،بينما يسود الرعي التجاري في العالم الجديد(2)،وتعيش جماعات الرعي المتنقل مثل بني عامروحميان في خيام وتتنقل في مجموعات قبلية وراء العشب والماء في هجرات فعلية(3).ذكر برنار(Augustin Bernard ولاكورا(N.Lacroix) عن ظاهرة الترحال عند حميان فقال:"...تملك حميان عددا كبيرا من رؤوس الأغنام والخيول والإبل،كانت تجوب بها في جزء من الشط الشرقي والغربي،وترتحل بقطعانها في فصل الخريف إلى وادي الناموس حيث وجود المراعي والعشب والحرارة المعتدلة،وعندما تبدأ درجة الحرارة في الارتفاع في فصل الربيع،وتجف مياه الأمطار السطحية والتي تسمى عند حميان بالغدير في المناطق الصحراوية،تنتقل قبيلة حميان بقطعانها إلى القليعة.إذا كان الاستقرار.يعني تنظيم وسائل الحياة ،والبدوي يرحل من مرعى إلى مرعى آخر...وهو ليس جديدا على المكان الذي ينزل به وعلى هذا يكون مجال الاستقرار عند البدوي هو المجال الاقتصادي الذي يمارس فيه حياته الاجتماعية والاقتصادية كاملة..."(4).ويبدو أن علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية قد أهملوا في دراساتهم أن البدوي أثناء ترحاله من مكان إلى مكان آخر

(1)د.عبدالحميد لطفي:المرجع السابق-ص78

(2)نفسه:ص78

(3) ينظر إلى:les diverses catégories des nomades t25et26 Bsto 1906 p38

(4)د.محي الدين صابر:عوامل التغير الحضاري-ص319

ليس معناه أنه يعيش في عزلة عن المجتمع الحضري،فهو في احتكاك مع مجتمعات القـرى والمدن لأن ظاهرة التسوق والمبادلات التجارية كانت تفرض عليه التنقـل إلى القريـة والمدينة وبالتالي،فالبدوي يكتسب من خلال تفاعله مع مجتمع القرى والمدن ثقافة المجتمع القروي أو الحضري،والترحال يسمح للبدوي أيضا بتنوع المجتمعات القروية والحضرية، فعلى سبيل المثال كانت قبيلة بنوعامروحميان عندما ترتحل إلى أطراف الصحراء كانـت تتفاعل مع مجتمع قصور الصحراء،ولا شك أن لهذه المجتمعات ثقافة،وعندما كانت تنتقل إلى التل كانت تحتك بمجتمع قرى ومدن التل.وحسب ماجـاء في مـصادر الـضباط الفرنسيين أن بني عامر وحميـان في ترحـالهم كـانوا يـصلون إلى حـدود منطقـة فلات(Falat)(1).ويذهب محمد السويدي "...أن هناك ظـاهرة تـستحق الدراسـة والمقارنة وهي ظاهرة الترحال والتنقل عند القبائل البدوية في شمال الـصحراء الجزائرية،ذلك أن بدو شمال الصحراء يكون ترحالهم وتنقلهم جماعيا وشاملا من إنسان وحيوان وخيام أي أن التنقل يشمل كل شيء دون تـرك شـيء وراءهـم بالرغم من أن لهم بلدية خاصة بهم وحدود إدارية(2).كان العامري والحمياني يحيـا تحت ظروف قاسية يستخلص رزقه بالجهد والعرق،كانت تكفل له في النهاية الحياة،دون أن يكون هناك نظام لتقسيم العمل بين الأفراد؛لأنه كان يعيش في مجتمـع قبلي،وكـان العامري والحمياني البدوي في ممارسته لهذه الحرف التي كانت ترتكـز علـى أسـاس الاستفادة من الإنتاج الطبيعي دون تدخل كبير في طرق الإنتاج(3)،وعلى كل فـالحرف التي كان يمارسها العـامري والحميـاني البـدوي هـي حـرف تقليديـة متوارثـة.

(1)ذكر جاكو فليكس أن حميان تقضي فصل الشتاء في منطقتها،وترتحل في فصل الربيع إلى الواحات الجنوبيـة،وإلى منطقـة القور في فصل الصيف والخريف.ينظر إلى:Expédition du Général cavignc.op.cit.p265

(2) ينظر إلى بدو الطوارق–ص34

(3)د.محي الدين صابر:عوامل التغير الحضاري–ص319

حتى يكون خفيفة الحركة والتنقل والترحال.وهذا ماجعل بنو عامر وحميان يقتصرون على الترحال المحدود المسافة بسبب كثرة قطعانهم.وقد بقي كثيرمن قبائل هذه النواحي يعيش على الأحوال الاقتصادية حتى أواسط القرن التاسع عشر الميلادي مثل بني عامروحميان تعيش على حياة الترحال(1).

3-3**الاغارة و السلب**: كانت تمثل الإغارة والسلب عند أغلب القبائل البدوية التقليدية جزءمن الحياة الاقتصادية،وهي الغارات التي كان يشنها المحاربون على قبائل بعيدة عن موطنهم خصوصا في فترات القحط والمجاعات التي كانت تتعرض لها مواطنهم،فقدكانوا يقطعون لتنفيذ الغارة مئات من الكيلومترات في الذهاب والإياب،بحيث تستغرق الغارة كاملة عدة أشهر(2)،مع أن عملية الغارة نفسها لا تستغرق أكثر من دقائق.تنقسم الغارة عادة إلى قسمين:الغارة قصيرة المدى،والغارة بعيدة المدى،ففي النوع الأول يقوم عدد محدود من الأفراد بالترصد لقافلة اتية من بعيد،ثم يفاجئونها وخلال دقائق يجمعون سلاحها ومؤونتهاوحيواناتها،ثم يفرون بسرعة،ومثل هذه الغارات المحدودة لاتصل إلى مستوى النشاط النظامي للقبيلة(3)،وإنما تبقى على مستوى الأفراد.أما الغارة البعيدة المدى فتحتل مكانا في النظام الاجتماعي للمجتمع القبلي البدوي،يشيرابن خلدون أن الحصول على الرزق وكسبه كان يتم عن طريق الإغارة والنهب والسلب أو عن طريق الجباية أو المغرم بقوله"...**ثم إن تحصيل الرزق وكسبه إما أن يكون بأخذه من يد الغير وانتزاعه بالاقتدارعليه،وعلى قانون متعارف ويسمى مغرما أو جباية...**"(3)،ومن ثم يمكن استنباط بعض الأمثلة من خلال التطور

(1)د.عبدالمجيد مزيان:النظريات الاقتصادية-ص240

(2)د.محمد السويدي:بدوالطوارق-ص34

(3) ينظر إلى المقدمة-ص87-ألبير نصري نادر:من مقدمة ابن خلدون-ص103-الصغير بن عمار:الفكر العلمي عند ابن خلدون-ص95

التاريخي لقبائل بني زغبة بالمغرب الأوسط ذلك الإغارة التي شنها الدواودة من بني رياح على بني يزيد في بلاد حمزة في القرن السابع الهجري(1)،والإغارة التي شنها عرب المعقل على زغبة في الصحراء قبل هجرتهم إلى التل في القرن الثامن الهجري.والإغارة التي قامها بنوعامروحميان على عرب سويد على الحدود المرينية بوطاط وكرسيف وبلاد ملوية أثناء مرافقتهم لأبي حمو موسى الثاني سنة759هـ-1358م،وغنموا الإبل والمال (2)،والإغارة التي تعرضها بنوعامروحميان من طرف عرب سويد أثناء الغزو المريني للمغرب الأوسط،والتي خلفت تدمير قصور بني عامر ونهبها سنة770هـ1368م(3)،ثم الاغارة التي شنها خالدبن عامر وقومه على عرب سويد التي أدت إلى تدمير أوطان عرب الحرث وأولاد عريف،وحطموا زرعها ونهبوا مخازنها،وخربوا قلعة بني سلامة(4)،وتعرض بنوعامر وحميان للإغارة من طرف ذوي عبيدالله،وذلك بعد أن أسند المرينيون أثناء غزو الحسن المريني لتلمسان سنة772هـ-1370م مهمة غزو قصور جنوب وجدة(5) أما فيما يتعلق بالجباية أو المغرم فهناك أمثلة كثيرة منها المغرم أو الجباية التي فرضها بنوعامر على بني يزيد التي تنتسب إليهم حميان،والتي كانت تتمثل في ألف غرارة من الزرع،كان يدفعها بنويزيد كل سنة وسبب ذلك أن بني عامر حالفوا بني يزيد على استرجاع الدهوس من بني رياح ومن الأمثلة كذلك أن فرضت عرب المعقل مغرما على من بقي من بني زغبة في الصحراء كان يتمثل في الإبل البكروكان ذلك في القرن الثامن الهجري (6).

(1)العبر: ج6-ص.ص41-42-51-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث-ص199-د.مصطفى أحمد عمر ابوضيف:القبائل العربية في المغرب-ص166وص266-230

(2)بغية الرواد-ج2-ص.ص23-24-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني-ص87

(3)العبر: ج7-ص.ص132-133-د.مصطفى أحمد عمر أبوضيف:المرجع السابق-ص159

(4)نفسه:-ج6-ص61-د.مصطفى أحمد أبوضيف:نفسه-ص165

(5)نفسه: ج7-ص131

(6)نفسه: ج6-ص40-د.مصطفى أحمد أبوضيف:المرجع السابق-ص155

ولم يشر المؤرخون إن كان بنوعامر وحميان يفرضون أتاوات على القوافل التي كانت تمر بأراضيها،ويضيف ابن خلدون أن نمط المعاش لبدو بني عامر وحميان ،كان يعتمد على الصيد "إما الحصول عليه عن طريق صيد الحيوانات البرية،أو من الحيوانات الداجنة باستغلال إنتاجها"(1).ويذهب صلاح مصطفى الفوال بالقول"...أن في المجتمعات الرعوية يعتمد الناس خلالها اعتمادا كليا على حيواناتهم سواء كان هذا الاعتماد مباشرا أم غيرمباشر،الأمر الذي أدى إلى تحكم كل من حاجات الحيوانات ومنتاجاتها في نمط الحياة السائد لدى الجماعات الرعوية..."(2).وكان من الطبيعي أن تهتم القبائل العربية بأنعامها،فهي لا تستطيع أن تستغنى عنها في جميع التصاريف،ولم يبالغ المؤرخ عندما قال:أنهم كانوا بمثابة الطفيليين على أنعامهم(3).ورغم أن العرب عملت للحصول على الحبوب والأدم من التلول إلا أن ذلك لم يصادفه النجاح بصفة مستمرة،وبالتالي فقد اعتمدوا بصفة أساسية على أنعامهم يحصلون منها على الألبان واللحوم خصوصا أهل القفار منهم،وهذا ما أفاد أبداهم(4) الذي يدر نفعا كاللبن من الأنعام أو من الحبوب أو من الأشجار المثمرة،ويسمى هذا كله فلحا ويبين ابن خلدون أهم الإنتاج الحيواني،وربما يكون هذا من أوجه الكسب عند البدو الرحل من حليب الشاة والماعز والإبل(5).وربما كان ابن خلدون قد عاين مجتمع بني عامر وحميان ولاحظ نمط معيشة هؤلاء البدو الرحل الذين كانوا يعتمدون في غذائهم ولباسهم على ماهو ضروري فكان بنوعامر وحميان يتغذون على لحوم الغنم والماعز.

---

(1)ينظرإلى المقدمة–ص87

(2)ينظرإلى:علم الاجتماع البدوي–ص305

(3)عبدالحميد يونس:الهلالية–ص.ص88–89

(4)المقدمة–ص87–د.مصطفى أبوضيف أحمد عمر:القبائل العربية–ص258

(5)المقدمة:ص87–د.حسن الساعاتي:علم الاجتماع الخلدوني–ص90

الدولة الزيانية وكذلك في إحيائها وفي تدعيم قواها العسكرية،خاصة في عهد أبي حمو موسى الثاني ولو أن دورهم لم يظهر بشكل واضح بسبب هيمنة بني عامر على النشاط العسكري والسياسي والاقتصادي والثقافي،إلى غاية زوال الإمارة الزيانية،وقد استفادت حميان من الإقطاعات التي منحتها الدولة الزيانية لبني عامر في صحراء تلمسان وفي الأرياف ولم يقتصر دور بنو عامر وحميان على النشاط العسكري والسياسي فقط،بل ساهموا كذلك في النشاط الاقتصادي والثقافي.

ب-من الجانب الاقتصادي:ساهم بنو عامر وحميان في النشاط الاقتصادي في دولة بني زيان،باعتبار أن منطقتهم كانت إقليما تابعا للإمارة الزيانية في تنمية الثروة الحيوانية خاصة الأغنام، وتربية الخيول والإبل ،وفي تجارة القوافل التي كانت من العوامل التي أدت إلى تقوية إقتصاد الإمارة،وأيضا في تزويد أسواقها التجارية بما كانت تحتاجه من صوف ووبر ومشتقات الألبان واللحوم،ورؤوس الماشية،وكذلك في دفع الضريبة لتعزيز ميزانيها

ج - الجانب الثقافي:ساهم بنو عامر وحميان في نشراللغة العربية بين قبائل زناتة في إمارة بني زيان ،وفي الوقت نفسه تأثر بنو عامر وحميان باللغة الزناتية وبعادات وتقاليد قبائل زناتة التي تفاعلت معها داخل إقليم الإمارة.كذلك استطاع بنو عامر وحميان من نشر الموروث الشعبي الهلالي،وعاداهم وتقاليدهم العربية البدوية بين القبائل الزناتية المستقرة بمنطقة صحراء تلمسان وقصور بني عامر من فنون تقليدية كصناعة الخيمة وأدوات الطبخ وأفرشة صوفية وملابس وأدب شعبي من شعر ملحون وحكايات شعبية والأمثال والألغاز

د-الجانب الاجتماعي:تمكن بنو عامر وحميان من نشر نمط الحياة الاجتماعية البدوية العربيبة ؛كالبداوة والنظام القبلي والنظم الاجتماعية كالزواج والأسرة والقيم الاجتماعية ،والحياة الاقتصادية ومناشطها كالرعي والترحال والإغارة والسلب.

الملاحق:

1- نماذج من القصائد الشعرية

2- نماذج من الأمثال الشعبية

3- نماذج من الألغاز الشعبية

4- الخرائط

5- الجداول

6- المصطلحات

1-التعريف بأبي حمو الثاني وظروف وصوله إلى السلطة في إمارة بني زيان*: يتصل نسبه بمؤسس دولة بني عبدالواد يغمراسن بن زيان،فهو أبو حمو موسى بن أبي يعقوب يوسف بن عبدالرحمن بن يحي بن يغمراسن ولد أبو حمو موسى بالأندلس في مدينة غرناطة سنة723هـ وفي تلك السنة عاد به أبوه إلى تلمسان باستدعاء من السلطان أبي تاشفين الأول،ونشأ في تلمسان مثل غيره من أبناء الأمراء،فعرف حياة البلاط وما تشتمل عليه من أبهة وترف،ودرس على أشهر العلماء،فنال من العلم حظا وافرا مكنه من تحصيل مبادئ العربية والعلوم الدينية،ولما تم استيلاء المرينين لتلمسان سنة737هـ كان عمره آنذاك أربعة عشر سنة،عرف آلام الاغتراب بفاس صحبة أبيه وكثير من أبناء قبيلته،وقضى قسطا من وافرا من شبابه هناك،وقد ذكرابن الأحمرفي كتابه روضة النسرين أنه أدرك أبا حمو بفاس وهو يسكن بها في عين أصليتن يتعيش برد الفلك للمكفوفين وذلك في دولة المولى أبي الحسن المريني.وقد يكون ذلك في آخر مقام أبي حمو أي حوالي سنة745هـ إلى 750هـ.فالمصادر التاريخية لاتذكر تاريخ مغادرة أبي حمو لفاس،ورجوعه إلى المغرب الأوسط،والظاهر أنه قدم منها إلى تلمسان مع أبيه.وابن عمه أبي زيان بن أبي سعيد في أوائل سنة750هـ،واستقر أبو حمو مع أبيه بندرومة،وعاش هناك بعيدا عن كل نشاط سياسي مقتفيا سيرة أبيه في السكون والدعة وتزوج في هذه الأثناء،فولد له ابن بندرومة سنة752هـ سماه أباتاشفين،وهو أكبر أبنائه.وقد استقر أبو حمو ووالده بندرومة.وتركهما لتلمسان فإن عبدالرحمن بن خلدون وأخوه يحي ذكرا أن ذلك كان لرغبة والده أبي يعقوب في الزهد عن الدنيا وملذاتها.

*ينظر إلى:أبي حمو موسى الزياني-ص74-بوزيان الدراجي:نظام الحكم في دولة بني عبدالواد-ص204 روضة النسرين-مطبوعات القصر الملكي-الرباط-1962-ص58-د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى الزياني:ص72د.عبدالحميد حاجيات:أبوحمو موسى-ص74

*التعريف بمصطفى بن إبراهيم:شاعر شعبي معروف في الغرب الجزائري،عاش في القرن التاسع عشر الميلادي، ولد حوالي 1800م بقرية بوجبهة ناحية سفيزف،درس القران والفقه والتوحيد والحديث،وتزوج بابنة موظف في الإدارة التركية،ثم شغل منصبا في الإدارة أيام الحكم التركي،وفي عهد الاحتلال الفرنسي كان مصطفى بن إبراهيم قاضيا بمسقط رأسه،ثم قائدا على أولاد سليمان،وهم بطون من قبيلة بني عامر،وكانوا قاطنين في أماكن مختلفة من ناحية سفيزف،وعظم شأنه فعرف عزة الحكام واستطاع بفضل ما كان يدره عليه منصبه الجديد من المال،أن يعيش حياة اللهو والطرب في أوقات الفراغ،ثم نقل من هذا المنصب إلى الضاية وهناك بدأ يذوق آلام الفراق والحنين إلى مسقط رأسه وأصدقائه،واضطر يوما إلى مغادرة الجزائر والتوجه إلى فاس،حيث قضى خمس سنوات،وزاد في تحسره على وطنه أثناء مقامه بفاس،ثم عاد إلى الجزائر،وتمكن من الحصول على منصبه القديم بين أولاد سليمان،ولم تطل مسؤوليته هذه،فتوفي سنة1867م.

*التعريف بالشيخ رمضان بن عاشور: من مواليد 1944/12/09 بقرية البيوض لم يسبق له أن دخل المدرسة بسبب ظروف الاستعمار الفرنسي التي حرمت أبناء الجزائر من التعليم وعاش معظم حياته في البادية،ومع ذلك يملك موهبة في قرض الشعر الملحون،ويمتاز بثقافة بدوية واسعة،استعنت به في كثير من المسائل التي تتعلق بالحياة الاجتماعية البدوية،ينتسب إلى أولاد سرور الغرابة،وهو بطن من بطون حميان الغرابة, فرع الجنبة،انتقل من حياة البداوة إلى حياة الحاضرة والاستقرار وهو يعيش حاليا بالمشرية يمارس النشاط التجاري،وله عدة مشاركات سواء على المستوى المحلي أو الوطني،ونال عدة شهادات شرفية نظير مجهوداته في إحياء التراث الشعبي والحفاظ عليه خاصة في الشعر الشعبي أو الملحون،تعبر معظم قصائده عن الواقع المعاش والظروف التاريخية والسياسية المحلية منها والوطنية.

ينظر إلى مقال بمجلة آمال-العدد68-الجزائر-2000-ص127

هدة رقم (1)

ماشين خبر ادركني زاد العذاب هول قلبي منحوس خير مافيه
أكواني كي خلاف في دليلي وطاب قلبي مصهود صهيد واش يبريه
قالوا لي بن قادى مشى للحد التراب عمرك ماباقي لك ماتوافيه
ماعظم هذا الغمرة تشيب إلى شباب والي بحبه كيفي أفنى ترشيه

فراش (1)

ماشين خبر دركني وكثر محايني ضره طحن طحني زاد احزان
حين سمعت هلكني وحرك اسفايني في قلبي زيلفني قدات نيران
محنتي بالمثني ابغيتك أتساليني ياسايل تعذرني تذوق الأمحان
احبابي غدروني الموت عراتني لا من جا عزاني في موت الاخوان
راني راني راني انوح باعياني أعلى فرقوني وجوه الاحسان
لعارم والبرني فنا وافناوني هذا حد زماني في السعد ماكان

هدة(2)

هذا حد زماني انوح باعياني سلف الجود مشى مع مواليه
الجميل الغاني لا حيله وين غاب احيا وسخا والنور سر كاسيه
خير خير من الناس فايق على العراب غصن فاصل السعد غرني فيه
آه على بوجمعة نساه شيخه وغاب ابراهيم الشرقي الغرب كاليه

فراش(2)

من يفهم في أقوالي أرقيب لا فعايلي الاول مع التالي القيل والقال
ويخبر بالحوالي الكل ومسايلي ويخبر بدليل فتوح وقفال
ياويلي ياويلي السعد كي خاب لي في الخلة وخليلي سواد وكحال

انخمم في حالي الظن كي خاب لي باخس والاعالى عييت نحتال
ونميز في احوالي وليق ما طاب لي واحد ما يحلى لي يجي على البال

هدة(3)

واحد ما يحلى لي يجي حديثه صواب بعد ان يحلف الايمان مانثقيه
الاكن وعدالله هاك لي اكتاب واش بقى لي غيره حبيب نلبيه
لونهدرباسراري تشوف عجب العجاب تسمح غربة الغرب شفت مافيه
ازلوجت بلادات في الجبال الصعاب شدة ورخا والله تاكل عليه

فراش(3)

بفضل مولاي ادريس دروجهي نفيس وجلبت عقول تغيس مادارت الكداس
جدول لي تخميس حاطه بالنكيس شيخي مولى تفليس طايعه كل فاس
نمشي مشي التنكيس لي ماني حريص وعفست الناس عفسين
خضعت لي لصاص
في البربر لي تانيس جايل بلا ونيس نظري تحت التدميس
غاض بحر النعاس
برياسة وتهنديس نقبض الطير قيس لو يتعلى تفريس لابدم المراس
كم علقت نواقيس في عقول الخسيس تعرف إلى حبيس في حديثه احساس

هدة(4)

ياصبري فحول الدعوج كحل الهداب بعد ان نحزن عامين مانكافيه
سهسه عظمي ورشى فنيت والمخ ذات ميراحجايا ذا الغنج راه كاويه
إلى قوى الامحان زادها والكراب بين قادي بحر الجود والسخاليه
ياخونى ياحزني عليه سيد الرقاب مابقي لي محبوب غيره نجيه

فراش(4)

ماباقي لي ملقى الانزيد الشقا — حين امشات الرفقا عقبت لديارها
ماني اهل الدلقة تجوق اجواقة — بحرفها تترقى اذلال سيادها
ماني م الحماقة فخاخهم خارقة — ملقاهم مشقة الناس بطباعها
لي صنعة دقيقة امن العقل راقة — بظرافة وحذاقة الله لي هابها
م أهل الجود اش بقي مشاوا برفاقة — من خبرهم نستقي ننشق رياحها
اشيوخ الزندقة اذكارهم سارقة — مافيهم ش التقي تبيع لورادها(1)

1-نماذج من الشعر الشعبي عند حميان التي لم يسبق نشره:

قصيدة الشيخ رمضان بن عاشور*عن عكاظية الفروسية بالنعامة*

أول حفلة في النعامة للفرس — ورجال البارود من كل ولاية
الاصالة والنيف والصدق وليمان* — حوس* تعرف من اعظم الرجال
نشكر المسؤولين قاموا باحتفال — يبقى في التاريخ نجمة ضواية
الكلمة والصدق والعز وليمان — كارمين الضيف ناسك رحالة
نفرح بالضيوف في أرض الفرسان — والرجال الزايرين من كل ولاية
أحنا رجال النيف ونحب الاوطان —ماننسوش حكام شينين الحالة
والكافرفي بلادنا معنده شان — ماننسوش شهيد مات ولا جانى
حررنا بالجهاد من القوم الكفار — والأثر اليوم موجود احذانا*
ولاجيت الاصل في الصحرى مازال — الخيمة والريف والشعر هوانا

(1) رابح بونار:قصيدة ماشين خبر ادركني لمصطفى بن إبراهيم -مقالة-مجلة آمال-ص127

*ليمان:معناه الايمان.

*احدانا:بجوارنا غلم:معناه الغنم

*حوس:ابحث

نفرحوا بالضيوف صيد | موسيقى وألحان تجلب مرضانا
كاسبين الخيل وغلم* للشوفان | وغمة حرة تزيد للكرم عنايا
ناقة وجمل زايدة تولد حيران | وربوه عزيز جاهد معنا
هذا كسب بلادنا غالية الشان | رحمة بالشهيد بالعز هدانا
جابوا الاستقلال ماتوا فيه رجال | وساقو بالدم راكي مذبلة
نطلب من ربي على البهجة مزال | تصفى من الأوهام راها عيانــا

قصيدة ثانية من الشعر الملحون عن حميان والفرس(*):

يا عودي* واش بيك غادرت المرسم* | وهديت العديان تستشفى بيا
ربيت وحظيت مثلي تتكلم | وتشوف الفتاة تزغوي* بيا
وماني داري نبدلك والله احكم | ونزلت الأقدارمريت* عليا
راني حاير واش نكسب يالحمر | مشيت نساوم في خيول العكليا
طلبوا لي المحال وانا نحشم | بقيت نقارع فيك صبحة وعشية
كنت مونس بيك قدام المرسم | عندي فيك الخير ورجال قويا
كنت نطل عليك عني تتكلم | وتصبح بالخير قدام العدايا
ونصيد الغزلان في الصحرى والتل | لحمر بودينار طبع المشرية
وعشقتني لبنات فوقك يالفحل | بنت الغرب والى شرقية
ومنهم الغزالة صافية تتبسم | والنسى ضراف وحدة فضية
بين الشفة يباين قنديل يشعل | نتكلم بلطاف طفلة هدنية
والخد احمر خوخ في الغرب نمثل | والعينين غزال طفلة عربية

*عودي:حصاني أو فرسي

*المرسم:وهو مكان الذي يربط فيه الحصان أو الفرس

*تزغوي:معناه تقوم بحركات غير عادية

*صاحب هذه القصة هو الشيخ رمضان بن عاشور

والحاجب مكتوب تحت جبين ظهر وسقاته الامطارصبحةوعشية

والسالف ريش نعام يبان كحل نطلب الحلال قسمة في الدنيا

هذا حدي عليك يالحمر نصبر ماترجع موحال* حتى بالفدية

قصيدة شعرية شعبية ثالثة: *

نبد بسم الله هو ليعلم واللي ندى للقضى نصبر لقضاه

صلى الله على النبي حتى ينعم محمد ياخاوتي رسول الله

رجال الله ما خطاو* حتى مرسم واللي يظن الخبر لابد يلقاه

خلوني في حالتي راني عادم واللي داري بالعقل هو مولاه

جيت نداوي في الضراري زدت الهم وهذا الضر لتخبل واش يداويه

من كثرة لهموم وليت النخمم ولي في المكتوب ليا نتسناه

هذا قول صحيح مانيشي واهم والانسان يشوف* قدامه ووراه

القصيدة الشعرية الأولى*:الصلاة على الرسول

يامولانا يا مصيف وانايا عبدك ضعيف

جينا لك أصحاب السيف محمد والأنبية

يامولانا يادبار يا عزيز ياجبار

نجني من صهد النار محمد تشفع فيا

بامولانا يامجيب من غيرك ما كان طبيب

وانت عالم مافالغيب تغفر لي مولاي

يامولانا يرحمان وأنت داري بالإنسان

---

*هذه القصيدة دونتها عن حميان الشراقة وبالتحديد من بلدية بوقطب،صاحبها عثمان محمد

*مريت:غادرت وذهبت عني

*خطاو:معناه موجودين في كل مكان*يشوف:ينظر

*موحال:معناه لأعتقد أنك ستعود

جبنالك سيد الشجعان ... محمد سيد رقية
ياموﻻنا يا حكيم ... وأنت عالم ما في الغيم
جبنالك صفة لكريم ... هو نوري وهناي
ياموﻻنا يامعبود ... اسمك في قلبي ميجود
ذكراك عند لي مسعود ... هو فتح الهدايا
ربي مول السموات ... خلق كل المخلوقات
وامطاره صبت واصحات ... تحت الشمس الضوايا
ارمي عينك للأشجار ... نابت فيها كل ثمار
طلعت من قوة لمطار ... رجيت للناس سعاي
أرمي عينك للنجوم ... يبقى غير الحي يدوم
رحمتنا ويدان تعوم ... أنا والناس معاي
أرمي عينك للشوفات ... راحت نسمتها ومشات
والعبادة والصلاة ... هي طبي ودوايا
ولداينادم يا مغرور ... والدنيا تمسي وادور
تلقى ماليك القبور ... ينطق باصوات قوية
زلداينادم يا مغلوب ... تاتي ماجا في المكتوب
تلقى عمالك مطلوب ... حسابة ولاستي
ولد اينام يامشغول ... خبرني كيفاش تقول
والصلاة على الرسول ... عمالي بين يدي
دير التكل على مولاك ... لا تاتي نفسك بهلال

يابونادم لا تنساش — هذا الدنيا ماتبطاش
وانت ظالم ما تدراش — ماتقدر تخدم حيا
ريح الدنيا وين هداك — قوم طريقك مسويا
المكتوبلك في الزياد — نزلت من عند الجراد
ولي درته بالعداد — حاضر سبحة وعشية
ياMولانا ياقسام — فاجي قلبي مالقمام
نتمنى انشوف المقام — توفيلي هذا المنية
يا ربي حي الدوام — خففلي مشيت لقدام
وانهار يتموليام — نفسي عندك هدية
نحمد رب العالمين — نتمنى وانقول آمين
والصلاة على الأمين — محمد يشفع فيا
نحمد ربي كيماراد — هذه عادة الاجداد
من بعد المال ولولاد — نتحول من ذا الدنيا
يامولانا ياقدير — وين تقود العبد يسير
وحدك ماعندك امير — دايم في الملك انتاي
يامولانا ياحنان — وانت عالم في كل مكان
يوم القوة والميزان — نمشي بايمان قوية
يامولانا يارزاق — يامول الملك ولفراق

نجني يوم تضياق — يوم نودي لوصاي
يامولانا ياحقيق — يامول الملك الوثيق

تجعل عمالي شقيق ماهوش بعيد علي
ياسعدي راني يديت نمد بالنبي والبيت
واسقيت عمالي واسعيت هذه هي الحكاية
الحكيم المدبير كافاني بكلام الخير
ندي بياني وانسير نلقى داري مبنية
مولانا مول المرسول داري بالعلم المنزول
جاب وصايا للرسول محمد سيد رقية

القصيدة الثانية:

حاذق لطيار يانيلي* حشمتك توصل العرب
حشمتك توصل الصحاري وطن الصحوان والرطب
خذ القهوة وبات ساري وفي الدريكت سبق غيمها
حس الموتور كي الجمالي رعدية غيمها أركب
تحزمت وأعطات للصحاري تطحن في المرت كي الرعد
شعلت نيرانها خواني وتحرك شربونها اثبق
تعواج وتقول وين راني تتسقم طول وتنجبد
خلطنا لشطنا موالي شط الديبون* والحطب
تبسط في البلاص هاني قيس الوحدة توصل لبوقطب
وطن الميعاد والمشالي* فرسان وسلاحها بروق
وطن المرحول والعشاري* كل نوبة* وطحت في كرب*

*ميلودي بوبكر ولد بوبكر من مواليد منطقة الشط الشرقي وينتسب إلى الخريصات وهم دراقة الغرابة من حميان الـشراقة بدون عنوان يمدحها فيها الرسول (صلع) تحتوي هذه القصيدة على مئة واثنى عشر بيتا.

*يانيلي:القطار *المشالي:المكان الخاص بلعبة البارود*العشاري:الإبل *نوبة:مرة واحدة*الكرب:الربوة

دواوير مبيحة* قبالي ... المشاوي والمصاوير على لعمد
عودات يحجل* التوالي ... وسرج القربسون* والذهب
نبكي نبكي على أوطاني ... والصحرا ريحها اهمد*
راني مهموم على أوطاني ... وليت على الجبي انرد
لاتزهى ولاتقول غني ... ليام يدور وتنقلب
وليت نكوس* في الدوالي ... مخصوص نيط الحطب
خدمة ماهي هاوية لي ... ماهيش الخدمة لي ترد
كولون تشايكا قبالي ... تصبح غير ربيب يب

القصيدة الثالثة:

أخطب الماصر ومول المدينة ... وفي ليلة خطبوا كاملة تهزت لعباد
تونس والشام والجزائر وقسنطينة ... وجميع ضرب فيهم نيف عبالله مناد
ومن الغرب الطويل زيد الملوية ... وراه ثم مخمرة دولة لفراد
وحتى في تندوف كاين قسمية ... وسوحر من ثم وخوذ على أوتاد
وتمشي لي مع جبال القبلية ... وتلقى لي بوشريط ساكن في الوديان
يضربها للعين وتجي مطوية ... والله ماصلي على النبي ضرب الصياد
زوايا الاحرارو العمور والهاشمية ... خلاو فريسها مزروطة في كل بلاد
وسلامي حتى على أولاد المشرية ... وخلت الآثار من ساعة الأجداد
يامن صاب لي حفر بتساعية ... ويعطيني ربي نها في الجيش مرصاد

---

*صاحب هذه القصيدة الشعرية الشعبية هو عثمان محمد الملقب ببوشنافة من مواليد 1878م بقرية بوقطب.ينتسب إلى دراقة الغرابة التي تنتسب إلى حميان الشراقة, عاش حياة الشظف والبدو, توفي بمسقط رأسه.

*مبيحة:معناها منتشرة ومترامية الأطراف*يحجل:معناه الفرس التي لها علامة بيضاء فوق الحافر*القربسون:وهو الشيء الذي يوضع فوق السرج, ويسمى بالعامية الصطارة*نكوس:معناها يتجول بدون هدف أو غرض

2-مجموعة من الأمثال الشعبية المتداولة عند حميان :

-لما تاكل انت واياه في مايدة ولاتدي منه فايدة خلطته غير زايدة

-وقية خوف خير من قنطار محبة

-اللي احشم منك خاف منك

-الحرمة كلخ غير نشاوط بها تنقرض

-جات ليتيمة تفرح مالقاتش مطرح

-في زهوك لابسة شكارة وفي حزنك واش تلبسي

-فارس وحده ما ينوض عجاجة

-لعنده القمح يتسلف الدقيق

-ادي في ورد في المال شريك

-يقول سقي واحد يقول الزاك

-قطرة على قطرة تصير غدير

-للي جا وجاب ليه الترحاب

-خلي من عشاك لغداك باش تناقر عداك

-عيشة لما يناقر ساهلة

-لما عنده قلب يموت سمين

-لوكان الجراد يعيش نمشي للخلى ونطيش

-اللي ناض لك بجهة نوض له بزوج

-الثمرة تولي دين

-ليا حبيبك عسل ما تلحسهش قاع

-حط يدك على قلبك ولضرك ضر صاحبك

-قالوا الوعدة في فاس قال هات العكاز

-الخيمة الكبيرة بالجود والصبر ماهوش بالصوف والشعر

-راعي للجذرة ولو كان هي قدرة

-الواطي واطي لو كان قلاته ذهب

-اللي نتخالو به نقولوه ظاهر

-الخيمة نسا والشنة يابسة

-خيمة الخزار ماتكبر

-السلالة سلالة والعرق جباد

-بط النسا بالنسا وبط الابل بالعصا

-شافونا ندخنوا حسبونا نتسخنوا

-انده الجايحة دبر عليك

-كرش فايشة ولا كرش عايشة

-كبر الشدة قبال لاعدة

-الذراع الوافي مايحفي

-الخبزة بنت ولماشبع يزيد

-شر الرقعة مولي للترعة

-مايهدر في السوق غير المصفوق

-القمرة طالعة والكلاب تتنابح

-نطلق مافي يدي وانتبع مافي الغار

-لوكان ولدي يسعى نرسله مع خواله

-لما يعرف الاخرةيعقب لدار

-خبارالطعام يعطوه الفضلة

-الرجال تكسب والجياح تحسب

-الكلمة كي الرصاصة إلى خرجت ماتولي

-كل خيط مكتوب على لباسه

-دير للحي وين يتكسل والميت وين يتغسل

-دير مديرت لبدا والموت غدا

3-بعض الألغاز الشعبية المتداولة عند حميان:

- لاتحزن لوكان في قلب الحجرة،ولا تفرح لوكان مع لعياد تسير،انا بعيني شفت اليابسة ولت خضرة،وأنا بعيني شفت الناشفة ولت غدير

-العربي ماذيته لسانه

-يالي تبركشي من ياكله بوغريبةمات

- هذا لديا وهذا لعديا

-هبرة ياهبرة ومانظن عليك تبرا

-هذيك بخايف منها بك خلف

-النهار بعينه والليل بوذنيه

المصطلحات الواردة في البحث:

أنواع اللعب:

المعيزة:ونوع من الألعاب التقليدية عند بدو بني عامروحميان،ولاتزال تمــارس هــذه اللعبة اليوم.وهي عبارة عن حفر صغيرة تتشكل من التراب،تتكون من ثلاث صفوف أو أربعة عدد الحفر في الصف الواحد اثني عشر حفرة،وتملأ الحفر الجانبية،بكورات بقايـا الغنم أوالمعز،ثم يبدأ اللعب بنقل الكورة الأولى من الصف الأول إلى الثاني،وإذا ما حصل أن بلغ أحد من اللاعبين إلى صف الثاني لمعلب الأول,معناه الانتصار.

السيق:وهي تشبه لعبة المعيزة ولكن تختلف عنها في استخدام قطع من اللوح وعددا أربعة،وترفع بكاملها إلى أعلى ويتركها اللاعب تسقط،فإذا سقطت كاملة في الاتجاه المعاكس،يسمى ذلك بديارالأربعة،وإذا سقطت ثلاث قطع في اتجاه يسمى ذلك بديار الثلاثة وهذه اللعبة مرفقة بحوض،وهو عبارة عن حفرتتكون من ثلاثة صفوف،توضع القطع الحجرية في الصفوف الجانبية،ويبدأ اللاعب في تحريكها حسب طبيعة قطع اللوح.

أهم النباتات:

السونغا:هي نبات طبيعي،ينمو بالهضاب العليا الغربية،يشبه الحلفاء ولكن الفرق بينهما أن الحلفاء تتميز بجذور طويلة،وأوراقها قصيرة لونها خضراء وبها كان يعرف اتجاه القبلة فعندما يجدها الرجل الحمياني في الصباح مع طاوع الشمس مائلة ويابسة في اتجاه القبلة،بينما السونغا تتميز بجذور قصيرة،وأوراقها طويلة يميل لونها إلى الإصفرار

أنواع المأكولات الشعبية البدوية:

الترفاس:هونوع من أنواع الفطريات ينمو من تلقاء نفسه في فصل الربيع،يشبه البطاطا في شكله طعمه لذيذ،يستهلك بكثرة في منطقة النعامة.

الزريزري:يعتبر من المأكولات الشعبية،يصنع من الكليلة أي من اللبن المجفف والتمر والسمن،طعمه لذيذ،يحضر خاصة إذا كان هناك ضيوف

الرفيس:يعتبر هو الآخر نوع من المأكولات الشعبية،يصنع من السميد والتمر والسمن،ويتم تحضيره في المناسبات المختلفة،ويعد من المأكولات المفضلة عند حميان.

الملوي:هو شكل من أشكال الخبز, ولكن يتميز بالهشاشة،بسبب استخدام الزيت مع العجين،ويشبه ما يسمى عند أهل الجزائر العاصمة بالمحاجب،ويتم تناول الملوي خاصة في المساء مع الشاي أو مع القهوة ويحضر كذلك للضيف.

CERCLE DE MÉCHÉRIA

1915

et d'Arch. d'Oran. — 1er trim. 1916. Noël, Carte 2

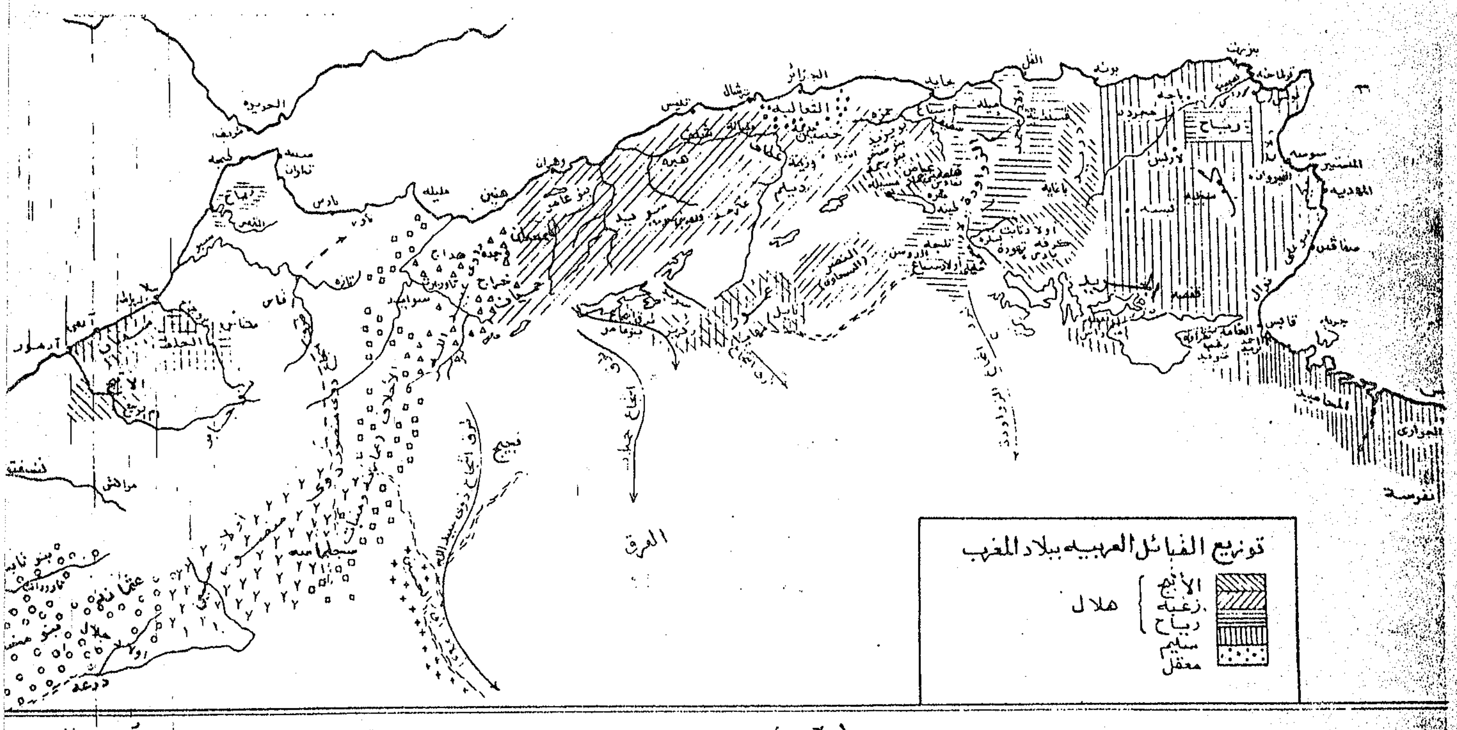
BEDEAU
Comm.e m.te du Télagh
MARHOUM
Saïda
Ras El Ma (Crampel)
Annexe d'El Aricha
EL ARICHA
Oglat Taerziza
Oglat Kerbaïa
Nessissa
Tamesloula
El Mellaha
Sidi Djilali
El Aouedj
Daït el Ferdh
Hassi Ouazen
El Hammam
El Meydadia (citerne)
Mechera el Mefedouha
Mechera el Konak
Mechera el Khelath
el Hallalif
El Amra
El Hamira
Mechera el Alam
Daït el Guerat
CHOTT ECH CHERGUI
Hassi el Kelba
Megboura
El Rahiat
El Feggarh
Tighounit
Ang el Djemel
Mekmen el Hannech
Mechera Hadjerat
Hassi el Aba
Hassi Bou Fathma
Soufridj
Ghar el Gharbi
Ogl. Moussa
Kebritia
Hassi b. Drous
Ogl. Hamara
Nadjdja
Mekmen en Nag
Mekmen el Abiadh
Mekmen el Bahira
Mekmen el Merir
Djenan el Merir
El Aguiur
Krebassa (Station)
Mecheria el Bahar
Oglat Mehaya
MECHERIA
Daït el Khanza
Aouguerat
Bothimat Reziga
Oglat Akerma
Daït el Guetla
Khenoussia
El Haouma Gharbia
Mechera Smara
Djenan Adhen
Daït Guesmir
Haoudh el Deba
Djenan Abdallah b. Saheb
Hazem
Hassi Guethcheb el Hamara
Daït Oum S. Chérif
Magroune
S. Sliman
Haoudh Saïlana
El Magrounat
El Bahar
El Korima
Hassi Remad
Redjem Bailich
Oglat el Tin
Oglat Toula
Haoussi Hellala
Mekmen El Djir
Djenan el Agha
Mechera el Harchaïa (Station)
Tousifza (Station)
Touadjeur
Oglat Oulad Allol
Naâma (gare)
El Djedida
Ben Nouali
Bou Djenib
Soulgue (Station)
Ghonel Rouhho
Hassi Sedra
Ain Tiddes
Ain Messif
Belhimat Ledda
Maïadh el Ahmer
Hassi Sfa Sfa
El Feritis
El Hamia
El Magroun
Taoussera
Mokladeli (Station)
MEKALIS (gare)
Hassi Ghergui
Oglat N'sa
Hassi Bou Djenih
Bou Ghellab (Station)
Ain Aïssa
Garet Rima
Daït Rima
Galloul
Forthassa
Forthassa Gherguia
Zrigat el Aggareb
El Amba
Oglat Moussa
Dechrichek
Sefra

Légende

Echelle

- Village
- Redoute
- Kouba
- Source
- Puits
- Point

الخريطة (رقم ١) : الوطن الجغرافي لحميان
المصدر: Noël : Documents pour



خريطة رقم (١٤)
توزيع القبائل العربية
ببلاد المغرب.

المصدر: د. مصطفى أحمد أبو ضيف
القبائل العربية في المغرب.
ص 351 -

الأندلس

خريطة الجزائر
ومراكز القبائل في القرن الثامن للهجرة
(الدواودة) القبائل العربية
(مغراوة) البربرية
مواطن العرب
حدود مملكة المرابطين
ممالك العلويين
مملكة الاغلبيين
الجزائر الحديثة

مغراوة كتامة الدواودة سنجاس الأغواط مطغرة العرق رياح بني عامر بني يعقوب

مقياس الرسم

المصدر: محمد المـ...
تاريخ الجزائر ...

خريطة رقم (13)
موطن حميان في القرن 8 هـ

خريطة الناحية الوهرانية
السلم
0 10 20 30 40 50كلم

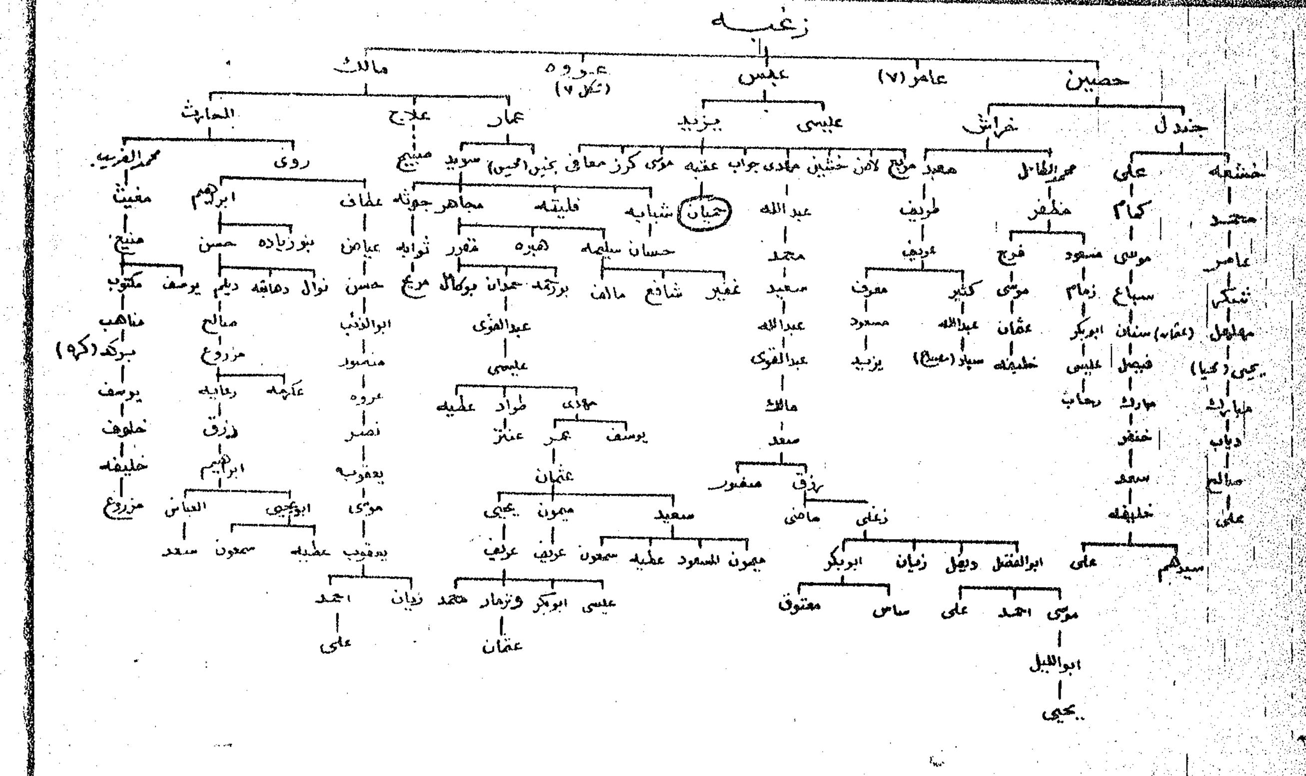
البحر الأبيض المتوسط

الظهرة
مزونة
بني زوال
سيدي العريبي
نهر الشلف
السحال
مستغانم
خليج آرزيو
آرزيو
خليج وهران
المرسى الكبير
وهران
الزمالة
جبل هيدور ومرجاجو
سبخة وهران
الدوائر
مليتة
حميان
عبيد الغرابة
غابة مولاي اسماعيل الزمالة
الزيوج
المقتلة
مغراوة
مجاهر
مكاليبة
عبيد الشراقة
وادي هليل
بني شقران
بني راشد
البطحاء
غليزان
جبل هوارة
زمورة
فليتة
بريقو بلاد هبرة
القلعة البرجية
البرج
هاشم الشراقة
أولاسدي لاهو
معسكر
سجراوة
هاشم غريس
كاشرو
تاسالات
وادي مسكرة
وادي الحمام
وادي ميمون
تسالة
وادي المالح
بني عامر
بلعباس
بني عامر
بنو حنيفة
العرابة
افكان
الزلاعطة
تاهرت
تاقدامت
تلمسان
بني ورنيد
الوصيرت
سعيدة
اليعقوبية
ديرالكاف
بني زدمة

خريطة الغرب الجزائري «الناحية الوهرانية»
تتضمن أهم الأماكن الواردة ذكرها في المخطوط

المصدر: عبد الرحمن الجيلالي
الدول الأوسط ص 84

خريطة رقم (14)
موطن حميان في القرن (8 هـ)



شكل (٦) عن ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر.
Georges Marçais: les Arabes en Berbérie

المصدر: د. مصطفى أبو ضيف
القبائل العربية في المغرب
ص 351

الجدول (رقم ٩)
نسب حسان من حلائف زغبة

زغبه

عامر — حصين (٥) — عبس (٥) — مالك (٥) — عروه

يعقوب — شافع — حميد — النضر — حبيس

منيع — شقاوه — طرف — بالغ — عبيد — عيسى — شريعه — العيادي — حمائله — خليفه — زيان — سليمان — يقظان — فرغ — عبيدالله

عباد — صالح — عقيل — عجاز — حمزه — عسكر — عابد — ناشل — جابر

(ركسيه) كرليش — الهوسه — هجليش — الحامزه — عبزه — شيخ — خليفه — زيان

وداد — حامد — رياب — محمد — علاق — ابويحيى — محمد

عطاف — نهاب — ولاده (ولالده) — شداد — سمعون

هلال — عبدالله — سعيد — مسعود

دواد — غانم — واوزمير — معهد (معروف) — عريف — زيان

سليم (سليمان) — سعيد — هجر — سلطان — يعقوب — ميمون — حمو

ساسي — عثمان — عثمان — معرف — ابراهيم — العباس

علي — عسكر — سليمان — عامر — عمر — يعقوب

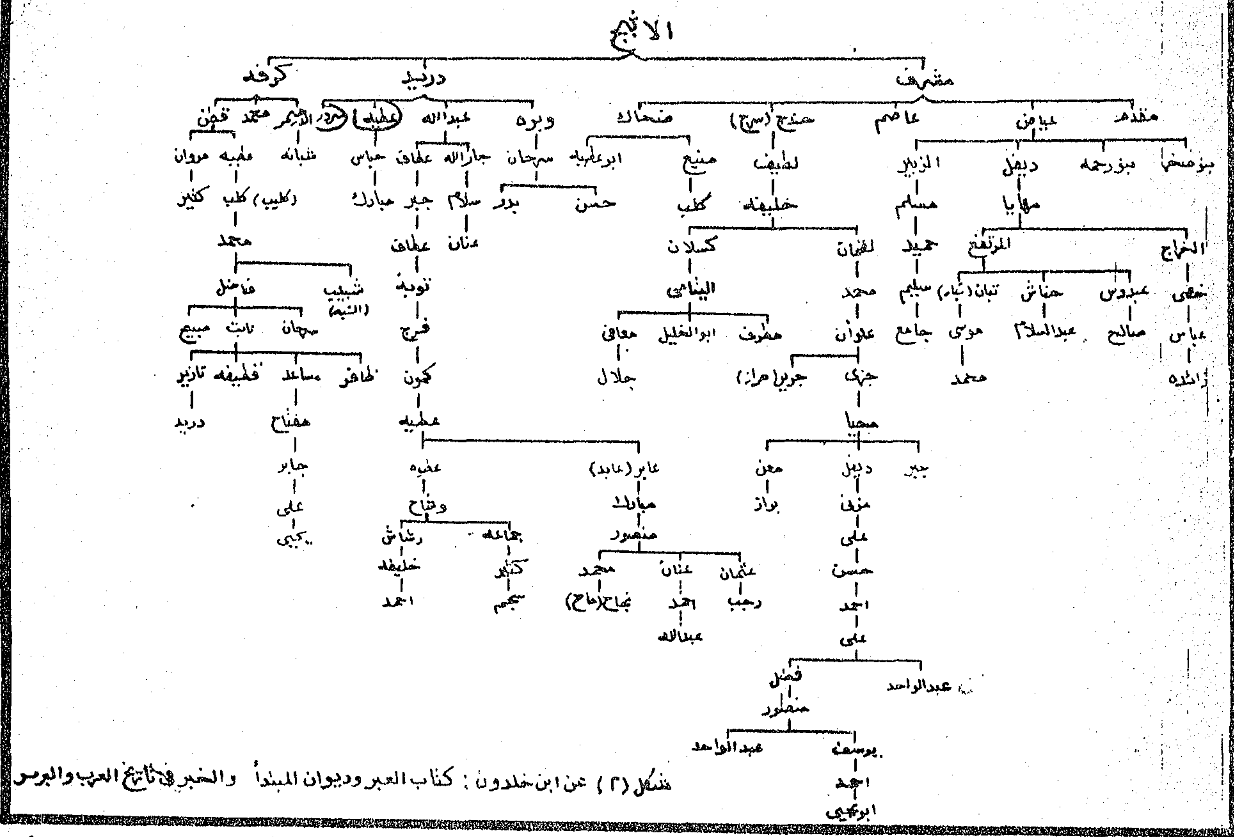
عبدالله — خالد — صغير — شعيب — علي

ملوك — المسعود — عبدالله — سليمان

شكل (٧) عن ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر
Georges Marçais: les Arabes en Berbérie

المصدر: د. مصطفى أبو ضيف
القبائل العربية ... ص 352

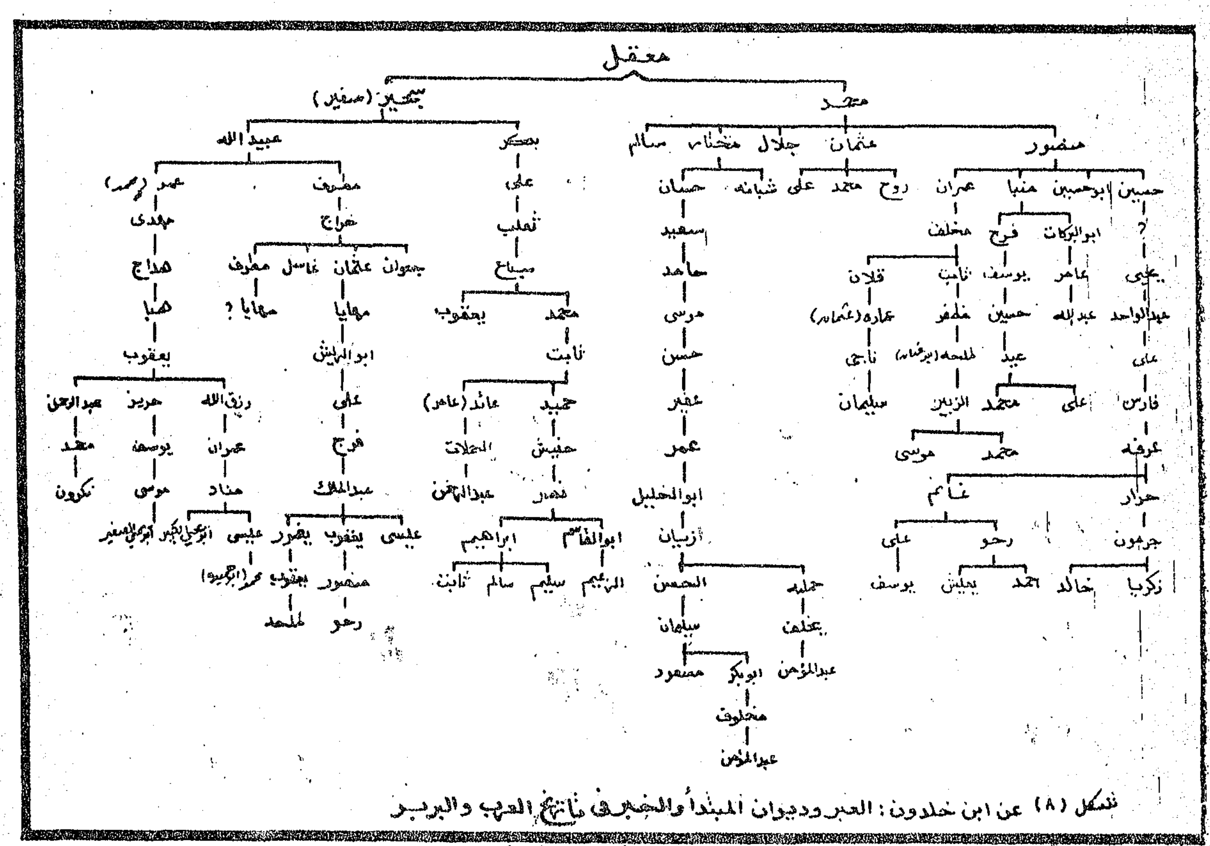
الجدول رقم (٢)



شكل (٢) عن ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر

المصدر: د. مصطفى ابو ضيف
القبائل العربية ص 352

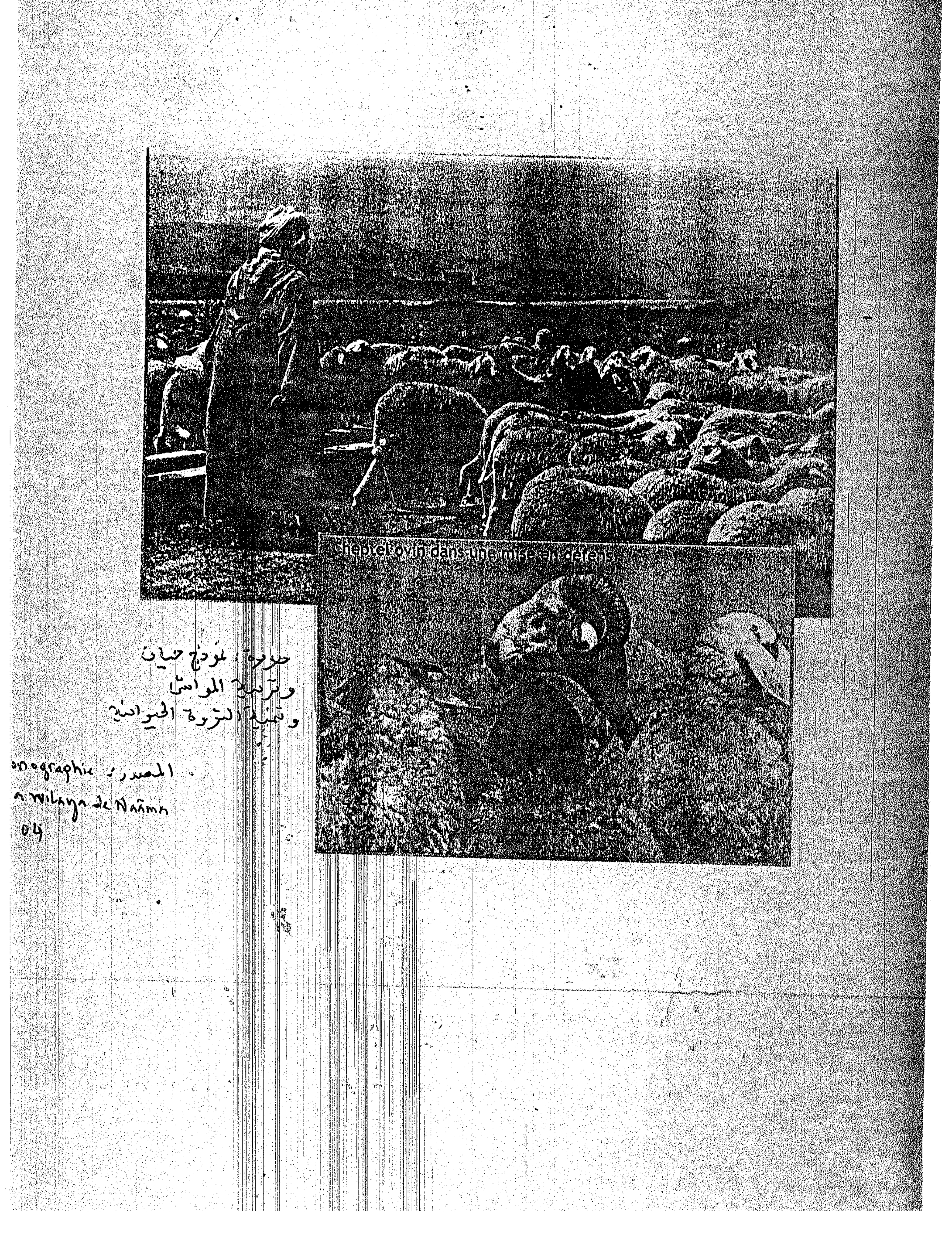
الجدول (رقم 13)
نسب أولاد سرور وعطية



شكل (٨) عن ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر

المصدر: د. مصطفى ابو ضيف
القبائل العربية في العز
ص 358

الجدول رقم 14
النسب المعقل -



صورة: نموذج حيواني
وتربية المواشي
وتنمية الثروة الحيوانية

المصدر: onographie
a Wilaya de Naâma
04

الفهارس

1- فهرس الأعلام والأماكن والمدن

2- فهرس المصادر والمراجع

3- فهرس الموضوعات

فهرس الأعلام و القبائل

حرف"ا"

حرف"ب"

حرف "ت"

حرف "ج"

حرف "ح"

حرف"خ"

حرف"د"

حرف"ذ"

حرف"ر"

حرف"ز"

حرف"س"

حرف"ش"

حرف"ص"

حرف"ع"

حرف "م"

حرف"و"

حرف"ي"

فهرس الأماكن والمدن

حرف"ا"

حرف"ب"

حرف"ت"

حرف"ح"

حرف"د"

حرف"ر"

حرف"س"

حرف"ش"

حرف"ص"

حرف"ط"

حرف"ع"

حرف"غ"

حرف" ف"

حرف"ق"

حرف"ل"

حرف"ن"

حرف"و"

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر:

01-ابن أبي دينار:المؤنس في أخبار إفريقية وتونس -تحقيق محمد شمام-المكتبة العتيقة-تونس - 1969

02- ابن أبي زرع:كتاب الأنيس المغرب بروض القرطاس-فاس- 1973

03- ابن الخطيب:تاريخ إسبانيا أو كتاب أعمال الأعلام -تحقيق إ.ليفي بروفنسال- ط2-دار المكشوف-بيروت-مارس 1956

04- ابن الأثير:الكامل في التاريخ ـ دار صادر-1979

ابن الابار:المقتضب من كتاب تحفة القادم-نشر إبراهيم الأبياري-القاهرة-1957

05- ابن الكلبي:جمهرة انساب العرب ـ بغداد-1959- الأصنام د.م.ن-د.د.ن-د.س.ن

06-ابن الأحمر:تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ـ تقديم وتعليق هاني سلامة-المطبعة الدينية للنشر والتوزيع-الإسكندرية-2002

07- ابن حزم:جمهرة أنساب العرب- تحقيق وتعليق عبدالسلام محمد هارون -ط3 دارالمعارف -القاهرة -1971

08-ابن خلدون(عبد الرحمن):كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر-ج6و7-دار العلم للملايين - بيروت- 1981

09- ابن خلدون(يحي):بغية الرواد في ذكرالملوك من بني عبدالواد- تقديم وتحقيق د.عبد الحميد حاجيات -المكتبة الوطنية للكتاب -الجزائر-1984

10-ابن صاحب الصلاة:المن بالامامة على المستضعفين-نشر عبد الهادي التازي-بيروت-1964

11-ابن كثير(أبوالفداء الحافظ):كتاب البداية والنهاية ـ طبعة مكتبة المعارف بيروت ـ مكتبة النصر-الرياض-1966

12- ابن عذارى المراكشي:البيان المغرب في أخبارالأندلس-مراجعة ومراجعة ج.س.كولات وإليفي بروفنسال ج2و4-بيروت- 1980

13- ابن عودة المزاري:طلوع سعد السعود-تحقيق د.يحي بوعزيز-دارالغرب- ط1-بـيروت- 1990

14-ابن مقديش الصفاقسي:نزهة الأنظار-ج1-طبعية حجرية-تونس-1321هـ

15-أبوالعباس أحمدبن خالد الناصري المعروف بالسلاوي:كتاب الاستقصالأخباردول المغـرب الدولة المرابطية والموحدية تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري -مطبعة دارالكتـاب- الدارالبيضاء- 1954

16-أبوالفداء:تقويم البلدان- طبعة دوسلان -باريس -1840

17-أحمد بن عبدالرحمان الشقراني الراشدي:القول الأوسط في أخبار بعض من حـل بـالمغرب الأوسط-تحقيق وتقديم د.ناصرالدين سعيدوني -ط1- دارالغرب الإسلامي بيروت 1991

18-عبدالقادرالمشرفي:بهجة الناظر في أخبارالداخلين تحت ولاية الاسبانيين بوهران من الأعـراب بني عامر تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم الجزائر-1943

19- الألوسي:بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب-بدون تاريخ

20-الأصطخري:كتاب المسالك والممالك-نشر محمد جابر عبدالعال-القاهرة-1961

21-الإدريسي:القارة افريقية وجزيرة الأندلس-تحقيق وتعليق إسماعيل العربي-ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر-1983

22- البلاذري:أنساب الأشراف-تحقيق د.محمد حميد الله -ج1- دار المعارف -مصر-1959 -فتوح البلدان -تحقيق رضوان محمد رضوان دارالكتب العلمية-بيروت 1978

23-التيجاني:رحلة التيجاني -تحقيق حسن حسني عبدالوهاب-تونس-1958

الشريف ابوالقاسم الغرناطي:كتاب رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة-

24-المقريزي:اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء-نشر جمال الدين الشيال-القـاهرة- 1948

25-الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي ـترجمة عن الفرنـسية د.محمـد حجـي, د.محمد الأخضر- ج1- ط2 -دارالغرب الإسلامي بيروت1983

26-الزركشي:تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية-تونس-1289هـ

27-القلقشندي:نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب-نشر إبراهيم الأبياري-القاهرة-1959

-صبح الأعشى في صناعة الانشا-القاهرة-1963
28-محمد بن محمد الأندلسي المعروف بالسراج:الحلل السندسية في الأخبار التونسية-تحقيق وتقديم محمد الحبيب-ج1-القسم الرابع-تونس-1970
29-موسى بن موسى أبوحمو:واسطة السلوك في سياسة الملوك-تونس-1279هـ
30-مؤلف مجهول:زهر البستان-مكتبة ريلاندز-مانشيستر-رقم283قسم عربي.
31-مؤلف مجهول:مفاخر البربر-نشر ليفي بروفنسال-الرباط -1934
32-مؤلف مجهول:الاستبصار في عجائب الأمصارنشر وترجمة سعد زغلول الإسكندرية-1958
33-ياقوت الحموي:معجم البلدان-مادة إفريقية-القاهرة-1233هـ

ب- المراجع بالعربية:

01- إبراهيم مياسي:توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري(1881م-1912م)-مطبعة الرويبة-الجزائر-1996
02-ابن يزيد:تاريخ الخلفاء -مؤسسة الرسالة -القاهرة-1979
03-د.أبوالقاسم سعدالله:تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري(16م -20م)- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1981
- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر- القسم الأول-ط2-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر- 1981
- الحركة الوطنية الجزائرية-(1860م-1900م)-ج1-ط1-دارالغرب الإسلامي-بيروت - 2000
04- أبوالفوز محمد أمين المعروف بالسويدي:سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب -المكتبة العلمية السنة التاسعة من العقد من القرن الثالث عشرالهجري.
05-د.أبوضيف مصطفى أحمد عمر:القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر-1982

06- أبوعلي الهجيري:بلاد الجزيرة- تحقيق أحمد الجاسرود.صالح العلى منشورات داراليمامة د.س.ن بدون تاريخ

07- أحمد توفيق المدني:كتاب الجزائر- المطبعة العربية-الجزائر-1928

08-أحمد حسن الزيات:العرب ومواطنهم وطبقاقم وقبائلهم المشهورة-ط6 دارالمعرفة- بيروت 2004

09-د.أحمد شلبي:موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية-ج1-ط6-مكتبة النهضة المصرية-القاهرة-1974.

- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية-ج5-مكتبة النهضة الإسلامية-القاهرة-1967

10- أحمد صالح العلى:محاضرات في تاريخ العرب ــ دارالكتاب للطباعة ــ العراق ــ 1981

11- أحمد رشدي صالح:الأدب الشعبي ط3- مكتبة النهضة المصرية-القاهرة-1971

12- أحمد الطاهر الزاوي:تاريخ الفتح العربي في ليبيا-دار المعارف-مصر-1963

د.أحمد نعمان:سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجية النفسية-المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1988

13-إسماعيل محمود:الحركات العربية في الإسلام-ط1-دارالقلم-بيروت 1973

14- إسماعيل العربي:دولة بني حماد- ملوك القلعة وبجاية-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر- 1980

15-إبراهيم بهلول:فن الرقص الشعبي في الجزائر-ترجمة أسماء سيفاوي-ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر-د.ت.ن

إدريس خيضر:التفكيرالاجتماعي عند ابن خلدون وعلاقته ببعض النظريات الاجتماعية-ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر-1992

16-د.السيد عبد العزيز سالم :المغرب العربي الكبير دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية - دار النهضة العربية-بيروت-1971

17-العبادي مختار أحمد:في التاريخ العباسي والأندلسي-بيروت-1968

-دراسات في تاريخ المغرب والأندلس-الإسكندرية-1962

18-ألفرد بل:الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي إلى اليوم- ترجمة عبدالرحمن بدوي-دارالغرب الإسلامي-بيروت 1981

19-جوليان أندري شارل:تاريخ إفريقية الشمالية تونس الجزائرالمغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م-تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة-ج2-الدار التونسية للنشر والتوزيع- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر- 1978

20-حامد عبدالسلام:علم النفس الاجتماعي-ط3-عالم الكتاب-القاهرة-1974

21-د.حسن إبراهيم حسن:تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب — مكتبة النهضة المصرية-القاهرة – 1974

-انتشارالاسلام في القارة الافريقية-القاهرة-1964

22-د.حسين مؤنس:تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي- مكتبة العصر الحديث للنشر والتوزيع-بيروت-1992

23-حسن حسني عبد الوهاب:خلاصة تونس-1373هـ

-ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيه التونسبة-تونس-بدون تاريخ

24-د.حسن الساعاتي:علم الاجتماع البدوي-ط3-دارالمعارف-القاهرة-1971

25-رابح بونار:المغرب العربي-تاريخه وثقافته-ط3-دارالهدى-عين مليلة الجزائر-2000

رالف لنتون:دراسة الانسان-ترجمة عبدالمالك الناشف-المكتبة العصرية بيروت-1964

26-د.رشيد بورويبة:تاريخ الدولة الحمادية-الجزائر في التاريخ-المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر- 1984

روث بنديكت:ألوان من ثقافات الشعوب-ترجمة محمد الدسوقي واخرون-لجنو البيان العربي-القاهرة-د.ت

27-روزلين ليلى قريش:القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي-ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر-1980

زلهام رودلف:الأمثال العربية القديمة-ترجمة رمضان عبدالتواب-مؤسسة الرسالة-بيروت-1971

دة.سامية حسن الساعاتي:الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي-دار النجاح-بيروت-1977

28-دة.سهيرعبدالعزيزمحمد:الاستمرار والتغير في البناء الاجتماعي في البادية العربيـة-دراسـة ميدانية في علم الاجتماع البدوي-ط1-دارالمعارف-القاهرة-1991

29-عاشور سرقمة:الرقص والأغاني الشعبية بمنطقة توات-ط1-دار الغرب للنشر والتوزيـع - الجزائر-2004

30-د.عبدالقادر القصير:الأسرة المتغيرة في المدينة العربية-دراسة ميدانية في علـم الاجتمـاع الحضري والأسري- ط1-دار النهضة العربية-بيروت-1999

31-عبد الحميد خالدي:الوجود الهلالي السليمي في الجزائر-ط هومة-الجزائر-2002

32-عبد الرحمان زكي:حركة الإصلاح الديني في غرب إفريقية-مدريد-1966

-تاريخ الدولة الاسلامية السودانية بإفريقية-القاهرة-1961

33-عبدالرحمان الجيلالي:تاريخ الجزائر العام-ط4-دارالثقافة-بيروت-1980

34-د.عبدالله علي علام:الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبدالمؤمن بن علـي-دار المعـارف مصر-1971

35-عبدالعزيز بن عبدالله:معطيات الحضارة المغربية-المغرب-1957

36-د.عبد الحميد حاجيات:تاريخ الجزائر في عهدالموحدين -الجزائرفي التاريخ -المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر- 1984

- أبوحموموسى الزياني -الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-الجزائر-1982

صالح عباد:الجزائر خلال العهد التركي-دارهومه-الجزائر-2005

37-عبدالحميد بن أشنهو:دخول الأترك العثمانيين إلى الجزائر-الجزائر-1974

38- د.عبد الحميد لطفي:علم الاجتماع -دار النهضة العربية-بيروت-1981

39-د.عبدالحليم عويس:دولة بني حماد -ط1- دارالشروق-بيروت-1980

40-د.عبد الفتاح مقلد الغنيمي:موسوعة المغرب العربي ج4-المجلـد2-ط1-مكتبـة مـدبولي القاهرة- 1994

41-د.عبدالله ركيبي:الشعر الديني الجزائري الحديث-ط1-الشركة الوطنية للنشر والتوزيـع- الجزائر-1981

42-عبدالجبار الراوي:البادية-ط2-بغداد-1949

43-عبد الوهاب منصور:قبائل المغرب-ج1-الرباط-1968

44-د.عبدالمالك مرتاض:الألغاز الشعبية الجزائرية في الغرب الجزائري-ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر-1982

عبدالواحد المراكشي:المعجب في تلخيص المغرب-القاهرة-1949

45-عثمان العكاك:موجز تاريخ الجزائر-مطبعة العرب-تونس-1925

46-عدد من المؤلفين:الوطن العربي-النواة الأولى والامتدادات عبرالتاريخ-ط1-مركزدراسات الوحدة العربية-بيروت-2003

46-علي بن عبدالرحمن:حلة الفرسان وشعارالشجعان-نشر محمد عبدالغني حسن القاهرة1949

علي عبدالواحد وافي:الأسرة والمجتمع-القاهرة-1948

47-عمر كحالة:معجم قبائل العرب القديمة والحديثةج1و2ط2دارالعلم للملايين بيروت-1968

48-د.غوستاف لوبون:حضارة العرب -نقله إلى العربية عادل زعيتر- (د.م) (د.ت) (د.ت).

49-الصغيربن عمار:الفكر العلمي عند ابن خلدون-الشركة الوطنية للنشر والتوزيع-1981

العربي دحو:الشعرالشعبي ودوره في الثورة التحريرية الكبرى-ج1-المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر-1989

50-مبارك بن محمد الميلي:تاريخ الجزائر في القديم والحديث -ج-تقديم وتصحيح محمد الميلي المؤسسة الوطنية للكتاب -الجزائر-1989

محمد أحمد باشميل:غزوة حنين-ط3-دارالفكرللطباعة-بيروت-1983

51-محمد بن عميرة:دورزناتة في الحركة المذهبية المغرب الإسلامي المؤسسة الوطنية للكتاب1984

52-محمد عبدالله عنان:عصرالمرابطين والموحدين- ط1- القاهرة -1964

53-محمد بن ماء العينين الادريسي الشنجيطي:الجأش الربيط في النضال عن مغربية شنجيط وعربية المغاربة من مركب وبسيط-القاهرة-1957

54-محمد ثابت الفندي-أحمد الشنتاوي- إبراهيم زكي خورشيد-د.عبدالحميد يونس:دائرة المعارف الإسلامية ــ المجلد11- انتشارات جهان-بدون تاريخ

55- محمد خيرالدين:مذكرات الشيخ محمد خيرالدين -ج1- مطبعة دحلب الجزائر - 1984

56-محمدسالم شرف الدين:ملامح المغرب في القرن الخامس الهجري-المؤسسة العربية للكتاب-بنغازي-1999

57-محمد سعودي:الوطن العربي-دراسة لملامحه الجغرافية-دار النهضة العربية-بيروت-1968

58-محمد سعيدي:الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق ديوان المطبوعات الجامعيةالجزائر-1998

59-د.محمد السويدي:بدوالطوارق بين الثبات والتغير(دراسة سوسيو-أنثروبولوجية في التغير الاجتماعي)-المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر-1986

د.محمد عجاج الخطيب واخرون:نظام الأسرة في الاسلام-ط2-الكويت-1986

60-محمد محمود الصياد:معالم جغرافية الوطن العربي-المجلد الأول دار النهضة العربيةبيروت1972

د.محمد الغريب عبدالكريم:ظاهرة التريف-قراءات في علم الاجتماع الريفي-1990

61-د.محي الدين صابر:عوامل التغير الحضاري وتنمية المجتمع-سرس الليان-مركز تنمية المجتمع في العالم العربي-1962

62- مجمع الأمثال للميداني:تعريف المثل-تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد-القاهرة-1955

63- مونكرمي وات: البدو-ترجمة لجنة دائرة المعارف الإسلامية -إبراهيم خورشيد ود.عبدالحميد يونس وحسن عثمان -دارالكتاب اللبناني -1981

64-محمود كامل:الدولة العربية الكبرى- ط1- دارالمعارف ــ مصر(د.ت)

65-د.مصطفى الخشاب:دراسات في علم الاجتماع العائلي-دارالنهضة العربية-بيروت-1985

66-دة.نبيلة إبراهيم:من قصصنا الشعبية من الرومانسية إلى الواقعية-ط1-دارالعودة-بيروت-1974

-أشكال التعبير في الأدب الشعبي-ط3-دارالمعارف-القاهرة-1981

67-د.يحي بوعزيز:أعلام الفكر والثقافة في الجزائرج2ط1دار الغرب الإسلامي بيروت- 1995

2-الباب الثاني: الدراسة الثقافية:

الفهارس: